



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ميسان – كلية التربية

قسم التاريخ

تباين الموقف المجتمعي

من النهضة الحسينية حتى سنة (٦١ هـ)

دراسة تاريخية

رسالة تقدمت بها

زينب جاسم حيدر

إلى مجلس كلية التربية – جامعة ميسان

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إشراف الأستاذ الدكتور

غفران محمد عزيز الدعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

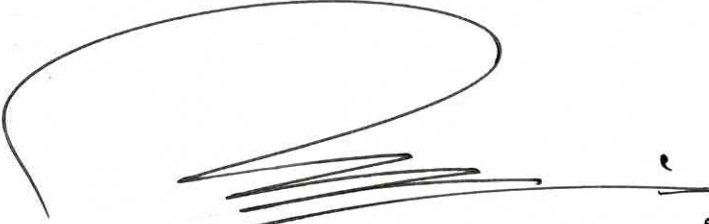
صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

سورة العنكبوت، آية ١٠٤ .



إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (تباين الموقف المجتمعي من النهضة الحسينية حتى سنة ١٤٦١ هـ) المقدمة من الطالبة زينب جاسم حيدر جرى تحت إشرافي في كلية التربية - جامعة ميسان، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي.



التوقيع: أ.د غفران محمد عزيز الدعيمي

التاريخ: ١٤/١٠/٢٠٢٥

توصية رئيس قسم التاريخ

بناءً على التوصيات المقدمة، أرشح هذه الرسالة للمناقشة



التوقيع: أ.د محمد حسين زبون

رئيس قسم التاريخ

التاريخ: ١٤/١٠/٢٠٢٥

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة أننا اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ (تباين الموقف المجتمعي من النهضة الحسينية حتى سنة ١٤٦١هـ) المقدمة من الطالبة زينب جاسم حيدر وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها وكل ما له علاقة بها، ووجدنا أنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي بتقدير (أ ممتاز).

التوقيع: 

الاسم: نعمة ساهي حسن

التاريخ: ٢٠٢٦ / ٨ / ١٠

التوقيع: 

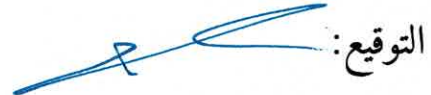
الاسم: اسراء مهدي مزبان

التاريخ: ٢٠٢٦ / ٨ / ١٠

التوقيع: 

الاسم: غفران محمد عزيز

التاريخ: ٢٠٢٦ / ٨ / ١٠

التوقيع: 

الاسم: حلا عبد الكريم احمد

التاريخ: ٢٠٢٦ / ٨ / ١٠

تمت المصادقة على هذه الرسالة من مجلس كلية التربية - جامعة ميسان

أ.م.د براق طالب شلش

عميد كلية التربية

التاريخ: ٢٠٢٦ / /

الإهداء

إلى السِّرَاجِ الْمُنِيرِ، نُورِ اللَّهِ الَّذِي يُسْتَضَاءُ بِهِ نَبِينَا مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)

وإلى فَارِسِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَيْثِ الْمُوَحِّدِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

وإلى الْحَوْرَاءِ الْإِنْسِيَّةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ)

وإلى سِبْطِي الرَّحْمَةِ وَإِمَامِي الْهُدَى، الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)

وإلى أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

وإلى الْفَجْرِ الصَّادِقِ وَالْوَمِيضِ الْبَارِقِ فِي الْمَغَارِبِ وَالْمَشَارِقِ الْإِمَامِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ
الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

وإلى جميع الأئمة المعصومين من نسل الحسين (عليهم السَّلَامُ)

منارة الهداية وسراج العدل، الذين كان وجودهم عزاءً للمظلومين ونوراً للعالمين.

اهدي هذا الجهد المتواضع

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِذِكْرِكَ، وَأَسْتَشْفَعُ بِكَ إِلَى نَفْسِكَ، وَأَسْأَلُكَ بِجُودِكَ أَنْ تُدْنِيَنِي

مِنْ قُرْبِكَ، وَأَنْ تُوزِعَنِي شُكْرَكَ، وَأَنْ تُلْهِمَنِي ذِكْرَكَ .

شكر وعرفان

الحمد لله الاول بلا أول كان قبله ، والآخر بلا آخر يكون بعده، الذي قصرت عن رؤيته
أبصار الناظرين، وعجزت عن نعمته أوهام الواصفين، الحمد لله على نعمائه التي يعجز لسان الشكر
عن إحصائها ويقصر فهمي عن إدراكها فضلاً عن استقصائها، والصلاة والسلام على نبيه
المبعوث رحمة للعالمين أبي الزهراء محمد وعلى اهل بيته الطيبين الطاهرين .

لا يسعني إلا ان اتقدم بخالص الشكر والامتنان لكل من أسهم في إنجاز هذه الرسالة، وأخص
بالشكر والعرفان أستاذي المشرف (الأستاذ الدكتور غفران محمد الدعيمي)، الذي ساعدني في
اختيار الموضوع، وما قدمه من ملاحظات فضلاً عن توجيهاته في الاستعانة بكتب علم
الاجتماع، ناهيك عن الكتب التاريخية الأمر الذي أسهم في تقويم الرسالة وإعدادها ، أسأل
الله العلي أن يوفقه ويمنّ عليه بوافر الصحة ودوام التوفيق.

كما اتوجه بشكري وتقديري إلى كل من درسي في السنة التحضيرية من الأساتذة، وجميع
الاساتذة في قسم التاريخ في كلية التربية داعيةً الباري أن يمنّ على الجميع بدوام الصحة والنجاح
المعرفي الدائم .

وأتوجه بخالص الشكر والتقدير للعاملين في مكتبة العتبة العباسية الرقمية، ومكتبة عيسى، والمكتبة
المركزية، ومكتبة كلية التربية، ومكتبة الحكيم، لما قدموه من دعم وتسهيل لمهمتي البحثية، كما
أعرب عن امتناني لزميلاتي في السنة التحضيرية، وأخص بالذكر فاطمة أحمد علوان وآمنة محمد
عبد الحسين وآمال راضي، اللاتي كنّ خير سندٍ وعونٍ لي، ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر
والامتنان إلى أسرتي الكريمة على صبرهم وتحملهم انشغالي طيلة فترة إعداد هذه الدراسة.

قائمة المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	الآية الكريمة
ب	الإهداء
ج	شكر وعرfan
د	قائمة الرموز والمختصرات
هـ	قائمة المحتويات
و	المقدمة
١٠	١
٨٠	١١
١٧	١٢
١٥	١٢
١٧	١٥
٢٧	١٨
٥١	٢٨
٨٠	٥٢
٥٨	٥٢

	٥٨	ثانيًا: الخليفة عمر بن الخطاب
٦٤	٥٨	ثالثًا: الخليفة عثمان بن عفان
٧٧	٦٤	رابعًا: الإمام علي (عليه السلام)
٨٠	٧٧	خامسًا: الإمام الحسن (عليه السلام)
١٨٣	٨١	الفصل الثاني : تباين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن وبلاد الشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية حتى سنة (٦١١هـ / ٦٨٠م)
١٣٤	٨٢	المبحث الأول: تباين الموقف المجتمعي في الحجاز من النهضة الحسينية
٨٦	٨٢	أولاً: التركيبة الاجتماعية في الحجاز (مكة والمدينة)
١٠٤	٨٦	ثانيًا: الأوضاع العامة في الحجاز واثرها في تباين المواقف المجتمعية
١٣٤	١٠٤	ثالثًا: موقف الفئات من النهضة الحسينية
١٤٦	١٣٥	المبحث الثاني: تباين الموقف المجتمعي في اليمن من النهضة الحسينية
١٣٦	١٣٥	أولاً: التركيبة الاجتماعية في اليمن
١٤٦	١٣٦	ثانيًا: الأوضاع العامة في اليمن واثرها في مواقف المجتمع من النهضة الحسينية
١٧٠	١٤٧	المبحث الثالث: الموقف المجتمعي في بلاد الشام من النهضة الحسينية
١٥٠	١٤٧	أولاً: التركيبة الاجتماعية في بلاد الشام
١٧٠	١٥٠	ثانيًا: الأوضاع العامة في بلاد الشام واثرها مواقف المجتمع من النهضة الحسينية
١٧٧	١٧٠	المبحث الرابع: الموقف المجتمعي في مصر من النهضة الحسينية
١٧٣	١٧٠	أولاً: التركيبة الاجتماعية في مصر

١٧٧	١٧٣	ثانيًا: الأوضاع العامة في مصر واثرها في مواقف المجتمع من النهضة الحسينية
١٨٣	١٧٨	المبحث الخامس: الموقف المجتمعي في خراسان من النهضة الحسينية
	١٧٨	أولاً: التركيبة الاجتماعية في خراسان
١٨٣	١٧٩	ثانيًا: الأوضاع العامة في خراسان واثرها في مواقف المجتمع من النهضة الحسينية
٢٩٨	١٨٤	الفصل الثالث: تباين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية حتى سنة (٦١١هـ / ٦٨٠م)
١٩٦	١٨٤	المبحث الأول: التركيبة الاجتماعية في العراق
٢١٧	١٩٧	المبحث الثاني: الأوضاع العامة في العراق خلال الحكم الأموي حتى سنة (٦٧٩هـ / ٦٧٩م)
٢٩٨	٢١٨	المبحث الثالث: تباين الموقف المجتمعي في الكوفة والبصرة من النهضة الحسينية
٢٨٢	٢١٨	أولاً: موقف مجتمع الكوفة من النهضة الحسينية
٢٩٨	٢٨٣	ثانيًا: موقف مجتمع البصرة من النهضة الحسينية
٣٠١	٢٩٩	الخاتمة
٣٣٦	٣٠٢	المصادر والمراجع
A	F	Abstract

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أُنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَلْهَمَ، وَالشَّانُ بِمَا قَدَّمَ، مِنْ عُمومٍ نِعَمٍ ابْتَدَأَهَا،
وَسُبُوحِ آلاءِ أَسْدَاهَا، وَتَمَامِ مَنَنِ وَالْأَهَا، جَمَّ عَنِ الْإِخْصَاءِ عَدْدُهَا، وَنَأَى عَنِ الْجَزَاءِ أَمْدُهَا.

تُمَثِّلُ نهضة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) واحدةً من أعظم الأحداث في تاريخ المجتمع الإسلامي المبكر، إذ أصبحت رمزاً للمقاومة في وجه الاستبداد، ومثالاً حياً في مواجهة الظلم، ولم تكن مجرد حركة إصلاحية ضد سلطة منحرفة عن النهج النبوي العادل، بل أزمة مجتمع بدأ يفقد توازنه القيمي ويعود تدريجياً إلى مظاهر الجاهلية في الحكم والسلوك، وتستمد النهضة الحسينية فرادتها وتميزها من شخصية قائدها الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الذي جسّد في فكره وسلوكه واقع الأمة الإسلامية في زمانه، فمثل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بصيص الأمل للمسلمين الساعين لاستعادة المبادئ الإسلامية التي جاء بها النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فجاءت نهضته لتعيد بناء وعي المجتمع، وتستنهض الحس الجماعي بالمسؤولية والعدالة، مؤكدة أن الدين ليس طقوساً، بل موقفٌ أنساني وأخلاقي في مواجهة الانحراف والظلم، فلم تكن الثورة الحسينية مجرد حدث سياسي يقاس بنتيجته العسكرية، بل كانت نهضة في كل المستويات واختبار لمستوى وعي المجتمع، ودرجه ارتباطه بالقيم الدينية والانسانية.

شهد المجتمع العربي منذ بواكير الدعوة المحمدية ظاهرة التباين المجتمعي، والتي انعكست في مواقف فئاته من الرسالة الجديدة، فقد كان المجتمع متعدد الأديان فوقفت خلفيتهم الدينية حائلاً بينهم وبين الإيمان بالدعوة الإسلامية، مما أدى بهم إلى محاربة الدين والأفكار الجديدة التي جاء بها، فضلاً عن ذلك لعبت العوامل الاقتصادية والسياسية دوراً في تشكيل مواقف المجتمع، إذ تخوف زعماء مكة من انتشار الإسلام وترك عبادتهم قد يؤدي إلى فقدان مكانتهم الاقتصادية والسياسية بين القبائل العربية، وفي المقابل وجدت فئات من المجتمع في الإسلام افقاً للعدالة والمساواة المجتمعية فبادروا إلى الإيمان واستجابوا لرسالة الإصلاح التي حملها رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فضلاً عن ذلك ظهرت فئة المنافقين الذين اتخذوا موقفاً ظاهرياً بالإسلام وباطنياً بالضد منه، وكذلك شهدت الخلافة الراشدة تبايناً واضحاً في مواقف المجتمع الإسلامي تجاه طبيعة انتقال السلطة وممارساتها السياسية، فمع تولي أبو بكر للخلافة دون شورى عامة تجمع أوسع فئات المجتمع، برزت ردود فعل متفاوتة؛ إذ قبلت بعض الفئات هذا الخيار، بينما



شعرت فئات أخرى بأن حقّها في المشاركة السياسية قد تمّ تجاوزه، مما أنتج بوادر معارضة مبكرة، وقد ازداد هذا التباين حدّة بعد امتناع بعض القبائل عن دفع الزكاة، واعتبار ذلك موقفًا سياسيًا مرتبطًا بشرعية الحكم، ومع انتقال الخلافة إلى عمر بن الخطاب، بقي المجتمع منقسمًا في موقفه من آليات تعيين الحاكم، أما في عهد عثمان بن عفان، فقد تعمّقت حالة التباين بسبب توسّع نفوذ الأمويّين في الدولة وتقريبهم على حساب شخصيات المجتمع الأخرى، مما دفع شرائح اجتماعية إلى المعارضة والاحتجاج، وجاء الإمام عليّ (عليه السّلام) إلى الحكم في ظلّ مناخ متأزمّ ومجتمع منقسم؛ إذ كان بعض أصحاب النفوذ يرون في عدالة منهجه تهديدًا لمصالحهم التي رسخوها خلال العهود السابقة، فاندلعت ضده معارك داخلية (الجمال وصقّين) أحدثت شرخًا بالغًا بين المسلمين، ثم نشأت حركة الخوارج التي مثّلت اتجاهًا ثالثًا متشدّدًا، فزادت من تعقيد المشهد السياسي، وفي خلافة الإمام الحسن (عليه السّلام) ظهر استمرار التباين بوضوح؛ فبينما تمسك قسم من المجتمع بخطه الإصلاحية، فإن فئات أخرى تردّدت أو انحازت إلى السلطة الأموية بفعل المصالح أو الخوف أو الدعاية السياسية، ما أدّى في النهاية إلى قبول الإمام بالهدنة مع معاوية حقنًا لدماء المسلمين وحفاظًا على كيان الأمة من التفكك.

لقد أسهم التباين المجتمعيّ الذي رافق مرحلة الخلافة الراشدة، وما نتج عنه من اختلافات سياسية واقتصادية وقبلية، في تكوين بيئة اجتماعية مضطربة تحمل رؤية متعارضة حول مفهوم السلطة والشرعية، ومع انتقال الحكم إلى الدولة الأموية، وترسّخ الطابع الوراثي والاستبدادي فيها، برزت آثار تلك الانقسامات بصورة أوضح؛ إذ توزّعت مواقف الجماعات بين فئة منسجمة مع السلطة بحكم المصالح والامتيازات أو بدافع الخوف، وفئة معارضة تحمل وعيًا واضحًا بانحراف مسار الحكم عن المبادئ التي إرساها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأخرى مترددة أو عاجزة عن اتخاذ موقف حاسم، وفي ظل هذه الخلفية، جاء موقف الإمام الحسين (عليه السّلام) بصفته الامتداد الشرعي والقيمي للمشروع النبويّ، وكانت قضيته الإصلاحية العادلة واضحة لجميع فئات المجتمع الإسلامي، ومع ذلك، فقد تباينت ردود أفعال الأمة تجاه نهضته بين مؤيد مناصر، ومعارض مقاتل، ومحايّد متخاذل، ومتردد أثر الصمت أو الانسحاب، ويكشف ذلك عن طبيعة حركة المجتمع ومواقفه المتغيّرة إزاء الأحداث الكبرى، في ضوء دوافع متعددة ارتبطت بالمصالح السياسية والقبلية والخوف من بطش السلطة الأموية، وانطلاقًا من ذلك، يهدف هذا البحث إلى دراسة التباين المجتمعيّ بوصفه ظاهرة تاريخية بارزة في التاريخ الإسلامي عمومًا، وفي هذه الحقبة الحساسة من سنة (٦١٠هـ/٦٨٠م) خصوصًا.



ومن هنا جاءت هذه الدراسة بعد الاتفاق مع الاستاذ المشرف الدكتور غفران محمد عزيز ليستقر الموضوع بالعنوان (**تباين الموقف المجتمعي من النهضة الحسينية حتى سنة ٦١ هـ**)، وهي محاولة لتفسير هذه الظاهرة من خلال التحليل التاريخي المقرون بتفسيرات علماء الاجتماع ، للكشف عن العوامل المختلفة التي أسهمت في تبدل المواقف وتناقضها، إنّ هذا المنهج يُسهم في بناء رؤية واقعية لطبيعة المجتمع في تلك المرحلة، ويُبرز أوجه التشابه بينه وبين المجتمعات الراهنة، بما يدعو إلى إعادة النظر في أسس بناء المجتمع الإسلامي عبر ترسيخ الوعي الديني والمجتمعي وإصلاح المنظومة التعليمية، بما يضمن تكوين بيئة قادرة على فهم تاريخها واستيعاب دروسه وتجنّب تكرار أخطائه، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ مصطلح النهضة الحسينية يُعدّ أدقّ وأشمل في توصيف الحدث التاريخي المدروس؛ لأنّه لا يعبر عن واقعة زمنية محدودة فحسب، بل عن تحوّل عميق في مسار التاريخ الإسلامي ونتائجه، فقد شكّلت هذه النهضة نقطة فاصلة غيّرت طبيعة العلاقة بين السلطة والمجتمع، وأعدت تشكيل الوعي العام بمفاهيم الشرعية والحكم، ومن هنا، فإنّ قراءة التاريخ الإسلامي قبل النهضة الحسينية تختلف جوهرياً عن قراءته بعدها، سواء على مستوى بنية السلطة أو في طبيعة الموقف المجتمعي منها، ومن خلال ذلك حاولت الدراسة الوقوف على أمرين: الأول منها هو معرفة مواقف الأمصار الإسلامية من النهضة الحسينية ومن خلال ذلك تم استعراض طريقة وحركة المجتمع المسلم وتغيير دوره بسبب العوامل والمتغيرات السياسية، إما الأمر الثاني، هو تحليل علماء الاجتماع لظاهرة التباين المجتمعي ودور عامة الناس من الأحداث.

قسمت الدراسة وفقاً للمناهج التاريخية المتبعة في الدراسات الأكاديمية ، إذ قسم الفصل الأول تبعاً للمنهج الزمني، في حين قسم الفصل الثاني والثالث وفق المنهج الموضوعي بما يتناسب مع متطلبات الدراسة، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ تقسيمات الفصول راعت كثرة الروايات المرتبطة بمركز الحدث، وبناءً على ذلك، جرى تناول الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان ضمن فصل واحد، في حين أُفرد العراق في فصل مستقل .

إنّ المسار البحثي لهذه الدراسة اقتضى تقسيمها إلى مقدمة وثلاثة فصولٍ متفاوتةٍ في عدد صفحاتها، تبعاً لاختلاف حجم المادة التاريخية المتوفرة لكل محورٍ منها، الأمر الذي تطلب التركيز على تباين المواقف المجتمعية والتوسّع في دراسة الأحداث وتحليلها، بما يتناسب مع خصوصية كل مجتمعٍ من الأمصار الإسلامية، ولأنّ مجتمع الكوفة كان مركز الحدث التاريخي، فقد خُصّص له حيزٌ أوسع في البحث، بغية الكشف عن العوامل المختلفة التي أسهمت في هذه المواقف .



جاء الفصل الأول : تحت عنوان مفهوم التباين المجتمعي وجذوره في التاريخ الإسلامي حتى سنة (١٤١١هـ / ٢٠١١م) موضحةً معناه وجذوره في التاريخ الإسلامي، وعليه قسم إلى أربعة مباحث رئيسة، جاء المبحث الأول لبيان مفهوم التباين لغةً واصطلاحاً وكذلك الألفاظ الدالة عليه، كما تم التطرق إلى مفهوم المجتمع لغةً واصطلاحاً، أما المبحث الثاني فقد تناول مفهوم التباين المجتمعي في القرآن الكريم وحديث الرسول واهل البيت (عليهم الصلاة والسلام).

كما خُصص المبحث الثالث لدراسة تباين الموقف المجتمعي في عصر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، بدءاً من العهد المكي مروراً بالعهد المدني، وهدف هذا المبحث إلى تتبع جذور هذا التباين وأشكاله المبكرة، وفهم العوامل المختلفة التي ساهمت في تشكيل المواقف المتنوعة للمجتمع خلال هذه المرحلة من التاريخ الإسلامي والمراحل لاحقة، وتطرق المبحث الرابع تباين الموقف المجتمعي في عصر الخلافة الراشدة، في ضوء التحولات السياسية والمصالح القبلية وتطور الانقسامات الاجتماعية والسياسية.

أما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان: تباين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن وبلاد الشام ومصر وخراسان، متناولاً التركيبة الاجتماعية لكل واحدٍ من هذه الأمصار، ومُبرزاً الأوضاع العامة السائدة فيها لما لها من أهمية على معرفة طبيعة المجتمع وطريقة تفكيرهم، كما تناول الفصل تأثير البيئة المحلية والانتماءات القبلية والدينية في صياغة تلك المواقف، وما ترتب على ذلك من اختلافٍ في مستوى الوعي وتباينٍ في طبيعة التفاعل مع النهضة الحسينية، ونظراً لقلّة الروايات التاريخية المتعلقة بالمواقف المجتمعية من النهضة الحسينية الأمر الذي دفع الدراسة إلى جمع تلك الأمصار في فصلاً واحداً، بُني على أساس حجم المادة التاريخية المتاحة، مع الأخذ بالاعتبار أنّ هذه الأمصار لم تكن ميداناً للحدث التاريخي مما انعكس بطبيعة الحال على حجم المعطيات المتوفرة عنها، وعليه فقد قسمنا الفصل إلى خمس مباحث :

جاء المبحث الأول بعنوان: تباين الموقف المجتمعي في الحجاز من النهضة الحسينية وخصص هذا المبحث لدراسة التركيبة الاجتماعية في الحجاز، مع التركيز على أوضاع مكة والمدينة، مبيّناً أثر هذه الأوضاع على تباين الموقف الاجتماعي لسكانها، كما درس المبحث موقف الفئات المختلفة من النهضة الحسينية، موضحةً العوامل السياسية والدينية والقبلية التي شكلت هذا التباين، وجاء المبحث الثاني بعنوان : تباين الموقف المجتمعي في اليمن من النهضة الحسينية وركز هذا المبحث على التركيبة الاجتماعية في اليمن، كما بين المبحث دور الظروف السياسية



والإدارية للنظام الأموي في توجيه هذا الموقف، وأثر ذلك على اختلاف طبيعة التفاعل مع الحدث الحسيني.

وتطرق كذلك المبحث الثالث: إلى الموقف المجتمعي في بلاد الشام من النهضة الحسينية، الذي درس التركيبة الاجتماعية في بلاد الشام، متتبعاً الأوضاع والسياسية والفكرية والاقتصادية التي أثرت في وعي المجتمع، كما بين المبحث طبيعة موقف الفئات المختلفة تجاه النهضة الحسينية وتباين استجاباتها للأحداث، في حين تناول المبحث الرابع: الموقف المجتمعي في مصر من النهضة الحسينية، إذ خلاله تم التطرق إلى المجتمع المصري من حيث التركيبة الاجتماعية والأوضاع السائدة فيها موضعاً أثرها على موقف المجتمع المصري من النهضة الحسينية، في حين تحدث المبحث الخامس: عن الموقف المجتمعي في خراسان من النهضة الحسينية، وتناول هذا المبحث التركيبة الاجتماعية لخراسان، كما تم التطرق فيه إلى الأوضاع العامة وأثرها على موقف المجتمع من النهضة الحسينية.

أما الفصل الثالث فجاء بعنوان: **تباين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية**، وقسم إلى ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول منها التركيبة الاجتماعية للعراق، تم التركيز من خلاله على مدينتي الكوفة والبصرة لما لهما من دور تاريخي كبير في صلب الأحداث التاريخية في تلك الحقبة، وتفسير تباين استجاباتهم للنهضة الحسينية.

وجاء المبحث الثاني بعنوان: **الأوضاع العامة في العراق، ولتسليط الضوء على أثر تلك الأوضاع في الحياة الاجتماعية** تطلب الأمر استعراض سياسات معاوية في إخضاع المجتمع العراقي وإخضاعه للسلطة الأموية، كما تناول أثر هذه السياسات على المواقف الاجتماعية من النهضة الحسينية، مع التركيز على آليات النفوذ الاجتماعي والسلطة السياسية في توجيه السلوك الجمعي، أما المبحث الثالث فقد جاء بعنوان: **تباين الموقف المجتمعي في الكوفة والبصرة من النهضة الحسينية**، وتناول فيه دراسة موقف مجتمع الكوفة، مبيّناً مستويات التباين التي تراوحت بين المعاداة والتأييد والحياد، مع تحليل العوامل السياسية والاجتماعية التي أفرزت هذا التعدد في المواقف، كما تطرق المبحث إلى موقف مجتمع البصرة من النهضة الحسينية، مفسراً طبيعة الاستجابة البصريّة وأبعادها في ضوء الظروف التي كانت تحيط بالمجتمع آنذاك .

وفي الختام تضمنت الدراسة أبرز النتائج التي توصلت إليها، واردمت بقائمة من المصادر والمراجع كانت هي المعين في توثيق الروايات التاريخية وتحليلها، وقد أولى البحث اهتماماً بقيمة



المصادر التاريخية، من أجل الوقوف على الروايات الأقرب للحدث بشكل دقيق، مما يسهم في تقديم فهم شامل وواضح للظاهرة المجتمعية المدروسة، ومن هذه المصادر والمراجع :

أولاً : كتب التاريخ

تُشكّل كتب التاريخ مصدراً أساسياً لإحداث التاريخ الإسلامي وبضمنها النهضة الحسينية، بما تضمّنته من مادة تاريخية غنية أسهمت في إثراء الدراسة، إذ مكّنتها من فهم أدق لطبيعة التحولات الاجتماعية والسياسية في تلك المدة، وسلوكيات الفئات والشخصيات الفاعلة فيها، ويأتي في طليعة هذه المصادر

أ- **كتب المقاتل** : يعد كتاب **(مقتل الحسين لأبي مخنف)** (١٥٧هـ / ٧٧٣م)) من أهم المقاتل الأساسية التي نقلت وقائع النهضة الحسينية، ويعد المصدر الأساسي الذي اعتمدت عليه الدراسة كثيراً في الفصل الثاني والثالث، وتتبع أهميته من كونه: الأقدم زمنياً بين المقاتل الحسينية، والمصدر الذي اعتمد عليه كبار المؤرخين مثل الطبري وابن الأثير، كما أنه يعد الأكثر تفصيلاً في نقل وقائع كربلاء منذ بداية المراسلات حتى الاستشهاد، فضلاً عن ذلك كتاب **(مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني)** (٣٥٦هـ / ٩٦٧م)) الذي تناول فيه المؤرخ أحداث المقتل ضمن سياق التراجم، حيث عالج واقعة كربلاء من خلال سير الشخصيات التي شاركت فيها، وتمتاز مادته التاريخية بالاختصار والاقتضاب، مع تركيزه على ذكر الاسماء الكاملة للمشاركين، وتحديد قاتل كل شخصية.

ب - **كتب التاريخ العام** : يعد كتاب **(تاريخ الرسل والملوك للطبري)** (٣١٠هـ / ٩٢٢م))، من أبرز الروايات التي وصلتنا حول أحداث واقعة الطفّ، وقد اعتمد الطبري بشكل كبير على روايات أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي في سرده لوقائع مقتل الإمام الحسين (ع)، مما منح روايته طابعاً تفصيلياً ودقةً في النقل تفوّقت على غيرها من روايات المؤرخين المعاصرين له، كذلك افاد الموضوع كتاب **(الفتوح لابن أعمم الكوفي)** (٣١٤هـ / ٩٢٧م))، و**(مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي)** (٣٤٦هـ / ٩٥٧م))، فعلى الرغم من قيمتها التاريخية البالغة، فإنها لم تُفرد للثورة الحسينية مساحةً تفصيلية كتلك التي قدّمها الطبري، إما بسبب اختصار المادة المطروحة أو لاندراجها ضمن سياق تاريخي أوسع.



وفي سياق متصل، يندرج كلّ من (الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)) و(البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م))، ضمن المصادر التاريخية التي استندت عليها الدراسة وهي في الغالب اعتمدت على روايات كتاب الرسل والملوك للطبري واقتصر عملهما على تلخيص رواياته واتباع منهجه، وبذلك، جاءت الإفادة من هذين المصدرين إفادة تكميلية، تركّزت أساساً على ما قدّمه من إعادة ترتيب للأحداث وربطها بالسياقات التاريخية العامة.

ثانياً : كتب الطبقات والتراجم والأنساب

تشكّل كتب الطبقات والتراجم والأنساب ركيزة أساسية في دراسة التاريخ الإسلامي، لأنها احتوت على مادة تاريخية غنية شملت السير الرواة والعلماء والقادة، فضلاً عن مراتبهم الاجتماعية، وأدوارهم في الأحداث التاريخية، ومن أبرز هذه المصادر: كتاب(الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠ هـ/٨٤٥م))، ويُعدّ هو من أقدم كتب الطبقات، حيث يمثل مصدراً رئيسياً لدراسة الشخصيات الإسلامية، لأنه احتوى على تراجم كثيرة في هذا الجانب .

وتتميز كتب التراجم بغزارة المعلومات التي تقدمها، ومن أبرزها كتاب (أنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩ هـ/٨٩٢م))، الذي يتميز بمنهجية الفريدة حيث يرتب الأنساب حسب قربها من أهل البيت (عليهم السّلام)، وقد احتوى على رواية مقتضبة عن استشهاد الإمام الحسين (عليه السّلام) تظهر تشابهاً ملحوظاً مع رواية أبي مخنف، وإن اختلفت في الإيجاز والتفصيل، ومن مصادر التراجم الأخرى كتاب (رجال الطوسي للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ/١٠٦٧م))، الذي يوفر معلومات قيمة عن الشخصيات العلوية وأدوارهم، إلى جانب ذلك تضمّنّت الدراسة مجموعة أوسع من مصادر التراجم والطبقات التي تُغطي حقبةً زمنية متعاقبة، ومن أبرز هذه المصادر: (الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١م))، وكتاب (تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٦م))، الذي يُعدّ من أبرز مصادر التاريخ الإسلامي، إذ يحوي على مادة واسعة لترجمة العديد من الشخصيات، موضعاً سيرهم وأحوالهم وأدوارهم في الأحداث المختلفة، وكتاب (أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م))، فضلاً عن سير (أعلام النبلاء للذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م))، وغيرها من الكتب المخصصة.

ثالثاً: كتب السيرة النبوية :

اعتمدت الدراسة في فصلها الأول على كتب السيرة النبوية بعدّها من أهم المصادر التاريخية التي أرّخت لنشأة لهذه الحقبة، وما تضمنته من روايات اسهمت في رفد المادة التاريخية للدراسة في مختلف جوانبها، ويأتي في طليعة هذه المصادر كتب (سيرة ابن إسحاق (ت ١٥١هـ)) و(سيرة ابن هشام (ت ٢١٨هـ)) ؛ حيث اعتمد ابن هشام بمقدار كبير على روايات ابن إسحاق، مقدماً مادة وافية تكشف طبيعة البنية العربية قبل البعثة وما تلاها من تحولات جوهرية طالت الأنظمة السياسية والقيمية في ظل الدعوة الإسلامية .

رابعاً: كتب الحديث والشرح :

تُعد كتب الحديث مصدراً أولياً بالغ الأهمية في هذه الدراسة، حيث تم الرجوع إليها عبر فصول البحث ومباحثه المتنوعة، ومن أبرز هذه المصادر: (مصنف عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ / ٨٢٦م)، و(مصنف ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م)، ومسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م))، فضلاً عن كتب الصحاح: مثل (صحيح البخاري (ت ٢٥٦هـ / ٨٧٠م) و(صحيح مسلم (ت ٢٦١هـ / ٨٧٥م)، وكتاب (الكافي للكليني (ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م))، وغيرها من مصادر الحديث المعتمدة.

كما اعتمدت الدراسة على كتاب (نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ))، لما يضمه من خطب ورسائل تشكل مرجعية مهمة في فهم التوجهات السياسية والفكرية في عصر صدر الإسلام، وقد أسهم الاستناد إلى (شرح ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ) لنهج البلاغة) في تعميق التحليل من خلال ما قدمه من دراسة لغوية وتاريخية شاملة، وشرح مفصل لدلالات النصوص، مع ربطها بسياقاتها السياسية والاجتماعية، مما أضاف بعداً تحليلياً أثرى القضايا المطروحة في البحث.

خامساً: كتب اللغة

كان الرجوع إلى مصادر اللغة ضروري؛ لغرض توضيح ما كان مبهماً من الألفاظ والمعاني في متن الدراسة، ومن أبرز المصادر اللغوية التي تم الاستناد إليها: كتاب (الصحاح للجوهري (ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م)، و(لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ / ١٣١١م))،

و(القاموس المحيط للفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م))، الذين قدموا شروحاً موسعة للكلمات، فضلاً عن غيرها من المصادر المعتمدة.

سادساً: كتب الجغرافية والبلدان

اعتمدت الدراسة على عدد من كتب الجغرافيا والبلدان التي أسهمت في تحديد بعض المواضع الواردة في المتن، وكان من أبرزها كتاب (البلدان لابن الفقيه (ت ٣٦٥هـ / ٩٧٥م))، و(معجم البلدان لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)).

سابعاً : المراجع الحديثة

تشكل المراجع العربيّة ركيزة أساسية في أي دراسة تتعلق بشخصية الإمام الحسين (عليه السلام) وثورته، بفضل ما تتمتع به من تراكم معرفي غني ورؤى تحليلية متعددة، وقد اثنى العديد من الباحثين والمختصين في التاريخ الإسلامي بدراسة الثورة الحسينية والاحداث المرتبطة بها، من خلال مجموعة من الدراسات والمؤلفات التي تناولت سيرة الإمام الحسين (عليه السلام) ونهضته من زوايا تاريخية وفكرية وتحليلية كثيرة، مقدمة رؤى عميقة وتأويلات جديدة تسهم في إبراز أبعاد هذه النهضة الخالدة، ومن ابرز هذه المؤلفات الحديثة: كتاب (قراءات في النهضة الحسينية للدكتور شهيد كريم الكعبي)، وكتاب (ثورة الإمام الحسين في المصنفات المصيرية في القرن العشرين الميلادي للدكتور هادي عبد النبي التميمي)، فضلاً عن كتاب (علم اجتماع الثورة الحسينية والمجتمع الكوفي للباحث عماد الدين باقي).

وفي ضوء العنوان المتضمن دراسة ظاهرة التباين المجتمعي في المجتمع الإسلامي خلال تلك الحقبة، ولغرض الخروج عن المألوف في تحليل تلك المواقف رجعت الباحثة إلى بعض كتب علم الاجتماع لتفسير تلك الظاهرة وذلك لفهم سلوك المجتمع وتحليل مواقفه المرتبطة بالنهضة الحسينية، ومن أبرز هذه المراجع: (سيكولوجية الجماهير لغوستاف لوبون)، الذي يدرس الظواهر النفسية للجماعات ويبين آليات تأثير الجماعة على سلوك الأفراد، ومؤلفات علي الوردي العديدة نذكر منها كتاب دراسة في طبيعة المجتمع العراقي وكتاب مهزلة العقل البشري، اللذان قدما تحليلاً اجتماعياً معمقاً لطبائع المجتمعات العربيّة عامة، والعراقيّة خاصة، مع التركيز على الأعراف والعادات والسلوكيات الجماعية، وكتاب (الأمير نيكولا ميكافيلي) الذي يصنف ضمن الأدبيات السياسية، إلا أن ما يتضمنه من تحليل لآليات السلطة وطرق إدارة الطاعة والخوف لدى الجماهير

يجعله ذا قيمة في فهم السلوك الاجتماعي، وقد أسهمت هذه المراجع في توفير إطار نظري يتيح تحليل مواقف المجتمعات من الثورة الحسينية، وربط الأحداث التاريخية بسلوكيات المجتمع، وفهم محددات السلطة والتأثير المجتمعي ضمن السياق التاريخي.

ثامناً: الرسائل والأطاريح والبحوث الجامعية

استفادت الدراسة من مجموعة من الرسائل والأطاريح الجامعية تأتي في مقدمتها رسالة الماجستير الموسومة سياسة الترغيب في العصر الأموي (٤١ - ١٣٢ هـ) لمحمد عباس الطائي، وأطروحة الدكتوراه الموسومة الثورة الحسينية في الرؤية الاستشراقية لمحسن طعمة يوسف، وكذلك اعتمدت الدراسة على عدد من البحوث للدكتور جواد كاظم النصر الله من أبرزها: شهيد الثورة الحسينية الأول سليمان بن رزين (ت ٦٠ هـ)، الذي تناول شخصية أحد أبرز شهداء النهضة الحسينية وتحليل دوره التاريخي، فضلاً عن دور أهل البصرة في النهضة الحسينية، الذي ركز على المواقف الاجتماعية والسياسية لأهالي البصرة خلال أحداث كربلاء.

وختاماً، لا تدّعي الباحثة أنها استطاعت الإلمام بكل ما ورد من مواقف المجتمع تجاه النهضة الحسينية، فالمجال لا يزال يزخر بالزوايا التي تنتظر المزيد من الدراسة والتحليل، ولست أدعي لهذه الدراسة الكمال، أو أنها خلت من الأخطاء والهفوات، فالكمال لله وحده، والزلل والنقص من سجايا البشر، وليس علينا إلا السعي والجد والاجتهاد، فالبحث عن الحقيقة رحلة لا تنتهي، وهذا الجهد ما هو إلا خطوة في دربها الطويل، واسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، مقبولاً عنده، وأن يرضي الله ورسوله وأهل بيته (عليهم السلام).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ



الفصل الأول

مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ

الإسلامي حتى سنة (١٤١ هـ / ٦٦١ م)

المبحث الأول

مفهوم التباين - المجتمع

أولاً: مفهوم التباين

أ- التباين لغةً : تعود مفردة التباين في جذرها إلى مصدر (تباين)^(١)، وله عدة معاني نذكر منها معنى (الاختلاف أو الخلاف) مثلما يقال تباين الولدان أي اختلفوا فيما بينهما^(٢)، أي كل واحد له رأي مخالف للآخر، وقد تأتي المفردة بمعنى (الافتراق) حيث يقال، تباين فيما بينهما فافترقوا وتهاجروا^(٣)، وتباينت الأسباب أي اختلفت، تباعدت وتفاوتت^(٤)، وتباينت الآراء ووجهات النظر^(٥).

ومن الجذور الأخرى لمفهوم التباين مفردة (البين) وقد جاء في ذلك معنيان، الأول هو الوصل والثاني هي الفرقة^(٦)، مثلما يقال تباين الرجلان في الرأي بأن كل واحد منهما عن الآخر، والمباينة هي المفارقة، وتباين القوم أي تهاجروا^(٧)، وبانت المرأة عن الرجل وهي بائن، أي انفصلت عنه بطلاق^(٨)، وبان الشيء إذا اتضح وانكشف، فمثلاً فلان أبين من فلان أي أوضح كلاماً منه^(٩).

(١) يُنظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ٤٣؛ احمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١، ص ٢٧٤ ؛ عبد الغني ابو العزم، المعجم الغني، ج ١، ص ٥١٥١.

(٢) يُنظر: عبد الغني ابو العزم، المعجم الغني، ج ١، ص ٥١٥١.

(٣) يُنظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ٤٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ١١٠ ؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ١١٨٢.

(٤) يُنظر: احمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١، ص ٢٧٤.

(٥) يُنظر: صبحي حموي، المنجد في اللغة، ص ١٣٨.

(٦) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ٦٢ - ٦٤؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ١١٨٢.

(٧) الرازي، مختار الصحاح، ص ٤٣.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ٦٢ - ٦٤؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ١١٨٢.

(٩) يُنظر: الرازي، معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٣٢٨.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

ب - التباين في الاصطلاح: لم تذكر كتب الاصطلاح بوضوح تعاريف متعددة لمفهوم سوى تعريف مختصر وضع التباين بأنه علاقة ما بين شيئين فيهما اختلاف في بعض الجوانب وتشابه في جوانب أخرى^(١) .

يظهر من المعاني السابقة ان التباين يدل على العديد من المعاني ابرزها الاختلاف والخلاف، ويمكن ان يكون هذا الامر في الآراء، الأفكار، السلوكيات، ويمكن ان يؤدي التباين إلى انفصال أو تباعد بين الأشخاص اذا حصل بينهما اختلاف جوهري.

ومن الجدير بالذكر أن هنالك العديد من المفردات اللغوية الدالة على التباين وهي على النحو التالي منها :

١- **اختلف** : من مصدر اختلف، وجاءت بمعنى عاكسةً واتى برايٍ مخالف، وتخالف الامران لم يتفقا وكل ما لم يتساو فقد تخالف^(٢)، وتباينت فيه آراؤهم، ولم يتفقوا بشأنه، واختلفوا القوم اذا ذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب اليه الآخر، والاختلاف ضد الاتفاق^(٣)، والاختلاف هو منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق أو لإبطال باطل^(٤) ، قال تعالى : ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٥) .

٢- **تفاوت** : من مصدر تفاوت^(٦)، ويقال تباعد ما بينهما واختلفا وتفاوتا في الفضل اي تبايناً فيه، والتفاوت هو الاختلاف في الاوصاف، والاختلاف في الرأي اي وجود تباين بينهما فتفاوتوا في الفهم^(٧)، مثل قوله تعالى : ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ﴾^(٨) .

^(١) يُنظر: الجرجاني، التعريفات، ص ٥١؛ المناوي القاهري، التوقيف، ص ٩٠؛ الاحمد نكري، دستور العلماء، ج ١، ص ١٨٤ .

^(٢) يُنظر :ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ٩١؛ محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٣، ص ٢٧٩ .

^(٣) يُنظر: الفيومي، المصباح المنير، ج ١، ص ١٧٨ .

^(٤) يُنظر: الجرجاني، التعريفات، ص ١٠١ .

^(٥) سورة النساء، الآية ٥٩ .

^(٦) يُنظر : ابن سيده، المحكم، ج ٩، ص ٥٤٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٦٩ .

^(٧) يُنظر : الراغب الاصفهاني، المفردات، ص ٦٤٦؛ المناوي القاهري، التوقيف، ص ١٠٣ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

٣- **غاير** : مصدر تغايرَ، وتغاير القوم اي اختلفوا بعدما اتفقوا في صفات وتغايروا في صفات اخرى^(٢)، وهي من التباين^(٣)، والتغاير هو ان يخالف المتكلم ما اجمع عليه الناس في عصره^(٤)، وتغير الشي تحول عن حاله ، وغيره اي حوله وبدله، اي جعله غير ما كان عليه ، وتغايرت الأشياء تبدلت واختلفت^(٥).

٤- **تضادّ** : جاءت من المصدر ضاد فيقال تضادّ الامران اي ان أحدهما مخالف ومعاكس للآخر^(٦)، وإذا ضاد أحدهما الآخر تباين، وتعارض^(٧)، والتضاد هو الذي يخالف غيره في إرادته لشيء^(٨).

٥- **نافى** : تأتي بمعنى عارض الأمر وخالفه، اي باينه، آراء تنافي آراء^(٩)، او تناقض وتعارض، وخالف^(١٠)، هنا تعني نافى الشي اي ينفي بعضهما بعضاً^(١١)، فيقال هذه القضية تنافى تلك القضية^(١٢).

٦- **تعارض** : مصدر تعارض^(١٣)، وتعارض تباين، وتضاد، اي تخالف الافراد وامتنع الالتقاء بينهما، اي ان كل واحد منهما له رأي معاكساً للآخر^(١)، اي لم تتطابق فتعارضت آراؤهم^(٢).

(١) سورة الملك ، الآية ٣.

(٢) يُنظر : احمد مختار ، معجم اللغة، ج٢، ص ١٦٥٤ .

(٣) يُنظر : اديب نظري، دستور اللغة، ٥٨٥ .

(٤) يُنظر : محمد التونجي، المعجم المفصل، ج١، ص ١٨٩ .

(٥) يُنظر : احمد مطلوب، معجم المصطلحات، ص ٣٩٢ .

(٦) يُنظر : الفيروزآبادي، القاموس المحيط ، ص ٢٩٥؛ احمد مختار، معجم اللغة، ج٢ ، ص ٣٥١ .

(٧) يُنظر : الحميري، شمس العلوم، ج٦، ص ٣٩٠٧ ؛ صبحي حموي ، المنجد في اللغة، ص ٨٧٤ .

(٨) يُنظر : ابن منظور، لسان العرب، ج٣ ص ٢٦٤؛ محمد التونجي، المعجم المفصل، ص ٣٩٦ .

(٩) يُنظر : احمد مختار ، معجم اللغة، ج٣، ص ٢٢٦٢ .

(١٠) يُنظر : صبحي حموي، المنجد في اللغة، ص ١٤٣٩ .

(١١) يُنظر : الحميري، شمس العلوم، ج١٠، ص ٦٧٠٨ .

(١٢) يُنظر : ابراهيم مصطفى واخرون ، المعجم الوسيط ، ج٢ ، ص ٩٤٣ .

(١٣) يُنظر : احمد مختار، معجم اللغة، ج٢، ص ١٤٨١ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

والتعارض هو تناقض بين دليلين متساويين، بأن يقتضي احدهما حكماً في شيء يناقض مما يقتضيه الآخر^(٣) ، والتعارض بين الشيئين هو تقابلهما على وجه يمنع كل منهما مقتضى صاحبه^(٤) .

ثانياً: مفهوم المجتمع

أ- **المجتمع لغةً** : اسم مشتق من مفردة جمع، وهي بمعنى جمع الأشياء المتفرقة، فيقال يجمعه جمعاً واجمعه فاجتمع^(٥) ، والمجتمع مشتق من الفعل اجتمع ضد تفرق، مثلاً يقال اجتمع القوم اي اجتمعوا من هاهنا وهاهنا^(٦)، ويتضح ذلك من قوله تعالى ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْآنُسُ وَالْجُنُّ ... ﴾^(٧)، وفي ذلك دلالة معنى الجمع جماعة من الناس^(٨)، تربطها روابط ومصالح مشتركة وعادات وتقاليد وقوانين واحدة^(٩) .

ب - المجتمع اصطلاحاً هناك العديد من التعريفات لمفهوم المجتمع منها :

عرفه ابن خلدون: ان اجتماع البشر ضروري وهو اصل العمران، وانه لا بد لهم في اجتماعهم ان يكون لهم وازع اي حاكم، يرجعون اليه ويكون حكمه تارة مستنداً إلى الشرع المنزل

(١) يُنظر: صبحي حموي، المنجد في اللغة، ص ٩٦٦ ؛ ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج ٢ ، ص ٥٩٤ .

(٢) يُنظر: احمد مختار، معجم اللغة، ج ٢، ص ١٤٨١ .

(٣) يُنظر: قطب مصطفى، معجم مصطلحات ، ١٣٥ .

(٤) يُنظر: ابن السبكي، الابهاج، ج ٥، ص ١٧٨٢ .

(٥) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، ص ٥٣ .

(٦) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، ص ٥٣ .

(٧) سورة الإسراء، الآية ٨٨ .

(٨) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، ص ٥٣؛ ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٣٦؛

احمد مختار، معجم اللغة، ج ١، ص ٣٩٦ .

(٩) يُنظر: احمد مختار، معجم اللغة، ج ١، ص ٣٩٦ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

من الله، الذي يوجب انقيادهم اليه، ايماناً بالثواب والعقاب، وتارة اخرى إلى سياسة عقلية يوجب انقيادهم اليه، مما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم^(١).

وعرفه محمد أمين المصري: ان المجتمع هو عدد كبير من الافراد، الذين تربطهم روابط اجتماعية، وانظمة تضبط سلوك الافراد، وتسمح لهم بالانطلاق في ميدان، وتكبح جماحهم في ميدان اخر^(٢).

ويعرف محمود عودة : المجتمع هو الذي يتكون من الناس، الذين يلعبون ادواراً في مواقف وجماعات وتنظيمات، وفق معايير معينة ينتجها النظام الاجتماعي وذلك من خلال اوجه النشاط الانساني المختلفة^(٣).

ويعرف محمد طاهر الجوابي: المجتمع الانساني يتكون من اعداد كبيرة من الافراد، جمعت بينهما روابط ، واهداف مشتركة، يستقرون في ارض معينة ، ملزمين بعرف او قانون^(٤).

وعبر عنه ارنولد توينبي^(٥): بان المجتمع البشري هو ذاته نظام للعلاقات بين الكائنات البشرية.

كما عرفه العديد من علماء الاجتماع منهم :

عالم الاجتماع الفرنسي إميل دور كهايم (١٨٥٨ م - ١٩١٧م) الذي عرف المجتمع : بانه نسق اجتماعي يتكون من مؤسسات وتنظيمات اجتماعية، وان المجتمع ككل متكامل، وان اي تكوين اجتماعي في داخله معنياً بتكريس الصورة المثالية للمجتمع، ويعمل على تحقيقها عن طريق التربية، وهذا لا يمكن الا اذا وجدت درجة كافية من التجانس، والتربية هي التي تعزز وتكرس هذا التجانس، وان المجتمع هو الذي يقوم بتحديد الصورة المثالية للمجتمع^(٦).

(١) يُنظر : العبر، ج ١ ، ص ٣٧٧ .

(٢) يُنظر: المجتمع الإسلامي، ص ١٤ .

(٣) يُنظر: اسس علم الاجتماع، ص ١١٧ .

(٤) يُنظر : المجتمع ، ص ١٤ .

(٥) يُنظر : مختصر دراسة التاريخ، ص ٣٥٣ .

(٦) يُنظر: التربية والمجتمع، ص ٦٦ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

كما عرفه عالم الاجتماع الأمريكي جورج هيربرت ميد (١٨٦٣م - ١٩٣١م): بأنه نسيج من التفاعلات الرمزية بين أفراد المجتمع، والمجتمع هو بنية ديناميكية تنشأ وتتطور من خلال التفاعلات الاجتماعية وليس مجرد تجمع من الافراد^(١).

وعرفه عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز (١٩٠٢م - ١٩٧٩م) : بأنه نظام مكون من أجزاء مترابطة مثل (النظام الاقتصادي، والنظام الثقافي، والنظام السياسي) تعمل جميعها على تحقيق هدف الاستقرار والتوازن الاجتماعي عبر التكيف مع المتغيرات الاقتصادية والبيئية، والتكامل عن طريق تنسيق العلاقات بين المؤسسات والافراد من اجل الحفاظ على وحدة المجتمع والحفاظ على النسق من خلال نقل القيم واستمرارها عبر الاجيال عن طريق التربية والثقافة^(٢) .

(١) George H. Mead, mind, self, and Society, p١٣٥ - ١٧٧ .

(٢) Talcott Parsons, The Social System, p١٩.

المبحث الثاني

مفهوم التباين المجتمعيّ في القرآن الكريم وأحاديث الرسول واهل البيت

(عليهم الصلاة السّلام)

تناول التشريع الإسلامي من خلال القرآن الكريم، والحديث النبويّ وأحاديث أهل البيت (عليهم السّلام) مفهوم التباين في المجتمع، وأوضح خلال ذلك الأسباب التي أدت إلى ذلك الاختلاف والذي انعكس على الكثير من الاحداث التاريخية، أذ جاء في القرآن الكريم، سمة التباين والاختلاف من خلال تعدد الثقافات واللغات وكذلك الأفكار فضلاً عن الاختلاف في خلق الله، فقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ان تختلف ثقافات الشعوب والامم، فقد جاء في قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)، وكما في قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ ۚ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾^(٢)، توضح الآيات القرآنية أنّ هناك تبايناً بين البشر من حيث اللغة فهناك من يتكلم اللغة العربيّة وآخرون يتحدثون باللغة العجمية وآخرون باللغة الرومية وغيرهما، وهناك اختلاف من حيث لون البشرة ابيض اسود واحمر، فليس يشبه واحد منهم الآخر فلا بد ان يتباينوا من حيث الهيئة او الكلام^(٣).

يشدّد الإسلام على ضرورة التسامح والاحترام المتبادل بين افراد المجتمع بغض النظر عن اختلافاتهم الثقافية، أذ يدعو القرآن الكريم، إلى الحوار البناء وتفهم الآخر، ويعتبر الاختلاف في اللغة والاعراف مكملاً للتنوع الذي يسهم في الاستقرار، أذ جاء في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا

(١) سورة الروم، الآية ٢٢ .

(٢) سورة فاطر، الآية ٢٨ .

(٣) يُنظر: البغوي، معالم التنزيل، ج٣، ص٥٧٥؛ القرطبي، الجامع، ج١٤، ص١٨؛ ابن كثير، تفسير القرآن، ج٦، ص٢٧٩؛ الطبطبائي، الميزان، ج١٦، ص١٦٧ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ^(١)، ان هذه دعوة واضحة للتعامل مع الشعوب الاخرى، والتعارف والمشاركة المعرفية والعلمية والسياسية والاقتصادية، فلقد بين سبحانه وتعالى ان البشر لا يقفون عند حد النسب بال عشيرة او القبيلة، وانما يختلفون في امكنتهم حيث تتباعد بينهم الصلات والانساب حتى يصبحون شعوبًا متفاوتة متباعدة مختلفة، وانه سبحانه وتعالى كتب على هذه الشعوب التألف والتعارف فيما بينها، انطلاقًا من علاقات بشرية مختلفة، وبين سبحانه وتعالى انه على الرغم من هذا التفاوت والتباين بين بني البشر فانه لا فضل لأحد على الآخر عند الله الا بالتقوى، وهو مقياس العدالة عند الله سبحانه وتعالى^(٢)، وجاء في حديث رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) انه قال: " لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إِلَّا بِالتَّقْوَى ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ"^(٣)، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ايضًا: " النَّاسُ مَعَادِينُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا"^(٤).

وروي عن الإمام علي (عليه السلام) انه قال: " النَّاسُ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ"^(٥)، وقد ذكر الإمام علي (عليه السلام) قاعدة ذهبية للتعامل مع الآخرين في وصيته لأبنيه الإمام الحسن (عليهم السلام) أذ قال: "يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاتَّقِ لَه مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَفْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَفْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قُلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ"^(٦).

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣ .

(٢) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٦، ص ٢٥٩ .

(٣) ابن حنبل، مسند احمد، ج٣٨، ص٤٧٤؛ الكراكي، معدن الجواهر، ص٢١؛ البيهقي، شعب الإيمان ج٤، ص٢٨٩.

(٤) الشافعي، المسند، ص٢٧٩؛ عبد الرزاق، المصنف، ج١٠، ص٣٣٩؛ ابن حنبل، مسند احمد، ج١٦، ص٥٦٠؛ مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص٢٠٣١.

(٥) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص٤٢٧؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج١، ص٣١٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧، ص٣٢.

(٦) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص٣٩٧.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

كما روي عن الإمام الحسن بن عليّ (عليهم السلام) انه قال "رَأْسُ الْعَقْلِ مُعَاشَرَةُ النَّاسِ بِالْجَمِيلِ"^(١).

جعل الله الاختلاف امرًا طبيعيًا حتى في العقيدة وذكر ذلك قوله ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٢)، ويوضح ابن عاشور في تفسيره بان الاختلاف دائم بين الناس لأنه مقتضى ما جبلت عليه العقول^(٣).

لقد خلق الله سبحانه وتعالى البشرية على اساس التنوع والاختلاف، مع تعدد الشعوب وتنوع الالام في اللغات والاجناس والالوان والقوميات، هناك سنة التباين والتمايز في الشرائع والملل الدينية وفي الثقافات والحضارات، مثل قوله تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبْقُوا الْخَيْرَ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٤)، وكذلك قوله تعالى ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٥).

كما يتباين الناس في درجة أيمانهم وتصديقهم، فيذكر القرآن الكريم، وذلك ضمناً من حيث المعنى ان هناك اناس يؤمنون بالله والرسل وبالكتب السماوية بقلوبهم وأفواههم اولئك هم المؤمنون الصادقون كما جاء في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾^(٦)، وجاء في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) الإربلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ١٩٤ .

(٢) سورة هود، الآية ١١٨- ١١٩ .

(٣) التحرير والتنوير، ج ٢، ١٨٩ .

(٤) سورة المائدة، الآية ٤٨ .

(٥) سورة الأعراف، الآية ١٦٨ .

(٦) سورة محمد، الآية ٢ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعي وجذوره في التاريخ الإسلامي

ءَامِنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَارَى وَٱلصَّبِيْنَ مَن ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾.

ومن ناحية اخرى هناك اناس يظهرون الايمان بالله بالسنتهم فقط ولا يتبعونه بأفعالهم، دلالة ذلك في قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)، وكما جاء في قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ (٣)، شخص الإمام الحسين (عليه السلام) هذه الظاهرة بقوله: "الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم، يحوطونه ما درت معائشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون" (٤)، وهناك فريق يظهرون الكفر ويعارضون الحق ويتبعون الباطل، وهؤلاء هم الكافرون، كما جاء في قوله تعالى ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٥)، وفي قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ (٦).

ورد في القرآن الكريم مفهوم التباين في مواضع ومعانٍ كثيرة نذكر منها المواقف المتباينة لأهل الشرائع القديمة الذين قد تباينوا واختلفوا في آرائهم الدينية أذ جاء في قوله تعالى ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا أَخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمْ ٱلْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (٧)، يذكر الطبري في تفسيره (٨)، ان الناس كانوا أمة واحدة لكن اختلفوا بعد ذلك بسبب تباين افكارهم ومعتقداتهم، فكان بين نوح وادم (عليهم السلام) عشرة قرون، جميعهم على ملة واحدة فاختلّفوا،

(١) سورة البقرة، الآية ٦٢ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٨ .

(٣) سورة الحج، الآية ١١ .

(٤) الهاروني، تيسير المطالب، ص ١٤٨؛ مقاتل ابن عطية، أبهى المداد، ج ١، ص ١٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ١، ص ٣٣٧ .

(٥) سورة النساء، الآية ١٣٦ .

(٦) سورة النساء، الآية ١٦٨ .

(٧) سورة البقرة، الآية ٢١٣ .

(٨) يُنظر: جامع البيان، ج ٣، ص ٦٢١ .



الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

فبعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين لهداية أهل الارض^(١)، ذكر الله سبحانه وتعالى قوم نوح(عَلَيْهِ السَّلَامُ) الذين تفرقوا وتباينوا بعدما جاءهم الدين الحق، والذي نهاهم عن التفرقة ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ﴾^(٢).

ومما ورد في التباين من الاحداث القرآنية قصة نبي الله عيسى (عليه السلام)، أذكر ان النصارى قد تباينوا واختلفوا في امر النبي عيسى (عليه السلام) بغيا بينهم ويظهر ذلك واضحا في قوله تعالى ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٣)، ويبدو أنَّ الاختلاف فيما بينهم جاء بسبب التحاسد والتباغض فحمل بعضهم على بغض البعض الآخر^(٤).

كذلك يظهر مفهوم التباين في القرآن الكريم، من خلال الاختلاف بين اليهود والنصارى في قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابُ﴾^(٥)، اذ ان كل فريق من اهل الكتاب قد انكر ما عليه الاخر، فاليهود كفروا بعيسى والانجيل واتهموا النصارى بانهم ليس على شيء، والنصارى جحدوا بنبوّة موسى وكفروا بالتوراة^(٦)، وقد بلغ حد التباين بين اليهود والنصارى إلى الشرك بالله دلالة ذلك في قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ غَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ ذلك قولهم بأفواههم ۖ يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ۖ قاتلهم الله ۖ انى يؤفكون^(٧)، اي ان يهود المدينة ونصارى اهل نجران يشابهون من قبلهم اهل مكة، وكذلك قال اليهود عزيز ابن الله، وقال بعض النصارى ان المسيح

(١) يُنظر: ابن كثير، تفسير بن كثير، ج ١، ص ٤٢٥.

(٢) سورة الشورى، الآية ١٤ .

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٩ .

(٤) يُنظر: ابن كثير، تفسير بن كثير، ج ٢، ص ٢١ .

(٥) سورة البقرة ، الآية ١١٣ .

(٦) يُنظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن الكريم، ج ١، ص ٢٠٨؛ الطوسي، تفسير التبيان، ج ١، ص ٤١٥ - ٤١٦؛

ابو حفص النسفي، التيسير في التفسير، ج ٢، ص ٤٠٤ .

(٧) سورة، التوبة، الآية ٣٠ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعي وجذوره في التاريخ الإسلامي

ابن الله، وقال بعضهم الآخر شريكه، وقال بعضهم هو الله ، وادعى البعض بانه ثالث ثلاثة^(١)، حاول اهل الكتاب اضلال المسلمين من خلال تباينهم في الدين الإسلامي وجاء ذلك في قوله تعالى ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢)، أي يظهروا ايمانهم بالنبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في اول النهار، ثم يكفرون بآخره، فان فعلوا ذلك ظهر الارتياح بين ضعاف الايمان^(٣) .

وجاء التباين في القرآن الكريم ايضاً من خلال نهى الله عَزَّ وَجَلَّ الامة الإسلامية ان يكونوا مثل الأمم الماضية الذين تفرقوا وتباينوا واختلفوا فيما بينهم، وتركوا الامر بالمعروف، والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم^(٤)، حيث ورد في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٥)، وقد أشار الإمام عليّ بن الحسين (عليهم السلام) للآية المذكورة موضحاً او مفسراً بان الأمة الإسلامية قد دانت بالفرقة والاختلاف بحيث يكفر بعضهم بعضاً من دون الرجوع إلى الآيات البينات وسيرة الرسول الأعظم وسيرة آل بيته (عليهم السلام)^(٦).

وجاء التباين بسبب اختلاف الراي وجهات النظر في المجتمع على أثر اختلاف البيئية ومستوى المعرفة ذلك لان افراد المجتمع ليسوا سواسية في الوعي والفكر وادراك الامور، التي ينتج عنها تفاوت في الراي والموقف، وقد أشار القرآن الكريم، في العديد من القصص في هذا الموضوع منها قصة العبد الصالح والنبي موسى (عليه السلام) اللذان اختلفا في بعض المسائل التي كان العبد الصالح على اطلاع ومعرفة بها، وقد اخبر النبي موسى بذلك، ودلالة ذلك في قوله تعالى ﴿

(١) ابن عباس، تنوير المقباس، ص ١٥٦ .

(٢) سورة ال عمران، الآية ٧٢ .

(٣) البغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ٤٥٦ .

(٤) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٧٩ .

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٠٥ .

(٦) يُنظر: الأربلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ٣١٠؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ج ٢، ص ٤٤٤؛ المجلسي،

بحار الانوار، ج ٢٧، ص ١٩٤ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعي وجذوره في التاريخ الإسلامي

قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا^(١)، فكان على اطلاع بهذه الامور عن طريق الغيب، فقد جاء في قوله تعالى ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا^(٢)، ان نبي الله موسى (عليه السلام) كان يعترض على العبد الصالح في كل عمل يفعله^(٣) ومرد ذلك هو اطلاع العبد الصالح على بعض الأمور التي لم يتسنى لنبي الله موسى (عليه السلام) الاطلاع عليها .

ويأتي التباين بسبب السلوك الجمعي او ما يعرف بسلوك القطيع، هي حالة يتصرف فيها الافراد وفقاً لتصرفات الآخرين بدلاً من استخدام معلوماتهم الخاصة للتصرف، تظهر هذه الحالة نتيجةً لاتباعهم جهة معينة في رأي او فكرة او وجهة نظر، فالسلوك الجمعي هو الانقياد مع الرأي الجماعي الذي هو احد الاساليب الدفاعية للإنسان المقهور او الفئة المقهورة، اذ يميل الاشخاص الاقل مركزاً والاقل تأثيراً في الجماعة إلى التصرف بسلوك من هم اعلى مركزاً منهم^(٤) .

وقد ورد في القرآن الكريم، في العديد من الآيات القرآنية ، التي اشارت إلى السلوك الجمعي منها قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَٰئِكَ هُمُ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ^(٥)، وقوله تعالى : ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتْلِفَتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ^(٦)، وقد اكد القرآن الكريم، على هذا التصرف اللاعقلاني بقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَٰئِكَ هُمُ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا

(١) سورة الكهف، الآية ٦٧- ٦٨ .

(٢) سورة الكهف، الآية ٧١ .

(٣) يُنْظَرُ : سورة الكهف، الآية ٧٤- ٧٨ .

(٤) Nicky Tuominen. A Basic Theory of Rational Herd Behavior ,p: ٥ .

(٥) سورة المائدة، الآية ١٠٤ .

(٦) سورة يونس، الآية ٧٨ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

يَعْقِلُونَ ﴿١﴾، وجاء في قوله تعالى ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٢).

لقد وردت العديد من الاحاديث النبويّة الشريفة في هذا الجانب نذكر منها قول رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الذي اشار إلى للسلوك الجمعي بصورة بيّنة وموضحة بقوله : "لَا تَكُونُوا إِمْعَةً" (٣)، تقولون: ان أحسن الناس أحسنًا، وان ظلموا ظلمنا، ولكن وطينوا انفسكم، ان أحسن الناس ان تحسنوا، وان أساءوا فلا تظلموا" (٤).

وقد طرح الإمام عليّ (عليه السلام) السلوك الجمعي ب لفظة الرعاع حينما قسم المجتمع إلى ثلاثة اقسام بقوله : "الناس ثلاثة؛ فعالم ربّاني، ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق" (٥)، أوضح الإمام (عليه السلام) حالة الغفلة التي يعيشها أصحاب السلوك الجمعي، حيث يتصرفون بشكل لا واعٍ، وقد حدد (عليه السلام) الرعاع بانهم أولئك الذين يتبعون كل ضجيج وضوضاء وتجمهر، وينضمون تحت مسميات مختلفة دون ان يتأكدوا أو يستوعبوا الأهداف الحقيقية وراءها، كما انهم ينصاعون لأفكار معينة دون ان يستخدموا العقل في تقييمها وتحكيمها.

في الموضوع نفسه حذر الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) من ظاهرة السلوك الجمعي إذ قال: " أبلغ خيرا ، وقُل خيرا ولا تكن إِمْعَةً،...، لا تُقَل : انا مع الناس ، وانا كواحد من الناس" (٦)، اراد الإمام (عليه السلام) من خلال قوله ان يكون الانسان واعيًا متعلّمًا، فلا ينبغي له ان

(١) سورة البقرة، الآية ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) سورة الفرقان، الآية ٤٤ .

(٣) إمعة : الشخص الذي يساير كل من حوله فلا يستقر له رأي ولا يثبت على موقف . يُنظر: ابو نصر الجوهري، تجديد الصحاح، ص ١٤٣ .

(٤) الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٣٦٤ .

(٥) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٤٩٦؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج ١، ص ٦٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٠، ص ٢٥٢؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ٢٤، ص ٢٢٠؛ ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج ١، ص ٣٤٧؛ ابن رجب الحنبلي، كشف الكربة، ص ٣٢٣؛ السيوطي، جامع الاحاديث، ج ٢٩، ص ٢٧٦ .

(٦) الحراني، تحف العقول، ص ٤١٣؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٣٢٥ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

يتظاهر بانه مثل الآخرون ويتقبل سلوكياتهم وتوجهاتهم ، بل يجب عليه ان يسعى لتحقيق ذاته من خلال إحداث تغيير ورفض لتلك الظواهر غير العقلانية، وذلك لان موافقه الفعل وعدم رفضه مساهمه في تفاقمه، فقد جاء في قوله تعالى ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ﴾^(١).

ويعدّ النفاق المجتمعيّ خطرًا جسيمًا على تقدم المجتمع وازدهاره وتماسكه، فضلاً عن تأثيره على مقومات الحضارة والثقافة والتربية والتعليم وما يرتبط بها، وعندما ينتشر النفاق فانه يهدد استقرار النسيج المجتمعيّ، فيحمل في طياته توجهات فكرية وسلوكية قد تؤدي إلى التراجع والانحراف والتباين بين افراد المجتمع، ونظرًا لأهمية الوعي الاجتماعي في مواجهة مخاطر النفاق المجتمعيّ، فقد تناول القرآن الكريم، هذا الموضوع بشكل عميق، وقدم له حلولاً دقيقة ووصفاً شاملاً، ومما ذكرته الآيات في هذا الجانب جاء في قوله تعالى : ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ ۚ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)، وقال تعالى ايضاً : ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾^(٣)، فضلاً عن قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾^(٤).

وقد أشار رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى النفاق المجتمعيّ إذ قال: "اني لا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَحْجَرُهُ إِيْمَانُهُ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ كُفْرُهُ ، وَلَكِنْ أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ مُنَافِقًا عَالِمَ اللِّسَانِ؛ يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَعْمَلُ مَا تُنْكِرُونَ"^(٥)، ووصف رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) المنافق بانه " إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ "^(٦).

(١) سورة الشورى، الآية ١٥ .

(٢) سورة التوبة، الآية ١٠١ .

(٣) سورة النساء، الآية ٨٨ .

(٤) سورة النساء، الآية ١٤٥ .

(٥) الطبراني ، الروض الداني، ج٢، ص٢٠٠؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٠، ص١٩٩؛

(٦) البخاري، التاريخ الكبير، ج٨، ص ٣٨٦؛ مسلم، صحيح مسلم، ج١، ص٧٨؛ النسائي، سنن النسائي، ج١٠،

ص ٧٤ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعي وجذوره في التاريخ الإسلامي

كما حذر الإمام عليّ (عليه السلام) من خطورة المنافق والنفاق على الأفراد والمجتمعات، مشيراً إلى العواقب السلبية التي تترتب على ذلك في الدنيا والآخرة، وأكد (عليه السلام) على ما يحدثه النفاق من فجوات وضعف في النسيج المجتمعي، مما يؤدي إلى تفكك المجتمعات وإرباكها: "رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ مُتَصَنِّعٌ بِالإِسْلَامِ، لَا يَتَأْتَمُّ وَلَا يَنْحَرِّجُ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مُتَعَمِّدًا، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلَكِنْهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) رَأَاهُ وَسَمِعَ مِنْهُ وَلَقِيَ عَنْهُ، فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكُمْ وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ثُمَّ بَقُوا بِغَدِهِ، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَيْمَةِ الضَّلَالَةِ، والدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوْهُمْ الْأَعْمَالَ وَجَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا وَأَنَامَ النَّاسَ مَعَ الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ" (١).

وقد وردت العديد من احاديث اهل البيت (عليهم السلام) في ذم ووصف النفاق واثره نذكر منها قول الإمام عليّ بن الحسين السجاد (عليهم السلام) واصفاً المنافق بانه "ينهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، إذا قام في الصلاة اعترض، وإذا ركع ربض، وإذا سجد نقر، وإذا جلس شغل، يمسي وهمه الطعام وهو مفطر، ويصبح وهمه النوم ولم يسهر، ان حدثك كذبك، وان وعدك أخفك، وان ائتمنته خانك، وان خالفته اغتابك" (٢).

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ٣٤٨؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ٣٨.

(٢) الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٩٦؛ الطوسي، تهذيب الاحكام، ج ٢، ص ٢٨٦.

المبحث الثالث

تباين الموقف المجتمعيّ في عصر الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)

عاش المجتمع العربي قبل الرسالة الإسلامية حالة من التباين في مختلف مجالات حياتهم، فقد كان المجتمع خليطاً من عناصر وثنية ويهودية ونصرانية ومجوسية^(١) وغيرها، فضلاً عن ذلك سادت العديد من الملل، فكانت الزندقة موجودة في قريش، والمزدكية^(٢) والمجوسية في تميم^(٣)، واليهودية والنصرانية في غسان^(٤)، بينما الشرك وعبادة الاوثان كانت سائدة في بقية

(١) المجوسية: هي ملة قديمة تبنى اصحابها الديانة الزرادشتية، ويقال عن صاحبها زرادشت بانه نبي وله كتاب اسمه الأوستا اي القانون، ويقال بان زرادشت كان يمجّد العناصر والكواكب والنار وقيل انه كان يعبد النار. يُنظر: ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، ج ١، ص ٣٥؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢، ص ٣٥.

(٢) المزدكية: هم أصحاب مزدك الذي ظهر في أيام قباز والد انوشروان، ودعا قباز إلى مذهبه، فأجابه، ومذهبه في الأصول والأركان قائم على ثلاثة: الماء والأرض والنار، وروي عنه ان معبوده قاعد على كرسيه في العالم الأعلى، على هيئة قعود خسرو في العالم الأسفل، وبين يديه أربع قوى: قوة التمييز، والفهم، والحفظ، والسرور. يُنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢، ص ٥٤.

(٣) تميم: قبيلة عربية تعود في نسبها إلى تميم بن مرّ بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهي إحدى القبائل الكبرى التي استوطنت البصرة منذ بداية التمسير، وقد كان موقعها في الجانب الجنوب الغربي من البصرة، زعيمها في العصر الأمويّ الأحنف بن قيس (٦٧هـ / ٦٨٦م)، وقد وقعت هذه القبيلة في معركة الجمل موقف الحياد، لكنها وقعت إلى جانب الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَام) في معركة صفين. يُنظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٤٨٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٩٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥٩٦؛ عبد الجبار ناجي، المدن العربية، ص ١٦٤.

(٤) غسان: من بطون الأزد منهم آل جفنة ملوك الشام، وقد أسسوا لهم دولة بالشام، وقد خرجوا تحت قيادة زعيمهم عمرو مزنيقا بن عامر ماء السماء بن حارثة، من جنوب الجزيرة العربية، إلى بادية الشام، ولم يذهبوا مباشرة إلى الشام، وإنما أقاموا حيناً من الوقت في تهامة بين بلاد الأشعرين وعك على ماء يقال له غسان ففسبوا إليه، ويقال إن غسان ماء شربوا منه فسموا بذلك. يُنظر: ابن عبد البر، الأنباه في ذكر القبائل، ص ١٨؛ ابن الأثير، جامع الأصول، ج ١٢، ص ٧٦٥.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعي وجذوره في التاريخ الإسلامي

القبائل^(١)، إذن لم يكن لدى مجتمع قبل الإسلام معتقد موحد، لذلك اختلفت معبوداتهم بين الأصنام والكواكب، والملائكة والشياطين، بل حتى عبدوا الأشجار والحيوانات^(٢).

فضلاً عن عبادة المظاهر الطبيعية التي تقع تحت ابصارهم كالأرض والسماء والنجوم والكواكب^(٣)، وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأُنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمُ اني بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(٤).

ومهما يكن من أمر فقد انتشرت عبادة الظواهر الطبيعية المعروفة بالوثنية في المجتمع العربي بسبب اعتقادهم ان فيها قوى روحية خفية تتحكم في تسيير حياتهم ومقدرات أمورهم، وكأنها كائنات حية ذات أثر وسلطان في مصير هذا الكون، ان الأشياء المادية لم تكن المقصودة بالعبادة، بل كانوا يتقربون إلى الأرواح التي تحل فيها^(٥).

إلى جانب ذلك برزت فئة من العرب عرفت (بالمتألهون)^(٦) الذين أئسم أفرادها بالورع والتخرج عن القبائح منهم عبد المطلب^(٧)، وهذا النوع من العرب كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر وينتظرون النبوة، وكانت لهم سنن وشرائع^(٨).

(١) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٤، ص٣١؛ التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٥، ص٤٤.

(٢) يُنظر: جواد علي، المفصل، ج٦، ص٣٤-٦٥.

(٣) يُنظر: رشيد الجميلي، تاريخ العرب في الجاهلية، ص٢١٨.

(٤) سورة الانعام، الآية ٧٧-٧٨.

(٥) محمود، العرب قبل الإسلام، ص١٦٦-١٦٧.

(٦) المتألهون : (إله) وهو التعبد، فالإله الله تعالى وسمى بذلك لانه معبود، واعتمادا على ابن منظور ان كلمة (تأله أو متألهون) اشتقت من اسم الباري سبحانه، إله ويأله إذا تحيرت به العقول، و أيضاً قيل: مأخوذة من إله ويأله أي لجأ إليه لانه سبحانه هو المفزع الذي يلجأ الي في كل شدة ويعبد، وهو يطلق على المتألهين الموحدين والوثنيين معا قبل مجيء الإسلام لتمييزهم عن سواهم لكونهم احدثوا تغييرا في دين ما، أو اتخذوا عقيدة معينة مختلفة عن السائد في المجتمع الذي ينتمون اليه. يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج١، ص١٢٧-١٢٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٤٦٩.

(٧) يُنظر: ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٢٠.

(٨) يُنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج٣، ص٨٦.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

وقد وصف الإمام عليّ (عليه السلام) الحالة الدينيّة التي كان عليها المجتمع آنذاك قائلاً "وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمئِذٍ مِلٌّ مَّتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وَطَرَائِقُ مُنْتَشِتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ"^(١).

ولم يكن المجتمع قبل بعثة النبي مُحَمَّد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) خاضعاً لسلطة سياسية حيث لم تكن آنذاك دولة او كيان سياسي ينضوون تحته يوحدتهم ويهتم بشؤونهم، وانما كانوا تكتلات قبلية فكان السائد فيها سلطة قبلية اي سلطة شيخ القبيلة، وكان الفرد شديد التعصب لقبيلته وافرادها فهو معها كانت ظالمةً او مظلومة، عادلةً او جائرة، وكان الحكم عندهم يستند إلى العادات والتقاليد والاهواء والمصالح، ويرى ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) ان السبب في عدم قدرة المجتمع في شبة الجزيرة العربيّة على تأسيس دولة يعود إلى أوضاعهم النفسية والاجتماعية والثقافية، التي تمنعهم من الخضوع لهيمنة جماعة بيدها سلطة الحل والعقد حيث يقول ابن خلدون: "انهم لخلق التّوحّش الذي فيهم أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة فقلّما تجتمع أهواؤهم"^(٢)، وذلك لانهم في نظرة " أكثر بداوة من سائر الأمم وأبعد مجالا في القفر وأغنى عن حاجات التّلّول وحبوبها لاعتيادهم الشّظف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد بعضهم لبعض لإيلافهم ذلك وللتّوحّش"^(٣).

من هذا المنطلق، يتبين انه عندما بُعث خاتم الأنبياء (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، لم يبعث في مجتمع تسيطر عليه دولة، او يخضع لسلطان دولة، لذلك جاءت المعارضة من قبائل وبطون تجمعها العصبية القبليّة، وتربطها علاقات اجتماعية قائمة على العادات والتقاليد فضلاً عن ارتباطهم الديني المتمثل بعبادة الاصنام والاوثن .

بدأت الدعوة الإسلامية سنة (٦٠٩م) استمرت في عهدها الأول ثلاث سنوات واتسمت بالهدوء وبنوع من السرية واقتصرت على دعوة افراد من المجتمع، وكان المجتمع القرشي يتحدثون

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٤٤ .

(٢) العبر، ج ١، ص ١٨٩.

(٣) العبر، ج ١، ص ١٨٩.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

في مجالسهم " ان غلام بني عبد المطلب ليُكلّم من السّماء" ^(١)، ثم تطلبت الضرورة البدء بالعهد الثاني من الدعوة وهو المرحلة العلنية والتي مثلت صراعاً فكرياً وعقائدياً مع المجتمع المخالف للدعوة الإسلامية .

ابتدأ رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الدعوة الإسلامية فبدأ بعشيرته، وفق الدلالات القرآن الكريم، إذ جاء في قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ^(٢)، وقوله تعالى ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ^(٣)، فدعا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الإمام عليّ (عليه السلام) وأمره ان يصنع طعاماً ويدعو بني عبد المطلب ليحدثهم في امر الدعوة، الذي اختلف موقفهم تجاه رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وكان ابرزهم عمه أبو لهب الذي اتهمه بانه سحر الحاضرين فكان السبب بتفريقهم عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وفي اليوم التالي حدثهم رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قائلاً : "يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، اني وَاللهِ مَا أَغْلَمُ شَأْبًا فِي الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلٍ مِمَّا قَدْ جِئْتُكُمْ بِهِ، اني قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللهُ تَعَالَى انْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ، فَأَيُّكُمْ يُؤَاوِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى انْ يَكُونَ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ" وقد كان موقفهم على درجة كبيرة من التباين اذ لم يستجب له احد سوى الإمام عليّ (عليه السلام) الذي أخذ برقبته وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): "ان هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا"، فقابلوا بالاستهزاء اذ قالوا لابي طالب انه "قَدْ أَمَرَكَ انْ تَسْمَعَ لَابْنِكَ وَتُطِيعَ" ^(٤).

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ١٩٩ .

(٢) سورة الشعراء، الآية ٢١٤ .

(٣) سورة الحجر، الآية ٩٤ .

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٣٢٠-٣٢١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج ١، ص ٦٦٠-٦٦١ .
* (على الرغم من ان الطبري ذكر هذه الحادثة في كتابة تاريخ الرسل والملوك لكنه أوجز النص في تفسيره جامع البيان ، فبعد ان ذكره متناً وسنداً غير فيه عبارة واحدة فقال : فأيكُم يؤاويني على هذا الأمر على ان يكون أخي وكذا وكذا إلى ان قال : ثم قال : ان هذا أخي ، وكذا وكذا، فاستبدل كلمة : "ووصيي وخليفتي فيكم بكلمة : وكذا وكذا" () . يُنظر: الطبري، جامع البيان، ج ١٧، ص ٦٦٢ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

إنفضّ الاجتماع عن تباين في المواقف : الأول موقف سلبي تمثل بعمه ابو لهب الذي اتهم رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بالسحر وحال بينه وبين الحاضرين وعلن معارضته الصريحة للدعوة الإسلامية، والثاني موقف ايجابي الذي تمثل بحصول رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) تأييداً من بني هاشم تمثل بالإمام عليّ (عليه السلام) وابيه ابو طالب ، الموقف الثالث غامض تمثل ببقية الحاضرين فلم يظهروا ما يدل على قبول الدعوة او رفضها .

اظهر المجتمع المكي لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) معارضة قوية، بعد الجهر بالدعوة الإسلامية بصورة علنية، وقد تباينت مواقف المجتمع المكي الذين مارسوا حرباً نفسية ضد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بهدف التأثير على سلوكه من خلال عدة طرق نفسية واجتماعية واقتصادية^(١)، فنشطت ضده الدعاية المضادة المضللة للرأي العام والتي تعددت صورها منها اتهامه بالجنون، ودلالة ذلك في قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا يَأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾^(٢)، ومن الأساليب التي استخدمها المشركين من قريش اسلوب الاستهزاء حيث انهم لم يتركوا مجلس او مكان يقصده رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الا قصدوا اليه واستهزؤا برسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) امام المجتمع، وقد جاء ذلك في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ ان يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾^(٣)، وبلغ استهزؤهم برسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حتى نعتوه بالأبتر^(٤) اي الذي لا عقب له "ان قُرَيْشًا قَالَتْ: الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ أَحَقُّ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ هَذَا الصُّنْبُورُ"^(٥) المُنْبِتِر^(٦) ، وقد اتهموا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بانه شاعر

(١) فهمي النجار، الحرب النفسية، ص ١٧ .

(٢) سورة الحجر، الآية ٦

(٣) سورة الفرقان، الآية ٤١ .

(٤) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٣٩٣؛ السهيلي، الروض الانف ، ج ٣، ص ٢٤٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦٧٠

(٥) الصنبور: هو الأبتر، وأصل الصنبور: سقفة تنبت في جذع النخلة لا في الأرض، وقيل: هي النخلة المنفردة التي يدق أسفلها، أرادوا انه إذا قلع انقطع نكره كما يذهب أثر الصنبور؛ لانه لا عقب له . يُنظر: ابن الأثير، النهاية، ج ٣، ص ٥٥ .

(٦) ابن الأثير، النهاية ، ج ١، ص ٩٣ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

وادعوا ان القرآن الكريم، من تأليفه وما هو الا شعر افتراه^(١)، وجاء ذلك في قوله تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ ۚ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾^(٢).

لم يكتف مجتمع قريش بالسخرية والاستهزاء برسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وإنما أشاعوا بين سكان مكة و قبائل العرب بأنه كاذب فيما زعم من أمر النبوة و الرسالة، و زعموا انه مفتر، و قد سجل القرآن الكريم واقعه تكذيب المجتمع لرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حيث ورد في قوله تعالى ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾^(٣).

بلغ تمادي المجتمع المشرك إلى ان القوا العذرة والنتن على باب رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)^(٤)، واضطهدوا المسلمين الاوائل بالتعذيب والاذى والتهجير، والقتل^(٥)، حيث صبت بطون قريش جام غضبها على الموالي والعبيد الذين لم تكن قبائل تحميهم، بهدف صدهم عن الدين الإسلامي، فضلاً عن الضغط النفسي على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لكونه سيشعر بأنه السبب في أذيه المسلمين ومن واجبه حمايتهم والدفاع عنهم بطريقة او اخرى .

ومن أشكال الحرب النفسية التي قام بها سادة قريش هو المقاطعة اي الحصار في شعب^(٦) أبي طالب، حيث اجتمع زعماء المجتمع القرشي واتفقوا على ان يقاطعوا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وبني هاشم، ومواليهم مقاطعة اقتصادية واجتماعية^(٧)، واستمر الحصار ثلاث سنوات،

(١) يُنظر: ابن اسحاق، سيرة ابن اسحاق، ص ١٥١ ؛ ابن الأثير، النهاية، ج ٤، ص ٥٧؛ المقريزي، امتاع الأسماع، ج ٣، ص ١١١ .

(٢) سورة الطور، الآية ٣٠ .

(٣) سورة فاطر، الآية ٢٥ .

(٤) يُنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج ١، ص ٦٦٧ .

(٥) يُنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦٦٣ - ٦٦٧ .

(٦) الشعب: هو الحي الذي يسكن فيه بنو هاشم وبنو المطلب وهم يشكلون وحدة اجتماعية وسياسية أصغر ضمن إطار وحدة اجتماعية وسياسية أكبر منها تتألف من عدة عشائر وهي قبيلة قريش. يُنظر: هاشم يحيى الملاح، الوسيط في تاريخ العرب، ص ٣٦٣.

(٧) يُنظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٣٥٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٨٢ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعي وجذوره في التاريخ الإسلامي

وذكر الإمام عليّ (عليه السلام) هذا الحصار على أنه صراع وجودي للسيادة على مكة، وليس الوقوف على انتشار الإسلام، أي صراع لأضعاف بني هاشم وسيادتهم على مكة، حيث قال: " فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَا حَ أَصْلَانَا وَهَمُّوْا بِنَا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ، وَمَنْعُونَا الْعَذْبَ وَأَخْلَوْنَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّوْنَا إِلَى جَبَلٍ وَغَرٍّ، وَأَوْفَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ مُؤْمِنُنَا يَنْبَغِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خَلَوْ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانٍ أَمْنٍ" (١).

بعد أن استمرت قريش في أذاها لرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والمسلمين لم يكن أمامه سوى البحث عن ملاذ آمن للدعوة الإسلامية فخرج إلى الطائف (٢)، يلتمس النصرة والمنعة من قبيلة ثقيف (٣) ومن أجل دعوتهم للدخول بالإسلام إلا أنهم جابهوه بالرفض "وَأَعْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ، يَسْتُبُونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ" (٤).

كان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يغتتم الفرصة في مواسم الحج ذلك لأن مكة كانت بيئة دينية وتجارية، فيعرض الإسلام على القبائل من أجل اعتناق الإسلام والعمل على نشره فقد كان لا يسمع بقدام إلى مكة له مكانة واسم وشرف إلا تصدى له ودعاه للدخول إلى الإسلام (٥)، وكان موقف قبائل شبة الجزيرة العربية التي عرض عليهم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يتسم برفض الدعوة (٦).

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٣٦٨.

(٢) الطائف: هي بلاد ثقيف، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخا، وكانت الطائف مهربا وملجأ لكل هارب. يُنظر: ابن الفقيه، البلدان، ص ٧٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٩.

(٣) ثقيف: تنسب إلى ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن، تسكن الطائف وما حولها إلى الجنوب الشرقي من مكة المكرمة. يُنظر: الطيب، موسوعة القبائل، ج ٥، ص ٩٠٠.

(٤) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٤١٩. ٤٢٠.

(٥) يُنظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٤٢٢ - ٤٢٥.

(٦) يُنظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٤٢٤ - ٤٢٥.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

وقد نجح رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في كسب افراد من مجتمع سكان يثرب^(١) إلى الدعوة الإسلامية الذين كانوا معتادين على المجيء إلى مكة لإداء شعائر الحج وللتجارة، فلما لقيهم رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) دعاهم وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن الكريم فكان موقفهم ان أجابوا فيما دعاهم إليه وصدقوا ما عرض عليهم من الإسلام، وَقَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) " انا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا، وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ، فَعَسَى ان يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ بِكَ، فَسَنَقْدُمُ عَلَيْهِمْ، فَندْعُوهُمْ إِلَى أَمْرِكَ، وَتَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الَّذِي أُجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ، فَان يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَلَا رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ"^(٢).

فلما قدموا إلى مجتمعهم ذكروا لهم ما تحدث به رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حتى انتشر بينهم خبر الإسلام ولم يبق دار من دور مجتمع الانصار الا وفيه ذكر لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وبعد سنة من اللقاء الأول حضر اثنا عشر رجلاً من قبيلتي الأوس والخزرج فعن " عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ^(٣)، قَالَ: كُنْتُ فِيْمَنْ حَضَرَ الْعَقَبَةَ الْأُولَى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَبَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ...، عَلَى ان لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيَهُ فِي

(١) يثرب: تقع على بعد ثلاثمائة ميل شمال مكة، وتحيط بها الوديان من جهاتها الأربع، سميت يثرب نسبة إلى يثرب بن قانية بن ارم بن سام بن نوح الله لأنه أول من سكنها ، او نسبة إلى يثرب بن بائلة بن مهلهل بن عوص بن عمليق وهو اول من اختطها ، وسميت بعدة أسماء بعد الهجرة المباركة، منها طيبة، والباقية، والموفية، والمسكينة، والمباركة . يُنظر: البكري، معجم ما استعجم، ٤، ص ١٣٨٩؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج ٤، ص ٦٩؛ ابن خلدون، العبر، ج ٢، ص ٢٣؛ الشريف، مكة والمدينة ، ٣١١- ٣١٢ .

(٢) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

(٣) عبادة بن الصامت بن قيس بن اصرم، وكان عبادة نقيباً شهد العقبين وشهد بدراً والمشاهد كلها، وقد وجهه عمر بن الخطاب إلى الشام قاضياً ومعلماً، ثم انتقل إلى فلسطين ومات بها . يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٥، ص ٥٩؛ أبو السعادات، جامع الأصول، ج ١٢، ص ٥٦١ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

مَعْرُوفٍ^(١)، بعد إتمام البيعة بعث رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) معهم مصعب بن عمير^(٢) وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَرِّئَهُمُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَيُعَلِّمَهُمُ الْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهَهُمُ فِي الدِّينِ^(٣).

عندما رأت قريش أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قد أصبح لديه العديد من الاتباع خارج مكة فكان موقفهم أن اجتمعوا في دار الندوة - وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش معتادة على أخذ القرارات فيها، وقد تباينوا في موقفهم فيما يفعلوا برسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حيث قال بعضهم : أن يقيدوه في الحديد، وقال آخرون أن يقوموا بنفيه خارج مكة، فأقترح عليهم أبو جهل^(٤) أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً ويعطونه سيقاً فيعمدوا إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فيضربونه ضربة رجل واحد فينفق دمه بين القبائل جميعاً وقد استقروا على هذا الرأي^(٥)، لكن خطتهم باءت بالفشل، بسبب الموقف الفدائي للإمام علي (عليه السلام) حيث قرر المبيت بفراش رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ليوهم المشركين^(٦) بوجود رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فأستطاع رسول الله بذلك من الهجرة إلى يثرب .

يتضح من ذلك أن موقف الإمام علي (عليه السلام) يعكس قيمة التضحية والفداء وعمق الروابط الاجتماعية، فقد كان مستعداً للمخاطرة بحياته من أجل انقاذ رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وهذا الموقف يبين مدى ولاء الإمام لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والولاء عنصر

(١) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٤٣٣ .

(٢) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، وامه خناس بنت مالك من بني لؤي - اسلم عندما كان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يجتمع في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وكنم اسلامه خوفاً من امه وقومه، بعثه رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى المدينة قبل الهجرة بعد العقبة الثانية، وقد شهد بدر وقتل يوم أحد، قتله ابن قميئة الليثي. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ١٠٧ - ١٠٩؛ ابن حزم، جهرة انساب العرب ، ص ١٢٦ .

(٣) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٤٣٤ .

(٤) عمر بن هشام بن المغيرة المخزومي يكنى أبا جهل كان أحد المؤذنين لرسول الله (صلى الله عليه وآله) واحد المساندين بقوة المقاطعة بني هاشم حتى قام بمنع إيصال الطعام إلى المسلمين وهم في شعب أبي طالب، قتل يوم بدر كافراً . يُنظر: ابن اسحاق السير والمغازي ، ص ١٦١ - ١٧١؛ ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ٣، ص ١٧٠ .

(٥) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٤٨١ - ٤٨٢ .

(٦) يُنظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٣٣٣؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٢٨؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٩٩، البيهقي ، دلائل النبوة، ج ٢، ص ٤٦٤ - ٤٧٠؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ١٩؛ الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٠٣، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١، ص ٣١٦ - ٣١٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ٢١٦ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

أساسي في بناء العلاقات الاجتماعية، كما يعكس أهمية التضامن الاجتماعي حيث يبرز كيف يمكن لأفراد المجتمع ان يقفوا معاً لدعم ومساندة بعضهم بعضاً في اوقات المحن وعندما تحيط بهم المخاطر، وبالتالي، يعتبر موقف الإمام عليّ (عليه السلام) مثلاً يحتذى به في المجتمعات.

كان مجتمع المدينة المنورة يتكون من الانصار (الأوس والخزرج)، واليهود (بنو قينقاع، بنو قريظة، وبنو النضير) والمنافقين، وكل فئة من المجتمع قد تباينت في مواقفها من رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فكان موقف مجتمع الانصار واضحاً حيث اتسم بالصدق والمبدئية العالية في نصره الدعوة الإسلامية منذ ان بايعوا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عند العقبة، فبعد الهجرة النبويّة كان موقفهم حافلاً بالولاء والدعم لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وبعد ان ترسخ أساس الدولة في المدينة لم يقتصر دورهم على نشر مبادئ الإسلام وانما شاركوا مع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في سراياه ^(١)، وابلوا بلاءً حسناً في القتال إلى جنب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) دفاعاً عن الدين والذب عن تعاليمه وهذا ما يبين حقيقة التزامهم بموجب احكام الوثيقة (دستور المدينة) الذي كتبها رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في السنة الأولى للهجرة حيث نظم العلاقات بين مجتمع المدينة حيث نصت الفقرة الأولى على "هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ: انْهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ" ^(٢)، وبذلك عدت الوثيقة ان المهاجرين ومجتمع الانصار امة واحدة الذي تقضي بالضرورة تضامن افرادها في السراء والضراء .

لقد كان بين مجتمع الانصار عداوة وحروب، ومع ذلك استطاع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ارساء علاقة اجتماعية وان يوحدتهم تحت راية الإسلام ليكونا معاً لبنة لبناء المجتمع الجديد، فقام (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ببناء العلاقات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي فأخى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بين المهاجرين والانصار وجعل العقيدة اساس العلاقة بين

(١) يُنظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج٢، ص٦٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٤ .

(٢) يُنظر: الواقدي، المغازي، ج١، ص٩؛ ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج١، ص٥٠٢؛ السهيلي، الروض الانف، ج٤، ص٢٤٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٥٥٦ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

المؤمنين فوق رابطة العرق والنسب، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١)، وهدف رسول الله(صَلَّى الله عَلَيْهِ واله وَسَلَّم) من ذلك هو خلق التوازن الاجتماعي بين الافراد والجماعات فاراد بناء مجتمع متماسك يتجاوز الخلافات السابقة وكبح نزعة التفوق القبلي والنزعة الاقليمية.

إما اليهود فقد اتسم موقفهم من رسول الله(صَلَّى الله عَلَيْهِ واله وَسَلَّم) بعدم الاستجابة للدعوة الإسلامية ولم يؤمنوا بنبوة النبي (صَلَّى الله عَلَيْهِ واله وَسَلَّم) وقد حملوا روح العداء لرسول الله(صَلَّى الله عَلَيْهِ واله وَسَلَّم) وقد شهدوا معه صراعاً فكرياً وعسكرياً، فقد كانوا يوجهون الاسئلة إليه ويطلبونه بالمعجزات^(٢)، لقد شعر مجتمع اليهود بخطر الدعوة الإسلامية على الديانة اليهودية خاصة وانها قد طالت ايديهم على الكتاب المقدس وحرفوا، وقد بين القرآن الكريم التحريف الذي طال اليهودية ، قال تعالى ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرُعْنَا لِيَا بِأَسْنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣)، وقوله تعالى ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(٤).

على الرغم من ان رسول الله(صَلَّى الله عَلَيْهِ واله وَسَلَّم) قد نظم العلاقات بين مجتمع المدينة وادع فيه مجتمع اليهود وعاهدهم واقهرهم على دينهم واموالهم، وحددت ووثيقة المدينة الحرية الدينية لمجتمع اليهود^(٥)، لكنهم لم يلتزموا ببنود الوثيقة وشرعوا في التشكيك في رسول الله(صَلَّى الله عَلَيْهِ واله وَسَلَّم) ومحاربة الدعوة الإسلامية بغياً وحسداً وضغناً، فقد كانوا يسألون رسول الله(صَلَّى الله عَلَيْهِ واله وَسَلَّم) ويعترضون عليه، ويطرحون عليه الشبهات ليخلطوا الحق بالباطل، فكان القرآن الكريم ينزل في شأنهم وفيما يطرحونه من اسئلة^(٦).

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٠ .

(٢) يُنظر: نزار ناجي محمد، السيرة النبوية، ص ٣٤٧ .

(٣) سورة النساء، الآية ٤٦ .

(٤) سورة المائدة ، الآية ١٣ .

(٥) يُنظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٥٠٣؛ ابن كثير ، البداية والنهاية، ج ٤، ص ٥٥٧ .

(٦) يُنظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام ، ج ١، ص ٥١٣ ؛ السهيلي، الروض الانف، ج ٤، ص ١٩٧ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

وقد قادوا ضد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) صراعًا عسكريًا وكان يهود بني قينقاع أول من نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)^(١)، وقد حدث ذلك بعد معركة بدر (٢هـ / ٦٢٤م)، وسبب نقضهم للعهد هو أنهم كانوا يعملون في التجارة^(٢)، لذلك بعد انتصار رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في معركة بدر شعروا بقوة المسلمين وتناميها فاعتقدوا أن وجوده بات يشكل خطرًا على مصالحهم التجارية والصناعية .

كما خرق يهود بني النضير عهدهم مع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وتحالفوا مع مشركي مجتمع مكة ، وقد كان بين يهود بني النضير وقريش مراسلات حيث حثوهم على محاربة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وذلك بعد معركة بدر^(٣)، وهذا مخالف لوثيقة المدينة، فقرر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مهاجمتهم واجلائهم من المدينة، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾^(٤) .

استقرت جماعة بني النضير في خيبر بعد اجلائهم من المدينة، وبدأوا في التفكير بكيفية الانتقام والثأر من دولة المدينة واستعادة أراضيهم وما فقدوه ، لذلك فقام عدد منهم بالتوجه إلى مجتمع قريش في مكة، ودعاهم إلى حرب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مؤكدين لهم "إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ومن معه"^(٥)، فلما تحالفوا واتفقوا على خوض الحرب ضد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ووجدوا كلمتهم وتعهدوا بعدم خذلان بعضهم بعضًا، ومن ثم

(١) يُنظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام ، ج ٢، ص ٤٧؛ خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ٦٦؛ البيهقي، دلائل النبوة،

ج ٣، ص ١٧٤؛ السهيلي، الروض الانف، ج ٥، ص ٢٧٧ .

(٢) يُنظر: الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٧٦ .

(٣) يُنظر: عبد الرزاق، المصنف، ج ٦، ص ٣٦؛ البيهقي ، دلائل النبوة، ج ٣، ص ١٧٩؛ الصالحي، سبل الهدى،

ج ٤، ص ٣١٧ .

(٤) سورة الحشر، الآية ٢ .

(٥) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٢٤؛ الطبري، الرسل والملوك، ج ٢، ص ٥٦٥؛ ابن حبان، الثقات، ج ١،

ص ٢٦٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ١٢ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

حددوا موعدًا للخروج^(١)، بعد ذلك خرج أولئك الأفراد من جماعة اليهود حتى جاءوا غطفان وغيرهم^(٢)، ودعّوهم إلى حرب رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأوعدهم أن سيخرجون معهم إذا قرّش سارت معهم^(٣)، حيث أكدوا لهم بأن قرّش قد دعمتهم في هذا المسعى، وكان خروج غطفان معهم لدوافع مادية حيث وعدهم يهود بني النضير بتمرّ خيبر لعام كامل إذا ما ساندوهم وخرجوا معهم لمحاربة رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)^(٤) .

حاول هذا التحالف إيجاد أطراف أخرى تدعمهم من داخل مجتمع المدينة لذلك تواصلوا مع يهود بني قريظة الذين كانوا حلفاء رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)الذين لم يستطيعوا مساعدة بني النضير عندما تم إجلاؤهم من المدينة نتيجة للعهد والمواثيق التي بينهم وبين رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، لذا حاول حيي بن أخطب أحد زعماء بني النضير اقناع زعيم قريظة كعب بن أسد الذي أبدى خشيته من هذا التحالف وما يترتب عليه من نتائج الفشل وعدم قدرتهم على قتل رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فيكونوا هم في مواجهة رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فأعطاه حيي بن أخطب وعدًا "لَنْ لَمْ يُقْتَلْ مُحَمَّدٌ فِي هَذِهِ الْفُورَةِ وَرَجَعَتْ قُرَيْشٌ وَعُطْفَانٌ قَبْلَ أَنْ يُصِيبُوا مُحَمَّدًا، لَأَدْخُلَنَّ مَعَكَ حِصْنَكَ حَتَّى يُصِيبَنِي مَا أَصَابَكَ"^(٥)، فنقض كعب بن أسد العهد الذي كان بينه وبين رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فخرج بني قريظة عن العهد والمواثيق وتحالفهم مع قرّش يعدّ خيانة لدولة المدينة، وقد شكلوا مصدر خطر على المسلمين خاصة وأنهم يعيشون معهم داخل المدينة، ووصف القرآن الكريم حالة الخوف والرعب التي عاشها

(١) يُنظر: الواقدي، المغازي، ج٢، ص٤٤٢؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج٥٦، ص٢٧٤؛ المقرئ، إمتاع الأسماع، ج١، ص٢٢٢ .

(٢) بنو غطفان بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كانت منازلهم بنجد مما يلي وادي القرى، وجبل طيء، ثم افترقوا في الفتوحات، واستولت عليها قبائل طيء. يُنظر: كحالة، معجم قبائل العرب، ج٣، ص٨٨٨ .

(٣) يُنظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج٢، ص٢١٥؛ الطبري، الرسل والملوك، ج٢، ص٥٦٦؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص٨٤ .

(٤) يُنظر: الواقدي، المغازي، ج٢، ص٤٤٣؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج١، ص٤٢٧ .

(٥) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٤٥٦؛ ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج٢، ص٢٢١؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج٣، ص٤٢٩ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

المسلمين وقت خيانة يهود بني قريظة ، قال تعالى ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴾^(١)، ويذكر ابو بكر بن ابي قحافة "لَقَدْ خِفْنَا عَلَى الدَّرَارِيِّ بِالْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ أَشَدَّ مِنْ خَوْفِنَا مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ"^(٢)، لذلك بعد انتصار المسلمين في معركة الاحزاب (٥٠هـ / ٦٢٧م)، هاجمهم رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ولم يحدث ذلك الا بعد خيانتهم في الظروف الحرجة ونقضهم للعهود، وقد تم اجلاء جميع اليهود من المدينة لانهم لم يحفظوا الوعود ولم يراعوا العهود التي بينهم وبين رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)وقد تمادوا في غيهم ومقابلتهم بالإحسان بالإساءة وغدرهم بالمسلمين .

فيتضح نشوء تحالف بين مجتمع قريش الوثني وبين الجماعة اليهودية، يجمع بينهم دوافع الثأر والاطماع المادية من دولة المدينة ومثل هكذا تحالفات غالبًا ما تكون ضعيفة وسريعة التفكك بسبب الاطماع المادية، اضافة إلى عدم وجود قيادة موحدة، ذلك لان القائد يلعب دورًا كبيرًا بالنسبة للجماهير البشرية، فإرادته تمثل النواة التي تدور حولها الآراء وتتصهر فيها، فالجمهور عبارة عن قطيع لا يستطيع الاستغناء عن سيّد، حيث يكمن دوره بتوجيههم وبث الإيمان سواء أكان هذا الإيمان دينيًا او سياسيًا او اجتماعيًا^(٣).

عندما تندلع ثورة في منطقة ما فان مصالح الجماعة الظالمة المستبدة تتعرض للخطر، خاصة اذا كانت ثورة تستند إلى مبادئ الحق والعدالة كثورة الإسلام، فتسعى هذه الفئة إلى الإطاحة بهذه الثورة عن طريق التضليل الاجتماعي والسخرية، وعندما تتضح علامات انتصار الثورة تعمد فئة المعارضين إلى تغيير موقفها فتستسلم ظاهريًا، وتتحول إلى مجموعة معارضة سرية، وهذا ما حدث مع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فقد كان عبد الله بن ابي سلول^(٤)، مرشحًا للزعامة لكن الهجرة النبويّة بددت آماله وآمال مؤيديه^(٥)، ورأوا ان الناس يندفعون نحو الإسلام حتى عمت

(١) سورة الأحزاب، الآية ١٠ .

(٢) الواقدي، المغازي، ج٢، ص ٤٦٠ .

(٣) يُنظر: غوستاف لوبون ، سيكولوجية الجماهير، ص١٢٧-١٢٨ .

(٤) عبد الله بن ابي سلول من بني عوف الخزرج، وهو رأس المنافقين في المدينة، أسلم بعد الهجرة النبويّة وكان يضمّر النفاق بغيًا وحسدًا. انظر: ابن هشام ، السيرة ، ج١، ص٥٢٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص٣٨٩ .

(٥) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص٣٨٩؛ الصفي، الوافي بالوفيات، ج١٧، ص٩ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعي وجذوره في التاريخ الإسلامي

الدعوة ذويهم وأقاربهم، فلم يكن امامهم الا الاستسلام والتظاهر بالإسلام ، أي كانوا يظهرون الإسلام وقبول الحق والإيمان والانصياع اليه لكنهم في الوقت نفسه يبطنون الكفر، قال تعالى ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نَزَلَ إِلَيْكَ وَمَا نَزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(١)، كما عرف عليهم عدم الاستقرار والثبات في المواقف والقرارات ، قال تعالى ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾^(٢).

فعمل جماعة المنافقين على بث الإشاعات الكاذبة وتعميمها في الأوساط الاجتماعية، وهي من فنون الحرب النفسية في قهر الخصم وإضعاف قوته وتفكيك وحدته وبالتالي تؤدي إلى التباين عن طريق زعزعة الوحدة وتفريق الجماعة وتقويض دعوة الحق، قال تعالى ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣).

وقد قام المنافقون بتنشيط همّة الناس حتى لا يساندوا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في قتاله ضد المشركين وذلك في معركة احد (٣ هـ / ٦٢٥ م) كأسلوب من أساليب الحرب النفسية وبعد هزيمة المسلمين وجهوا كل انواع النقد إلى استراتيجية رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، قال تعالى ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾^(٤)، كما كانوا يعترضون على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في تقسيم الغنائم، قال تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ﴾^(٥)، ويعتبر منافقو المدينة رأس حرب ضد الإسلام فقد كانوا يكيّدون للإسلام

(١) سورة النساء، الآية ٦٠ .

(٢) سورة النساء، الآية ١٤٣ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٦٠ .

(٤) سورة ال عمران، الآية ١٦٧ .

(٥) سورة التوبة، الآية ٥٨ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

ويضربونه من الداخل، قال تعالى ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

استمر المجتمع القرشي في عداؤه لرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وكان افراد المجتمع من أشد المناوئين لرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وعلى رأسهم الغوغائي^(٢) أبو سفيان بن حرب، الذي لعب دوراً بارزاً في تأليب مجتمع قريش في الحروب التي قادوها ضد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فكان يستغل أحاسيس افراد المجتمع وتعصبهم للقضاء على كل حركة تتحدى سلطتهم، وفي هذا المضمار يرى عبد الجليل الطاهر ان الانتاج الفكري لفئة او طبقة اجتماعية ما يتصل اتصالاً وثيقاً بمركزها الاجتماعي، ذلك لأنها تناضل من اجل المحافظة على نفوذها وسيطرتها السياسية والاجتماعية، والاقتصادية^(٣).

ان السبب الذي يجعل الغوغائيين يؤدون دوراً بارزاً في مسيرة المجتمع هو أنهم لا يكتفون أي احترام للأوضاع القائمة ويتملقون للجماهير لكسب ودهم ومساندتهم لمواجهة الآخرين ذلك بانهم يعدون حياتهم فاسدة ولا سبيل للمعالجة لذلك كانوا مستعدين لتدمير كل شيء ولنشر الفوضى والقلق، ويطبعون حركاتهم بطابع الحركات السلمية او هي التي تتعرض إلى الاضطهاد^(٤)، وهذا ما سيبدو واضحاً في الروايات التي تصور رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في معركة بدر^(٥) / ٦٢٤م) يهاجم القوافل التجارية التابعة للمجتمع القرشي كقاطعي الطرق طمعاً بالمال والغنيمة وان ابو سفيان كان حذراً على أمر الناس^(٥)، لذلك كانت حربهم ضد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من اجل المحافظة على القافلة التجارية من خطر المهاجمين وقاطعي الطريق، من المعلوم ان السيرة النبوية قد دونت بأيادي أموية فهي تقدم صورة عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)

(١) سورة التوبة، الآية ١٠١ .

(٢) الغوغائي: سياسيّ يتملق للجماهير لكسب ودهم والزعاع من الناس سُموا كذلك لكثرة لغتهم وصياحهم، فالغوغاء مجموعة الأساليب التي يتبعها السياسيون لخداع الشعب وإغرائه ظاهرياً للوصول للسلطة وخدمة مصالحهم الذاتية. يُنظر: عمر، معجم اللغة، ج٢، ص ١٦٥١.

(٣) يُنظر: أصنام المجتمع، ص ٥٩ .

(٤) يُنظر: إريك هوفر، المؤمن الصادق، ص ٥٣ .

(٥) يُنظر : ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٦٠٧ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

وَسَلَّمَ)المعتدي على القوافل التجارية المكية وهذا خلاف القرآن الكريم، قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١)، ان في الواقع لم يكن خروج المسلمين لبدر لمهاجمة القوافل التجارية او الحصول على الغنائم انما كان لأجل مواجهة الجيوش القادمة لمهاجمة لمدينة^(٢)، كما ان خروج جماعة الانصار في هذه الحرب دليل على ان هناك هجوماً تعرضت له المدينة ذلك لان الانصار قد تعاقدوا بالدفاع عن رسول الله(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)عند تعرض المدينة للخطر^(٣) .

ولم تكن الرواية الأموية بذلك وانما ذكرت ان رسول الله(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قد سيطر على المياه ومنع افراد جيش العدو من الوصول اليه^(٤)، أي انه مارس ضدهم حرباً نفسية وهذا لا يمكن الأخذ به ذلك لأنه السماء كانت ممطرة في معركة بدر وهذا ما يتضح من قول الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) "أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنْ مَطَرٍ، فَأَنْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ نَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا"^(٥)، كما ان هذا السلوك لا يتماشى مع اخلاق رسول الله(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)الذي بعث رحمة للعالمين فلا يمكن ان يفعل ذلك حتى وان كان العدو يريد قتله، فقد تعرض رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لمختلف انواع التعذيب والتكذيب والسخرية بل لمحاولات اغتيال متعددة ، ومع ذلك لم يقابل تلك الافعال بالمثل، بل جسد أسمى معاني الصبر والحلم، مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٦)، وقد انعكست التربية الأخلاقية على افراد أسرته فالإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)الذي تربى في بيت النبوة لم يمنع الماء على افراد جيش معاوية بن ابي سفيان (٤١هـ - ٦٠هـ / ٦٦١م - ٦٨٠م) في حرب صفين بعدما منعه معاوية عن جيش الإمام علي(عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(٧)، كذلك فعل سبط رسول الله الإمام الحسين بن عليّ (عليه السلام)بجيش يزيد بن معاوية

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٠ .

(٢) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٢٤ .

(٣) يُنظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج١، ص٦١٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٤٣٥ .

(٤) يُنظر: البخاري، صحيح البخاري، ج٤، ص١٤٦١؛ مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص٢٢٠٤ .

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٤٢٥؛ ابن كثير البداية والنهاية، ج٥، ص١٠٨ .

(٦) سورة القلم ، الآية ٤ .

(٧) ابن مزاحم ، وقعة صفين، ص١٩٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٥٧٢ ابن الأثير، الكامل في

التاريخ، ج٢، ص ٦٣٥- ٦٣٦ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

(٦٠ هـ - ٦٤ هـ / ٦٨٠ م - ٦٨٣ م) في واقعة الطف فلم يمنعهم من الحصول على الماء، لكن عندما سيطر جماعة يزيد على الماء منعوها عنه وعن افراده وصحبه حتى استشهدوا وهم عطاشي^(١)، وهذا هو الفرق بين التربية النبويّة التي تسودها الرحمة والرأفة وتربية الغوغائيين التي تتسم بالتسلط والجبروت والقتل والقسوة.

وقد استمر موقف غالبية مجتمع مكة بالعداء للإسلام، فقد اجتمعوا في السنة (٣ هـ/ ٦٢٥ م) من اجل محاربة رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وخرج جميع الافراد حتى النساء اللواتي كانن يحملن الدفوف يعزفن عليها ويبكين على قتلى بدر التي قتل فيها ٧٠ قتيل من اكبر واضخم شجعان قريش^(٢)، حيث غلب عليهم التكبر والرياء ولم تكن لديهم عزيمة ولا قضية يؤمنون بها فقد كانوا منهزمين نفسياً فخسروا المعركة، ونتيجة لذلك كانت النساء تحرض المشركين على حرب المسلمين في معركة احد(٣ هـ/ ٦٢٥ م)^(٣)، الذي كان قائدها أبي سفيان بن حرب، وكان النصر حليف المسلمين لولا لم يترك الرماة مكانهم من على الجبل طمعاً في الغنائم، وبهذا فعلهم ولم يطيعوا أوامر رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فكانوا السبب في خسارة المعركة^(٤).

كان بين النساء اللواتي شاركن في معركة أحد هند بنت عتبة^(٥) التي كانت تكن لرسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عداوة شديدة، وقد جسدت في هذه المعركة العنف بأقصى صورة والتطرف بأبشع معانيه فبعد ان قتل غلامها الحمزة بن عبد المطلب لم تكتف في ثأرها بقتل من

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٥٥؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ص ١٢٣؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٦، ص ٢٦٢٧.

(٢) البلاذري، انساب الاشراف، ج ١، ص ٣٨٣؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، ج ١، ص ١٣١؛ العليمي، التاريخ المعبر، ج ١، ص ١٢٣.

(٣) يُنظر : الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٢٠٦؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ١، ص ٣٨٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٠.

(٤) يُنظر : الطبري، الرسل والملوك، ج ٢، ص ٥١٠؛ الماوردي، الحاي الكبير، ج ١٤، ص ٣٤.

(٥) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أمها صفية بنت أمية بن حارثة، شهدت هند معركة أحد مع المشركين، وكانت تحرضهم على قتال المسلمين وذلك انتقاماً لمقتل ابيها وأخاها الوليد وعمها شيبة الذين قتلوا في بدر، وقد عرفت بآكلة الاكباد، أسلمت في فتح مكة مع الطلقاء . يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٨، ص ٢٧٧ - ٢٧٩.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعي وجذوره في التاريخ الإسلامي

قتل اباها واخاها بل تعدت إلى التمثيل بالجثة بعد القتل "بَقَرْتُ بَطْنَ الحمزة وَأَخْرَجْتُ كَبِدَهُ وَلَاكُثَّهَا فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تُسَيِّغَهَا.... وَاتَّخَذْتُ هُنْدُ مِنْ آذَانِ الرِّجَالِ وَأَنَوَفِهِمْ خَدَمًا وَقَلَائِدَ"^(١).

يفسر فعلها العدوانى هذا إلى العوامل النفسية وهو رغبتها في الانتقام والكراهية والعدوان^(٢)، الذي يؤدي إلى اضطراب الغرائز والعواطف ويضعف الوظيفة الرقابية للضمير فيفقد الفرد التكيف مع المجتمع والقيم السائدة^(٣)، ويفترض ان هذا السلوك الإجرامي عند المرأة يظهر لدى النساء اللاتي يحملن خصائص ذكورية حيث يتمتعن باستعداد كبير للإتيان بأفعال إجرامية^(٤)، عندما يظل الانسان متمسكاً برذائل الأخلاق ورداءة السجية، سيبقى مظلماً العقل والقلب، وسيبقى الخلاف اينما وجد السلام، و الكراهية أينما وجدت المحبة .

نصب أبو سفيان العدا لرسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقد كان ممن نابذ وحارب وكذب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فلا ترفع راية حرب إلا كان هو صاحبها وقائدها في كل مواطن الحرب^(٥)، وقد رفض غالبية المجتمع المكي دخول رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)والمسلمين إلى مكة من أجل إداء العمرة، وعليه فقد جرت مفاوضات طويلة بينه وبين زعماء مجتمع مكة إلى ان تم الاتفاق على ان يرجع في هذا العام ويأتي في العام القادم لإداء العمرة، وقد عرف بصلح الحديبية (٦هـ / ٦٢٧م)^(٦)، وكان من مصالح هذا الصلح فتح مكة ودخول افراد المجتمع المكي في دين الله افواجا وكانت دعوته(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)تسري في الوجدان كالنور، فانبرى زعماء قريش يدفعون هذا الحق بكل ما اوتوا من قوة الذين ما يزال يغشاهم أكنة الشك في نبوة رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وعليه فلم يسلموا طوعاً بعد فتح مكة(٨هـ

(١) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج٢، ص٩١؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٧، ص١٧٣؛ الماوردي، الحاوي الكبير، ج١٤، ص٣٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٤١٩.

(٢) HEIDENSOHN, CRIME A WOMEN, p: ٢٠٠ .

(٣) إسرائ علي خلف الله، العوامل الاجتماعية لإرتكاب الجريمة، ص٣٨.

(٤) حنان قرقوتي، عنف المرأة في المجال الأسري، ص١١٣ .

(٥) يُنظر: نزار ناجي محمد، السيرة النبوية، ص٣٨٨ .

(٦) الحديبية: قرية متوسطة ليست بالكبيرة ، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) تحتها سميت الحديبية بشجرة حذاء كانت في ذلك الموضع وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل. يُنظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج ٢، ص ٢٢٩ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعي وجذوره في التاريخ الإسلامي

٦٣٠م) عن قناعة وإيمان وانما استسلاماً بعدما وقعوا اسرى في قبضة الإسلام فكان موقف رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) منهم ان عفا عنهم من دون قيد او شرط ولم يقتلهم واطلق سراحهم وقال لهم " اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ" ^(١) ^(٢) فاستسلموا عنوة واطهروا الإسلام دون قناعة واختيار، وقد قبلهم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من المؤلفة قلوبهم، لا يوجد بالتاريخ مثل هذا الصفح والرحمة والتسامح فهم زهاء عشرون سنة يحاربونه وقد تعرض رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) منهم إلى اذى شديد حيث قال "مَا أُؤْذِيَ نَبِيٍّ مِثْلَ مَا أُؤْذِيَ" ^(٣)، ولم تنكسر لهم عزيمة في حرب الإسلام والحق وحين أمكنه الله منهم قال اذهبوا فانتم الطلقاء وقد أعطاهم الأمان دون اشتراط الإسلام، امتثالاً لقوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ ^(٤).

كان من بين الطلقاء العائلة الأموية وقد لعن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هؤلاء في عدة مواطن وهم الشجرة الملعونة في القرآن الكريم، قال تعالى ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ ^(٥)، وقد رأى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أبو سفيان مقبلاً على حماره ومعاوية يقوده ويزيد يسوقه فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): لعن الله القائد والسائق والراكب ^(٦)، وفي قول اخر " اللهم العن التابع والمتبوع اللهم عليك بالأقييس، فقال ابن البراء لأبيه: من الأقييس؟ قال: معاوية" ^(٧).

(١) الطلقاء: جمع طليق وهو الاسير الذي خلي سبيله و أطلق سراحه ، لم عدد الطلقاء تحديداً لكنه يعرف من بعض المصادر بان عددهم كان بحدود ٢٠٠٠ طليق، و أبرز هؤلاء الطلقاء أبو سفيان، و معاوية بن أبي سفيان، و يزيد بن أبي سفيان، و سهيل بن عمرو، و عكرمة بن أبي جهل، و صفوان بن أمية، وغيرهم . يُنظر : الصدوق، الخصال، ج٢، ص ٦٤٠؛ الرازي، مختار الصحاح، ص ١٩٢ .

(٢) الشافعي، الأم، ج٧، ص ٢٨٢؛ ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج٢، ص ٤١٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٦١؛ الكليني، الكافي، ج٣، ص ٥١٣ .

(٣) ابن شهر آشوب، المناقب، ج٣، ص ٢٤٧؛ الإربلي، كشف الغمة، ج٣، ص ٣٤٦؛

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٥٦ .

(٥) سورة الإسراء، الآية ٦٠ .

(٦) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص ٥٨؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص ٥٧؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج١، ص ١١٣ .

(٧) ابن مزاحم، وقعة صفين، ص ٢١٧-٢١٨؛ الصدوق، معاني الأخبار، ص ٣٤٥ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

ان طبيعة النفس البشرية قابلة للتغيير، وهي تتردد بين مراتب مختلفة لها طابع الرقي والتقدم تارة، وطابع التردّي والانحطاط تارة أخرى؛ تبعاً لنوع الغذاء الروحي والتنشئة الاجتماعية التي تلعب دوراً في تشكيل السلوك الاجتماعي الذي يعتمد عليه الإنسان فنجد ان بني أمية قد غلب عليهم الانحراف الاجتماعي حيث يؤكد عالم الاجتماع الفرنسي (دور كهايم) على ارتباط الجريمة بالأسرة والمجتمع ارتباطاً لا مناص منه^(١)، أي ان الظروف الاجتماعية هي التي تؤدي إلى السلوك الانحرافي ومن ثم إلى الجريمة لذلك نجدهم قد غلب عليهم طابع القتل والتهجير والسبي والعنصرية القبلية والقهر والانحراف القيمي والديني فهم متعصبين لآرائهم يجهلون ثقافة الحوار .

اجتمعت في شخصية رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) المثل والصفات الاخلاقية الفاضلة فكان المصلح المجتمعيّ الاعظم والمنقذ الاكبر فقد فاقت شخصيته الفذة كل شخصية في دنيا الاجتماع البشري، وقد كان يجسد بسيرته العطرة الصفات الاخلاقية عملاً وفعلاً، الامر الذي جعل من شخصية رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ذا تأثير في ذلك المجتمع الذي انفصم عن الاخلاق الحميدة فعمل (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على انقاذ ذلك المجتمع وغرس المحبة والتعاون والسلام بينهم، فأتى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بالأوامر الحكيمة التي تكفل مصالح المجتمع وترقيه حياتهم بدعوته بحزم وتصميم وبخطاب اللين والحكمة الذي كان له تأثير بليغ فكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إذا وعظ أخذ بمجامع القلوب، قال تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢).

وعليه فكانت وفاة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) صدمةً عنيفة هزّت وجدان المجتمع الإسلامي فلما علم المجتمع بوفاته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ضجت المدينة المنورة بالبكاء والعيول وخيم عليهم الحزن وخفقت القلوب هلعاً وحزناً لرحيل أشرف خلق الله^(٣)، ولا ريب ان المجتمع الإسلامي كانوا يُنظرون اليه على انه الوسيط ما بين السماء والأرض بل ان حياتهم كلها

(١) يُنظر: قواعد المنهج في علم الاجتماع، ص ١٥٣.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٨ .

(٣) يُنظر: ابن منده، معرفة الصحابة، ص ٨٥٥؛ الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٢٨٨٥ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

كانت تدور حول شخصه وافكاره والعقائد التي كان ينشرها بينهم، لذلك فقط تباينت طرق التقبل باختلاف الفاعليين الاجتماعيين، فبرز اول موقف انفعالي مثله عمر بن الخطاب (١٣هـ - ٢٣هـ/ ٦٣٤م - ٦٤٣م) ، وقد أورد لنا^(١) تفاصيل هذا الموقف " لَمَّا تُؤْفِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: اِنْ رَجُلًا مِنَ الْمُؤَافِقِينَ يَزْعُمُونَ اِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ تُؤْفِي، وَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا مَاتَ، وَلَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ، فَقَدْ غَابَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ اِنْ قِيلَ قَدْ مَاتَ، وَاللَّهُ لَيَرْجِعَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَمَا رَجَعَ مُوسَى، فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رَجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ زَعَمُوا اِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَاتَ"، كما تواعد بالقتل حيث قال "من قال ان رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَاتَ عَلَوْتَ رَأْسَهُ بِسِيفِي هَذَا وَإِنَّمَا اَرْتَفِعَ إِلَى السَّمَاءِ"^(٢).

تصور الرواية ان عمر بن الخطاب قد تعرض إلى صدمة نفسية بعد سماعه خبر موت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، لكن يتبين ان الامر لم يقتصر على انه مجرد صدمة نفسية او شبهة عقدية عرضت عليه بسبب الخبر بل تعدى الأمر إلى التهديد بالقتل وقطع الايدي والأرجل لكل من يقول ان رسول الله(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قد مات، والغريب في الأمر ليس الموقف ذاته إذ قد يصدم الانسان ويعاني ما يعانیه من الصدمة، لكن ما يثير الدهشة ان يصدر هذا الفعل من عمر بن الخطاب الذي كان قبل أيام قليلة يصف رسول الله(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)بانه يهجر، وذلك عندما طلب منهم رسول الله(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)ان يعطوه دواه وكتف ليكتب لهم كتابًا لن يضلوا من بعده ابدًا، فكان موقف عمر بن الخطاب ان رفض ذلك وقال: "ان النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ ، فَحَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ"^(٣)، والغريب في الأمر ان كتاب الله يأمره ان يتبع ما يقول رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، قال تعالى ﴿وَمَا آتَانَاكُمْ

(١) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج٢، ص ٥٥٥ .

(٢) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج٢، ص ٥٥٥؛ ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي، ص ٢٧٢؛ السهيلي، الروض الانف، ج٧، ص ٥٨٢.

(٣) عبد الرزاق، المصنف، ج٦، ص ٩٠؛ ابن حنبل، مسند أحمد، ج٥، ص ٢٢٢؛ البخاري، صحيح البخاري، ج٧، ص ١٢٠؛ النسائي، السنن الكبرى، ج٧، ص ٦٣؛

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعي وجذوره في التاريخ الإسلامي

الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ^(١)، الم يعلم عمر بن الخطاب ان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، بتأكيد قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢). كما ان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قد نعى نفسه سابقاً منذ حجة الوداع (١٠ هـ / ٦٣١م) وخلال مرضه الذي دام من (٣ - ١٤ يوماً) وقد كرر تلميحاته إلى موته فقد ورد ان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قد نعى نفسه قبل موته بشهر^(٣)، فكانت هذه المدة كافية ان ينتشر خبر مرض رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وقرب آجله بين المجتمع .

ان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هو بشر والموت قد كتب على جميع البشرية فعمر بن الخطاب كان على علم بان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) سيموت لا محال وان ردة فعله غير مبرره حتى يستعدى الامر بالتهديد والقتل، والغريب بالأمر ان هذه الدهشة والصدمة ستبدد حالما يتلوا ابو بكر بن قحافة (١١١ هـ - ١٣ هـ / ٦٣٢م - ٦٣٤م) قوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٤) وكأنما هو اول مرة يسمع هذه الآية المباركة^(٥) .

أن أول بلية ابتلى بها المجتمع الإسلامي هو ظاهرة التشنت والانقسام فما ان مات رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حتى ظهر الخلاف والاختلاف وجسمه الطاهر لم يوارى الثرى، على الرغم من ان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كان له تأثير كبير في نفوس المجتمع الإسلامي لكن تصور لنا مصادر التاريخ الإسلامي ان بعض افراد المجتمع لم يعيروا أي اهتمام لخبر وفاة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وابتدأوا بصراعهم السياسي وقد نقل لنا^(٦) صورة مختصرة عن التحزب الذي حصل بعد الوفاة "لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ انْحَاَزَ هَذَا الْحَيُّ

(١) سورة الحشر، الآية ٧ .

(٢) سورة النجم ، الآية ٣ - ٤ .

(٣) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص١٩١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٨٢؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، ج١٤، ص٤٨٦ .

(٤) سورة ال عمران، الآية ١٣٧ .

(٥) يُنظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج٢، ص٦٥٦؛ البخاري، صحيح، البخاري، ج٦، ص١٤؛ السهيلي، الروض الانف، ج٧، ص٥٥١ .

(٦) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج٢، ص٦٥٦ .



الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

مِنَ الْإِنصَارِ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَاعْتَزَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرُ ابْنُ الْعَوَّامِ^(١) وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ^(٢)، فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ، وَانْحَارَ بَقِيَّةُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، وَانْحَارَ مَعَهُمْ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَأَتَى آتٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْإِنصَارِ مَعَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ^(٣) فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، قَدْ انْحَارُوا إِلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ بِأَمْرِ النَّاسِ حَاجَةٌ فَأَذْرِكُوا قَبْلَ أَنْ يَتَّفَقَ أَمْرُهُمْ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ لَمْ يُفْرَغْ مِنْ أَمْرِهِ قَدْ أَغْلَقَ دُونَهُ الْبَابَ أَهْلُهُ".

يتبين ان الصراع السياسي بين افراد المجتمع قد بدأ قبل الفراغ من تجهيز رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ويتضح ان كبار الافراد من مجتمع الانصار والمهاجرين قد انخرطوا في هذا الصراع وبحسب الدراسة السائدة للتاريخ ان ابو بكر بن قحافة وعمر بن الخطاب كانوا اشد حبا لرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لكن في هذه الرواية نجدهم لم يعيروا أي اهتمام لموته بل كان جل اهتمامهم منصبا على السيطرة على الحكم، ولم يكن مع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) منذ بداية الدعوة الإسلامية وحتى وفاته حيث ان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مات بحجره^(٤).

(١) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي، أمه صفية بنت عبد المطلب، خالف بيعة أبي بكر وانحاز إلى الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، كان من بين الذين ثاروا على عثمان بن عفان، وقد بايع الإمام طوعاً فلم ينبث حتى نكت بيعته وخرج عليه مع اصحاب الجمل وقد قتل في معركة الجمل. يُنظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٨، ص ٣٣٩-٣٧٠؛ الذهبي، تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٢٧٤ - ٢٨٠.

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي التيمي، وأمّه الصعبة بنت عبد الله الحضرمية، لم يشهد بدرًا وشهد احد وما بعدها من المشاهد، بايع بيعة الرضوان، وكان شديداً على الخليفة عثمان، قتل طلحة يوم الجمل الذي كان محارباً ضد الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ). يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٨٤ - ٨٧.

(٣) سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج الأنصاري، يكنى أبا ثابت، كان سيّداً في الأنصار مقدما وجيهاً له رئاسة وسيادة، وهو احد النقباء شهد العقبة وكل المشاهد ما عدا معركة بدر، لم يبايع ابو بكر وخرج أيام خلافة عمر بن الخطاب إلى الشام وقتل هناك في سنة (١٤ هـ / ٦٣٥م)، يُنظر: ابن حبيب، المحبر، ص ٢٦٩؛ الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٥٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٢٧٠.

(٤) روي عن الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) انه قال (وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَإِنْ رَأْسُهُ لَعَلَى صَدْرِي، وَلَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسَهُ فِي كَفِّي فَأَمَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي، وَلَقَدْ وُلِيتُ غُسْلَهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي) يُنظر: الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج ١، ص ٣١١.

المبحث الرابع

تباين الموقف المجتمعيّ من حكم الخلفاء الراشدين

مثّل عصر الخلفاء الراشدين مرحلةً تأسيسية في تشكّل البنية المجتمعيّة والسياسية للمجتمع الإسلامي، وشهد في داخله تبايناً واضحاً في المواقف المجتمعيّة من حكم الخلفاء منها :

أولاً: الخليفة أبو بكر الصديق (١١- ١٣هـ/ ٦٣٢- ٦٣٤م)

انقسم المجتمع الإسلامي منذُ لحظات اجتياز رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إذ حدث اختلاف ولغط شديد بين الحاضرين، فكان رد رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عليهم بأنه قال : "قَوْمُوا عَنِّي، لَا يَنْبَغِي عِنْدِي النَّزَاعُ"^(١)، واستكملت عملية الانقسام والاختلاف شكلها النهائي في حادثة السقيفة^(٢) التي فتحت الباب أمام تشظي جسد المجتمع الإسلامي، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة الخطرة، في قوله تعالى﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٣).

جسد اجتماع السقيفة بداية خلاف سياسي عميق فلم يكن هذا الحدث مجرد فصل عابر في التاريخ بل كان نقطة تحول تاريخية تركت بصمتها في الهوية الفكرية والسياسية للمجتمع الإسلامي، وقد حدث تباين في المواقف في السقيفة حيث احتج مجتمع الأنصار بفضلهم على

(١) البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٤، مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٢٥٩.

(٢) سقيفة بني ساعدة : تقع في الجهة الشمالية الغربية من المسجد النبوي، وهي ظلة كان يجلس تحتها الأنصار، وقد كانت دور قبيلة بني ساعدة امام السقيفة، يُنظر، الزمخشري، الجبال والأمكنة والمياه، ص ١٧٤؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٢٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٣٧ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

الدعوة الإسلامية وسابقتهم في الدين ونصرة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ^(١)، ولم يسعى زعيم الأنصار سعد بن عبادَةَ الخزرجي، أن ينتخب رئيساً للجماعة الإسلامية بقدر ما رغبته في تجنب هيمنة جماعة قريش على الأمور السياسية والاجتماعية، ذلك لأن سيطرة جماعة قريش ستؤثر سلبيًا على حقوق مجتمع الأنصار ومكانتهم، خاصة وأنهم كانوا يشعرون بثقل جماعة المهاجرين لذلك فقد اوصاهم رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قائلاً: "يا معشر المهاجرين؛ استوصوا بالأنصار خيراً، فَإِنَّ النَّاسَ يَزِيدُونَ وَالْأَنْصَارُ عَلَى هَيْئَتِهَا لَا تَزِيدُ، وَإِنَّهُمْ كَانُوا عِيبَتِي الَّتِي آوَيْتُ إِلَيْهَا، فَأَحْسِنُوا إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مَسِيئِهِمْ" ^(٢).

تغيرت الأحداث في السقيفة بعد انخراط كبار الصحابة أبرزهم أبو بكر وعمر بن الخطاب، وارتكزت حجج جماعة المهاجرين على عنوان القرشية، وتمثل ذلك بقول عمر بن الخطاب "وَاللَّهِ لَا تَرْضَى الْعَرَبُ أَنْ تُؤَمِّرَكُمْ وَنَبِيِّهَا مِنْ غَيْرِكُمْ، وَأُولَاهُمْ بِهَا مَنْ كَانَتْ النُّبُوَّةُ فِيهِمْ، لَنَا بِهِ الْحُجَّةُ الظَّاهِرَةُ وَالسُّلْطَانُ الْبَيِّنُ، لَا يُنَازِعُنَا سُلْطَانٌ مُحَمَّدٍ وَنَحْنُ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا مُدْلٍ بِبَاطِلٍ أَوْ مُتَجَانِفٌ لِإِثْمٍ أَوْ مُتَوَرِّطٌ فِي هَلَكَةٍ" ^(٣)، كما احتج جماعة المهاجرين بحكم سابقتهم في الإسلام "نَحْنُ أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا، وَأَوَسَطُهُمْ دَارًا، وَأَكْرَمُهُمْ أُنْسَابًا، وَأَمْسُهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ رَحِمًا... وَلَنْ تَدِينِ الْعَرَبُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ" ^(٤).

أن مجتمع الأنصار لم يكونوا يشكلون فئة موحدة، فكان هناك الأوس من جهة والخزرج من جهة ثانية وكان بينهم في الماضي صراعات ونزاعات من الطراز القبلي، فوحدتهم الإسلام داخل قضية مشتركة، صحيح أنهم كانوا يشكلون في اجتماع السقيفة جبهة موحدة لكنها سرعان ما

^(١) يُنظر: الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢١٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٨٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٤، ص ٢٦٥.

^(٢) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٥٥٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٢١٩؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج ٢، ص ٤٠٦.

^(٣) الواقدي، الردة، ص ٣٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٢٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٩١.

^(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ١٥٠؛ الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ١٩٩؛ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٢، ص ٢٥٤.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

تتصدع أمام مقاومة جماعة المهاجرين^(١)، الذين يعلمون إن العلاقة بين مجتمع الأنصار (الأوس والخزرج) علاقةً هشّةً فالروح القبليّة كانت موجودة لكن استطاع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أن يحجبها، لذلك لم يرحب جماعة الأوس بتولي الخزرج الامارة عليهم، فتفككت وحدة مجتمع الأنصار وانقسموا فيما بينهم فمال جماعة الأوس نحو المهاجرين^(٢).

في اجتماع السقيفة لم يكتف بتبادل الآراء والحجج فيروي ان شوارع المدينة كانت تغص بأفراد قبيلة أسلم^(٣)، حيث اقبلوا بجموعهم وتضايقت بهم السكك وإن جماعة السقيفة كانوا لا يملكون بأحد الا اعتدوا عليه وقدموه فمدوا يده يمسحونها على يد ابو بكر يبايعه شاء ذلك او أبي^(٤)، فكان عمر بن الخطاب يقول " لما رأيت أسلم ايقنت بالنصر، فلما كثر اللغط وارتفعت الاصوات حتى تخوفت الاختلاف فقلت لابي بكر ابسط يدك لأبايعك"^(٥)، يتضح من ذلك أنّ الظروف المحيطة تضمنت ضغوطاً عسكرية وممارسات لفرض البيعة بالقوة.

ومن الجدير بالذكر ان عمر بن الخطاب اكثر شخص غير متسق في مواقفه حيث يغير مواقفه حسب الظروف المحيطة فنجد في بيعه غدير خم^(٦) تلك الحادثة التي وقعت في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة من السنة العاشرة من الهجرة حيث نصب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الإمام علي (عليه السلام) خليفة من بعده حيث قال : "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ"^(٧)، وقد نزل

(١) يُنظر: هشام جعيط ، الفتنة جدلية الدين، ص ٣٦.

(٢) يُنظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٥٤٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٢١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٩٢.

(٣) قبيلة أسلم: ينتسبون إلى أسلم بن أفسى بن حارثة بن عمرو ابن عامر، وهم بطن من خزاعة . يُنظر: عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، ج ١، ص ٢٦ .

(٤) يُنظر: الجوهري، السقيفة وفدك، ج ١، ص ٤٦؛ مقاتل ابن عطية، أبهى المداد، ج ١، ص ٤٦٩؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٤٣.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٢٢؛ الماوردي، الحاوي الكبير، ج ١٤، ص ٩٩ .

(٦) غدير خم: واد بين مكة والمدينة على مقربة من الجحفة وهي من المواقيت التي يُحرم منها الحجاج للحج أو العمرة. يُنظر: الحازمي، الأماكن، ص ٧١٥؛ القطيعي، مراصد الاطلاع، ص ٩٨٥ .

(٧) ابن مزاحم، وقعة صفين، ص ٣٣٨؛ ابن أبي شيبة، المصنف، ج ١٨، ص ٥٧؛ ابن حنبل، مسند أحمد، ج ٢، ص ٧١؛ الجاحظ، العثمانية، ص ١٥٤.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١)، وكان في الحادثة جمع مشهود من المسلمين والذي برز بينهم موقف عمر بن الخطاب الذي بايع الإمام عليّ (عليه السلام) قائلاً: "بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم"^(٢)، فنجدته في حادثة الغدير يبايع عليّ بن أبي طالب وفي السقيفة يبايع أبو بكر حسب رغباته وتطلعاته للسلطة فلا يتبع موقفاً ولا رأياً ثابتاً.

حسم خلاف السقيفة بفرض الأمر الواقع لا بالتراضي ولا بالاختيار فقد جرى تأسيس سلطة سياسية من دون شورى بين مجتمع المسلمين تؤسس لها شرعيتها^(٣) يؤكد ذلك قول عمر بن الخطاب "ما كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فُلْتَةً، وَقَى اللَّهُ شَرَّهَا"^(٤)، مما يهدم ركنا ركينا قامت عليه الدراسة السائدة للتاريخ الإسلامي على أن السلطة انتقلت إلى أبو بكر عن طريق الشورى واتفاق المجتمع الإسلامي، كما ان المجتمعين في السقيفة لم يجمعوا على أبو بكر بل كانوا متباينين في الأمر، وفرضاً لو قلنا باتفاقهم فإن من كان في السقيفة لم يمثل إلا عدداً محدوداً من سكان المدينة، فضلاً عن بقية أفراد الدولة الإسلامية، ناهيك عن عدم الأخذ بمعيار القرشية المزعّم به في السقيفة .

وقد تباينت المواقف منبيعة أبو بكر حيث لم يبايعه جماعة الأنصار وشكلوا تكتل معارض لخلافة أبو بكر وعلى رأسهم زعيم الخزرج سعد بن عبادة الخزرجي الذي رفض مبايعه أبو بكر فهدده عمر بن الخطاب الذي اراد أخذ البيعة منه بالقوة وأمر بقتله^(٥) فتصدى له ولده قيس بن

(١) سورة المائدة، الآية ٣ .

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٩ ، ص ٢٢٢؛ الخوارزمي، المناقب، ص ١٥٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٢٣٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٧٤ .

(٣) يُنظر: شهيد كريم الكعبي، النبوة والإمامة، ج ٢، ص ١١٩ .

(٤) الجاحظ، العثمانية، ص ٢١٦؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٥٨؛ النسائي السنن الكبرى، ج ٦، ص ٤٠٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٠٥؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ١٥٣ .

(٥) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٢٢؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ٩٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٤، ص ٢٦٦؛ ابن خلدون، العبر، ج ٢، ص ٤٨٨ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعي وجذوره في التاريخ الإسلامي

سعد بن عباد^(١)، الذي أخذ بلحية عمر بن الخطاب وقال والله لو لمست منه شعرة ما رجعت وفيك واضحة^(٢)، خاصة وإن الأنصار في اجتماع السقيفة قد ادركوا أحقية علي بن أبي طالب (عليه) (عليه السلام) بالخلافة لذلك تعالت الأصوات بالقول لا نبايع إلا علي (عليه السلام)^(٣) .

وتباين موقف بني هاشم منبيعة أبو بكر حيث أنهم وقت الصراع على السلطة كانوا منشغلين بتجهيز رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) واتخذ الإمام علي (عليه السلام) دور المعارضة السلبية، فهو منذ وفاة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لم يخرج من داره ولم يتعرض لقضية الحكم ، وقد وصف (عليه السلام) أحداث تلك الحقبة بقوله "أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير فسدت دونه ثوباً وطويت عنها كشحاً وطففت أرثي بين أن أصول بيد جداء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكذب فيها مؤمن حتى يلقي ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجاً أرى ثراثي نهياً"^(٤).

لم يحاول الإمام (عليه السلام) مواجهة المجتمع من أجل حماية الإسلام وأهله خاصة وإن الغوغائيين كانوا ينتظرون وقوع مثل هذا الخلاف لزعة الإسلام من الداخل فأبو سفيان كان ينادي "إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم! يا آل عبد مناف، فيم أبو بكر من أمورك؟ أين المستضعفان؟ أين الأدلان علي والعباس؟ ما بال هذا الأمر في أقل حي من قریش؟ ثم قال

(١) قيس بن سعد بن عباد بن حارثة الأنصاري الخزرجي كان من كرام أصحاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأسخيائهم وأحد أهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة والبسالة والكرم وكان شريف قومه، وقد صلب قيس الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وشهد معه الجمل وصفين والنهروان، يُنظر: الطوسي، رجال الطوسي، ص ٧٩، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٤، ص ٢١٢ .

(٢) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٢٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٤، ص ٢٦٦؛ الشريف المرتضى، الشافي، ج ٣، ص ١٩٠ .

(٣) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٠٢؛ مقتل ابن عطية، أبهى المداد، ج ١، ص ٤٦٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٨٧، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٢ .

(٤) الصدوق، علل الشرائع، ج ١، ص ١٨٨-١٨٩؛ الطوسي، الرسائل العشر، ص ١٢٥؛ المفيد مسألتان في النص ، ج ٢، ص ٢٨؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٧٥ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

لَعَلِّي: انبسطَ يَدُكَ أَبَايَعُكَ، فَوَاللَّهِ لئنْ شِئْتُ لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْهِ خَيْلًا وَرَجُلًا"، فكان الإمام عليّ (عليه السلام) يعرف غايته لذلك قام "بزجره" وقال: وَاللَّهِ إِنَّكَ مَا أَرَدْتَ بِهَذَا إِلَّا الْفِتْنَةَ، وَإِنَّكَ وَاللَّهِ طَالَمَا بَغَيْتَ لِلْإِسْلَامِ شَرًّا! لَا حَاجَةَ لَنَا فِي نَصِيحَتِكَ"^(١).

كان يتردد على الإمام عليّ (عليه السلام) الخواص من الذين لم يبايعوا أبي بكر^(٢) مما ازعج السلطة الحاكمة آنذاك ووجدوا في موقفه فرصة لتوسيع دائرة المواجهة ضد افراد المهاجرين الرافضين لبيعة ابو بكر والتعجيل في فرض البيعة لجعلها بيعة عامة وإجبار الجميع للاعتراف بها بما فيهم الإمام عليّ (عليه السلام)، لذلك لجأوا إلى استخدام العنف والشدة والمداهمة العسكرية فقصدهم عمر بن الخطاب في جماعة فألفوهم مجتمعين في بيت الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وقد هددهم عمر بن الخطاب بحرق الدار عليهم او الخروج لإعطاء البيعة^(٣)، وقد ورد الاعتداء على بيت الصديقة في المصادر، فقد ذكر ابن قتيبة أن عمر بن الخطاب جاء إلى بيت الصديقة فاطمة (عليها السلام) ومعه جمع من الصحابة وهددهم بإحراق الدار إن لم يخرج من فيها^(٤)، وقد انتهكوا حرمة بيت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) واضرموا فيه النيران وقد تندم أبو بكر على هذا التصرف حيث قال: "وددت أنني لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وأن أغلق على حرب"^(٥).

وكان هناك موقف لقبيلة تميم وزعيمها مالك بن نويرة اليربوعي^(٦)، الذين رفضوا مبايعة ابو بكر وعارضوا مقررات اجتماع السقيفة، وامتنعوا عن دفع الزكاة لعمال الخليفة، وقد تعامل معهم

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٠٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٨٧-١٨٨.

(٢) يُنظر: مقاتل ابن عطية، أبهى الممداد، ج٢، ص٣٩٥؛ أبي الفداء، المختصر في تاريخ البشر، ج١، ص١٦٦.

(٣) يُنظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٣؛ مقتل ابن عطية، أبهى الممداد، ج٢، ص٣٩٥؛ أبي الفداء، المختصر في تاريخ البشر، ج١، ص١٦٦.

(٤) يُنظر: الإمامة والسياسة، ج١، ص١٩.

(٥) الطبراني، المعجم الكبير، ج١، ص٦٢؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٠، ص٤٢٢؛ العسقلاني، لسان الميزان، ج٥، ص٤٧٤.

(٦) مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع التميمي اليربوعي، أدرك الإسلام وأسلم ولاء رسول

الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) صدقات قومه بني يربوع، قتله خالد بن الوليد صبراً سنة ١١هـ. يُنظر: ابن عبد

البر، الاستيعاب، ج٣، ص٦٦٢.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

الخليفة بالبطش والقتل والسبي وعدهم من المرتدين عن الإسلام، فأرسل إليهم خالد بن الوليد^(١) الذي قام بقتل مالك بن نويرة وانتهك حرمة^(٢) وهذا الفعل بعيد عن مبادئ الدين الإسلامي والالتزام الاجتماعي ويمثل انتهاكًا صارخًا للقيم الإنسانية .

ثانيًا: الخليفة عمر بن الخطاب (١٣- ٢٣ هـ / ٦٣٤ - ٦٤٣ م)

شكلت خلافة عمر بن الخطاب منعطفًا حاسمًا في التاريخ السياسي للإسلام المبكر، حيث اتسمت بسمة انتقال السلطة بالتوصية مما أثار تباينًا ملحوظًا في مواقف المجتمع آنذاك، وذلك نتيجة لطبيعة انتقال السلطة التي لم تعتمد على شورى يؤخذ فيها رأي الناس حتى يكتسب الحاكم شرعيته، بل جاءت بتوصية مباشرة من أبو بكر^(٣) وقد رحب بعض الفئات بهذه الخطوة باعتبارها استمرار لضمان امتيازاتهم^(٤)، وفي المقابل عبرت فئات من المجتمع عن رفضهم لتوليّه عمر إذ قالوا لأبي بكر "تَسْتَخْلِفُ عَلَيْنَا عُمَرَ فَظًا غَلِيظًا، فَلَوْ قَدْ وَلَيْنَا كَانَ أَفْظَ وَأَغْلَظَ، فَمَاذَا تَقُولُ لِرَبِّكَ إِذَا لَقِيتَهُ، وَقَدْ اسْتَخْلَفْتَ عَلَيْنَا عُمَرَ؟"^(٥)

ثالثًا: الخليفة عثمان بن عفان (٢٣ - ٣٥ هـ / ٦٤٣ - ٦٥٥ م)

أضحى المجتمع الإسلامي على خلافة عثمان بن عفان، وذلك بعد تعيين عمر بن الخطاب ستة أشخاص للشورى على أن يتم اختيار واحد منهم للخلافة على اعتبار أن رسول الله

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، كان من أشرف قريش في الجاهلية، شهد مع مشركيهم حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية، وأسلم قبل فتح مكة سنة ٧ هـ، ولما ولي أبو بكر وجهه لقتال مسيلمة ومن ارتد من أعراب نجد، ثم سيره إلى العراق سنة ١٢ هـ، ولما ولي عمر عزله عن قيادة الجيوش بالشام، مات سنة ٢١ هـ. يُنظر: ابن الجوزي صفة الصفوة ج ١، ص ٢٦٨؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٤١٣.

(٢) الواقدي، الردة، ص ١٠٧ .

(٣) يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٢٧٤؛ ابن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢، ص ٦٧١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٢٩.

(٤) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١٠، ص ٨٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٢٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٦٧.

(٥) ابن أبي شيبة، المصنف، ج ٢١، ص ١٥١؛ الخلال، السنة، ج ١، ص ٢٧٥؛ السيوطي، جامع الاحاديث، ج ٢٤، ص ٣٧٧.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مات وهو راضٍ عنهم وهم كل من (الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف^(١)، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص^(٢)، والزبير بن العوام وقد قام عمر بن الخطاب بتطوير معايير الاختيار حيث حصر الاختيار ما بين هؤلاء الستة وحصر عملية الاختيار بشخص واحد كما سيتبين ذلك من قوله "إِذَا رَضُوا رَجُلًا وَأَبَى وَاحِدٌ فَأَشَدُّ رَأْسَهُ.. وَإِنْ اتَّفَقَ أَرْبَعَةٌ فَرَضُوا رَجُلًا مِنْهُمْ وَأَبَى اثْنَانِ، فَاضْرِبْ رُءُوسَهُمَا، فَإِنْ رَضِيَ ثَلَاثَةٌ رَجُلًا مِنْهُمْ وَثَلَاثَةٌ رَجُلًا مِنْهُمْ... فَكُونُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَاقْتُلُوا الْبَاقِينَ"^(٣)، وَإِنْ ضَرَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يَأْخُذِي يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى فَبَايَعُوهُ"^(٤)، وقد عبر الإمام عليّ (عليه السلام) على هذه السياسة الموجهة التي تتسم بالتحيز والانحياز وغياب المساواة والحرية في الاختيار فقال: "إن عمر جعلها شورى، فجعلني سادس ستة كسهم الجدة، وقال: اقتلوا الأقل، وما أراد غيري، فكظمت غيظي، وانتظرت أمر ربي، وألصقت كللي بالأرض"^(٥).

مع تعييب دور المجتمع في الشورى التي وضعها عمر بن الخطاب تم حسم أمر الخلافة حسب المعيار الذي وضعه لضمان وصول عثمان بن عفان إلى الخلافة، وذلك بعد أن مال كل طرف إلى مصلحته ويتضح ذلك بقول الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِصِغْنِهِ، وَمَالَ

(١) عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي يكنى أبا محمد ولد بعد عام الفيل بعشر سنين، هاجر إلى أرض الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة المنورة، وقد أخى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بينه وبين سعد بن الربيع، كان من بين ستة أشخاص اختارهم عمر بن الخطاب وجعل الشورى بينهم، مات سنة ٣٢ هـ . يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ٥١١ - ٥١٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٣١٣.

(٢) سعد بن أبي وقاص مالك الزهري القرشي، كان أحد الصحابة الذين امتنع عن بيعه الإمام علي (عليه السلام) وانضم إلى معاوية في الشام، قاد الفتوحات الإسلامية وبنى مدينة الكوفة توفي سنة ٥٥ هـ. يُنظر: الطوسي، رجال الطوسي، ص ٤٠؛ الشريف المرتضى الشافعي في الإمامة، ج ٢، ص ١٢٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٢٨٨.

(٣) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج ٣، ص ٩٢٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٢٩؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ١، ص ٤١٨؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج ٣، ص ٣٢٩.

(٤) ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٧٣٢؛ السيوطي، الجامع الكبير، ج ١٦، ص ٤٦٧؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٥، ص ٧٤٣.

(٥) المفيد، الأمالي، ص ١٥٤؛ ابن طاووس، طرف من الأنباء، ص ٤٧١؛ البحراني، حلية الأبرار، ج ٢، ص ٣٠١.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

الآخر لِصِهْرِهِ^(١)، فيتبين أن خلافة عثمان بن عفان كسابقتها من الخلافة لم تراعي فيها الشورى ذلك لان آلية الشورى اجتماعية يشارك فيها كل افراد المجتمع، ويكتسب الخليفة شرعيته الحقيقية من الناس وليس من الخواص .

بحكم ارتباط نسب الخليفة بالعائلة الأموية فإنه قام بتقريب أفرادها وأسند اليهم المناصب العليا في الدولة واغدى عليهم الأموال وأرجع طلقاء الفتح^(٢)، مما أنتج تجاهه تباين في المواقف وذلك بسبب سياسته حيث اصبح مغتصباً لبيت مال المسلمين وهذا ما اغضب فئات من المجتمع الإسلامي لأنه نفع نفرًا قليلًا ببذخه واضر بالكثير، لذلك سيكون مركزه في حرج ويحدق به الخطر، فقد استوطنت في قلب المجتمع الإسلامي بنية مزدوجة ومتناقضة مكابرة للخليفة في محاباته لعائلته الأموية وإفراطه في إباحته وتسليفاته المالية والتسهيلات للأمويين، أي انتهجه سياسة ملكية عائلية أدت بالنهاية إلى وصول الأمويين إلى سدة الحكم، والاستيلاء على الدولة الإسلامية لصالح أسرة لم يحسن إسلامها ومحتفظة بأثار العداء للإسلام^(٣).

نجم عن سياسته واعتماده على العائلة الأموية، ظهور فئات معارضة تمثلت بكبار الصحابة في المدينة وكان في مقدمتهم أبو ذر الغفاري^(٤)، الذي سعى إلى تقليص تأثير التدخل السياسي والاقتصادي المستند على التمايز الطبقي وتعزيز هيمنة العائلة الأموية، فأعلن موقفه بشكل علني رافضاً لسياسة استغلال المناصب الادارية، وعارض تراكم الثروات الناتج من الهبات

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٤٩ .

(٢) أرجع الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من منفاه ، ووصله بمائة ألف، واقطع لمروان بن الحكم أرض فدك، وأقطع عثمان بمهزور موضع سوق المدينة للحارث بن الحكم، وأعطى عبد الله بن أبي سرح أخاه من الرضاعة، جميع ما أفاء الله على المسلمين من فتح افريقية، من غير أن يشركه فيه أحد، وافتتح أرمينية، فأخذ خمس الفية فوهبه لمروان بن الحكم . يُنظر: ابن قتيبة، المعارف، ج ١، ص ١٩٥؛ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج ٥، ص ٣٥ - ٣٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ١٠٨ .

(٣) يُنظر: هشام جعيط، الفتنة جدلية الدين، ص ٦٧ .

(٤) أبو ذر الغفاري : هو جندب بن جنادة ، أسلم بمكة وكان من السابقين بالإسلام، هاجر مع رسول الله الى المدينة ، قال فيه رسول الله (رحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده) ، كان زاهدًا عالمًا امرًا بالمعروف، خرج إلى الشام فأقام بها حتى وقع بينه وبين معاوية خلاف فاستقدمه عثمان إلى المدينة، مات سنة ٣٢ هـ او ٣٣ هـ، يُنظر : الطوسي، رجال الطوسي، ج ١، ص ١٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٦ .



الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعي وجذوره في التاريخ الإسلامي

التي منحها الخليفة لأقاربه^(١)، فضلاً عن هيمنة النزعة القبلية، فقاد حملة شاملة تهدف إلى توعية المجتمع محاولاً تحفيز الرأي العام على مواجهة هذه القضايا والظواهر الاجتماعية السلبية، واجتنب موقفه الفقراء ذلك لأنه قد عبر عن النقمة في صدورهم تجاه السلطة الحاكمة، و قد جوبه موقف الصحابي أبو ذر بالنفي خارج المدينة إلى بلاد الشام، ثم نفي مرة أخرى إلى الربذة^(٢).

كما كان هناك موقف آخر تمثل بالصحابي عبد الله بن مسعود^(٣) (ت ٣٢هـ / ٦٥٢م) الذي وقف موقفاً حازماً تجاه سلوك الخليفة وتصرفاته للاعقلانية حيث لم يحاسب الولاة على الرغم من سوء سيرتهم، و عارض سياسة الترف وسوء استغلال السلطة، حيث كان عبد الله بن مسعود خازناً لبيت مال الكوفة، أي انه كان مسؤولاً على أموال المجتمع الإسلامي وكان يعتبر رمزاً للعدالة الاجتماعية حين رفض ان يكون مجرد خازن لمصالح شخصية بل أكد انه خازن للمسلمين جميعاً وذلك عندما أخذ الوليد بن عقبة^(٤) اخو عثمان لأمه، مالاً من بيت المال ولما طالبه بسداده رفض ذلك فكتب عثمان لعبد الله " إنما أنت خازن لنا، فإذا أعطيناك فخذ، و إذا سكتنا عنك فاسكت، فقال عبد الله : كذبت والله ما أنا لك بخازن ولا لأهل بيتك، إنما أنا خازن المسلمين"، وقد جاء بمفتاح بيت المال يخطب فقال: "أيها الناس زعم عثمان إني خازن له ولأهل بيته، وإنما كنت

(١) يُنظر: هشام جعيط، الفتنة جدلية الدين، ص ٧٤ .

(٢) الربذة: وهي قرية تقع شرق المدينة على طريق الحجاز يوجد فيها قبر الصحابي ابو ذر الغفاري الذي توفي سنة ٣٢هـ . يُنظر : ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤.

(٣) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، صحابي جليل من قبيلة الهذيل، حليف قبيلة بني زهرة بن كلاب، عُرف بعلمه وورعه وتقواه، شارك في معركة بدر مع النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، ما يضعه ضمن صفوف السابقين الأولين في الإسلام، امتاز بنشاطه في الدعوة والتعليم، وكان من رواة الحديث النبوي الشريف، حيث نقل العديد من الأحاديث عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، توفي في خلافة عثمان بن عفان، ودفن في البقيع بالمدينة المنورة. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٩٣ .

(٤) الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمر من أمية بن عبد شمس، وأمه اروي بنت كريب بن حبيب، أخو عثمان بن عفان لأمه، اسلم بعد فتح مكة، قيل نزلت فيه الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِبْهُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نُدْمِينَ﴾، سورة الحجرات، الآية ٦، لان رسول الله لما بعثه إلى بني المصطلق لجمع الصدقات، عاد وأخبر رسول الله أنهم ارتدوا ومنعوا صدقاتهم، لكن تبين عكس ذلك، والي عثمان على الكوفة، شهد مع معاوية صفين، توفي بالربقة. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٢٥؛ ابن حبان، مشاهير علماء الامصار، ص ١٧٧؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١١٤-١١٧.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعي وجذوره في التاريخ الإسلامي

خازنا للمسلمين، وهذه مفاتيح بيت مالكم ورمى بها^(١)، ولم يكتف عثمان عند هذا الحد بل تعدا إلى انتهاكات جسيمة لحقوق الافراد حيث استدعاه إلى المدينة وانزل به عثمان عقاباً خطيراً حتى كسرت اضلاعه ومات جراء ذلك^(٢)، وذلك بسبب موقفه النقدي اتجاه سياسة عثمان ودفاعه عن ضمان حقوق أفراد المجتمع.

كما اعترض الصحابي عمار بن ياسر^(٣) (ت ٣٧هـ/ ٦٥٧م)، على فعل الخليفة عثمان عندما أباح لنفسه ولأسرته بأخذ الحلي والمجوهرات من بيت مال المجتمع الإسلامي، وهذا الفعل اغضب عمار بن ياسر فتعالت الأصوات بالتدديد بهذا الفعل وذلك لأنه يعتبر تعدي على حقوق أفراد المجتمع، فأمر الخليفة بالقبض عليه والتكيل به^(٤)، وبأفعال الخليفة هذه من نفي أبا ذر الغفاري والتعدي بالضرب على عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر قد مزق كل أواصر التكافل الاجتماعي التي كانت تربط افراد المجتمع .

امتلك هؤلاء الصحابة الشجاعة والأيمان المطلق في قضيتهم المقدسة التي توجب بضرورة قيام كيان جماعي متلاحم من أجل مواجهة السلطة الحاكمة وفرض المساواة الاجتماعية بين افراد المجتمع^(٥)، فشكّلوا بذلك مصدر قلق للسلطة الحاكمة؛ ذلك لأن النضال ضد التحيز سيؤدي إلى تأسيس نظام اجتماعي قائم على المساواة وقواعد العقل والمنطق، وستخلق المعرفة الحقيقية لدى افراد المجتمع بضرورة الدفاع عن حقوقهم المشروعة، والابتعاد عن كل تشيع وتحيز فيولد لديهم حرية التفكير، لذلك فإن السلطة والمستفيدين يلجأون الى تضيق الخناق على حرية التفكير، ذلك لأن مصالحهم تتطلب استمرار الخطأ والأنانية وتركيز الأوهام على أن الخلافة ثوب البسه الله

(١) يُنظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٦٩.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٤٧ .

(٣) عمار بن ياسر، أبو اليقظان بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين، من قبيلة عنس، وأحد صحابة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، ومن السابقين الأولين إلى الإسلام، كان حليفاً لبني مخزوم، وشهد مع النبي بَدْراً وسائر المشاهد، استقرّ لاحقاً في الكوفة، وشارك مع الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في وقعة الجمل، واستشهد في معركة صفين. يُنظر : ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٩٣ .

(٤) يُنظر: ابن شبة، تاريخ المدينة، ج ٣، ص ١١٠١ .

(٥) إريك هوفر، المؤمن الصادق، ص ١٧١ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

للخليفة فكل ما يفعله لا يجب الاعتراض عليه، وسبب ذلك أنهم يدافعون عن امتيازات غير مشروعة^(١).

كان هناك موقف شديد المعارضة في المدينة تمثل بموقف زوج النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) السيدة عائشة التي افتت بقتل عثمان بن عفان قائله " اَقْتُلُوا نَعْلًا فَقَدْ كَفَرُ" ^(٢)، فساد المجتمع جو الاستياء والالتباس وقد وصل ذروته عندما حرّضت السيدة عائشة المجتمع الإسلامي على الخليفة فكانت تخرج ثياب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وتقول: "يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله لم يبل ، وقد أبلى عثمان سنته" ^(٣)، فأدت السيدة عائشة دورًا كبيرًا في تأجيج الرأي العام ضد عثمان بن عفان، فاخلع مجتمع المدينة الطاعة ونكثوا ببيعة الخليفة، لذلك أرسل الخليفة طلب المساعدة والمساندة من العائلة الأموية التي كان يتدفق عليها بالأموال لكنهم لم يستجيبوا له^(٤).

وتصاعدت حدة المعارضة حتى شملت الأمصار الإسلامية، فقد عُين سعيد بن العاص^(٥)، واليًا على الكوفة الذي أظهر النزعة الاستعلائية لقريش حيث قال في أحد مجالسه الذي كان يضم كبار زعماء المجتمع الكوفي " إنما هذا السواد بستان لقريش" ^(٦)، ولم يلق هذا التصريح

(١) عبد الجليل الطاهر، أصنام المجتمع، ص ٥٧- ٥٨ .

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٥٩؛ ابن أعمش الكوفي، الفتوح، ج ٢، ص ١٧١؛ الطوسي، تلخيص الشافي، ج ٤، ص ٧٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥٧٠ .

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٥؛ المفيد، الجمل، ص ١٢٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ج ٣، ص ٩ .

(٤) نص الرسالة التي بعثها عثمان (إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَهُوَ بِالشَّامِ: ... فَإِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ قَدْ كَفَرُوا وَأَخْلَفُوا الطَّاعَةَ، وَنَكَثُوا النُّبِيَّةَ، فَأَبْعَثْ إِلَيَّ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ مُقَاتِلَةِ أَهْلِ الشَّامِ ..، فَلَمَّا جَاءَ مُعَاوِيَةَ الْكِتَابُ تَرَبَّصَ بِهِ، وَأَبْطَأَ). يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٦٨؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ١، ص ٤٤٩ .

(٥) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، ولاه عثمان ولاية الكوفة، لما قتل عثمان لزم بيته واعتزل الفتنة، ولم يشهد معركة الجمل وصفين مع أي من الطرفين، ثم ركن إلى معاوية لما آلت إليه الأمور. يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ١٨٣-١٨٤؛ ابن حجر، الإصابة، ج ٣، ص ٩٠ .

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٢٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥١٢؛ ابن خلدون، العبر، ج ٢، ص ٥٨٩ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

قبولاً لدى مجتمع الكوفة، فقام مالك الأشتر^(١) معبراً عن استيائه ومتسائلاً "أَتَزْعُمُ أَنَّ السَّوَادَ الَّذِي أَفَاءَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا بِأَسْيَافِنَا بُسْتَانُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ! وَاللَّهِ مَا يَزِيدُ أَوْفَاكُمْ فِيهِ نَصِيبًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَأَحَدِنَا، وَتَكَلَّمَ مَعَهُ الْقَوْمُ ... فَجَعَلُوا يَجْلِسُونَ فِي مَجَالِسِهِمْ وَيُؤْتِيهِمْ يَشْتَمُونَ عُثْمَانَ وَسَعِيدًا"^(٢)، وقد شكاهم الوالي للخليفة بعد ضربهم صاحب شرطته فأمر الخليفة بنفيهم الى الشام^(٣).

نجد ان سبب تباين موقف المجتمع الكوفيّ هو بسبب سياسة الخليفة وسلوك ولاته وغياب العدالة والمساواة المجتمعيّة، التي أدت إلى تراكمات سلبية متعددة أثرت على المجتمع ككل حيث اشتدت المعارضة في الامصار فسارت الوفود من الولايات الكوفة والبصرة ومصر واعلنوا مطالبتهم بالإصلاح^(٤) وارتفعت مطالب المعارضة وكثر الضجيج واخذت الامور تصل الى حدتها فضربوا حصاراً على الخليفة الذي انتهى بمقتله.

رابعاً: الإمام عليّ (عليه السلام) (٣٥ - ٤٠ هـ / ٦٥٥ - ٦٦٠ م)

بايع اكثرية المجتمع الإسلامي الإمام عليّ (عليه السلام) بالخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، فلجأ إليه الناس لعلمهم بأنه الشخص الوحيد المؤهل لقيادة المجتمع، وسعى الإمام عليّ (عليه السلام) إلى إشراك جميع أفراد المجتمع في عملية الاختيار لضمان أن يكون الاختيار واعياً،

(١) مالك الأشتر : هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة النخعي، أسلم في زمن الرسول الأكرم (ص) وظل راسخاً في إسلامه، من اصحاب الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) شهد معه الجمل وصفين والنهروان، ولاه الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مصر، كان معاوية يُدرك أنه لو دخل مالك الأشتر مصر فإنها ستتحول الى قاعدة قوية وراسخة للخلافة العلوية، فدبر خطة لاغتياله، فاستشهد مالك الأشتر في أرض القلزم بمصر على يد نافع مولى عثمان بن عفان الذي سقاه شراباً مزيجاً من السم والعسل فمات، وأن سبب تسمية بالأشتر يعود الى أنه في إحدى المعارك التي خاضها شترت عيناه أي اصببت بشق في جانبها فصار يلقب بالأشتر. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٢١٣؛ الكندي، الولاة، ص ٢١؛ السمعاني، الأنساب، ج ١٣، ص ٦٩ - ٧٠؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٣٣٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٢٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥١٢؛ ابن خلدون، العبر، ج ٢، ص ٥٨٩.

(٣) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٢٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥١٢.

(٤) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٤٩؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٣٩، ص ٣١٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥٢٩.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعي وجذوره في التاريخ الإسلامي

لذا شدد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) على أهمية البيعة بالشورى للجماهير نظراً لحساسية المرحلة والظرف وهذا ما اوضحه في خطابه مع الجماهير قائلاً: "دَعُونِي وَاتَّمِسُّوا غَيْرِي، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا، لَهُ وَجُوهٌ وَأَلْوَانٌ، لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْقُفُولُ، وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ، وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنِ أَجَبْتُكُمْ، رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أَصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتَبِ الْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُكُمْوَنِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ، وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطُوعُكُمْ، لِمَنْ وَلِيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا"^(١).

انهال عليه المجتمع من كل جانب يبايعونه "فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسَ كَغُرْفِ الصُّبُعِ، إِلَيَّ يَنْتَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وَطِئَ الْحَسَنُ وَشَقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِضَةِ النِّعَمِ"^(٢)، فلم تكن بيعة الإمام فلتة^(٣)، فالإمام (عليه السلام) رفض اجبار الأمة على بيعته بل كانت برضاها وقناعتها^(٤)، ولم يستعمل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) اسلوب الترغيب والترهيب في معاملة الناس من اجل الحصول على بيعتهم وقد اوضح ذلك بقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ، وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ"^(٥)، وقوله ايضاً وصف فيه قناعة الأمة اثناء بيعته: "بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنْ ابْتِهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكَعَابُ"^(٦).

تخلف بعض الافراد عن بيعة الإمام علي (عليه السلام) واعتزلوا^(٧) فلم يكثر اليهم الإمام (عليه السلام) ولم يسمح باستخدام القوة ضدهم، وأعلن (عليه السلام) برنامج الإصلاح الذي عزم فيه على تطبيق العدالة والمساواة الاجتماعية التي كانت في عهد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فكانت قريش تشعر بالقلق من شخصية الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، حيث أن سلوكه وعدالته

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ١٣٦ .

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٤٩ .

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ١٩٤ .

(٤) قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : (وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُحْخَرِينَ) . يُنْظَرُ: الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٣٦٣ .

(٥) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٤٤٥ .

(٦) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٣١٥ .

(٧) وهم كل من عبد الله بن عمر، سعد بن أبي وقاص، وأسامة بن زيد، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، وحكيم بن حزام، وحسان بن ثابت الأنصاري. يُنْظَرُ: جواد كاظم النصارالله، أمير المؤمنين، ص ٤٤-٤٥ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

وعلمه وحكمته والتزامه بالدين المحمدي الاصيل وقيامه بالحق واستقامته على الطريق الذي لا ينحرف ولا يميل، يشكل تهديدًا لنفوذهم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وهذا ما بينته الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بقولها: "وَمَا الَّذِي نَقَمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ نَقَمُوا وَاللَّهُ نَكِيرٌ سَيَفِيهِ وَشِدَّةٌ وَطَاطِيَةٌ وَنَكَالٌ وَفَعْتِهِ"^(١).

ولذلك اعترضت الفئات المستفيدة على سياسة المساواة في العطاء، فقد اعترض كل من طلحة والزبير واطهروا الخلاف للإمام عليّ (عليه السلام) حتى قال لهم "فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟ قالوا: خلافك عمر بن الخطاب في القسم، أنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا، وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى علينا بأسيافنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا، وظهرت عليه دعوتنا، وأخذناه قسرا قهرا، ممن لا يرى الإسلام إلا كرها"^(٢).

دانت جميع الأمصار الإسلامية بالطاعة للإمام عليّ (عليه السلام) ما عدا الشام حيث كان فيها معاوية بن أبي سفيان منذ خلافة عمر بن الخطاب^(٣)، الذي جمع حوله الأشقياء المنحرفين، والبغاة من اللصوص والفوضويين، وأمدّهم بالخيول والرجال والسلاح أمرهم بالغارة على البلاد الآمنة التابعة للإمام (عليه السلام)^(٤)، الذي تسبب في زعزعة الأمن واختلال النظام فانتحل دم عثمان، ونشر قميصه مع أصابع زوجته على المنبر^(٥)، وحاول كسب الأفراد المخالفين للإمام عليّ (عليه السلام) كما تعاون مع القبائل المسيحية التي ارتبط بهم بعلاقة مصاهرة واستولى على أموال الشام خاصة وأنه كان واليًا عليها لمدة طويلة فقد استطاع شراء ضمائر النفوس الضعيفة، واخذ يجمع الجموع لمحاربة الإمام (عليه السلام) وقد انضم كل من طلحة والزبير إلى السيدة عائشة

(١) الجوهرى، السقيفة وفدك، ص ١٢٠؛ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ٢٠؛ الآبي، نثر الدر، ج ٤، ص ٨؛

الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ١٥٧؛ الأربلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ١١٥ .

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ٤١ .

(٣) يُنظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ١٥٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٨٩؛ النويري، نهاية

الأرب، ج ٢٠، ص ٢٣٨؛ محمد بن عبد الرزاق، خطط الشام، ج ١، ص ١٠٠ .

(٤) محمد جواد مغنية، التشيع والحاكمون، ص ٧٨ .

(٥) نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان، يُنظر: المالقي، التمهيد والبيان، ص ٢١٧.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

التي استقرت في مكة بعد تحريضها على قتل الخليفة عثمان، التي لم تكن تطمح ان يتولى الإمام عليّ (عليه السلام) الخلافة.

انقسم المجتمع الإسلامي إلى ثلاثة أقسام، الإمام عليّ (عليه السلام) وغالبية الناس الذين بايعوا بالخلافة طوعاً، وفئة من عامة الناس اعتزلت في اعطاء مواقفها ووصفهم الإمام عليّ (عليه السلام) بقوله: "خَذَلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ"^(١)، والمعتضون عن بيعته الإمام عليّ (عليه السلام) هما كل من الحزب الأموي وحزب السيدة عائشة، اللذان أدوا دوراً كبيراً في تباين مواقف المجتمع من الاحداث الكبرى أيام الإمام عليّ (عليه السلام) فأشعلت بوجهه الحروب منها :

١ - معركة الجمل (٣٦ هـ / ٦٥٦ م) :

كان يطغى على السيدة عائشة طابع الزعامة فكانت تطمح ان تكون الواجهة المعروفة التي يلجأ اليها المجتمع، خاصة وانها في عهد الخلفاء السابقين كانت المشرع الديني حتى استقلت بالفتوى في عهدهم، فأصبحت مصدراً للأحكام الشرعية لفئات عديدة من المجتمع، فكانوا يقولون لو جمع علم المجتمع كلهم لرجحهم علم السيدة عائشة^(٢)؛ لذلك فاذا تولى الإمام عليّ (عليه السلام) سيجردها من نفوذها الديني والاجتماعي وستفقد مركزها بكونها تعتبر نفسها المرجعية الدينية، ويستصعب عليها ان تفقد كل هذه المكانة والجاه؛ لذلك عدت العدة لمحاربة الإمام عليّ (عليه السلام) فهي بعد ان نجحت بتأجيج الرأي العام ضد عثمان، ستقوم بالمثل تجاه الإمام عليّ (عليه السلام) فأظهرت دعاية الطلب بدم عثمان، وقد استغلت موضعها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فبعثت بالكتب إلى كبار الصحابة من أجل الحصول على مساندتهم في مواجهة الإمام عليّ (عليه السلام) وكان إلى جانبها طلحة والزبير ومروان بن الحكم^(٣)، هذه الفئة فقدت هي

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ١١٢١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ص ١١٥.

(٢) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٤، ص ١٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٨، ص ١٩٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٢٤٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٣٣٨.

(٣) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، ابن عم عثمان وكاتبه أيام حكمه، ولد بعد الهجرة، من اولاد الطلقاء، كان مع أبيه عندما طردهم رسول الله إلى الطائف، وبقي مطروداً حتى اعادهم عثمان، شهد الجمل مع السيدة عائشة، شهد صفين مع معاوية، وفي عهد معاوية أصبح والياً على المدينة، ثم عزله، تمكن من

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

الآخرى الامتيازات بسبب وصول الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) للخلافة، وقد كان هؤلاء من بين الجماهير الأشد على الخليفة عثمان، فكانت العلاقة بين طلحة وعثمان على مستويات عالية من التوتر ونوعاً من العدائية الشديدة، ويتضح ذلك من قول الخليفة عثمان وقت محاصرته كان يقول اللهم اكفني طلحة بن عبيد الله^(١)، والزبير حاله حال السيدة عائشة فقد حرص على قتل الخليفة فكان يقول اقتلوا عثمان فقد بدل دينكم^(٢)، وكان يقف من ورائهم معاوية الذي رسم لهم الخطة بضرورة السيطرة على البصرة والكوفة بما ان الشام تحت سيطرته حيث كتب إلى الزبير "فدونك الكوفة والبصرة ، لا يسبقك إليها ابن أبي طالب، فإنه لا شيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك ، فأظهرها الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك " (٣) .

يبدو أنّ الأفعال المتناقضة لهذه الفئة قد جاءت وفقاً للمصالح والمنافع^(٤)، ويمكن ملاحظة ذلك في ازدواج الشخصية^(٥)، فهم يدعون إلى المثل العليا، وهم في نفس الوقت أكثر الناس انحرافاً عن هذه المثل فهم ذاتهم كانوا يحرضون على القتل وسفك الدماء .

قادت السيدة عائشة الجيوش وتوجهت نحو البصرة يحملها الجمل^(٦)، وبذلك مثلت السيدة عائشة خروجاً صارخاً عن آيات القرآن الكريم، التي تلزم نساء النبي بعدم الخروج، قال تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ أَجْهَلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(٧)، تمكنت السيدة عائشة وحزبها من دخول

=الوصول إلى الحكم سنة ٦٤ هـ وفق مقررات مؤتمر الجابية. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٢٦؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص١٣٩-١٤٠.

(١) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٧٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٥٤١.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٩، ص٣٦.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٥٥؛ أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج١، ص٢٥٩.

(٤) إريك هوفر، المؤمن الصادق، ص١٤٣.

(٥) الوردي، شخصية الفرد، ص٤٦.

(٦) (عن رسول الله قال لنسائه: أَيْتُكُنَّ صَاحِبَةُ الْجَمَلِ الْأَدْبَبِ، تَخْرُجُ فَتَنْبَحُهَا كِلَابُ الْحَوْبِ، يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا وَشِمَالِهَا قَتْلَى كَثِيرٌ). يُنظر: للمفيد، الكافئة، ص٣٧؛ ابن سيده، المحكم والمحيط، ج٩، ص٢٨١؛ الهيثمي، كشف الأستار، ج٤، ص٩٤؛ ابن حجر العسقلاني، المطالب العالية، ج١٨، ص١٢٤.

(٧) سورة الأحزاب، الآية ٣٣ .

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

البصرة وقتلوا الحراس من السياجة^(١)، وقبضوا على والي البصرة عثمان بن حنيف^(٢)، واستخدموا ضده سلوكاً عدوانياً حيث تعرض إلى العنف الجسدي فنتقوا شعر لحيتته، وهموا بقتله لكنهم خافوا نعمة أخيه والي المدينة، فانقض حكيم بن جبلة^(٣) لانتهاكات اصحاب الجمل فما كان ردهم ألا ان قتلوه وقتلوا سبعين من قومه^(٤)، وقد عرفت هذه الحادثة بمعركة الجمل الاصغر سنة ٣٦ هـ^(٥)، وقد احكم اصحاب الجمل سيطرتهم على البصرة، فاضطر الإمام (عليه السلام) بالتوجه إلى البصرة بعدما كان يريد ان يتوجه للشّام.

تباين موقف المجتمع البصريّ ما بين مؤيد للإمام عليّ (عليه السلام) تمثل بموقف قبيلة عبد القيس^(٦)، التي عرف عنها انها تتشيع^(١)، فضلاً عن قبيلة ربيعة، وموقف معارض له حيث

(١) السياجة : جمع السيجة، اقوام من أهل السند كانوا يعملون في السفن البحرية، اسكنهم أبو موسى الأشعري في البصرة، كانوا نواباً في البصرة يحرسون بيت المال عندما هجم اصحاب الجمل على بيت المال قاموا بقتلهم. يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٦٧. ٣٦٩؛ الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٠، ص ٣١٦؛ المفيد، الجمل، ج ١٠، ص ١٥٨.

(٢) عثمان بن حنيف بن واهب الأنصاري، من السابقين في الرجوع إلى الإمام عليّ (عليه السلام) بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وواله (وَسَلَّمَ)، ولاة الإمام عليّ (عليه السلام) ولاية البصرة، توفي في عهد معاوية، عنه، يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ١٢، ص ٣٢٠؛ الطوسي، اختيار معرفة الرجال: ج ١، ص ١٨٤.

(٣) حكيم بن جبلة العبدي البصري، من عبد القيس، التي أسلمت في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) واستقرت بعد فتوح العراق في البصرة، عد حكيم من الصحابة لأنه ولد وأسلم في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) وواله (وَسَلَّمَ)، وكان من أشرف عبد القيس مطاعاً في قومه، وكان يعد من شجعان العرب، قاد جماعة من اهل البصرة أيام الفتنة في عهد عثمان، ثم كان من أشد المناصرين للإمام عليّ (عليه السلام) خاض معركة الجمل الأصغر حتى قتل فترك مقتله أثراً بليغاً في نفس الإمام فقد وصفه بالعبد الصالح. يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ١، ص ٣٢٤ - ٣٢٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٥٩ - ٦١.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥٧٩ - ٥٨٠.

(٥) يُنظر: ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، ج ٩، ص ٣٢٢.

(٦) عبد القيس : إحدى أكبر القبائل العربية التي ترجع إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، يقال له ربيعة الفرس، له عدة أولاد تناسلوا حتى كثروا وملأوا البلاد، وكان مسكن أبنائه بين اليمامة والعراق والبحرين، وإليه تنسب قبائل بكر بن وائل وعبد القيس وتغلب وأسد، وكانت لهم أيام مشهورة كيوم البسوس. يُنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٨٣؛ ابن عبد البر، الإيباري، ص ٨٦ - ٨٧؛ جواد كاظم نصرالله، حكيم بن جبلة، ص ٢٤؛ كحالة الدمشقي، معجم قبائل العرب، ج ٢، ص ٢٧٦ - ٢٧٨.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

ساندوا السيدة عائشة على اعتبار انها زوجة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأم المؤمنين و تمثل بقبيلة الأزد^(٢)، وموقف لفئة محايدة وهم جماعة الأحنف بن قيس^(٣)، الذي أثر الاعتزال مع علمه بأحقية الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وكان موقفه سياسياً^(٤)، وعمران بن الحصين^(٥) الذي أرسل إلى بني عدي يأمرهم بالتزام الحياد فقالوا له: "أأمرنا أن نقعد عن ثقل رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وحرمة؟ لا نفعل"^(٦).

لم يكن المجتمع الكوفي بعيداً عن أحداث حرب الجمل فقد أرسل الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ولده الإمام الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وعمار بن ياسر، من أجل استتفار الناس ودعوتهم إلى نصرته الحق، لكن والي الكوفة أبي موسى الأشعري^(٧) مارس دوراً سلبيّاً في تثبيط عزيمة المجتمع عن الالتحاق بجبهة الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، الأمر الذي دفع بالإمام أن يبعث إليهم مالك

(١) ابن قتيبة، المعارف، ج ١، ص ٣٣٩؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٣٣؛ محمد البري، الجوهر، ج ١، ص ٤٢٧.

(٢) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٤.

(٣) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين السعدي التميمي، وقيل اسمه الضحاك أو صخر، ولُقّب بالأحنف لحنف في رجله، أي ميلها، أسلم في حياة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مع قومه ولم يره، وكان مضرب المثل في الحلم، ومن سادة بني تميم تم عده في الطبقة الأولى من تابعي البصرة، توفي بالكوفة. يُنظر: الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج ١، ص ٣٦٧؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ١، ص ٢٨٩؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٦٦؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٤٢٣؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج ٢، ص ٥٠٥؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٣٣٢.

(٤) جواد كاظم النصر الله، أمير المؤمنين علي، ص ٦٨.

(٥) عمران بن الحُصين بن عبيد الخزاعي، أسلم في السنة السابعة للهجرة عام فتح خيبر، بعثه الخليفة عمر بن الخطاب إلى البصرة ليفقه أهلها بعد تمصيرها، اعتزل القتال في صفين، ولاه زياد بن أبيه قضاء البصرة، وتوفي سنة ٥٢ هـ. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٩ - ١٢.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٥.

(٧) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن الأشعر، كان والي الكوفة في عهد عثمان واقره الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عليها ثم عزله بعد دوره في تثبيط الناس في معركة الجمل بعد افتراءه بحديث يقال أنه سمعه من رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول: إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي ... وقد جعلنا الله إخوانا، وقد حرم علينا دماءنا وأموالنا، كان احد الحكمين في وقعة صفين. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ٧٨؛ البراقبي، تاريخ الكوفة، ص ٣٠٦.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

الأشتر (ت ٣٧هـ / ٦٥٧م)، وعبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ / ٦٨٧م)، وأمرهم بعزل أبي موسى من ولاية الكوفة، وقد تمكن مالك الأشتر من ذلك، وقد انتدبوا معهم من المجتمع الكوفة من ٧٠٠٠ - ١٢٠٠٠^(١).

حاول الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ان يثني اصحاب الجمل من خوض غمار الحرب وتجنب الفتنة لما لها من آثار على المجتمع الإسلامي، فأستخدم معهم أسلوب الوعظ، وعمل على نشر القرآن الكريم بين الجماهير العسكرية، فقام أصحاب الجمل برشق الفرد بالسهم وقتله^(٢)، فاندلعت الحرب بعد رفض اصحاب الجمل الجنوح للسلم وانتهت بانتصار الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

ويمكن تفسير تباين مواقف المجتمع تجاه هذه المعركة من خلال رؤية علماء الاجتماع خاصة فيما يتعلق بالدعاية والدور الاعلامي الذي لعبه المحاربون للإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فيقول عبد الجليل الطاهر ان الدعاية تلعب دورًا في تباين مواقف المجتمع ذلك لأنها تخلق صراعًا نفسيًا لدى الفرد وتشتت افكاره، خاصة إذا كانت الفئات الاجتماعية تتمتع بسلطةٍ وقُدسيةٍ فتقوم بصناعة الوهم الذي سيؤدي إلى تجزئة المجتمع، كما انها تمتلك ايدولوجية تستطيع ان تؤثر على المقابل وبالخصوص الافراد سريعى التأثير بالخطابات لذلك ينضوون تحت سيطرة القائد، الذي بدوره يعمل على إخفاء الحالات الحقيقية وانه هدفها ليس الا من أجل استرجاع المصالح والامتيازات التي كانت تتمتع بها سابقًا^(٣)، ويرى إريك فروم أنّ قائد الحركة الجماهيرية ومساندة الجمهور وطاعتهم له مع وجود الغوغاء قوة قاهرة يستطيع من خلالها ان يعيد سلطته فيستمد الالهام منهم وهو وحده القادر التحكم فيهم^(٤).

وفي المقابل يمكن تفسير حركة الفئة المناصرة للعدالة ذو الإيمان الصادق الذين يحفظوا العهود والمواثيق من الذين لا يتأثرون بالدعاية لذلك نجدهم يقفون إلى جنب قائدهم الذي يهدف

(١) جواد كاظم النصر الله، أمير المؤمنين عليّ، ص ٦٤.

(٢) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥١١؛ الباقلاني، الانتصار للقرآن، ج ٢، ص ٤٦٧؛ ابن الأثير،

الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٦١٧.

(٣) أصنام المجتمع، ص ١٣٧.

(٤) المؤمن الصادق، ص ١٤٣.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

حكمه إلى إزالة الفوارق المجتمعية والتعاون على الخير والنفع العام، ويحاول تصحيح الانحراف السياسي، وتثبيت المجتمع على الدين القيم، وتعميم ثقافة الإصلاح الثقافي والانضواء تحت محورية الحق لا الرجال^(١)، فالمؤمن الصادق يعرف الاتجاه الصحيح في أي موقف، فنجد بعض الأفراد مستعدين بالتضحية بالنفس وهذا يدل على ترابط الجماعة^(٢).

٢ - معركة صفين^(٣) (٣٧ هـ / ٦٥٧ م) :

شكلت المواقف المتباينة في المجتمع الإسلامي ظاهرة واضحة في اغلب الاحداث الإسلامية ومنها موقعه صفين، إذ تتحين الجماعة الغوغائية الفرص للانقضاض على خصومهم، حيث يسعى هؤلاء الأفراد إلى استغلال الاوضاع المضطربة لتحقيق اهدافهم، فما كاد الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ينتهي من معركة الجمل حتى بدأت معركة صفين، فمعاوية بن أبي سفيان كان يتطلع إلى الحكم وسيطر على مجتمع الشام في وقت كان لا توجد كلمة تعلو على كلمته، وعمل على تحريضهم على بغض الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فكانوا يرددون ما أملاهم عليه : إن الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قام بقتل عثمان، وأوى قتلته، وانهم لا يكفون عنه حَتَّى يقتلهم أو يقتلوه^(٤)، وفي المقابل نهج الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) سياسة حقن دماء الناس لذلك حاول كثيرًا في تعامله في معاوية، مؤداه اللقاء الحجة عليه في اكثر من مرة محاولاً تجنب الحرب، فما كان ردّ معاوية الا الحرب والقتال.

(١) روى عن الإمام عليّ عليه السلام قال : (ان الحق لا يعرف بالرجال وانما الرجال يعرفون بالحق ، فاعرف الحق تعرف أهله قلوا أو كثروا واعرف الباطل تعرف أهله قلوا أم كثروا). يُنظر : الجاحظ، البيان والتبيين، ص ٤٩١.

(٢) إريك هوفر، المؤمن الصادق، ص ١١٠-١١١.

(٣) صفين: موقع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس وكانت وقعة صفين بين الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ومعاوية سنة ٣٧ هـ . يُنظر : الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٤١٤.

(٤) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٦٥٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٦٢٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٦، ص ١٨٤.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

ساند غالبية المجتمع الكوفيّ والبصريّ الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ^(١)، فقال لهم: "الطريق مشترك والنّاس في الحق سواء، ومن اجتهد رأيّه في نصيحة العامة فله ما نوى وقد قضى ما عليه" ^(٢)، فساروا حتى أصبحوا بمواجهة معاوية والمجتمع الشاميّ، وأستخدم معاوية أسلوب مناوئ حيث عمد إلى منع الماء عن أفراد جيش الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، حاول الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ثنيه عن هذا الفعل لأنه سلوكًا بعيد عن أخلاق الدين الإسلامي، فقام جماعة بقيادة مالك الأشتر من إعادة السيطرة على المياه وضنوا الغوغائيين أن الإمام سيقوم باتّباع سلوكهم ويمنع عنهم الماء، فقال عمرو بن العاص ^(٣) متسائلًا "ما ظنك بالقوم اليوم إن منعوك الماء كما منعتهم أمس؟، فقال معاوية: دع ما مضى، ما ظنك بعلي؟، قال: ظني أنه لا يستحل منك ما استحللت منه، لأنه أتاك في غير أمر الماء" ^(٤).

إنّ فئات المجتمع المتواجد في معركة صفين كانت أحاديث رسول الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله) وسَلَّمَ تصدح في أذهانهم، فحالما قتل عمار بن ياسر على يد أفراد الجيش الأموي حتى تبادر إلى أذهانهم حديث رسول الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله) وسَلَّمَ: "عَمَّارٌ تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ" ^(٥)، فزاد بذلك جماعة الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عزيمة واشتدوا في القتال، بينما ظهر التشّت والانقسام والريبة والشك وتفكك عسكر الجيش الأموي، فمارس معاوية ومستشاريه سلوكًا مبالغًا من أجل السيطرة على الحشود حيث قاد حملة إعلامية مضللة أشاعت أن عمار قتله من جاء به إلى أرض المعركة ^(٦)، وانطلت عليهم هذه الخدعة على البعض ذلك لأن العقل المتحكم بهم هو معاوية

(١) يُنظر: نعمة ساهي الموسوي، التشيع، ص ١٣٣-١٣٥.

(٢) ابن مزاحم، وقعة صفين، ص ٩٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٧٥.

(٣) عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم، يكنى أبا عبد الله من دهاة قريش كان يسكن مكة فلما ولي مصر في عهد معاوية بن أبي سفيان استوطنها إلى أن مات بها سنة ٤١هـ، وقيل ٤٣ يُنظر: ابن خياط، الطبقات، ص ٦١؛ ابن حبان البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص ٩٣.

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال، ج ٦، ص ١٦٩.

(٥) ابن حنبل، مسند أحمد، ج ١٨، ص ٣٦٨؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٤، ص ٢١؛ النسائي، السنن الكبرى، ج ٧، ص ٤٦٦؛ الصدوق، معاني الأخبار، ص ١٢٩؛ ابن حزم، جوامع السيرة، ص ١٠.

(٦) يُنظر: ابن حنبل، مسند أحمد، ج ١١، ص ٤٢؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٦، ص ٦١٤؛ ابن الأثير، لكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٦٦٣.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

وحاشيته فتفترض الجماهير أن تصرفات القائد هي التي تعكس السلوك الصحيح فيسلكون فعل إرادي للتماثل مع الجماعة .

تراجعت جماعة الشّام أمام ضربات الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وجماعته وكان النصر حليف الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، لولا الخديعة التي قام عمرو بن العاص حيث وضع خطة لتفريق جماعة الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وجعلها فئات متنازعة حيث قال لمعاوية: "هل لك في أمر اعرضه عليك لا يزيدنا اجتماعا، ولا يزيدهم إلا فرقة؟ قال: نعم، قال: نرفع المصاحف ثم نقول: ما فيها حكم بيننا وبينكم، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول: بلى، ينبغي أن نقبل، فتكون فرقة تقع بينهم"^(١)، وقد تحقق ما كانوا يخططون له حيث ظهر الاختلاف بين جماعة الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فقد ظهر موقفين الأول المتمثل في موقف الأشعث بن قيس الكندي^(٢) الذي دعا الجماعة إلى الاحتكام للقرآن الكريم ووقف القتال ومالت إليه الكثير من الافراد، وموقف آخر رفض الإنصياع إلى هذه الخدعة وقد حذر الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أفراد معسكره من ان يندعوا بحيلة معاوية وعمرو بن العاص، فقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "عِبَادَ اللَّهِ، امْضُوا إِلَى حَقِّكُمْ وَصِدْقِكُمْ وَقِتَالِ عَدُوِّكُمْ؛ فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ... لَيَسُوْا بِأَصْحَابِ دِينٍ وَلَا قُرْآنٍ، أَنَا أَعْرِفُ بِهِمْ مِنْكُمْ، وَقَدْ صَحَبْتُهُمْ أَطْفَالًا، وَصَحَبْتُهُمْ رِجَالًا، فَكَانُوا شَرَّ أَطْفَالٍ، وَشَرَّ رِجَالٍ، وَيَحْكُمُ! وَاللَّهِ إِنَّهُمْ مَا رَفَعُوْهَا رَفَعَ مَنْ يَقْرَأُهَا وَيَعْمَلُ بِمَا فِيهَا وَإِنَّمَا رَفَعُوْهَا خَدِيْعَةً وَدِهَاءً وَمَكِيدَةً وَمَكْرًا وَتَخْذِيلًا لَكُمْ"، لكنهم أصروا على موقفهم ولم تقنعهم تسويغات الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في اللجوء

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٨؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ١، ص ٥٣٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥٦٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ١٤٤.

(٢) الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية ... بن زيد الكندي ، وأمه كبشه بنت يزيد ، ممن ارتد عن الإسلام بعد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ثم رجع للإسلام في خلافة أبي بكر الذي زوجه اخته ام فروة، كان للأشعث بن قيس دور فاعل و تأثير واسع في كثير من الوقائع و الفتن التي أضرت بالامة الإسلامية ، وقد روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ شَرِّكَ فِي دَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَابْنَتُهُ جَعْدَةُ سَمَّتِ الْحَسَنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَ مُحَمَّدٌ ابْنُهُ شَرِّكَ فِي دَمِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، توفي في عهد معاوية سنة ٤٠ هـ. يُنظر: الكليني، الكافي، ج ٨، ص ١٩١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ، ج ١، ص ٢٢٠؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ١، ص ٩٨-٩٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٧-٤٢.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

بنواياهم وسلوكهم المتغير، وقد أستطاع أن يقنع قسم منهم ورجعوا معه إلى الكوفة أما الآخرين اعتزلوا ونزلوا في حروراء^(١)، ورفعوا شعار "لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ"^(٢).

سيطر على هؤلاء الأفراد الجهل الذي هو ظاهرة اجتماعية خطيرة تؤدي بالمجتمع إلى التشتت والهزيمة، وذلك لكون كل فرد من أفراد ذلك المجتمع وبسبب نفاقه يتخبط في أرائه بجانب تخبط الآخرين من أبناء قومه دون معرفه بعواقب الأمور مثلما وصفهم أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "هَمَجٌ رَعَاغٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ"^(٣).

اعتدوا هؤلاء الجماعة الخارجة على بعض العامة من الناس وفي الخصوص الموالين لأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فكانوا يقطعون الطريق وقد سفكوا دماء المسلمين وانتهكوا الحرمات وكفروا بالإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فلم يكن أمام الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلا وضع حدّ لتصرفاتهم فلجأ إلى سياسة الحوار واقامه الحجة عليهم فقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "فَبَيِّتُوا لَنَا بِمَادَا نَسْتَحِلُّونَ قِتَالَنَا وَالْخُرُوجَ عَنْ جَمَاعَتِنَا، وَتَضَعُونَ أَسْيَافَكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ، ثُمَّ تَسْتَعْرِضُونَ النَّاسَ تَضْرِبُونَ رِقَابَهُمْ؟ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ، وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُمْ عَلَى هَذَا دَجَاجَةً لَعَظُمَ عِنْدَ اللَّهِ قَتْلُهَا! فَكَيْفَ بِالنَّفْسِ الَّتِي قَتَلَهَا عِنْدَ اللَّهِ حَرَامٌ"^(٤)، وعلى الرغم من سياسة الحوار التي أتبعها الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) معهم لكنهم اصروا على عنادهم منكبين التحكيم وجاحدين لخلافة الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فلم يبق لإمامه خيار إلا محاربتهم والتخلص من خطرهم .

(١) حروراء: هي قرية بظاهر الكوفة نزلوا فيها الخوارج الذين خالفوا الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، نسبت الحرورية إلى الخوارج ذلك كان موضع أول تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) . يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤٥.

(٢) مالك، المدونة الكبرى، ج ٢، ص ٤٩؛ ابن مزاحم، وقعة صفين، ص ٥١٢؛ الفضل بن شاذان، الإيضاح، ص ٥٧٨؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٧٤٩؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٧٤٥.

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٤٩٦؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج ١، ص ٦٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٠، ص ٢٥٢؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ٢٤، ص ٢٢٠؛ ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج ١، ص ٣٤٧؛ ابن رجب الحنبلي، كشف الكربة، ص ٣٢٣؛ السيوطي، جامع الاحاديث، ج ٢٩، ص ٢٧٦.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٨٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥٩٤.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

يتبين من كل مما سبق أن المجتمع الإسلامي غلب عليه النفاق والخضوع الكاذب نتيجة للنفوس المريضة، والتعلق للزعماء ذوي العصبية القبلية، فضلاً عن التغرر بالشعارات المتطاهرة بالإصلاح مثل جماعة الجمل ومعاوية ومن شايعه، الذين ألبوا المجتمع على العصيان والتمرد وألبسوا على المسلمين أمورهم لتحقيق مكاسبهم الشخصية، وفي الوقت نفسه يقود النفاق الغالبية من فئات المجتمع إلى الكذب الذي هو أساس المعاملة بين مختلف الفئات، ويترتب على ذلك غلبة المصلحة التي أدت إلى تباين مواقف المجتمع، وقد بين الإمام عليّ (عليه السلام) ذلك في قوله: "وَأَعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّكُمْ فِي زَمَانِ الْقَائِلِ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ، وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ، أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ، مُصْطَلِحُونَ عَلَى الْإِذْهَانِ، فَتَاهُمْ عَارِمٌ، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ، وَقَارِئُهُمْ مُنَادِقٌ، لَا يُعْظَمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرُهُمْ، وَلَا يَعْوَلُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرُهُمْ"^(١)، وقد خاطب الإمام (عليه السلام) المجتمع آنذاك على تخاذلهم فقال: "يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالٍ! خُلُومُ الْأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحَبَالِ، لَوِدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرْكُمُ وَ لَمْ أَعْرِفُكُمْ مَعْرِفَةً ..! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا، وَجَرَعْتُمُونِي نُعْبَ النَّهْمَامِ أَنْفَاسًا، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ؛ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ فُرَيْشُ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ، وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ"^(٢).

خامساً: الإمام الحسن بن عليّ (عليه السلام) (٤٠ - ٤١ هـ / ٦٦٠-٦٦١ م)

اتجه المجتمع الكوفيّ بعد استشهاد الإمام عليّ (عليه السلام) إلى ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) فبايعوه بالخلافة في الحادي والعشرين من رمضان سنة (٤٠ هـ / ٦٦٠ م)^(٣)، فخطب (عليه السلام) بالناس وطلب مساندتهم والطاعة له في أوقات السلم والحرب وكان مما قال لهم: "تُبَايِعُونَ لِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَتُحَارِبُونَ مَنْ حَارَبْتُ، وَتُسَالِمُونَ مَنْ سَالَمْتُ،...، وَأَخَذَ عَهْدَهُمْ وَمَوَاتِيْقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ"^(٤)، فتبعهم في هذه البيعة أهالي بقية الأمصار الإسلامية، ما عدا الشام ومصر، فلما علم معاوية ببيعة الإمام الحسن (عليه السلام) دس الرجال لإفساد الأمور عليه

(١) الراوندي، منهاج البراعة، ج ٢، ص ٤٠٧.

(٢) الكليني، الكافي، ج ٥، ص ٦٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٧٥.

(٣) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١٥٩.

(٤) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج ١، ص ١٤٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١٦٢.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعي وجذوره في التاريخ الإسلامي

فاستنهض الإمام الحسن (عليه السلام) الناس لمواصلة التصدي لمعاوية بن أبي سفيان واتباعه وأبعد خطرهم عن المجتمع الإسلامي .

ذكر الإمام الحسن (عليه السلام) الناس بأن "الله كتب الجهاد على خلقه، وسمّاه كرها، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾"^(١)، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون، إلا بالصبر على ما تكرهون"^(٢)، ثم أمرهم بالتوجه إلى النخيلة^(٣)، كانت ظاهرة التباين وتغيير المواقف والخذلان مستمرة على الرغم من وضوح الحق واتباعه، فحين دعا الإمام (عليه السلام) الناس إلى المواجهة والتوجه إلى النخيلة ظهرت حينها مواقفهم الضعيفة إذ طبق على الكثير منهم السكوت ولم يتكلم أي من أفراد المجتمع الحاضرين^(٤)، الأمر الذي دفع فئة قليلة من الاتباع المخلصين من إمثال عدي بن حاتم الطائي فقام موبخاً إياهم غاضباً من سلوكهم وشنع عليهم موقفهم المتخاذل فقال لهم: "ما أقبح هذا المقام؟ ألا تجيبون إمامكم، وابن بنت نبيكم، أين خطباء مضر؟ أين المسلمون؟ أين الخواضون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة، فإذا جدّ الجدّ فرواغون كالثعالب، أما تخافون مقت الله، ولا عيبها وعارها"^(٥).

وكذلك قام قيس بن سعد بن عبادة وآخرون، أنبوا ووبخوا الحاضرين على موقفهم المتخاذل وتقاعسهم عن مساندة الإمام الحسن (عليه السلام)^(٦)، بعد ذلك تغيير موقف المجتمع وخرج جيش أهل العراق وتوجهوا إلى النخيلة، أن خوض أي حرب تحتاج إلى تماسك قوى المجتمع واصطفافه حول القيادة الشرعية، لكن الواقع الاجتماعي العام في عهد الإمام الحسن (عليه السلام) لم يكن يسمح بالدخول في حرب ضارية مع معاوية، فالمجتمع العراقي في هذه الحقبة لم يكن مجتمعاً

(١) سورة الأنفال، الآية ٤٦ .

(٢) أبي الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٣٩؛ المحلي، الحقائق الوردية، ج ١، ص ١٩١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٣٨.

(٣) النخيلة: تصغير نخلة وهي موضع قرب الكوفة من جهة الشمال على سمت الشام . يُنظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٧٨.

(٤) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٦٩؛ المحلي، الحقائق الوردية، ج ١، ص ١٩١.

(٥) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٧٠؛ المحلي، الحقائق الوردية، ج ١، ص ١٩١.

(٦) يُنظر: الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٧٠.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

متماسكًا متحدًا يسوده الانسجام، بل كان مؤلفًا من فئات وتوجهات عديدة متناقضة فكان هناك أنصار العائلة الأموية والخوارج الذين يفرضون محاربة الفريقين، فضلاً عن فئة الوافدين إلى العراق من مناطق أخرى، فضلاً عن أنّ هناك جماعة من المجتمع يعتليهم الشك يتأرجحون بين تأييد العائلة الأموية أو الخليفة الشرعي^(١).

يبدو أنّ ظاهرة التباين والنفاق قد حكمت على غالبية المجتمع الذي انسلخ من مبادئه لأجل المصالح والحصول على الامتيازات الأمر الذي أضعف تماسك الجبهة الداخلية فكان من الصعب خوض معركة خاصة بعد خيانة قائد جيش الإمام الحسن (عليه السلام) عبيد الله بن عباس^(٢) الذي انضم إلى معاوية برفقه ثمانية آلاف من أفراد جيش الإمام (عليه السلام) الأمر فتح الباب أمام خيانات بعض رؤساء القبائل وكان أبرزهم خالد بن معمر السدوسي^(٣)، الذي غدر بالإمام (عليه السلام) والتحق بمعاوية الذي أوعده بولاية^(٤) خراسان^(٥)، كما كتبت جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية تقرر له بالطاعة وتطلب منه القدوم نحوهم وضمنوا له بتسليم الإمام الحسن (عليه السلام)^(٦).

(١) يُنظر: المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١٠.

(٢) عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أمه لبابة أم الفضل بنت الحارث، استعمله الإمام علي (عليه السلام) على اليمن، كان على مقدمة الإمام الحسن (عليه السلام) في حربه ضد معاوية الذي استطاع استمالته بعد اغرائه بالأموال. يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٣١٩-٣٢١.

(٣) خالد بن المعمر السدوسي، رئيس بكر بن وائل، وكان مع الإمام علي (عليه السلام) يوم الجمل وصفين، ومن أمرائه، مال عن الإمام الحسن (عليه السلام) وأصبح في جانب معاوية بعد أن وعده بأمرة خراسان، فأمره معاوية حين ولي على خراسان، فمات خالد قبل أن يصل إليها. يُنظر: ابن العديم، بغية الطلب، ج ٧، ص ٣١١٦؛ ابن حجر، الإصابة، ج ٢، ص ٢٩٩.

(٤) ابن مزاحم، وقعة صفين، ص ٣٠٦؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٧، ص ٣١١٦.

(٥) خراسان: بلاد واسعة تبدأ حدودها من جهة العراق عند أزدوار قصبة جوين وبيهق، وتنتهي من جهة الهند عند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وهذه ليست منها بل أطراف لحدودها، وتضم خراسان أمهات مدن كبرى مثل: نيسابور، هراة، مرو، بلخ، طالقان، نسا، أبيورد، سرخس، وما بينها من مدن إلى ما دون نهر جيحون، ومنهم من ألحق بها خوارزم أو عدّ ما وراء النهر منها، وليس الأمر كذلك. وقد فُتحت أكثر هذه البلاد عنوةً وصلحاً. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٥٠.

(٦) يُنظر: المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١٢.

الفصل الأول مفهوم التباين المجتمعيّ وجذوره في التاريخ الإسلامي

لقد سلك معاوية بن أبي سفيان سياسة شراء الذمم، وبث الجواسيس والدعايات فأرسل إلى جماعة من الذين كانوا في معسكر الإمام الحسن (عليه السلام)^(١)، وأوعدهم بأن من يقتل الإمام الحسن (عليه السلام) سيكافئه بمائتا ألف درهم وسيكون تحت قيادته جند من أجناد الشام، وتعهّد بأنه سيزوجه واحدة من بناته^(٢)، كل هذه الأمور أدت إلى زيادة المتخلفين وخلخلة تماسك الجيش ولم يبق أمام مع الإمام الحسن (عليه السلام) إلا أن يقبل الهدنة في ظل مجتمع اختار معاوية ومصلحه، وخطب الإمام الحسن (عليه السلام) بالمجتمع في الكوفة أذ قال "أنا والله ما يثنيّا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشبيت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في مسيركم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم وأصبحتم اليوم ودنياكم أما دينكم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له وقتيل بالنهروان تطلبون ثأره، وأما الباقي فخاذل، وأما الباقي فتائر، ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله جل وعز بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه و أخذنا لكم الرضا، فناداه الناس من كل جانب البقية البقية"^(٣).

أراد الإمام الحسن حقن دماء المسلمين وهذا ما أوضحه (عليه السلام) بقوله : "إن مُعَاوِيَةَ نَازَعَنِي حَقًّا هُوَ لِي دُونَهُ فَتَنَزَّطْتُ إِصْلَاحَ الْأُمَّةِ وَقَطَعَ الْفِتْنَةَ وَقَدْ كُنْتُ بِبَايَعْتُمُونِي عَلَى أَنْ تَسَالُمُوا مِنْ سَالَمِي وَتَحَارَبُوا مِنْ حَارِبِي فَرَأَيْتُ أَنْ أَسَالِمَ مُعَاوِيَةَ وَأُضَعَ الْحَرْبُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقَدْ بَايَعْتَهُ وَرَأَيْتُ أَنْ حَقَّنَ الدِّمَاءَ خَيْرٌ مِنْ سَفْكَهَا وَلَمْ أَرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا صَلَاحَكُمْ"^(٤).

(١) هم كل من عمرو بن حريث، والأشعث بن قيس، وحجر بن الحجر، وشبث بن ربعي. يُنظر: الصدوق، علل الشرائع، ج ١، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) الصدوق، علل الشرائع، ج ١، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٣) الهمذاني، تثبيت دلائل النبوة، ج ٢، ص ٢٣٥-٢٣٦؛ ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسن، ص ١٧٩.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٨٨؛ الهيثمي، الصواعق المحرقة، ج ٢، ص ٤٠٠.

الفصل الثاني

تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن وبلاد
الشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية حتى

سنة (٦١١ هـ / ٦٨٠ م)

المبحث الأول

تبين الموقف المجتمعي في الحجاز من النهضة الحسينية

أولاً : التركيبة الاجتماعية في الحجاز^(١) (مكة والمدينة)

تكون مجتمع الحجاز في القرن الأول الهجري من اجناس متعددة، فقد ضم في نسيجه المجتمعي فئات مختلفة شملت العرب، إلى جانب الموالي^(٢) والرقيق^(٣) الذين انتشروا في اغلب مدنه الرئيسية منها مكة المكرمة بما تمثله من مركز ديني وتجاري، والمدينة بما تحمله من ثقل تاريخي وسياسي، إضافة إلى مدن أخرى منها الطائف وخيبر.

مثلت القبائل العربية الركيزة الأولى لبنية المجتمع في الحجاز، منها قبيلة قريش، وهذيل^(٤) التي كانت من القبائل المعادية للإسلام، باستثناء بيتاً من هذيل كانوا الأسبق في الإسلام هو بيت

(١) الحجاز : منطقة تاريخية تُعدّ أحد أقاليم شبه الجزيرة العربية الخمسة، وتقع في الجزأين الشمالي الغربي والغربي منها، والحجاز في الأصل عبارة عن سلسلة جبلية ممتدة على طول ساحل البحر الأحمر في الجانب الغربي من شبه الجزيرة العربية، وقد سُمّي بهذا الاسم لأنه يحجز بين إقليمي نجد وتهامة. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢١٨.

(٢) الموالي : جمع مولى، ويُعدّ لفظ المولى من الألفاظ الأضداد في العربية، إذ تتعدد معانيه باختلاف السياق، فيطلق على المالك والعبد والمعيق والحليف، ويُقال لمن أسلم على يد غيره، ومع اتساع الفتوحات الإسلامية، غلب استعماله على غير العرب من المسلمين الذين ارتبطوا بالقبائل العربية برابطة الولاء. يُنظر: الهروي، تهذيب اللغة، ج ١٥، ص ٣٢٤؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥، ص ٤٠٨؛ مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ٤٠، ص ٢٤٦.

(٣) الرقيق : هو الإنسان الذي فقد حريته، فأصبح مملوكاً لغيره، يتصرف فيه مالكة تصرّف المالك في مملوكه، وأصل الكلمة من الرقة بمعنى اللين والخضوع، لأن العبد يرقّ لسيدته، أي يذلّ ويخضع له، ويُقال: رَقَّ فلانٌ إذا صار عبداً بعد أن كان حراً. يُنظر: الهروي، تهذيب اللغة، ج ٨، ص ٢٣٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ١٢٣؛ الصحاري، الإبانة في اللغة، ج ٣، ص ١٥٢؛ مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٥، ص ٣٥٧.

(٤) هذيل: تنسب إلى هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. يُنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٧٨.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

المسعوديين أبناء مسعود بن غافل^(١)، ومن ثم أسلمت غالبيتها في عهد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأسند إليهم بعض المناصب فقد استعمل حمل بن مالك الهذلي^(٢) على صدقات قومه^(٣)، وقد ولى عمر بن الخطاب عبد الله بن مسعود على بيت مال الكوفة^(٤)، وتولى عمرو بن عميس بن مسعود ولاية القططانة^(٥) في خلافة الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَام) فقتله الضحاک بن قيس الفهري^(٦) عامل معاوية في حملاته على أطراف الكوفة (٣٩هـ / ٦٥٩م)^(٧).

ومن القبائل الأخرى التي كانت مستوطنة الحجاز قبيلة ثقيف التي كانت من آخر القبائل العربية التي دخلت للإسلام وذلك سنة (٩٩هـ / ٦٣٠م) ثم ما لبثت بعد وفاة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قد همت بالارتداد عن الإسلام (١١هـ / ٦٣٢م)^(٨) وقد كان لها دورًا بارزًا في الأحداث

(١) لم يصدر عن هؤلاء المسعوديين أي إيذاءٍ للدعوة الإسلامية ولا معارضة لها، بل كان لهم سبقٌ مشهود في اعتناق الإسلام؛ إذ كان منهم ثلاثة إخوة: عبد الله، وعتبة، وعميس، وكان عبد الله بن مسعود أسبقهم إلى الإسلام، وقد كان له قدم صدق في نصرته الدعوة، حتى قال عن نفسه: لقد رأيتني سادس ستة ما على ظهر الأرض مسلمٌ غيرنا، أما أمهم، فكانت كذلك من السابقات إلى الإسلام، وقد بايعت النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وروت عنه. يُنظر: ابن أبي شيبة، المصنف، ج ٧، ص ٣٤٠؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ١٦، ص ١٢٢.

(٢) حمل بن مالك بن النابغة بن جابر الهذلي، من قبيلة هذيل بن مدركة، يُكنى أبا نضلة، نزل البصرة، وكانت له دار فيها، وقيل إنه أدرك خلافة عمر بن الخطاب وعاش إلى أيامه. يُنظر: خليفة بن خياط، الطبقات، ص ٧٨؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٧، ص ٢٨٠؛ ابن حجر العسقلاني، الأصابة، ج ٢، ص ١٠٨.

(٣) يُنظر: ابن حجر العسقلاني، الأصابة، ج ٢، ص ١٠٨.

(٤) يُنظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٣٦٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٥٦.

(٥) القططانة: ناحية من نواحي الكوفة تقع في جهة الطف على الطريق الخارج إلى الشام، وكانت محطة على طرق القوافل بين العراق والشام والحجاز. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٧٤.

(٦) الضحاک بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة ابن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القرشي الفهري، أمه أميمة بنت ربيعة الكنانية، ولد في السنة ٤ للهجرة، كان على شرطة معاوية، ثم صار عاملاً له على الكوفة بعد زياد، ولاة عليها معاوية سنة ثلاث وخمسين، وعزله سنة سبع وخمسين، بايع لعبد الله ابن الزبير في دمشق، قتل في معركة مرج راهط سنة ٦٤هـ. يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٧٠-١٧١؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٤٩-٥٠؛ المزي، تهذيب الرجال، ج ١٣، ص ٢٧٩.

(٧) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ١٩٧؛ ابن الأثير، اللباب، ج ٣، ص ١٧٩.

(٨) يُنظر: ابن الأثير، جامع الأصول، ج ١٢، ص ٥٩٦؛ البري، الجوهرة، ج ١، ص ٤٠٩؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٨٧٤.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

السياسية ومن ابرز شخصياتها المغيرة بن شعبة الثقفي وزيايد بن أبيه^(١)، فضلاً عن الأنصار وسائر القبائل العربيّة الأخرى، إذ شكل العرب في العصر الأمويّ الغالبية العظمى من السكان، وقد توزعت القبائل العربيّة إلى عدداً من العشائر والتي تشتمل كل عشيرة على عدد من الأسر^(٢).

مال بعض مجتمع الحجازيّ في العصر الأمويّ إلى حياة الترف والميل إلى الغناء والشرب واللهو، وقد أشار إلى ذلك طه حسين قائلاً: بأن مكة والمدينة في هذا العصر كانوا أقرب إلى اللهو والمجون والافتتان في اللذة، وما تستتبعه من لعب وشرب وغناء وغزل من دمشق عاصمة الملك ومستقر الخليفة الأمويّ^(٣)، ويرى أنّ الذين ذهبوا مذهب اللذة كانوا المترفين من مجتمع الحجاز وأبناء المهاجرين والأنصار، الذين ورثوا الثروة الطائلة الضخمة عن آبائهم، وحيل بينهم وبين العمل السياسي، فقد احتفظوا في مكانتهم الاجتماعية من دون أنّ يكون لهم دور مباشر في إدارة الدولة^(٤)، وقد كان الأمويين يمسكونهم في هاتين المدينتين، لا يقطعون عنهم الأرزاق والجوائز، وإنما يدرونها عليهم إداراً، فضلاً عن ذلك فقد أفاءت الفتوحات الإسلامية على آبائهم الكثير من الغنى والثروة الضخمة، مما أتاح لهم الانغماس في الترف واللهو، مستمتعين بهذه الحياة وملذاتها^(٥)، كذلك عملت السلطة الأموية على نصب العداء للمدينة وحرمان أفراد الأنصار من

(١) زياد بن أبيه : زياد بن سمية، وكان يُعرف قبل استلحاقه بزياد بن عبيد الثقفي، وأمه سُميَّة جارية الحارث بن كلدة، في بداياته ولاه عمر بن الخطاب بعض صدقات البصرة أو بعض أعمالها، وقيل: كان كاتباً لأبي موسى الأشعري، استعمله الإمام عليّ (عليه السلام) على بعض الأعمال، وظل معه حتى استشهاده، وبعد هدنة الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية، قام الأخير باستلحاقه، فُسب إلى أبي سفيان، وجمع له ولاية البصرة والكوفة معاً، فصار أول من وحد له العراقيين تحت سلطة مركزية واحدة، وظل والياً حتى وفاته بالكوفة في شهر رمضان سنة ٥٣هـ، وهو على إمرة المصريين. يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص١٤٨ - ١٥٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص٦ - ٨ .

(٢) نعم عبد الله محمد، الحياة الاجتماعية، ص٢٣ .

(٣) يُنظر: حديث الأربعاء، ص٣٤١ .

(٤) يُنظر: طه حسين، حديث الأربعاء، ص٣٤١ .

(٥) يُنظر: طه حسين، حديث الأربعاء، ص٤٨٦ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

المناصب السياسية والادارية باستثناء بعض الافراد^(١) الذين تعاونوا مع معاوية فنالوا ثمرة تأييدهم للأُمويين^(٢) .

إلى جانب العرب سكن الموالي الذين شكلوا إحدى فئات المجتمع الحجازي والذين كانوا على نوعين موالي عتق الذين كانوا في الأصل رقيق، اعتقوا من قبل العرب فتم تحرير رقبتهم من الرق وتخلصوا من العبودية^(٣)، إذ أنّ ساداتهم اعتقوهم لأسباب دينية أو اقتصادية، إما القسم الثاني من الموالي فكانوا من المسلمين الأحرار، الذين قدموا إلى الحجاز لأسباب اقتصادية كالتجارة والصناعة، والذين دخلوا في محالفة القبائل العربيّة فأصبحوا موالي لهم، وقد ازداد عدد الموالي في الحجاز خلال العصر الأموي؛ وذلك نتيجة للفتوحات الإسلامية^(٤).

إما العنصر الآخر الذي شكل جزءاً من مجتمع الحجاز إلا وهم الرقيق، الذين وجدوا في الحجاز قبل الإسلام، وفي العصر الإسلامي أخذت أعدادهم بالتزايد نتيجة الفتوحات الإسلامية، فقد كانت الحجاز منطلق الجيوش ومركز الفتوحات، فيذكر أنّ معاوية بعث إلى عمر بن الخطاب أربعة آلاف من الرقيق اصابهم في إحدى الفتوحات^(٥)، ولم يقتصر كثرة الرقيق في الحجاز على ما اصابه المحاربون في جبهات القتال، بل أن بعض الحكام اعتادوا على إعطاء اهل الحجاز، كما

(١) يقول معاوية : صحبني أربعة من الأنصار: النعمان بن بشير فولّيته حمص، ومسلمة بن مخلّد فولّيته مصر، وعمر بن سعيد فولّيته فلسطين، وفضالة بن عبيد فولّيته القضاء، ولو زادوني لزدتهم، ولأنا خير لهم من أبي بكر وعمر. يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ١٦٧ .

(٢) يُنظر: أبراهيم بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، ص ٢٢٥ .

(٣) يُنظر: نبأ رضا حسين، العتق في الدولة العربية الإسلامية، ص ١ .

(٤) يُنظر: عبد الله محمد السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص ٢٤١ - ٢٤٢؛ نعم عبد الله محمد، الحياة الاجتماعية، ص ٢٦.

(٥) يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٣؛ البغدادي، صناعة الخراج والكتابة، ص ٣٠٢؛ عبد الله محمد السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص ٢٥١.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

فعل معاوية عندما أهدى عبد الله بن الزبير مالا ورقيق^(١)، ومن العوامل الأخرى التي أسهمت في ازدياد عدد الرقيق في الحجاز هو رواج تجارتهم في العصر الأموي^(٢).

ثانياً: الحياة العامة في الحجاز واثرها في تبين المواقف المجتمعية

خضع مجتمع الحجاز لسلطة معاوية بن أبي سفيان (٤١ هـ - ٦٠ هـ / ٦٦١ م - ٦٧٩ م)، الذي أعلن عن طبيعة حكمه عندما خاطب المجتمع بقوله: "مَا قَاتَلْتُكُمْ لِتُصَلُّوا، وَلَا لِتُصُومُوا، وَلَا لِتُحْجُوا، وَلَا لِتُزَكُّوا، وَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّكُمْ تَفْعَلُونَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ إِنَّمَا قَاتَلْتُكُمْ لِأَتَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ لَهُ كَارِهُونَ"^(٣)، ويظهر من النص أن الصراع الذي خاضه معاوية ضد الإمام علي والإمام الحسن (عليهما السلام) هو من أجل الحصول على السلطة والسيطرة السياسية والهيمنة على المجتمع وقد انتهج عدة وسائل في سبيل استحكام المجتمع منها :

١- الوسائل الإعلامية الدينية :

عمل معاوية بن أبي سفيان على أحداث تغيير جذري في المجتمع، محاولاً أن يطبع أفرادَه على الطابع الذي يؤمن له سيطرته على البلاد، فنهج الاستبداد الديني وخداع الرأي العام للإطاحة بخصومه وتثبيت حكمه وسلطانه، فقام بوضع الأحاديث ونشر القصصيين الذين قاموا برواية فضائل الخلفاء ومعاوية، ووصاهم بقدرح شخصية الإمام علي (عليه السلام) ومنع رواية فضائله ومحاسنه^(٤)، وقد بنوا أحاديث منسوبة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كذباً^(٥)؛ وذلك

(١) يُنظر: عبد الله محمد السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص ٢٥٢.

(٢) يُنظر: عبد الله محمد السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص ٢٥٣؛ نعم عبد الله محمد، الحياة الاجتماعية، ص ٢٨ .

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف، ج ١٧، ص ١٠٧؛ الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج ٣، ص ٣١٨؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٧٧؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج ٢، ص ٥٣٣؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١٤؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٩، ص ١٥٠.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٣ .

(٥) يُنظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٣.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

لخلق مسوغ شرعي يمنع الجماهير من القيام بوجه السلطة، ومن الأحاديث التي وضعوها في الانتقاص من الإمام عليٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من قبيل عروة بن الزبير^(١) منها ان السيدة عائشة حدثته بانها كانت عند رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فاقبل الإمام عليٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) والعبَّاس فقال لها رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ان هذان يموتان على غير ملتي او ديني^(٢).

ووضع عدد كبير من الروايات التي تمجد بالعائلة الأموية وتذكر فضائلهم فقد كتب إلى عمالة "أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان و محبيه و أهل ولايته و الذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمهم و اكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء^(٣) والقطائع وفيضه في العرب منهم والموالي فكثرت ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه و شفعه فلبثوا بذلك حيناً، وعندما كثر الحديث في عثمان دعا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين^(٤)، يتضح من النص أن الأمويين انتهجوا طريقة لنشر فضائل عثمان ذلك لأنه من العائلة الأموية، فضلاً عن أن معاوية قد أخذ حجة قتل عثمان شرعية للثورة ضد الإمام عليٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ومحاربتة.

وقد سعى معاوية بن أبي سفيان إلى تنشئة جيل اجتماعي يبغض الإمام عليٍّ بن ابي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فأتخذ سياسة سب الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) على المنابر سياسة رسمية^(٥)، وبواعث

(١) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي، أمه أسماء بنت أبي بكر، ولد سنة ٢٣هـ، وكان عروة من المشهورين بالبغض والعداء للإمام عليٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، حضر يوم الجمل مع خالته السيدة عائشة على الرغم من صغر سنّه، توفي سنة ٩٣هـ . يُنظر : ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج١٧، ص ٥ .

(٢) يُنظر: الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص ٣٥١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٤؛ الشيرازي، الأربعين، ص ٢٩٤.

(٣) الحباء : العطاء والإكرام. يُنظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ٦٦.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ٤٤. ٤٥ .

(٥) مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٧١؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٣٨؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص ١١٥ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

معاوية على ذلك هو علمه أن الأمر لا يستقيم له ألا بالنيل والانتقاص من الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهذا ما صرح به مروان بن الحكم " أن الأمر لا يستقيم لنا ألا بسبب عليّ" ^(١)، أراد معاوية من سياسة السب أن تكون عادة سلوكية متأصلة في المجتمع ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير ^(٢)، وأن من يرفض ان يسب الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) تقوم عليه سياسة الترهيب وتقرض عليه عقوبات اجتماعية واقتصادية فقد كتب إلى عماله وأوصاهم ان ينظروا إلى أفراد المجتمع من تقوم عليه البيئة أنه يجب الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأل بيته، تفرض عليه عقوبة بأن يحى من الديوان ويسقط عطاءه ورزقه، وتهدم داره ^(٣).

طبق والي المدينة مروان بن الحكم سياسة السب كثقافة مؤدلجة تخدم الطبقة النافذة الأموية فكان مواظباً على سب الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في كل جمعة على المنبر طيلة مدة أمارته على المدينة ^(٤)، وتجلّى ذلك أمام مسامع وأبصار مجتمع المدينة، وقد اعترض جماعة من الصحابة على سياسة السب تمثل بموقف عبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ / ٦٨٨ م) فيذكر أنه مر على جماعة من المسلمين كانوا يسبون الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فاستدرجهم بقوله وأثبت شرك وكفر من سب الله ورسوله وأخذ إقرارهم به أن من سب الله فقد أشرك، ومن سب محمد فقد أشرك، كما ربط سب الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بسبب الله ورسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ^(٥).

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٤٠٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٤٣٨؛ الذهبي، تاريخ

الإسلام، ج ٢، ص ٢٥٤؛ الهيثمي، الصواعق المحرقة، ج ١، ص ١٦٣.

(٢) يُنظر: المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٢.

(٣) يُنظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ٤٥.

(٤) يُنظر: ابن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج ٣، ص ١٧٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٧، ص ٢٤٣؛ ابن

كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٧١٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٥، ص ٢٣١؛ ابن حجر العسقلاني، المطالب

العالية، ج ١٨، ص ٢٦٧.

(٥) يُنظر: الأجرى، الشريعة، ج ٤، ص ٢٠٦٠؛ الجرجاني، الأملالي الخميسية، ج ١، ص ١٧٨؛ الدميري، حياة

الحيوان، ج ١، ص ٢٤١.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

تثبت السيدة أم سلمة^(١) زوج النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) موقف شديد المعارضة لسياسة السب وبنيت امتعاضها من الذين كانوا يسبون الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَام) وأنبتهم على فعلهم فقالت: "أَيْسَبُّ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فِيكُمْ؟،، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: مَنْ سَبَّ عَلِيًّا، فَقَدْ سَبَّنِي"^(٢)، كما ربطت سب الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَام) بسب الله ورسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وقد كتبت لمعاوية: "إِنْكُمْ تَلْعَنُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ عَلَى مَنَابِرِكُمْ، وَذَلِكَ أَنْكُمْ تَلْعَنُونَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ أَحَبَّهُ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ أَحَبَّهُ وَرَسُولَهُ"^(٣).

كما رفض سعد بن أبي وقاص سب الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَام) عندما طلب منه معاوية ان يسبه ولما سئل عن سبب امتناعه من السب قال: "لَا أُسَبُّ مَا ذَكَرْتُ ثَلَاثًا قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، لِأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةً مِنْهُنَّ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ"^(٤)، قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: مَا هُنَّ يَا أَبَا إِسْحَاقَ؟ قَالَ: لَا أُسَبُّهُ مَا ذَكَرْتُ حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فَأَخَذَ عَلِيًّا وَابْنَيْهِ وَفَاطِمَةَ فَأَدْخَلَهُمْ تَحْتَ ثَوْبِهِ، ثُمَّ قَالَ: رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، وَلَا أُسَبُّهُ مَا ذَكَرْتُ حِينَ خَلَفَهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: خَلَفْتَنِي مَعَ الصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ، قَالَ: أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي وَلَا أُسَبُّهُ مَا ذَكَرْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: لِأَعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ

(١) وهي هند بنت أبي أمية ابن المغيرة القرشية المخزومية وكان أبوها يعرف بزاز الركب لأنه كان أحد الأجواد فكان إذا سافر لم يحمل أحد معه من رفقته زادا، بل هو كان يكفيهم، وكانت قبل النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قد تزوجت ابن عمها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، وهاجرت معه إلى الحبشة والمدينة فلما توفي خلف عليها رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، توفيت بعد مقتل الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) سنة ٦١ هـ. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٨٦؛ ابن حبان، الثقات، ج ٣، ص ٤٣٩؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٧، ص ٢٧٨؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ٨، ص ٣٤٢.

(٢) ابن حنبل، مسند أحمد، ج ٤٤، ص ٣٢٩؛ الآجري، الشريعة، ج ٤، ص ٢٠٥٧؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٣٠؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٢٦٦.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص ١١٥؛ الخطيب التبريزي، الإكمال، ص ٨٠؛ الباعوني، جواهر المطالب، ج ٣، ص ٢٢٨.

(٤) حمر النعم: الإبل الحمر تُعدّ عند العرب أنفس أنواع الإبل وأجودها، وكانت تمثل أعرّ أموالهم وأغلاها قيمة. يُنظر: السيوطي، جامع الاحاديث، ج ٧، ص ٨٧.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ فَتَطَّوَلْنَا لِرَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ: أَيَنْ عَلَيَّ؟ قَالُوا: هُوَ أَرْمَدُ، فَقَالَ: ادْعُوهُ فَدَعُوهُ فَبَصَقَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ أَعْطَاهُ الرَّايَّةَ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ...^(١).

وضعت الدولة الأموية روايات على لسان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وعممتها من خلال اجهزتها الإعلامية والثقافية بين مجتمع الحجاز تنص بضرورة التزام الجماعة وعدم التفرقة وفي ذلك محاولة للسيطرة على عقل المجتمع بإضافة صفة القداسة على الخليفة أذ أصبحت خطأ دفاعياً يحمي مصالح الفئة المتنفذة، وبفضل الفئات الاجتماعية المساندة للسلطة المتنفذة يلجأ الخليفة إلى فرض القداسة لنفسه من خلال الامتيازات التي حصل عليها وكأنها منزلة من السماء وهذا ما يتضح من قول معاوية : "وَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ لَهُ كَارِهُونَ"^(٢)، كما أراد من المجتمع أن يعتقدوا بذلك ويلتقوا من حوله وأن مخالفتهم له سينالون أقسى العقوبات محاولاً السيطرة على المجتمع وانسجامه بكبت أو كبح آراء أفراد المجتمع ووجهات نظرهم^(٣)، ومن بين هذه النصوص الحديثية التي تتسم بقوة تأثيرها على فهم الجمهور وهي :

- " سَتَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ أَوْ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ فَأَقْتُلُوهُ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ"^(٤).

- "عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوبة الجنة فليلزم الجماعة"^(٥).

(١) مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٧١؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٣٨؛ النسائي، خصائص علي، ص ٧٣-٧٤؛ الحاكم النيسابوري، ج ٣، ص ١١٧.

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف، ج ١٧، ص ١٠٧؛ الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج ٣، ص ٣١٨؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٧٧؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج ٢، ص ٥٣٣؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١٤؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٩، ص ١٥٠.

(٣) يُنظر: عبد الجليل الطاهر، أصنام المجتمع، ص ٣٠ - ٣٢.

(٤) ابن حنبل، مسند أحمد، ج ٣١، ص ٣٣٨؛ النسائي، السنن الكبرى، ج ٣، ص ٤٢٨؛ الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ج ٦، ص ١٠٢؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج ١٧، ص ١٤٤.

(٥) الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٤٦٥؛ السيوطي، جامع الأحاديث، ج ١٠، ص ٢٦٤.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

- "من خرج من الجماعة قيد شبر؛ فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، حتى يراجعه"^(١).

- "أيها الناس، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة"^(٢).

- "إنَّ أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار، إلا واحدة وهي الجماعة"^(٣).

- "يُذِ اللَّهُ مع الجماعةِ ومن شَذَّ شَذَّ إلى النَّارِ"^(٤).

- "من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتةً جاهلية"^(٥).

إن هذه النصوص الحديثية ليست مجرد كلمات، إنما منهج وظف توظيفاً سيئاً في سبيل تخدير المجتمع باسم الدين وشل حركتهم في التحرر؛ وذلك لأنك إذا ألغيت أرادة الأمة واختيارها فقد ألغيت وجودها وحركتها، فاستخدمت في تبرير سياسة السلطة الحاكمة وتفسير الواقع محاولة تضليل المجتمع تحت شعار حرمة الخروج على السلطان مهما كانت درجة انحرافه وجبروته، معللة أن ذلك يؤدي إلى افتراق الأمة وشق عصا المسلمين وخروجاً صارخاً على الجماعة، وكان لهذه النصوص صدی في أحداث تحولات في الجانب الفكري لأجيال المجتمع .

أن الدولة الأمويّة كانت في أمس الحاجة لتوظيف المقدس، وذلك من خلال تكريس مبدأ يشبه حكم الدولة الثيوقراطية التي وصل أفرادها إلى الحكم بمشيئة إلهية حتى تتحول الأسرة الحاكمة هي الأخرى ربانية، ولذلك فإنهم كانوا بحاجة إلى تبرير ديني يسوغ ممارساتهم القمعية،

(١) ابن حنبل، مسند أحمد، ج ٢٨، ص ٤٠٦؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج ٣، ص ٢٨٨؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ١، ص ٤٩٥ .

(٢) ابن حنبل، مسند أحمد، ج ٣٨، ص ٢٢٠؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٤٦٥؛ ابن أبي عاصم، السنة، ج ١، ص ٤٢ .

(٣) ابن حنبل، مسند أحمد، ج ٢٨، ص ١٣٨؛ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٣٢٢؛ ابن أبي عاصم، السنة، ج ١، ص ٣٢ .

(٤) ابن أبي عاصم، السنة، ج ١، ص ٣٩؛ السرخسي، المبسوط، ج ١، ص ١٧٧؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ١، ص ١٩٩ .

(٥) البخاري، صحيح البخاري، ج ٩، ص ٤٧؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ٤٧٧ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

كمذهب يكرس الخضوع والاستسلام للقضاء والقدر الذي جاء بهم إلى الحكم، لذلك فقد حاول معاوية بن أبي سفيان استخدام العقيدة الجبرية والتي تعني بأن الإنسان مجبور على أفعاله جبراً تكوينياً من قبل الله سبحانه وتعالى، أي أن الإنسان مسير لا مخير لا يملك حرية ولا قدره له على اختيار أعماله وأن أفعاله مفروضة عليه من جهة القدر والقضاء الإلهيين^(١)، فقد خرج معاوية ذات يوم يتلو قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾^(٢)، وأردف قائلاً "فعلام تلومونني إذا قصرت في إعطائكم"^(٣)، أن السلطة تحاول السيطرة على بعض فئات المجتمع التي تعاني من الهزيمة على الصعيدين النفسي والمجتمعي، لذلك عندما يصبح مصير الفرد خارج نطاق سيطرته الذاتية معدوم الإرادة، حينئذ تقدم عبر أدواتها الدينية مخرجاً سماوياً يبرر سياستها وهذا الطابع السياسي للأمويين يدعو إلى خضوع الذات للمجموعة، وقد وافقت هذه العقيدة هوى الأمويين فالسلطة يتم تحديدها من الله سبحانه وتعالى وليس للمجتمع فيها إرادة ولا مشورة، والخليفة هو خليفة الله، لذلك أصبحت عقيدة الجبر تفسير مقنع لخضوع الأفراد ومسوغ مقبول لسياسة السلطة ذلك امتثالاً لإرادة الله ومعياراً للإيمان، ورسخت لدى المجتمع مبدأ الخضوع والاستسلام .

٢- الوسائل الاقتصادية:

أراد معاوية بن أبي سفيان بسط نفوذه على مجتمع الحجاز وذلك بشراء ضمائر الأفراد المؤثرين حتى لا يرفعوا لواء المعارضة ويكسب ودهم ويضمن بأنهم لا يمارسون دوراً في تأليب المجتمع ضده ، فيذكر أنه اعطى للسيدة عائشة مئة ألف درهم^(٤)، وهناك من يذكر انها وزعت تلك الأموال فيذكر عروة بن الزبير "أن معاوية بعث مرة إلى عائشة بمائة ألف درهم، فوالله ما امست حتى فرقتها، فقالت لها مولاتها: لو اشتريت لنا منها لحماً؟، فقالت ألا قلت لي"^(٥)، ويقال أن

(١) يُنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٨٥ .

(٢) سورة الحجر، الآية ٢١ .

(٣) الأبي، نثر الدر، ج ٥ ص ٣٥؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، ج ٢، ص ٦٢ .

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ في التاريخ، ج ١١، ص ٤٤٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٥١٠ .

(٥) الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ٢، ص ٤٩؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٩، ص ١٩٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٢٤٨ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

معاوية قد أشتري منزلها بمبلغ كبير قد وصل إلى مائة وثمانين ألف درهم مع اشتراطه أن تسكن فيه حتى وفاتها^(١)، وبذل معاوية الأموال على الأمويين الذين سكنوا المدينة.

كما مارس معاوية ضد جماعة الأنصار بسبب موقفهم المناصر للإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) سياسة الحرمان وهذا ما يتضح من قوله: "يا معشر الأنصار،... فوالله لقد كنتم قليلاً معي وكثيراً عليّ وقد فللتم حديّ يوم صفين حتى رأيت المنايا تلطّى في أسنتكم، وهجوتموني في إسلافي"^(٢)، ومن المعلوم أن النهج السائد عند الأمويين هو قطع ارزاق الخصوم وشلهم اقتصادياً، فعانى مجتمع الأنصار من شظف العيش وانتشر الفقر في بيوتهم حتى أصبح الفرد لا يستطيع شراء دابة يستعين بها في إدارة شؤونها، يذكر أن معاوية حجّ وعندما وصل بالقرب من المدينة استقبله جماعة من الأنصار وكانوا أكثرهم مشاة فسألهم مستغرب الأمر لماذا لم يستقبلونه كما استقبله مجتمع مكة فأجابوه منعنا من ذلك قلة الظهر بسبب محدودية الموارد المالية وافتقارنا للدعم الاجتماعي، وتفضيلك للآخرين دوننا، فقام معاوية مستهزئاً بهم فقال: أين أنتم عن نواضح المدينة^(٣)؟ فأجابوا بقولهم : نحرناها يوم بدر، يوم قتلنا حنظلة بن أبي سفيان^(٤)، وقد سعى معاوية لأضعاف المجتمع المدني فحبس عنهم العطاء بسبب موقفهم المعارض من حكمه^(٥).

٣- الوسائل السياسية :

شهد مجتمع الحجاز عدداً من الاغتيالات السياسية حيث لجأت السلطة الأموية إلى التخلص من خصومها بالاغتيال عن طريق السم وقد أشتهر معاوية بن أبي سفيان بمقولته "أن لله

(١) يُنظر: الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ٢، ص ٤٩ .

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٦٣؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ١١٩؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٩، ص ٤٣٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٧، ص ٦٢ .

(٣) نواضح المدينة : الإبل التي يُستقى عليها الماء من البئر. يُنظر: الفيومي، المصباح المنير، ج ٢، ص ٦٠٩ .

(٤) حنظلة بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي القرشي، أمه صفية بنت العاص، أدرك الإسلام وكان شديد الأذى لرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والمسلمين قتل في معركة بدر كافرًا سنة (٢هـ). يُنظر : الزركلي ، الأعلام، ج ٢، ص ٨٦.

(٥) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ١٢٤ .

(٦) يُنظر: ابن قتيبة الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٧٧.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

جنّداً من عسل"^(١)، أذ نجح من خلال هذه الطريقة للتخلص من الإمام الحَسَنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وسعد بن أبي وقاص أذ أن معاوية عندما أراد أخذ البيعة لأبنه يزيد ولم يكن شيء أثقل عليه منهما ففس اليهما السم وماتا جراء ذلك^(٢)، ويذكر ان اول ذل دخل على المجتمع العربي هو قتل الإمام الحَسَن بن علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(٣)، فتسلط الطلقاء بكل قوة على المجتمع، ففقد المجتمع آخر أمل في قيام خلافة إسلامية تعتمد القرآن وتطبق العدل والمساواة بين جميع أفرادها من دون عصبية قبلية، ذلك لان الشخصية الأموية شخصية نفعية مصلحة بعيدة عن الالتزام بالبادئ الإسلامية والثبات عليها، فعلى الرغم أن من بين بنود الهدنة التي وقع بين معاوية والإمام الحَسَن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هو أذا حدث أمراً للإمام الحَسَن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) تكون الخلافة للإمام الحُسَيْن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وليس لمعاوية الحق في ان يعهد لها لغيره^(٤)، لكن حدث خلاف ذلك.

كان أول اجراء عمله معاوية هو اتخاذ خطوة توريث الحكم إلى أبنه يزيد، وتأسيس سلطة سياسية من دون وجود شرعية تستند عليها بالمعنى الإسلامي، إذ لم تستند إلى آليات الإقرار المجتمعي أو القبول العام، وتعدّ الشرعية في علم الاجتماع القاعدة القانونية للسلطة الحاكمة التي تفترض إقامة وحدة حقيقية بين السلطة والمجتمع، وكلما بذلت السلطة جهداً في جعل سياساتها العامة أكثر استجابة لمطالب المجتمع كان الأفراد أكثر امتثالاً لقراراتها حيث تتمكن من التغلغل

(١) المقدسي، البدء والتاريخ ج ١، ص ١٧١؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٣، ص ٣٠٤؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٦، ص ١٩٠.

(٢) تؤكد كتب التاريخ بأن التي باشرت قتل الامام الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هي زوجته جعدة بنت الاشعث الكندي ، لكن الذي خطط لقتل الإمام الحسن و أمر بذلك و أعطى الوعود و الجوائز على قتل سبط رسول الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ واله وَسَلَّم) هو معاوية بن أبي سفيان ، فقد روي ان معاوية أَرْسَلَ إِلَى جَعْدَةَ بِنْتِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ أَنِّي مُرَوِّجُكَ يَزِيدَ ابْنِي عَلَى أَنْ تَسْمِيَ الْحَسَنَ، وَ بَعَثَ إِلَيْهَا مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَفَعَلَتْ وَ سَمَّتِ الْحَسَنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَسَوَّغَهَا الْمَالَ وَ لَمْ يُزَوِّجْهَا مِنْ يَزِيدَ، فَخَلَفَ عَلَيْهَا رَجُلٌ مِنْ آلِ طَلْحَةَ فَوَلَدَتْ لَهُ، فَكَانَ إِذَا وَقَعَ بَيْنُهُمْ وَ بَيْنَ بَطُونٍ قُرَيْشٍ كَلَامٌ غَيْرُهُمْ وَ قَالُوا: يَا بَنِي مُسِمَّةِ الْأَزْوَاجِ . يُنْظَرُ : المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٦؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ج ٦، ص ٥؛ الأصفهاني، مقاتل الطالببيين، ص ٨٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ١، ص ٣٨٩.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٣٥٣؛ ابن أبي شيبه، المصنف، ج ٢٠، ص ١٥١؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٣ ص ٢٩٥؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ٦، ص ٢٥٥.

(٤) يُنْظَرُ : الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢٦٤.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

بين المجتمع والتماثل معه، وهنا تتحقق شرعيتها وبخلاف ذلك لا يعطي المجتمع شرعية للسلطة الحاكمة ما لم تتماثل وتتطابق معه، وعليه فإن الشرعية تكمن في قدرة النظام السياسي على اقناع المجتمع وتوليد لديه الاعتقاد بأن سياستها هي الأكثر ملائمة للمجتمع، ويقدر الأفراد والجماعات شرعية النظام السياسي أو عدم شرعيته طبقاً للتماثل والتطابق بين قيم المجتمع وقيم النظام السياسي^(١).

إن ولاية العهد كانت جديدة على المجتمع بعيدة عن نظام الحكم الإسلامي أشبه ما يكون بأنظمة الحكم الملكية الوراثية، فضلاً عن شخص يزيد المرشح غير المؤهل لحكم المجتمع الإسلامي، فلم يكن كأبيه الذي يخفي موبقاته وفواحشه ولم يظهر استهتاره بالدين، بينما يزيد كانت تنقصه القدرة على تغليف تصرفاته بستار اللباقة الدبلوماسية الناعمة، فقد عرف بانحرافاته الأخلاقية والعقائدية منها إدمانه على الخمر وملاعبة القروء والكلاب وصاحب طرب ومجون، يأمر بالمنكر وينهي عن المعروف زانياً بالمحارم مجاهراً بالفسق والفجور، قاتل النفس المحرمة .

ويرى عالم الاجتماع الفرنسي موريس دوفرجيه أن الاستيلاء على السلطة من قبل فاقد الشرعية وأفضل وسيلة لاكتسابها هو القضاء على جميع المنافسين الذكور^(٢)، وهذا ما فعله معاوية بن أبي سفيان عندما تخلص من الإمام الحَسَنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وعبد الرحمن بن الد بن الوليد^(٣)، كذلك يمكن اللجوء إلى السلطة الدينية التي تعتبر حكماً أذ يلزم أفراد المجتمع بالطاعة ويتبين ذلك عندما عرض معاوية البيعة لأبنه يزيد فقال أحد الأفراد كارهاً للبيعة "اللهم إني أعوذ بك من شر معاوية، فأجابه معاوية: تعوذ من شر نفسك، فإنه أشد عليك، وبإيع، قال: إني أبايع وأنا كاره

(١) يُنظر : هشام حكمت عبد الستار وآخرون، علم الاجتماع السياسي، ص ٥٣. ٥٤ .

(٢) يُنظر: علم اجتماع السياسة ص ١٤١- ١٤٢ .

(٣) يُنظر: العسكري، الأوائل للعسكري، ص ٢٣٤؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ١٧٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٨٦ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

للبيعة، قال له معاوية بايع أيها الرجل^(١)، فإن الله يقول: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٢)،

فمعاوية أستطاع التلاعب في مخيلة الجمهور عن طريق الاستخدام الذكي للكلمات، وذلك باستعمال النصوص الدينية من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية في غير موضعها بما يحقق له الفائدة في مواجهة الفئات الرافضة لسلطته والبيعة لأبنه، ومن منظور غوستاف لوبون يمكن تفسير هذا الأسلوب على أنه توظيف العبارات المناسبة التي تبرر أفعال الحاكم تخدم مصالحه وهذه الوسيلة كفيلة بالتأثير على روح الجماهير^(٣).

دعي المجتمع إلى بيعة يزيد من قبل الولي مروان بن الحكم (٤٢ - ٤٩ هـ) الذي أرسل إليه معاوية بن أبي سفيان بأخذ البيعة من اهل المدينة^(٤)، فقام مروان خطيباً ودعا الناس إلى البيعة وحضهم على الطاعة وحذرهم من الفتنة وعبر عن ثقة معاوية في قراره باختيار أبنه من بعده "ان أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل، وقد استخلف ابنه يزيد بعده"^(٥)، وكانت المدينة تضم مجموعة من أبناء الصحابة أهل الحل والعقد ذوي الثقل الأكبر في المجتمع الإسلامي الذين تباينوا في موقفهم من بيعة يزيد، فأعرض عبد الرحمن بن أبي بكر^(٦) الذي أنبرى بقوله "كذبت والله يا

(١) يُنظر: ابن أبي الدنيا، حلم معاوية، ص ٣٦؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٨٨؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص ١١٩.

(٢) سورة النساء، الآية ١٩ .

(٣) يُنظر: سيكولوجية الجماهير، ١٠٨ - ١٠٩ .

(٤) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٤، ص ٣٣٤؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص ١١٩؛ المقدسي البدء والتاريخ، ج ٦، ص ٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ في التاريخ، ج ٣، ص ١٠٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٣٥٢.

(٦) عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة التيمي القرشي، شهد بدرًا مع المشركين، ثم أسلم بعد ذلك وهاجر إلى المدينة قبل فتح مكة، شهد معركة اليمامة، وشارك في غزو إفريقية، كما حضر وقعة الجمل إلى جانب شقيقته عائشة . يُنظر: المزي، تهذيب الكمال، ج ١٦، ص ٥٥٥ - ٥٥٦؛ الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٣١١.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

مروان وكذب معاوية، ما الخيار أردتما لأمة محمد، ولكنكم تريدون ان تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل^(١) .

وامتنع غالبية مجتمع المدينة من مبايعة يزيد، وكان ابرز المعترضين من وجهاء الأمة وساداتها ذوي المكانة الدينية منهم رئيس البيت النبوي الإمام الحسين (عليه السلام) ، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر (ت ٧٤هـ / ٦٩٣م)^(٢)، وعبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ / ٦٩٢م)^(٣)، فكان مجتمع المدينة يمثلون الجبهة المعارضة للبيعة^(٤)، حيث أن توريث الحكم يعد خرقاً لما سار عليه المجتمع الإسلامي، خاصة وأن يزيد لم يكن مؤهلاً لرئاسة المجتمع، فكتب مروان إلى معاوية وبين عدم استطاعته بأخذ البيعة فعزله معاوية وولى على المدينة سعيد بن العاص (٤٩ - ٥٤هـ)^(٥).

(١) ابن أبي الدنيا، الأشراف، ص ٢١٨؛ العسكري، الاوائل للعسكري، ص ٢٣٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٣٥، ص ٣٥ ابن الأثير، الكامل في التاريخ في التاريخ، ج ٣، ص ١٠٠ .

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أمه زينب بنت مظعون الجمحية، ولد في مكة في السنة الثالثة للبعثة، لم يبايع الإمام علي (عليه السلام)، وبايع معاوية، كما سارع إلى مبايعة يزيد بن معاوية بدعوى أن الناس اجتمعوا عليه، واعتزل ابن عمر أهل المدينة حين خلعوا يزيد بن معاوية، وأمر ولده وأهله أن يقيموا على بيعته، ولا يتابعوا أهل المدينة على خلعه. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٤، ص ١٨٣؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٣٧٧؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ٤، ص ١٥٦.

(٣) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، وُلد في السنة الأولى أو الثانية للهجرة، شارك في معركة الجمل إلى جانب أبيه الزبير وخالته عائشة في قتالهم للإمام علي (عليه السلام)، وقيل إنه كان ممن أشار على عائشة بالمسير إلى البصرة، وقد عاتب أباه الزبير عند اعتزاله القتال، فوصفه بالجبن والتراجع، وبعد وفاة يزيد بن معاوية امتنع عبد الله عن بيعته، ثم دعا لنفسه بالخلافة، واستقر بمكة حتى وجّه إليه عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي، فقاتله الأخير وقتله بمكة. يُنظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٤٩٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٧٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٤، ص ١٢٤؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ٩٠٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢٠، ص ١٠٣، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٣، ص ٣٦٣.

(٤) يُنظر : المقدسي، البدء والتاريخ، ج ٦، ص ٦؛ ابن كثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٠٠ .

(٥) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي، قُتل أبوه يوم بدر كافرًا ، ولّاه الخليفة عثمان بن عفان الكوفة بعد عزل الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وبعد مقتل عثمان اعتزل الفتنة ولزم بيته، فلم يشارك في وقعة الجمل ولا في صفين، وحين استقر الأمر لمعاوية بن أبي سفيان ، عاتبه على تخلفه عن نصرته في حروبه، ثم ولاه معاوية المدينة، وكان يتناوب ولايتها مع مروان بن الحكم؛ فإذا عُزل أحدهما ولّاه مكانه، توفي سنة ٥٩هـ. يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٤٨١ - ٤٨٣.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

إنَّ معارضة المجتمع وهذه الشخصيات تمثل عقبة كبيرة أمام طموحات معاوية، إذ اعتاد على ترويض الجمهور عبر سياسته المعروفة سياسة الترغيب ببذل الأموال لشراء ذمم أفراد المجتمع، فكان يعطي الأقارب ويداري المبادئ ويلطف به حتى استوثق له أكثر الناس^(١)، فأرسل إلى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم فقبلها فلما ذكر أمربيعة يزيد أمتنع عن أخذها لكنه بايع يزيد فيما بعد^(٢)، كما بعث بمثلها إلى عبد الرحمن بن أبي بكر لكنه أمتنع عن أخذها بقوله "لا أبيع ديني بدنياي"^(٣).

لما أستعظم أمر كراهية مجتمع المدينة مبايعة يزيد، لجأ معاوية إلى استخدام سياسة التهيب فأمر سعيد بن العاص أن يدعو المجتمع من خلال الصحابة البارزين مرة أخرى ويكتب له بأسماء من أسرع بالاستجابة بالبيعة وبمن أبطأ عنها ولا يدع أحدا من أفراد المجتمع حتى يبايعوا ، فدعا المجتمع وأخذهم بالعزم والحزم وأستخدم القسوة والغلظة ضد كل من تقاعس عن ذلك، وفرض عليهم الضغط والإكراه في سبيل استحصال البيعة مما أدى إلى التراجع في مواقف المجتمع وأظهروا بيعتهم ألا القليل الذين ثبتوا على موقفهم بعدم المبايعة وهم بنو هاشم حيث لم يجيبه أحد منهم ، وبعد فشل سعيد بن العاص في أخذ البيعة كتب إلى معاوية بالأمر "وإني أخبرك أن الناس عن ذلك بطاء لا سيما أهل البيت من بني هاشم فإنه لم يجبني منهم أحد وبلغني عنهم ما أكره .. ولست أقوى عليهم إلا بالخيال والرجال أو تقدم بنفسك فترى رأيك في ذلك"^(٤)، لذلك عمد معاوية إلى استخدام سياسة الحرمان الاقتصادي ضدهم للضغط عليهم وإضعاف دورهم وحملهم على تغيير موقفهم، فمنع عنهم العطاء سنة كاملة؛ لأنهم رفضوا البيعة^(٥).

(١) يُنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ في التاريخ، ج ٣، ص ١٠١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٣٥٥.

(٢) الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج ١، ص ٤٩٢؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج ١٦، ص ٥٦٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ في التاريخ، ج ٣، ص ٩٩.

(٣) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ٥٤٢؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٣٥، ص ٣٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٣٣٠.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٥٣.

(٥) يُنظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٦٤.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

كان الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يمثل الند الأكثر تأثيراً على السلطة الأموية ، بحكم هدنة الإمام الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حتى بدأت الوفود تترى على الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من جميع الأمصار الإسلامية تعج بالشكوى وتستغيث به نتيجة الظلم والجور الذي حل بهم من السلطة الأموية ، وفي ضوء ذلك رفع والي المدينة مروان بن الحكم (٥٤ . ٥٧ هـ) كتاباً إلى معاوية اوضح فيه كثرة اختلاف الجماعات على الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وحذر معاوية من صعوبة موقف الامام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) واجتماع الناس عليه^(١)، فلما توجس معاوية تحرك الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) واجتماع الناس حوله ، كاتبه وقد تم نقل كتابه بروايتين الاولى : " أما بعد فقد انتهت إلي عنك أمور أرغب بك عنها، فإن كانت حقاً لم أقارَكَ عليها، ولعمري إن من أعطى صفقة يمينه وعهد الله وميثاقه لحري بالوفاء ، وإن كانت باطلا فأنت أسعد الناس بذلك، وبحظ نفسك تبدأ، وبعهد الله توفي، فلا تحملي على قطيعتك والإساءة بك، فإني متى أنكرت تنكرني، ومتى تكذني أكذك، فاتق شق عصا هذه الأمة وأن يرجعوا على يدك إلى الفتنة"^(٢).

أما الرواية الثانية فقد رواها: " إن من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء ، وقد أنبت أن قوما من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق، وأهل العراق من قد جربت؛ قد أفسدوا على أبيك، وأخيك، فاتق الله، واذكر الميثاق فإنك متى تكذني أكذك"^(٣).

وفي مضمون الروايتين تهديد وطلب واضح من قبل معاوية بن أبي سفيان بضرورة التزام الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ببند الهدنة المعقودة مع الإمام الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وعدم الخروج على حكمه، وقد وفى له الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بذلك ألا أن معاوية لم يلتزم بأي شيء مما أبرمه على نفسه من شروط الصلح، فأجابه الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): " أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه انه انتهت إليك عني أمور لم تكن تظنني بها رغبة بي عنها وإن الحسنات لا يهدى لها ولا

(١) يُنظر: ابن سعد، الطبقات ج ٦، ص ٤٢٣؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٦٧؛ الدينوري، الأخبار

الطوال، ص ٢٢٤؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٧، ص ١٥٠؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٦، ص ٢٦٠٦.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ١٢٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٧، ص ٣٥٥ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات، ج ٦، ص ٤٢٣؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٦، ص ٢٦٠٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢،

ص ٥٧٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٥٠٠.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

يسدد إليها إلا الله تعالى وأما ما ذكرت أنه رقي إليك عني فإنما رقاها الملاقون المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الجمع وكذب الغاؤون المارقون ما أردت حربا ولا خلافا وإنني لأخشى الله في ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحليين حزب الظالم وأعوان الشيطان الرجيم، ...، قلت لا ترد هذه الأمة في فتنة وإنني لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها وقلت فيما قلت انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد وإنني والله ما أعرف أفضل من جهادك فإن أفعل فإنه قرابة إلى ربي وإن لم أفعله فاستغفر الله لديني وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى، وقلت فيما قلت متى تكدني أكذك فكدني يا معاوية فيما بدا لك فلعمري لقدima يكاد الصالحون وإنني لأرجو أن لا تضر إلا نفسك ولا تحقق إلا عملك فكدني ما بدا لك واتق الله يا معاوية واعلم أن الله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها واعلم أن الله ليس بناس لك قتلك بالظنة وأخذك بالتهمة وإمارتك صبا يشرب الشراب ويلعب بالكلاب ما أراك إلا وقد أوبقت نفسك وأهلك دينك وأضعت الرعية والسلام^(١).

إن موقف الإمام الحسين (عليه السلام) هذا الذي أبداه في جوابه لمعاوية، أربك معاوية وكان لصدى هذا الرد تأثير كبير حيث أحدث وقعا كالصاعقة عليه حتى أنه قال: " إن أثرتنا بأبي عبد الله إلا أسدأ"^(٢)، وهذا يعكس مدى هيبة الإمام الحسين (عليه السلام) وقوة شخصيته، إذ جسدت هذه الكلمات المخاوف التي كانت تسيطر على معاوية من شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) وقدرتها على تحفيز المجتمع والتأثير في سلوكه، حتى في ظل الظروف القاسية والظلم الذي كان يواجهه من قبل السلطة الأموية .

نظرا للمكانة الدينية التي كانت تتمتع بها المدينة المنورة ولثقل مجتمعتها التي لم تكن موالية لمعاوية سيما وأن الأمويين دخلوا إلى الإسلام لأجل مصلحة وليس من باب الايمان والافتناع، فأتخذ معاوية قرارا بالسفر إلى المدينة شخصيا بهدف أقناع الأفراد المعارضين في المجتمع، لم يكن معاوية يعتمد على القوة ليدعم ملكه وقراراته بل استند ايضا إلى توظيف الجانب

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٥٥-١٥٧؛ الطبرسي، الإحتجاج، ج ٢، ص ١٧-١٨ .

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٤٤٠؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ١٤، ص ٢٠٦؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٦، ص ٢٦٠٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية ج ١١، ص ٥٠٠ .



الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

الديني بما يبرر لأفعاله، حيث أتخذ مسألة القدر أداة تبريرية لممارساته فعندما سألته السيدة عائشة عن سبب تنصيب ولده يزيد خليفة من بعده فأجابها بقوله: "أن امر يزيد قضاء من القضاء وليس للعباد الخيرة من أمرهم"^(١)، وأجاب عبد الله بن عمر بهذا الصدد عندما استفسر معاوية عن تنصيب يزيد فأجابه معاوية "إني أحذرك أن تشق عصا المسلمين وتسعى في تفريق ملئهم وأن تسفك دماءهم وأن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء وليس للعباد خيرة من أمرهم"^(٢).

أراد معاوية أن يطبع في أذهان المجتمع أن كل ما يأمر به الخليفة هو قضاء من الله قدر على الجماهير، لذلك بذل كل ما بوسعه لإخضاع المجتمع لرغباته وهنا ينطبق وصف الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لأوضاع المجتمع الإسلامي عند تولي بني أمية زمام الأمور حيث قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): "إِذَا بَلَغَتْ بَنُو أُمِّيَّةٍ أَرْبَعِينَ اتَّخَذُوا عِبَادَ اللَّهِ خَوَلًا"^(٣)، وَمَالَ اللَّهِ نَحْلًا"^(٤)، وَكَتَابَ اللَّهُ دَعْلًا"^(٥)، فمعاوية كان مستعدًا لاستخدام أي وسيلة، بما في ذلك الخداع والدهاء والمكر ونقض العهود، لتحقيق استقراره السياسي والمحافظة على استمرار سلطته.

حاول معاوية تضليل المجتمع بتقديم صورة تحويلية مزيفة عن شخص يزيد بهدف التأثير على الرأي العام لأقناعه وجذبه إلى ساحته والتأثير على فكره ووجدانه، فراح يشيد بشخصية يزيد ويلمع صورته وينسب إليه الخصال الحسنة التي لا تمت له بصلة منها قدرته على المناظرة،

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٥٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٧، ص ٣٥٨؛ الحلي، نهاية المرام في علم الكلام، ج ١، ص ٢٠.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٦١-١٦٢؛ مقاتل ابن عطية، أبهى المداد، ج ٢، ص ١٥٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٤٥٨.

(٣) خولاً: أي خدماً وعبيداً، يعني أنهم يستخدمونهم ويستعبدونهم، واستخول في بني فلان، أي اتخذهم خولاً. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٢٢٥.

(٤) نحلاً: عطاء لا يقوم على قاعدة الاستحقاق، وإنما على أساس الإيثار والتخصيص. يُنظر: السيوطي، جامع الاحاديث، ج ٢، ص ٤٥٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٦٥٠.

(٥) دغلاً: العيب والغش والفساد، يعني أنهم يُدخلون في الدين أموراً لم يأت بها الشرع، فأدخلوا في تفسير كتاب الله ما ليس منه. يُنظر: السيوطي، جامع الاحاديث، ج ٢، ص ٤٥٦.

(٦) المروزي، الفتن، ص ٧٢؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٩، ص ٢١٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩، ص ٢٦٧؛ المقرئ، إمتاع الأسماع، ج ١٢، ص ٢٧٥.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

واظهاره بأنه يتمتع بالعلم ولديه معرفة دينية عميقة فهو ملم بالسنة النبوية والقرآن الكريم، ووصفه بأنه شخصية قوية ذو أرادة حلم وصبر حتى في أقسى الظروف^(١)، لكن الإمام الحسين (عليه السلام) تصدى له وبين أن الحقيقة عكس ما يقول حيث خاطبه قائلاً: "هيهات هيهات يا معاوية: فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ...، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى محلت، وجزت حتى جاوزت ما بذلت لذي حق من اسم حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر، ونصيبه الأكمل، وفهمت ما ذكرت عن يزيد من اكتماله، وسياسته لأمة محمد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتوته بعلم خاص، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما أخذ فيه، من استقرائه الكلاب المهارشة^(٢) عند التهارش، والحمام السبق لأترابهن، والقيان ذوات المعازف وضروب الملاهي تجده باصراً، ودع عنك ما تحاول"^(٣).

يبدو أن الإمام الحسين (عليه السلام) من خلال هذه المخاطبة أوضح مختلف الوسائل اللادينية والأخلاقية التي أتبعها معاوية لتجميل ابنه يزيد من اجل الحكم، الأمر الذي يدفعنا للتفصيل والوقوف على هذا الوصف الدقيق، فنقد (عليه السلام) الاحتكار السياسي نقداً لاذعاً "واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى محلت حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر، ونصيبه الأكمل" فقد هيمنت السلطة الأموية على الثروة والسلطة دون مراعاة العدالة، وأشار (عليه السلام) إلى تفشي الفساد والانحلال الأخلاقي للسلطة الأموية الحاكمة "استقرائه الكلاب المهارشة ...، والقيان ذوات المعازف"، كما كشف (عليه السلام) آليات التضليل الإعلامي للتلاعب بالوعي الجماعي وذلك باستخدام الخطابات السياسية لتزييف الواقع في صناعة الشرعية الزائفة وذلك عبر الترويج لصورة مزيفة عن الحاكم "تريد أن توهم الناس في يزيد".

(١) يُنظر : ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص ١٦٠ .

(٢) الكلاب المهارشة: الكلاب التي يُحرّض بعضها على بعض فتقاتل فيما بينها. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ٦، ص ٣٦٣ .

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص ١٦٠-١٦١ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

كما فضح (عَلَيْهِ السَّلَامُ) التناقض بين ادعاءات معاوية من اكتمال يزيد وقدرته على قيادة المجتمع "كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً" وبينما هو في الواقع يعبر عن القيم الفاسدة "وقد دل يزيد من نفسه،... استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبق لأترابهن، والقيان نوات المعازف وضروب الملاهي"، وهذا هو النفاق السياسي في الترويج للأشخاص وتلميع صورهم في سبيل إبرازهم كشخصية مثالية قادره على تسلم السلطة وتلبية حاجات المجتمع، فوجد أن المجتمع الإسلامي كان يعيش حالة من التناقض والتنازع القيمي بين القيم الاصلية التي تمثل العدل والحق وركيزتها الأساسية الإصلاح وهي قيم العدل الإسلامي التي مثلها الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وقيم منحطة وهي قيم السلطة المادية والتي مثلها معاوية وأبنه يزيد التي تسعى إلى تحقيق مصالح سياسية باستخدام القوة من دون الالتزام بالوعاز الأخلاقي وتشجع المصالح الدنيوية.

سلك معاوية سلوكاً انتهازيًا في سبيل كسب استعطاف المجتمع المدني بأنهم فقط الذين تباينوا في موقفهم من أمر البيعة ليزيد، وبرر انتهازيه بأن المرحلة تتطلب ذلك، هو بطبيعة الحال يقصد مصلحته الشخصية وليس مصلحة المجتمع فخطب بهم قائلاً: "يا أهل المدينة، لقد هممت ببيعة يزيد، وما تركت قرية ولا مدرة^(١) إلا بعثت إليها في بيعته، فبايع الناس جميعاً، وسلموا، وأخرت المدينة بيعته، وقلت بيضته وأصله، ومن لا أخافهم عليه، وكان الذين أبوا البيعة منهم من كانوا أجدر أن يصله، ووالله لو علمت مكان أحد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له"^(٢)، وقد أدى الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) دوراً محورياً في رفض بيعة يزيد حيث حدث جدال بينه وبين معاوية إمام انظار المجتمع المدني حتى قال له معاوية انك تريد الخلافة لنفسك وذكر فضل يزيد على الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فأجابه (عَلَيْهِ السَّلَامُ): " هذا هو الإفك^(٣) والزور، يزيد شارب الخمر، ومشتري اللهو خير مني !! "^(٤).

(١) مدرة : القرية المبنية بالطين واللبن. يُنظر: الرازي، المختار الصحاح، ص ٢٩٢؛ ابن منظور، لسان العرب،

ج ٥، ص ١٦٣.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٦٢.

(٣) الإفك: الكذب. الرازي، مختار الصحاح، ص ١٩.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٦٣.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

كان الإمام الحسين (عليه السلام) الشخصية المناهضة للسلطة الأموية ، والضمير الحي للأمة الإسلامية والعقل الواعي المدرك للأخطار التي تهدد المجتمع الإسلامي وطبيعة المشاكل والظروف التي تحيط به وواقع المجتمع وطبيعة مستوى استجابته، بعد قيام معاوية بفرض خلافة يزيد على المجتمع مع رفضهم واستنكارهم لها، هذه الحقيقة كان يعرفها المجتمع الحجازي ويدرك حقيقة يزيد وصفاته فقد كان مستهتراً بالقيم الإسلامية شارباً للخمر، فاجراً فاسقاً ويعلمون تمام العلم بأنه ليس اهلاً للخلافة، فما هو موقفهم بعد إعلان الإمام الحسين (عليه السلام) نهضته ومشروعه الإصلاحية وغايته ومبررات القيام به حيث أخذ قول جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : "مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحَرَمِ اللَّهِ، نَاصِحًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْملُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْغَدْوَانِ، فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مُدْخَلَهُ، أَلَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفِئَةِ، وَأَحْلَوْا حَرَامَ اللَّهِ، وَحَرَّمُوا حَلَالَهُ، وَأَنَا أَحَقُّ مِنْ غَيْرٍ"^(١) شعاراً ومبدأً لنهضته في مواجهة السلطة الأموية .

ثالثاً : موقف الفئات من النهضة الحسينية

أن المجتمع الذي تفقد فيه السلطة الحاكمة لشرعيتها أو انها تتجه نحو الأفول، مع وجود التذمر يشعر الحاكم بالتخوف والقلق من أية شخصية ذات جماهيرية، حتى وأن لم تبادر تلك الشخصية بأي تحرك مناهض للسلطة القائمة، فوجود مثل هذه شخصيات ستشكل مصدر قلق للحاكم؛ ذلك لأنها ستكون عاملاً محفزاً للتعبئة الجماهيرية محل استقطاب المعارضين والساخطين على نظام الحكم والحاكم، فبمجرد وجودها ستكون مؤثراً على توازن القوى .

كان الإمام الحسين (عليه السلام) يمثل أقوى الشخصيات الدينية المتحركة في المجتمع الإسلامي وأشدّها نفوذاً وأعظمها تأثيراً فكانت فضائله ومناقبة أمراً يتحدث به القاصي والداني، فضلاً عن وجود اتفاق بتسليم الخلافة للإمام في هدنة الإمام الحسن (عليه السلام) ، لذلك بعد موت

(١) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٩٩. ١٠٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٠٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ٢، ص ٣٠٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج ٣، ص ١٥٩ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

معاوية سنة (٦٠ هـ / ٦٧٩ م) واعتلاء يزيد سدة الحكم عزم على فرض البيعة على مجتمع المدينة بشكل عام والإمام الحسين (عليه السلام) بشكل خاص، فكتب إلى والي المدينة الوليد بن عتبة^(١) بأن يأخذ البيعة من مجتمع الحجاز وأن يبدأ بوجوه قريش وفي مقدمتهم الإمام الحسين (عليه السلام)^(٢) " وليكن مع جوابك إليّ رأس الحسين بن علي، فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنة الخيل ولك عندي الجائزة والحظ الأوفر والنعمة واحدة والسلام"^(٣)، يتضح من ذلك أن السياسة الأموية استعملت أسلوب الفرض فقاموا بتعيين ولاية من البيت الأموي طيلة الربع الأول من مدة حكمهم مثل مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عتبة، وذلك لعنايتهم باستتباب أمرهم وتسليط الولاية على أوساط المجتمع من أجل فرض البيعة وإظهار أمر البيت الأموي على سائر بيوت قريش، واستحصال البيعة بالقوة والتهديد، ويتضح كذلك أن يزيد كان عازماً على قتل الإمام الحسين (عليه السلام) .

رضخ مجتمع الحجاز للسلطة الأموية وبايعوا يزيد بن معاوية ليصبح خليفة على المسلمين، وأظهر الإمام الحسين (عليه السلام) رفضه القاطع في مبايعة يزيد فقال (عليه السلام): "إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم الله ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، ملعن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة"^(٤)، فكانت النهضة الحسينية ضرورة لازمة

(١) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي، ولي لعمه معاوية بن أبي سفيان المدينة سنة ٥٧ هـ، عزله يزيد وأستقدمه إلى الشام ثم أعاده على ولاية المدينة سنة ٦١ هـ، توفي بالطاعون سنة ٦٤ هـ وكان قد عين للخلافة بعد يزيد. يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٥٣٤؛ الزركلي، الأعلام، ج ٨، ص ١٢١-١٢٢.

(٢) يُنظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٤، ص ٢٠٦؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٦، ص ٢٦٠٧؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ٦، ص ٤١٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٥٠١.

(٣) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج ٥، ص ١٨.

(٤) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص ١٧.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

لمواجهة الانحرافات الفكرية والترديدات الأخلاقية والسلوكية، وقد وصف الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الوضع عندما قال: " وعلى الإسلام السلام اذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد"^(١).

أراد الوليد بن عتبة ومروان بن الحكم أقناع الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بالبيعة وقد جسد عبد الرحمن الشرقاوي هذه المحاوره بأسلوب رائع إذ قال: " نحن لا نطلب إلا كلمة فلتقل : بايعت واذهب بسلام لجموع الفقراء ، فلتقلها وانصرف يا ابن رسول الله حقنا للدماء فلتقلها .. أه ما أيسرها إن هي إلا كلمة ، فأجابهم الحسين: (منتفضا) كبرت كلمة !وهل البيعة إلا كلمة ؟ ما دين المرء سوى كلمة ما شرف الرجل سوى كلمة ما شرف الله سوى كلمة، فرد مروان : (بغلظة) فقل الكلمة واذهب عنا، فأجابه الحسين : أتعرف ما معنى الكلمة ...؟ مفتاح الجنة في كلمة، دخول النار على كلمة، و قضاء الله هو الكلمة، الكلمة لو تعرف حرمة، زاد مذخور، الكلمة نور، و بعض الكلمات قبور، بعض الكلمات قلاع شامخة يعتمص بها النبل البشري، الكلمة فرقان بين نبي وبغى، بالكلمة تنكشف الغمة، الكلمة نور دليل تتبعه الأمة، عيسى ما كان سوى كلمة، أضاء الدنيا بالكلمات،.. الكلمة زلزلت الظالم، الكلمة حصن الحرية، إن الكلمة مسئولية، إن الرجل هو الكلمة"^(٢)، وقد فشل والي المدينة في انتزاع البيعة من الأمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأصبح الزاماً على الأمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الخروج من المدينة .

أفرزت النهضة الحسينية تبايناً كبيراً في اتخاذ المواقف بالنسبة للمجتمع حيث أن المساندة والصراع والحياد إحدى المقومات التي شكلت جزءاً من مواقفه، فعلاقه الفرد وتفاعله مع الآخرين مرتبط بالكيانات الاجتماعية المتواجده فيها، فتحدد قوة توجيه فعله نحو مختلف المواقف المجتمعية، لذلك فلا بد من فهم السلوك المجتمعي للأفراد على مستويين المستوى الأول: أن نفهم موقف الشخصيات البارزة في الساحة السياسية، والمستوى الثاني: أن نفهم تأثير وأثر العقل الجمعي على الموقف العام من النهضة الحسينية، ويمكن تقسيم مواقف فئات مجتمع الحجاز إلى :

(١) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٥، ص ١٧؛ ابن نما الحلي، مشير الاحزان، ص ٣٢؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص ١٨ .

(٢) الحسين ثائراً، ص ٢٠ - ٢١ .



١- الفئات المتخلفة:

سلك جمهور من المجتمع الحجازي سلوك الخضوع والعزوف عن المشاركة في عدم مساندة النهضة الحسينية دون وجود مبررات منطقية تذكر فلم يمض سوى خمسين سنة على رحيل النبي الأكرم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى الرفيق الأعلى حتى قامت الأمة بخذلان حفيده الذي قال عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): "حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا"^(١)، الذي اتخذ الإصلاح شعاراً لنهضته المباركة التي كانت تهدف لإعادة الأمة إلى الصراط المستقيم القويم، لذلك قال الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب النجاح والإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر"^(٢).

تتصل مجتمع الحجاز من المسؤولية وحاول التهرب عن الحق في مواجهة الشدائد، أذ سادت الرؤية السطحية التي ارتكزت على المصالح المادية الشخصية، ويمكن رؤية ذلك من خلال الآراء البارزة للشخصيات الحجازية نذكر في ذلك موقف المقربين: عمر الأطراف^(٣)، الذي تخلف عن اخيه الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) رغم دعوته له للخروج معه، فلما أتاه خبر مصرع الإمام

(١) ابن أبي شيبة، المصنف، ج ١٨، ص ٩٩؛ احمد بن حنبل، مسند احمد، ج ٢٩، ص ١٠٣؛ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٥١؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٥٨.

(٢) ابن اعثم، الفتوح، ج ٥، ص ٢١؛ لا الهاروني، تيسير المطالب، ص ١٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ١، ص ٢٧٣.

(٣) عمر بن علي بن ابي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، أمه الصهباء أم حبيب بنت عباد بن ربيعة الثعلبية هي من سبي اليمامة وقيل من سبي خالد بن الوليد من عين التمر، اشتراها أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، كان عمر أول من بايع ابن الزبير ثم بايع الحجاج بعده، وقد نازع الإمام علي السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) صدقات رسول الله وصدقات أمير المؤمنين علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى عبد الملك بن مروان فقال له: "أنا ابنُ المُصَدِّقِ وَهَذَا ابْنُ ابْنِ فَأَنَا أَوْلَى بِهَا مِنْهُ"، لكن عبد الملك اعطاها إلى الإمام علي السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ). يُنظر: أبي نصر البخاري، سر السلسلة العلوية، ص ٩٦ - ٩٧؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٤، ص ١٧٢-١٧٣؛ ابن عتبة، عمدة الطالب، ص ٣٦١-٣٦٢.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

الحُسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) خرج بثياب معصفرات^(١) له رمزاً للحزن وجلس بفناء داره وأخذ ينشد ويقول : " انا الغلام الحازم لو خرجت معهم لذهبت في المعركة وقتلت"، لكنه فيما بعد نجده قد بايع عبد الله بن الزبير^(٢)، كما تخلف زيد بن الإمام الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(٣) عن مساندة عمه الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وبايع بعد مقتله عبد الله بن الزبير^(٤) وذلك بتأثير أخته التي كانت زوجة عبد الله بن الزبير^(٥)، فبالرغم من قرابتهم من الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ومعرفتهم بمكانته الدينية والأخلاقية ألا انهم تخلفوا عنه في اخرج لحظات حياته، فنجدهم آثروا السلامة الشخصية والمصلحة الدنيوية على النصره مثلما قال عمر الأظرف كما ورد في الرواية " لو خرجت معهم لقتلت" أي كان كل تفكيره بالنجاة الذاتية لا بالثبات على المبدأ، حيث أن موقف الاستعداد الكامل للنصرة باتخاذ قرار النهضة يزيح الظلم عن المجتمع لم يكن يتكامل لدى الجميع.

عجز الجماهير عن التفكير بسبب المصلحة والخوف والتضليل يحرمها من كل روح نقدية، أي من كل قدرة على التمييز بين الحقيقة والخطأ وبالتالي تعجز عن تشكيل حكم دقيق على الأمور^(٦)، ففي الوقت الذي نجد فيه محمد بن الحنفية^(٧) ينصح الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قبل

(١) العصفر: هو نبات يستخدم لصيغ الثياب باللون الأحمر، فثياب معصفرات أي مصبوغة بالعصفر . يُنظر: ابن منظر، لسان العرب، ج ٤، ص ٤٨١ .

(٢) أبي نصر البخاري، سر السلسلة العلوية، ص ٩٦-٩٧؛ ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ٣٦٢؛ شهيد كريم، قراءات في النهضة الحسينية، ص ١٢٣.

(٣) زيد بن الامام الحسن المجتبي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، أمه فاطمة بنت أبي مسعود بن عقبة الأنصاري، تخلف عن عمه الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فلم يخرج معه إلى العراق، وبايع بعد قتل الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عبد الله بن الزبير، مات سنة ١٢٠ هـ، بموضع يقال له ساجر بين مكة والمدينة. يُنظر: ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ٦٩-٧٠؛ ابو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ٨، ص ٣٥١.

(٤) ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ٦٩؛ شهيد كريم، قراءات في النهضة الحسينية، ص ١٢٣.

(٥) يُنظر: ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ٦٩-٧٠.

(٦) يُنظر: غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، ص ٨٦ .

(٧) محمد بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، المعروف بابن الحنفية، امه هي خولة بنت جعفر الحنفية ، ولد سنة ثلاث عشرة، وقيل: احدى عشر، شهد مع أبيه الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) جميع مشاهده، وكان يحمل الراية يوم الجمل، وكان محمد شديد القوى، لم يبايع ابن الزبير عندما دعا إلى نفسه وحكم الحجاز وحبس عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس وجماعة من بني هاشم في شعب بمكة وفرض عليهم أما البيعة او القتل، كان

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

خروجه من المدينة اذ أشار عليه بقوله: "يا أخي، أنت أحب الناس كلهم إليّ، وأعزهم عليّ، وأنت أحق بالنصيحة من سائر الناس، تنحّ ببيعتك عن يزيد بن معاوية عن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رُسلك إلى الناس، فادعهم إلى نفسك، فإنّ بايعوك؛ حمّدت الله، وإن أجمعوا على غيرك لم ينقص ذلك دينك ولا عقلك، ولا تذهب مروءتك ولا فضلك، وإنّي أخاف أن تدخل مصرًا من الأمصار، أو تأتي جماعة من الناس، فيختلفون، فطائفة معك، وأخرى عليك، فيقتتلون، فتكون لأوّل الأسنة، فإذا خیر هذه الأمة نفسًا وأبًا وأمًّا أضيّعها دمًا، وأذلّها أهلاً، فقال له الإمام الحسين (عليه السلام): فإن اذهب يا أخي، فاقترح عليه محمد بن الحنفية : فانزل مكة فإن اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك، وإن نبت بك لحقت بالرمال، وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد حتّى تنظر إلى ما يصير أمر الناس، وتعرف عند ذلك الرأي، فإنك اصوب ما تكون رأيا وأحزمه عملا حين تستقبل الأمور استقبالا، ولا تكون الأمور عليك أبدا أشكل منها حين تستدبرها استدبارا، فقال الإمام الحسين (عليه السلام): يا أخي، قد نصحت فأشفت، فأرجو أن يكون رأيك سديدا موفقا^(١) .

يبدو من خطاب أو نصيحة محمد بن الحنفية وكأنه غافلاً عن الأمور يعيش في واقع آخر وكأنه لم يعيش الوضع في المدينة، فالإمام الحسين (عليه السلام) قد رفضبيعة يزيد منذ مجيء معاوية إلى المدينة وطلبه من المجتمع المدني عقد البيعة لولده يزيد بعدما كثر من مدحه وصبغة بصبغة الخليفة الجدير بقيادة المجتمع، وحدث شجار بينه وبين الإمام الحسين (عليه السلام)، كما أن الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكن يملك قرار التّحي خاصة بعد تعليمات يزيد لوالي المدينة الوليد بن عتبة بأن يأخذ البيعة من الإمام الحسين (عليه السلام) بشكل خاص وبأسلوب شديد دون رخصة حتى يخضع للبيعة^(٢)، وقد بين (عليه السلام) بأنه لا توجد بدائل فالسلطة الأموية عازمة

=ابن الحنفية ورعاً فقيهاً كثير العلم ، يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٩١؛ أبي نصر البخاري، سر السلسلة العلوية، ص ٨٢؛ ابن حبان، النقّات، ج ٥، ص ٣٤٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ٧٥.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٤١-٣٤٢؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٣٤-٣٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٢٩-١٣٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ص ٩ .

(٢) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٣؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٣١٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٣٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٥، ص ٣٢٣.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

على قتله وهذا الخطر محتوم لا مفر منه : "وَأَيُّمُ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ فِي جُحْرِ هَامَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْهَوَامِّ لَأَسْتَخْرِجُونِي حَتَّى يَقْضُوا بِي حَاجَتَهُمْ! وَاللَّهِ لَيَعْتَدَنَّ عَلَيَّ كَمَا اعْتَدَتْ الْيَهُودُ فِي السَّبْتِ"^(١)، رغبة المؤمنين في القضاء على الإمام الحسين (عليه السلام) سواء خرج من المدينة ام بقي فيها، وهذا ما حصل بعد استشهاد مع كل الرافضين له في وقعة الحرة سنة (٦٣هـ).

وقد انتهج محمد بن الحنفية خطاباً وذلك بالاستفادة من الظروف لتحقيق مكاسب شخصية ربما رغبته في أبعاد الإمام الحسين (عليه السلام) والتمهيد لنفسه، لكن الظروف لم تسمح له بذلك، وأرى أن محمد بن الحنفية يغالط جزءاً من الحقيقة ففي الوقت الذي جاءت الكتب إلى الإمام الحسين (عليه السلام) من الكوفة تدعوه وتبايعه لتولي الخلافة، فضلاً عن علمه أن الأمصار الإسلامية مختلفة ومتغيرة في مواقفها السياسية، نجده يقترح على الإمام الحسين (عليه السلام) أن يبعث الرسل إلى الناس من أجل الحصول على الحكم، وهذا ما يتعارض مع منهج النهضة الحسينية فالإمام الحسين (عليه السلام) لم يكن طالب سلطة وإنما خرج من أجل إصلاح الأمة الإسلامية وإيقاظ ضميرها للمطالبة بحقوقها ومواجهة الفساد المستشري في السلطة الأموية، وخطابات الإمام الحسين (عليه السلام) واضحة الدلالة : "إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب النجاح والإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر"^(٢).

أنّ انعدام التفكير الثوري وروحية مواجهة الأخطار مع تأثير السلامة الشخصية الأمر الذي حدا بمحمد بن الحنفية ان يتبنى دور الواعظ دون العمل على تغيير الواقع فاقصر دوره على النصح والارشاد، وهذا الاتجاه من الفعل لم يكن فردياً بل شمل شريحة اجتماعية واسعة تكتفي بالقول من خلال الحديث ويبدلون الكثير من النصح لكنهم لا يقفون مع الحق عندما يحدث الصراع ويكتفون بالمناظرة إلى ما سيؤول اليه الوضع، أن تبني كثير من المجتمع هذا النحو من السلوك

(١) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٦٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٨٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ١٤٨ .

(٢) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج ٥، ص ٢١؛ الهاروني، تيسير المطالب، ص ١٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ١، ص ٢٧٣ .



الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

تجاه المفاصد والمشاكل الاجتماعية التي تعصف بالمجتمع والوقوف منها موقف اللامبالاة فإن تلك المفاصد تأخذ حظها من النقشي والانتشار، لأنها لم تجد من يحاربها أو يحد من اتساعها ذلك لأن أفراد المجتمع قد أثروا الراحة والاستقالة من الفعالية المجتمعية.

هناك رأي يرى أن محمد بن الحنفية لم يأثر سلامته الشخصية وأن بقاءه في المدينة كان بطلب من الإمام الحسين (عليه السلام) ليكون له عيناً في المدينة كما تذكر بعض المصادر^(١)، إلا أن هذا لا يكفي أو يعطي اجابة مقنعة منها، لماذا حبس أبناءه من الالتحاق بعمهم الإمام الحسين (عليه السلام)^(٢)، البالغ عددهم أربعة عشر ولداً^(٣) فلم يشارك واحد منهم أو يبين موقفه من النهضة الحسينية، كما لم تبين المصادر أن محمد بن الحنفية قد ارسل مبعوثاً للإمام الحسين (عليه السلام) يطلعه على الوضع العام في المدينة المنورة، فالمدينة لم تكن ذات الدور القيادي ما خلا الإرث الديني فضلاً عن أنها ليست مركز القيادة الأموية حتى يستقر فيها ويطلع الإمام (عليه السلام) على تحركات السلطة الأموية .

كما تبني عبد الله بن عباس الموقف ذاته الذي تبناه محمد بن الحنفية حيث اقتصر دوره على اعطاء النصيحة وتقديم المشورة فقال للإمام الحسين (عليه السلام): "أسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوهم؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعماله تجبي بلادهم، فإنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك، ويخالفوك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك، فقال له الإمام الحسين (عليه السلام): وإني أستخير الله وأنظر ما يكون"^(٤)، ثم أرفق قائلاً: "يا بن عم إني أتصبر ولا أصبر، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إن أهل العراق قوم غدر، فلا تقربنهم، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق

(١) يُنظر: ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج ٥، ص ٢١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ١، ص ٢٧٢.

(٢) يُنظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٤، ص ٢١١؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٦، ص ٢٦١٢؛ المزي، تهذيب الرجال، ج ٦، ص ٤٢١؛

(٣) يُنظر: محمد العلوي، المجدي في أنساب الطالبين، ص ٢٢٣.

(٤) أبو مخنف مقتل الحسين، ص ٦٤؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٤٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٨٣ .



الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

يريدونك كما زعموا فاكذب إِلَيْهِمْ فلينفوا عدوهم، ثُمَّ أَقْدَمَ عَلَيْهِمْ، فَإِنْ أُبَيَّتِ إِلَّا أَنَّهُ تَخَرَّجَ فَسَرَّ إِلَى الْيَمَنِ فَإِنْ بِهَا حَصُونًا وَشُعَابًا، وَهِيَ أَرْضٌ عَرِيضَةٌ طَوِيلَةٌ، وَلَأَبْيَكُ بِهَا شِيعَةٌ، وَأَنْتَ عَنِ النَّاسِ فِي عَزَلَةٍ، فَتَكْتُبُ إِلَى النَّاسِ وَتُرْسِلُ، وَتُبِّثُ دَعَاكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَأْتِيكَ عِنْدَ ذَلِكَ الَّذِي تَحِبُّ فِي عَافِيَةٍ، قَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: يَا بَنَ عَمِّ، إِنِّي وَاللَّهِ لَأَعْلَمُ أَنَّكَ نَاصِحٌ مُشْفِقٌ، وَلَكِنِّي قَدْ أَرْمَعْتُ وَأَجْمَعْتُ عَلَى الْمَسِيرِ"^(١).

على الرغم من أن عبد الله بن عباس قد عايش رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وسمع أحاديثهم الشريفة التي تحض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، منها قوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ"^(٢)، وقول الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى غَدَوَانًا يُعْمَلُ بِهِ، وَمُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ، فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرَّى؛ وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ؛ وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى، فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَتَوَرَّ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ"^(٣)، لكن نجده قد سلك أسلوب النصح والارشاد بدل من تحشيد الجماهير لمساندة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) خاصة وأنه كانت لديه مكانة مرموقة في نفوس المجتمع فهو ترجمان القرآن وحبر الأمة، كما اكتفى باقتراح ان يبقى الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في الحجاز او يتوجه إلى بلاد اليمن وكأنه غافلاً عن طبيعة سلوك الدولة الأموية الدموية فلو ذهب الإمام إلى اليمن سيقتل وستقوم ملاحم أيضاً، وذكر الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في اجوبته للناصحين بأنه السلطة الأموية ستقتله لا محالة وهذا ما يتضح في جوابه لعبد الله بن عباس عندما نصحه بالبقاء في مكة

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٤٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٨٣- ٣٨٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٤٨ .

(٢) ابن حنبل، مسند احمد، ج ١٨، ص ٤٢؛ مسلم صحيح مسلم، ج ١، ص ٦٩؛ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٣٣٠ .

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٥٤١ .



الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

أذ قال: "لَأَنْ أُقْتَلَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُسْتَحَلَّ بِي حَرَمُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ"^(١)، فكان الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مصرّاً على مواصلة المسير بدافع قضيته التي كان يؤمن بها ومصمم على تحقيق اهدافه بصفته حامل لواء الدين، فكان استشهاده ملازم ملحة لإيقاظ وعي المجتمع الإسلامي بالتهديد الاخلاقي الذي فرضه حكم يزيد الطاغية على كيان المجتمع الإسلامي، أو القيام بتكليفه الشرعي إمام الناس باصلاح الأمة .

وقد تبّنى فئات من مجتمع الحجاز موقف التثبيط، وقت العزائم والتخويف من مغبة النهضة على الحاكم، فنصحوا الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بالدخول فيما دخل فيه المجتمع الإسلامي، والصبر على الظلم، وتمثّل ذلك في نصيحة عبد الله بن عمر الذي التقى بالإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وعبد الله بن الزبير بعد عودته من أداء العمرة أذ خاطبهم قائلاً: "اللّٰهُ أَذْكُرُكُمْ، إِلَّا رَجَعْتُمَا فِدَخَلْتُمَا فِي صَالِحٍ مَا يَدْخُلُ فِيهِ النَّاسُ، وَتَنْظُرَا، فَإِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ لَمْ تَشُدَّ، وَإِنْ افْتَرَقَ عَلَيْهِ كَانَ الَّذِي تُرِيدَانِ"، وخاطب الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أذ تمثّل قائلاً: "لَا تَخْرُجْ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَأَخْتَارَ الْآخِرَةَ، وَإِنَّكَ بُضْعَةٌ مِنْهُ، وَلَا تَنَالَهَا - يَعْنِي الدُّنْيَا - فَأَعْتَنَّهُ وَبَكَى، وَوَدَّعَهُ، فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: غَلَبَنَا حُسَيْنٌ بِالْخُرُوجِ، وَلَعَمْرِي لَقَدْ رَأَى فِي أَبِيهِ وَأَخِيهِ عِبْرَةً، وَرَأَى مِنَ الْفِتْنَةِ وَخِذْلَانِ النَّاسِ لَهُمْ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ لَا يَتَحَرَّكَ مَا عَاشَ، وَأَنْ يَدْخُلَ فِي صَالِحٍ مَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، فَإِنَّ الْجَمَاعَةَ خَيْرٌ"^(٢)، كما قال للإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "اتقيا الله ولا تفرقا جماعة المسلمين"^(٣).

يبدو من الرواية محاولة عبد الله بن عمر الترويج لمفهوم اختيار الأمة من خلال الادعاء أن المجتمع الإسلامي اجتمع على مبايعة يزيد، لكن في الحقيقة هذا عكس الواقع فذلك الإجماع لم

(١) الفاكهي، أخبار مكة، ج ٢، ص ٢٦٠؛ الطبراني المعجم الكبير، ج ٣، ص ١١٩؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٤، ص ٢٠١ .

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٤، ص ٢٠٨؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٦، ص ٢٦٠٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٥٠٢ .

(٣) الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٤٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٤٦٩ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

يكن إلا صناعة سياسية فرضها معاوية ببذل المال السياسي لشراء الذمم لمن يخشى منه النكث^(١)، ولو كان الاجتماع مقياساً لكان القرآن الكريم جعله معياراً، لكن على العكس تماماً أكد أن الكثرة ليست دليلاً على الصواب فقد ورد في قوله تعالى ﴿كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢)، وقال الإمام علي (عليه السلام): "أَيُّهَا النَّاسُ! لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلَّةِ أَهْلِهِ"^(٣).

ان ذلك الاجماع فرضه معاوية ببذل المال السياسي، فقد روي قدوم وفد على معاوية يدعونه إلى توليه أبنه يزيد بعثهم وألي الكوفة المغيرة بن شعبة^(٤)، فدخلوا عليه مبدئين القول "أنه إنما أشخصهم إليه التيه والنظر لأمة محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فقالوا: يا أمير المؤمنين، كبرت سنك، وتخوفنا الانتشار من بعدك، يا أمير المؤمنين، أعلم لنا علماً، وحد لنا حدا ننتهي إليه؛ قال: أشيروا علي؛ قالوا: نشير عليك بيزيد ابن أمير المؤمنين، قال: وقد رضيتموه؟ قالوا: نعم، قال: وذاك رأيكم؟ قالوا: نعم، ورأي من بعدنا، فأصغى إلى عروة^(٥)، وهو أقرب القوم منه مجلساً، فقال: لله أبوك! بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بثلاثين ألفاً وقيل بأربعمائة، قال: لقد وجد دينهم عندهم رخيصاً"^(٦)، فقد تسلط معاوية على المجتمع بالقوة والخداع وهذا ما دل عليه يزيد عندما تم تنصيبه ولياً للعهد وأخذت الجماهير تمدحه وتقزظه فقال لأبيه والله ما ندري، أنخدع المجتمع أم يخدعوننا! فأجابه معاوية كل من أردت خديعته فتخادع له

(١) شهيد كريم، قراءات في النهضة الحسينية، ص ٩٤ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٤٩ .

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٣١٩ .

(٤) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، شهد صلح الحديبية في عهد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، تدرج في المناصب، فقد ولاه عمر بن الخطاب البصرة ثم عزله عنها، كما ولاه الكوفة ثم عزل عنها في عهد عثمان بن عفان، وبعد استقرار الحكم لمعاوية بن أبي سفيان، عينه والياً على الكوفة، فاستمر في ولايته حتى وفاته بالطاعون سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٣٧٤؛ ابن حجر، الأصباه، ج ٣، ص ٤٥٣ .

(٥) عروة بن المغيرة بن شعبة الثقفي، ويكنى أبا يعفور، وكان من وجهاء ثقيف. وقد ولاه الحجاج بن يوسف الثقفي إمارة الكوفة سنة ٧٥ هـ. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٢٦٩ .

(٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٠، ص ٢٩٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٩٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٣٤٩ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته^(١)، أذن كان النظام السياسي السائد في المجتمع الإسلامي مخادعاً فالسلطة لجأت إلى أساليب غير أخلاقية للحفاظ على النظام وتعزيز مصالحها، ثم أن عبد الله بن عمر ألم يجبر على بيعة يزيد، ألم يستخدم معاوية معه أسلوب مباغت عندما أعطاه مائة ألف درهم في سبيل استحصال البيعة منه؟، عن أيّ اجماع يتحدث به ابن عمر وأي اجماع هذا الذي باتت فيه المجتمع متقاعس تشتري الذمم بالأموال وتخضع فيه لمنطق القهر والقوة والسيوف والغلبة^(٢).

ويقول عالم النفس والفيلسوف الألماني إريك فروم (١٩٠٠م - ١٩٨٠م) في هذا المضمار أن أشتراك عدد كبير من المجتمع في الرذائل لا يجعل هذه الرذائل فضائل، واشتراكهم في أخطاء كثيرة لا يجعل هذه الأخطاء حقائق فالخطأ يبقى خطأ حتى لو اعتاده المجتمع أو اعتقدوا بصحته، كما أن أشتراك عدد من المجتمع عينها من المرض الذهني خاصة عندما يصاب عدد كبير من الأفراد بانحرافات فكرية لا يجعل جميع أفراد المجتمع أسوياء^(٣)، وهذا ما يطبق على اجتماع المجتمع على مبايعة يزيد لا يعني ان فعلها صحيح، فالأجماع لا يدل على الصحة ولا يعد في ذاته برهاناً، فعبد الله بن عمر يحذر الإمام الحسين (عليه السلام) من تفريق الجماعة المصطلح الذي طالما بذل معاوية والمنظومة الروائية جهداً كبيراً في ترسيخه في إذهان المجتمع حتى جعل الفرد يتخلى عن عقله ليزوب في القطيع .

هناك مغالطة كبيرة في خطاب عبد الله بن عمر عندما حاول تصوير موقف الإمام الحسين (عليه السلام) على أنه خروج طلب السلطة والحكم، بينما القراءة التاريخية الواقعية تثبت العكس تماماً، لو كان هدف الإمام الحسين (عليه السلام) دنيوياً مثل السلطة أو المال لكان الأسهل عليه هو مبايعة يزيد ويحصل على امتيازات سياسية ومالية طائلة، مثلما فعل الكثير ممن انضموا إلى الدولة الأموية ، لكنه (عليه السلام) رفض البيعة وصدق قائلاً : "مِثْلِي لَا يُبَايِعُ

(١) يُنظر : المبرد، الكامل في اللغة، ج٢، ص٨٣؛ الآبي، نثر الدر، ج٣، ص١٨؛ الشريف المرتضى، أمالي المرتضى، ج١، ص٢٨٦؛ شهيد كريم، قراءات في النهضة الحسينية، ص٩٥.

(٢) يُنظر: شهيد كريم، قراءات في النهضة الحسينية، ص٩٤ .

(٣) يُنظر: المجتمع السوي، ص١٤ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

مثله^(١) ذلك لأنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يعلم أن في البيعة أضفاء الشرعية على حكم يزيد، ولو كان (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يريد القوة الدنيوية لاختار طرقاً أخرى غير المواجهة المباشرة مع السلطة الأموية، كالتكتل السياسي والتحالفات السياسية الخفية، أو يستطيع استغلال المال لجذب الاتباع إلى جانبه، لكنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فضل المواجهة المباشرة والموقف العلني الواضح في رفضه لسلطة يزيد وعدم القبول بخلافته للأسباب التاريخية ولعدم عدالته وللصفات السيئة التي يتميز بها، الأمر الذي دفع الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) للخروج لنصرة المظلومين ونصرة القضية الإسلامية العادلة، فضلاً أنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كان يريد أيقاظ الضمير الجماعي للمجتمع الإسلامي، وتحريك الصامتون الذين أثروا السكوت على الظلم وجنحوا تحت شعار عدم تفرقه المسلمين الحجة التي وضعتها شرعاً النظام الأموي باسم الجماعة، لذلك فإتهام الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بطلب الدنيا هو انعكاس لضمير ملوث بالتبعية لنظام الحكم .

أن الفرد المنغمس في المصالح المادية والملذات الجسدية^(٢)، يكون مغترباً عن وعيه الأخلاقي وبالتالي يكون غير قادر على أدراك الحاجة إلى النهضة الإصلاحية والتغيير المجتمعي؛ ذلك لأنه راضٍ عن الواقع الذي يوفر له تلك الملذات، وهذا ما يتناقض مع فكر النهضة التي تتطلب من الفرد التضحية وتجاوز الذات، وفهماً عظيماً لواقع المجتمع والظلم الذي يحيط به والسعي لتغييره .

وكان من بين الذين حاولوا تثني الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن مهمته الإصلاحية هو عبد الله بن جعفر^(٣)، أذ ارسل رسالة إلى الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بينما هو في طريقه إلى العراق جاء فيها : " أما بعد فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا، فإني مشفق عليك

(١) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص ١٧.

(٢) يُنظر: عبد الرزاق، المصنف، ج ٧، ص ٢٨٥-٢٨٦؛ الأصبهاني، الترغيب والترهيب، ج ٢، ص ٢٣٩ .

(٣) عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها، كفله رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بعد استشهاد أبيه في غزوة مؤتة، هو زوج السيدة زينب بنت الإمام علي (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، شهد صفين مع الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، توفي في المدينة سنة ٨٤ هـ. يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ١٩٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٧، ص ٥٨-٥٩؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ٤، ص ٣٥-٣٦.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلك اليوم طفئ نور الأرض، فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فإني في إثر كتابي، والسلام^(١)، على الرغم من من صلة القرابة التي تربط بين عبد الله بن جعفر و الإمام الحسين (عليه السلام) ألا انه قد اتخذ الحياد السلبي من النهضة الحسينية الذي كان وراء رسالة أرسلت إلى الإمام الحسين (عليه السلام) من قبل والي المدينة عمرو بن سعيد الأشدق^(٢)، اذ طلب من الإمام الحسين (عليه السلام) العدول عن موقفه بالذهاب إلى العراق وحذره من الشقاق وفرقة المسلمين وعرض عليه الأمان، وقد رد عليه الإمام الحسين (عليه السلام) بقوله: "أما بعد، فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين، وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة، فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانة يوم القيامة"^(٣)، ان الموقف السلبي الذي اتخذه عبد الله بن جعفر القائم على قاعدتي الحياد السلبي والحياد النفعي بين المتخاصمين ربه أنه طبق نظرية ابو هريرة القائل: الوقوف على التل آمن وأسلم، ومضيرة معاوية أذ وأدسم، والصلاة خلف علي أفضل وأتم^(٤)، أذ يثير موقفه تساؤلات محاطه بالشك والريبة خاصة في ضل ما نقل عنه ميله نحو الأمويين^(٥).

(١) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٦٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٨٧-٣٨٨؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٦٨-٦٩.

(٢) عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق القرشي، كان من أبرز رجالات البيت الأموي وأقربهم إلى قلوب أهل الشام، إذ كانوا يسمعون له ويطيعون، ولأه يزيد بن معاوية المدينة، ثم بعد وفاة يزيد (٦٤هـ) جرى الاتفاق في مؤتمر الجابية على أن يتولى مروان الحكم، ويعقبه الأشدق، ثم خالد بن يزيد بن معاوية، لكن عبد الملك بن مروان، بعد أن آلت إليه الخلافة، ألغى مقررات المؤتمر، وأوصى بالولاية لولديه عبد الملك وعبد العزيز، وقد استسلم خالد لهذا التحول، بينما أبى الأشدق وقاوم، إذ كان له أنصار وأتباع في الشام، وقد خشي عبد الملك من طموحه السياسي، فاستدعاه إلى مجلسه متظاهراً بالعفو، ثم غدر به فقتله. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٢٣٨؛ خليفه، تاريخ خليفه بن خياط، ص ١٧٨؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص ٢٨٦؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٤٩.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٨٨-٣٨٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٥٠٤.

(٤) يُنظر: الفضل بن شاذان، الإيضاح، ص ٦٤١؛ ابن عطية، أبهى المداد، ج ٢، ص ١٠٠؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، ج ٣، ص ٢٢٧.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٠٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٣٠١.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

ومن بين الشخصيات الأخرى التي حاولت ثني الإمام الحسين (عليه السلام) عن القيام بمنهاجه الإصلاحية هو مفتي المدينة أبو سعيد الخدري^(١) حيث قال: "غلبني الحسين بن علي على الخروج، وقد قلت له: اتق الله في نفسك والزم بيتك، ولا تخرج على إمامك"^(٢)، وأبو واقد الليثي^(٣) الذي قال: "بلغني خروج حسين،... فناشدته الله أن لا يخرج، فإنه يخرج في غير وجهه خروج، إنما يقتل نفسه"^(٤)، كما نصح فقيه المدينة أبو بكر بن عبد الرحمن (ت بعد ٧٠هـ/٦٩٠م) بقوله: "يا ابن عم، إن الرجم تظأرنى عليك، وما أدري كيف أنا عندك في النصيحة لك؟ قال: يا أبا بكر، ما أنت ممن يستعش ولايتهم، فقل. قال: قد رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك، وأنت تريد أن تسير إليهم، وهم عبيد الدنيا، فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصرك، فأذكرك الله في نفسك. فقال: جزاك الله يا ابن عم خيرا، ومهما يقض الله من أمر يكن. فقال أبو بكر: إنا لله، عند الله نحتسب أبا عبد الله"^(٥).

يظهر في مواقف الصحابة والفقهاء تجاه نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) تناقض واضح بين مشاعر النصيحة والواجب الشرعي والموقف الأخلاقي الذي كان ينبغي اتخاذه، فالإمام الحسين (عليه السلام) لم يكن مجرد شخصية معارضة للسلطة الحاكمة بل كان يجسد كل القيم

(١) أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأجر الخزرجي الأنصاري، وأمه أنيسة بنت أبي حارثة من بني عدي بن النجار، كان من أفاضل الأنصار، شهد الخندق وبيعة الرضوان، وقد حفظ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحاديث كثيرة، وروى عنه جماعة من الصحابة، منهم: جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس، وقد شارك مع الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في قتال الخوارج بالنهرين، توفي سنة ٧٤هـ. يُنظر: البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٥٣٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٧، ص ٣٤٨.

(٢) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ١٤، ص ٢٠٨؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٦، ص ٢٦٠٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٥٠٣.

(٣) أبو واقد الحارث بن عوف الليثي: من بني ليث بن بكر بن خزيمة الكناني، يُعد من أهل المدينة، وشارك في معركة اليرموك بالشام، وحاور بمكة، قيل إنه شهد غزوة بدر، وقيل لم يشهدها، توفي بمكة سنة ٦٨هـ. يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٦، ص ٣١٩ - ٣٢٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١١، ص ١٨٨.

(٤) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ١٤، ص ٢٠٨؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٦، ص ٢٦٠٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٥٠٣.

(٥) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ١٤، ص ٢٠٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ص ١٧؛ المزي، تهذيب الرجال، ج ٦، ص ٤١٨.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

الإنسانية والمبادئ الإلهية، ومع ذلك اكتفى الكثير منهم باتخاذ مواقف سلبية والتزموا بالنصح والتتديد واتخاذ موقف اللامبالاة، أو موقف المتألم المستنكر، فعلى سبيل المثال الصحابي أبا سعيد الخدري قد روي أحاديث عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) منها حديث: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ"^(١)، الذي يحمل المسلم مسؤولية التغيير بحسب قدرته واستطاعته، لم يسجل لابي سعيد موقف صريح في دعم نهضة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أو رفض حكم يزيد رغم ادراكه لفساد وظلم السلطة الأموية، نجد كذلك الفقيه سعيد بن المسيب^(٢) على الرغم من رفضه مبايعه يزيد لكنه لم يؤيد نهضة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) واكتفى بعبارة تبريرية: "لَوْ أَنَّ حُسَيْنًا لَمْ يَخْرُجْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُ"^(٣)، غافلاً البعد القيمي للنهضة الحسينية، التي لم تكن مجرد حسابات سياسية نفعية، بل كانت وقفة لأحياء مبدأ "هيهات منا الذلة"^(٤)، ورفضاً صريحاً لشرعنه الفساد الديني والسياسي .

نجد كذلك عبد الله بن الزبير رغم معارضته للسلطة الأموية وميله السياسي للثورة، إلا انه لم يساند الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وكان قلقاً من وجود الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في مكة ولم يكن شيء أثقل عليه من ذلك^(٥)؛ لأنه كان طامحاً للزعامة السياسية وقد أدرك ان مكانة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كانت اعمق حضوراً في المجتمع مما يشكل عائقاً لإمام طموحاته، مما جعل

(١) ابن حنبل، مسند احمد، ج١٨، ص٤٢؛ مسلم صحيح مسلم، ج١، ص٦٩؛ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج٢، ص١٣٣٠ .

(٢) سعيد بن المسيب بن حَزْن القرشي المخزومي، أبو محمد، من كبار فقهاء التابعين، وعُرف بلقب عالم أهل المدينة، وُلِدَ قبل سنتين من خلافة عمر بن الخطاب، وقيل: بعد أربع سنين منها، وقد توفي سنة ٩٤ هـ. يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٢١٧ - ٢١٨ .

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٤، ص٢٠٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٥٠٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٥٧٤ .

(٤) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٦٩؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٢١؛ ابن طاووس، اللهوف، ص٥٩ .

(٥) يُنظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٥٢؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص٣٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٣٢ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

من الصعب على عبد الله بن الزبير ان يلتف حوله الناس والإمام الحسين (عليه السلام) موجود وقد اظهر ارتياحاً عندما علم بتوجه الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة^(١).

لعبت الأحقاد دوراً في تبين مواقف المجتمع من النهضة الحسينية، فكان الإمام الحسين (عليه السلام) يمثل الامتداد الديني والروحي لرسالة جده رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وقد أوضح الأمام علي (عليه السلام) الأحقاد الدفينة التي كانت تكنها العرب لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأهل بيته عندما سألوا: "يا أمير المؤمنين، أرايت لو كان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ترك ولدًا ذكراً قد بلغ الحلم، وآنس منه الرشد، أكانت العرب تسلم إليه أمرها؟!، فرد عليهم قائلاً: "إن العرب كرهت أمر محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، وحسدته على ما آتاه الله من فضله، واستطالت أيامه حتى قذفت زوجته، ونفرت به ناقته، مع عظيم إحسانه إليها، وجسيم مننه عندها، وأجمعت مذ كان حياً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته، ولولا أن قريشاً جعلت اسمه ذريعة إلى الرياسة، وسلماً إلى العز والإمرة، لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً، ولارتدت في حافرتها"^(٢).

ويظهر ذلك أن الانحراف عن نهج رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وعدم المحبة الصادقة له توجب مباشرة بغض أهل بيته (عليهم السلام) الأمر الذي استمر مع الإمام علي (عليه السلام) حيث أن جماعة من قريش كانت تبغضه أشد البغض ذلك لأنه قد قتل أبطالهم، فأودع في قلوبهم أحقاداً بديرية وخيبرية وحنينية وغيرهن، فقد روي أن أحداً سئل الإمام علي بن الحسين (عليهم السلام): "ما بال قريش لا تحب علياً؟ فرد عليه الإمام قائلاً: "لأنه أورد أولهم النار، وألزم آخرهم الغار"^(٣)، فاستمرت الأمة على عداوته وأصرت على قطيعة رحمه وإقصاء ولده، وهذا ما ظهر واضحاً في معركة الطف عندما خاطب الإمام الحسين (عليه السلام) الجماهير أذ قال: "يا ويلكم! علام ثقاتلوني، على حق تركته، أم على سنة غيرتها، أم على شريعة بدلثها؟! فردوا

(١) يُنظر: المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٥٢ .

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢٠، ص ٢٩٨؛ الفيض الكاشاني، أنوار الحكمة، ص ٢٢٥ .

(٣) ابن الأعرابي، معجم الأعرابي، ج ١، ص ٣٠٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٢٩٠ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

عليه قائلين: بل نُقاتِلُكَ بُغْضاً مِّنَّا لأبيك! وما فعلَ بأشياخنا يومَ بدرٍ وحُنين^(١)، وقد ورد عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أنه قال: "ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا"^(٢).

أما بالنسبة لعامة الافراد الذين يشكلون القسم الاعظم من مجتمع الحجاز كان موقفهم اكثر ضبابية تجاه النهضة الحسينية أذ لم تتبلور لديهم إرادة جماعية للدفاع عن الأهداف السامية لحركة الإمام الحسين (عليه السلام) او الوقوف إلى جانبه بصلافة، بل اكتفوا بإتباع رؤسائهم من أكابر القوم والفقهاء ووجهاء المجتمع فكان لهؤلاء تأثير كبير على قرارات وسلوك المجتمع، خاصة عندما يجد الفرد نفسه في خضم جماعات يسير خلفهم وتحت مبررات مصلحة وهمية كمبرر الخروج على الجماعة يقودهم في ذلك العقل الجمعي.

وقد ساند الإمام الحسين مجموعة من الأفراد الملتحقين بالركب من الطريق، لكن وصول خبر مقتل مسلم بن عقيل (٦٠هـ/٦٧٩م) وصدى الاخبار من الكوفة أدى إلى تفرق هذا الجمع من الناس؛ وذلك لانهم ظنوا أن الإمام الحسين (عليه السلام) يقدم على أنصار وموالين، فعندما ادركوا أن الأوضاع في الكوفة قد انقلبت تفرقوا عنه ، ولم يبق معه إلا أصحابه^(٣) الذين آمنوا بثورته الإصلاحية وارتبطوا بالإمام (عليه السلام) ارتباطاً روحياً وعقائدياً، وهذا الفرق بين من يلتحق ظاهرياً بدافع دنيوي أو مصلحة نفعية، وبين من ينتمي فعلاً وصدقاً، وهذا ما يعكس قيم الولاء والثبات في وجه الأزمات والمحن.

ولفهم حركة غالبية فئات المجتمع المصلحية اكثر لا بد من الاشارة إلى أن القرآن الكريم حث على التفكير المنطقي والدليل حتى تتضح الرؤية للإنسان فيعرف حينها الحق ويحدد وجهته ويتبعها من غير أن تكون هناك غوغاء وقوى خارجية مؤثرة على تفكيره وسلوكه وصناعة الرأي لديه، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى خِزْفٍ ثُمَّ تَقَفُّوا مَا

(١) مقاتل ابن عطية، أبهى المداد، ج٣، ص٣٧٧ .

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص١٠٤ .

(٣) يُنظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٩٩؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج٦، ص٢٦٢٢ .



الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ^(١)، ونبذ القرآن الكريم الانقياد الأعمى للعقل الجمعي، كما يتضح ذلك في قوله تعالى ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٢)، وايضاً في قوله تعالى ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كُرْهُونَ﴾^(٣) وقوله تعالى ﴿أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾^(٤)، وهذا ما يفند الرأي القائل بأن الاغلبية هم على الصواب، فقد سيطر على مجتمع الحجاز العقل الجمعي بمفهومه السلبي الذي يتسم بالانسياق اللاواعي خلف الأيديولوجيات المختلفة بتجلياتها الدينية، فقد شهد المجتمع حالة تغييب للوعي الإنساني وتلبسته حالة متفاقمة من الخضوع والإذعان التام للسلطة الأموية، ويقول العالم الفرنسي غوستاف لوبون (١٨٤١م - ١٩٣١م) بهذا الخصوص أن العقل الفردي يختلف عن العقل الجمعي (الفرد المنخرط في الجمهور) في التفكير، فالفرد المعزول ربما يكون انساناً متعللاً ويصل إلى قرارات منطقية، لكنه حينما ينخرط مع الجمهور تتلاشى شخصيته الواعية وتهيمن عليه شخصية اللاواعي فيصبح مسلوب الإرادة ويفقد استقلاله؛ ذلك لان افكاره وعواطفه قد تحولت وتغيرت إلى درجة القدرة على تحويل الرجل الشريف إلى مجرم^(٥).

تشكل العقل الجمعي بفعل التأثير المزمّن لمنظومة من العوامل التربوية والسياسية والثقافية الذي بذل معاوية دوراً كبيراً في شيوعها في سبيل احكام سيطرته على المجتمع، ومن أبرز تجليات ذلك تشريع سياسة سب الإمام علي(عليه السلام)، فضلاً عن عمله على شيوع الهيمنة الرمزية من خلال توظيف الروايات الدينية لتعزيز الطاعة السياسية بحرمة الخروج على السلطان مهما كانت درجة انحرافه واشاعة عقيدة الجبر ومسألة القدر، وهو ما يفسر قدرة السلطة السياسية بفرض افكارها الدوغمائية^(٦) على المجتمع بالتركرار وبشجب المخالفين ومعاقبتهم وتغييبهم بالإرهاب^(٧).

(١) سورة سبأ، الآية ٤٦ .

(٢) سورة المائدة، الآية ١٠٣ .

(٣) سورة المؤمنون، الآية ٧٠ .

(٤) سورة الأنعام، الآية ١١١ .

(٥) يُنظر: سيكولوجية الجماهير، ص ٦٠ - ٦١ .

(٦) الدوغمائية : هي حالة من الجمود الفكري يتشبّث فيها الفرد بأفكاره وقناعاته الخاصة تشبّثاً مطلقاً، إلى الحد الذي يجعله يرفض الاطلاع على الآراء المخالفة، بل ويقاومها بكل ما أوتي من قوة حتى لو ظهرت الأدلة الواضحة

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

حين تسود الدوغمانية في مجتمع تسلطي يهيمن عليه التهديد بالاعتقال أو القتل أو قطع الأرزاق ينقطع التفكير الحر ويخضع الأفراد للسلطة الحاكمة^(٢)، خوفاً على مصالحهم الاقتصادية خاصة وأن مجتمع الحجاز كان مجتمعاً تجارياً، فضلاً عن انتشار النزعة الفردية وذلك بتأثير الأفراد سلامتهم الشخصية بعدم المشاركة في النهضة الحسينية خوفاً من القتل، لذلك فضل الكثير العزوف عن المشاركة وعدم مساندة النهضة الحسينية، والتهرب من مقاومة الانحراف والتغاضي عن مساوئ السلطة الحاكمة والتخاذل في نصرة المظلومين، وقد شخص الإمام علي (عليه السلام) مسألة تمكن المنحرفين على رقاب المجتمع حين ربطها (عليه السلام) بقضية صمت المجتمع ورضاهم عن المنكر حيث جاء ذلك في قوله : "تَرَوْنَ عُهْدَ اللَّهِ مَنقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ،... فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنَزِلَتِكُمْ، وَالْقَيْنْتُمْ إِلَيْهِمْ أَرْمَتَكُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ"^(٣) .

ولذلك وقف مجتمع الحجاز موقف المتفرج العاجز فلا يستجيب لنداء ولا ينخرط في نشاط، تأصلت فيه حالة من الشك والحذر من الأذى الذي قد يلحق به من قبل السلطة الأموية وادواتها؛ ذلك لأنهم كانوا على علم ببطشها وأن الوقوف إلى جانب الإمام الحسين (عليه السلام) قد يعرضهم للانتقام، فكان الفرد الحجازي يعيش حالة من التهديد الدائم له ولذويه، ولهذا يلجأ الإنسان المقهور بتجنب كل ما يمكن ان يعرضه للخطر^(٤)، فخذلوا الإمام الحسين (عليه السلام) منذ اليوم الأول في المدينة عندما هدده مروان بن الحكم بالقتل فلم ينبري أحد من أفراد المجتمع لحماية الإمام والدفاع عنه، وأستمر الخذلان في مكة حينما اتى كتاب من الشام مفاده أن يقتلوا الإمام الحسين (عليه السلام)^(٥) .

=على خطأ موقفه، وتعدّ الدوغمانية أقصى درجات التعصّب الفكري والمبدئي، إذ يتحوّل فيها الإيمان بالفكرة إلى

عداء صريح لكل ما يخالفها. يُنظر: محمد حاج عيسى، الدوغمانية، ص ٣ .

(١) يُنظر: إريك فروم، المجتمع السوي ص ٧١ .

(٢) يُنظر: إريك فروم، المجتمع السوي ص ٧١ .

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ١٥٤ .

(٤) يُنظر: مصطفى حجازي، التخلّف الاجتماعي، ص ١٠٢ .

(٥) يُنظر: ابن اعثم الكوفي، الفتوح ، ج ٥ ، ص ١٨ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

وقد شهد المجتمع الإسلامي بعد موت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) سنة (١١ هـ / ٦٣٢ م) تغييرات عميقة فقد تحولت القيادة من النبوة القائمة على القرآن إلى الخلافة السياسية القائمة على سحق المعارضين وقمع الحريات، الأمر الذي جعل المجتمع الحجازي ينقسم على نفسه فمنهم من انخرط في الدولة طلباً للسلامة الشخصية والمنفعة، ومنهم من فضل السكون والصمت، ومنهم من قاوم فساد السلطة، كما أنَّ التحول في نظام الحكم الإسلامي عندما حول معاوية الحكم إلى شبه نظام حكم ملكي فطبق بذلك نظريته السلطوية، فقال: "فالأرض لله وأنا خليفة الله، فما أخذت فلي وما تركته للناس فبالفضل مني"^(١)، فيذكر أن سعد بن أبي وقاص دخل على معاوية فقال له: "السلام عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ أَنْتُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَنَا أَمِيرُكُمْ فَقَالَ سَعْدٌ: نَعَمْ، إِنَّ كُنَّا أَمْرَنَّاكَ"^(٢)، وقد حرص معاوية على حصر الملك في أهل بيته فابتدأ باستحداث ولاية العهد لضمان استقرار الملك للسلطة الأموية، ويرى ابن خلدون في ذلك أنه نتيجة للتغيير السياسي الذي حصل في المجتمع الإسلامي "اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستئثار الواحد به ولم يكن لمعاوية أن يدفع عن نفسه وقومه فهو أمر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرته بنو أمية ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحق من أتباعهم فاعصوبوا عليه واستماتوا دونه ولو حملهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالأمر لوقوع في افتراق الكلمة التي كان جمعها وتأليفها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبير مخالفة"^{(٣)(٤)}.

يتضح من ذلك أن ابن خلدون يرى أن ما فعله معاوية ليس خروجاً عن المألوف بل هو أمر طبيعي فرضته العصبية القبلية، إذ أن بني أمية استشعروا أن دورهم قد حان للهيمنة على المجتمع والإمساك بالسلطة، خاصة وأن هذا الحلم كان يراود البيت الأموي منذ أيام خلافة عثمان،

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٧؛ الآبي، نثر الدر، ج ٢، ص ١٤٢؛ العمري، مسالك الأبصار، ج ٢٤، ص ٣٥١.

(٢) عبد الرزاق، المصنف، ج ١٠، ص ١٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٥٣؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٧، ص ٣٢٤.

(٣) العبر، ج ١، ص ٢٥٧.

(٤) العبر، ج ١، ص ٢٥٧.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

لذلك فمن يعارض معاوية عارضه أتباع بني أمية وتكاتفوا ودفعوا بقوة واستماتة عنه، ذلك لأن العصبية القبليّة والمصالح المادية كانت تدفع على تركيز السلطة في يد واحدة والعمل على توريثها، فضلاً عن ذلك أن دولة الأمويّين دولة الملك والغلبة والسيف والعصبية والقهر.

أثر هذا التحول السياسي والمجتمعي في طبيعة أستجابة المجتمع الحجازي للثورة الحسينية، فعندما أعترض الإمام الحسين (عليه السلام) على توليه يزيد ونادى بثورته الإصلاحية، لم تكن قضيته نزاع على السلطة، بل كانت مواجهة بين نظام الحكم الإسلامي القائم على القيم الالهية والشورى والعدالة، وبين نظام حكم ملكي قائم على العصبية القبليّة والمصالح المادية والاستبداد الأمويّ، لكن المجتمع الحجازي في تلك اللحظة كان قد دخل في طورٍ تراجعٍ فيه القيم الثورية، لذلك وقف الإمام الحسين (عليه السلام) لأحياء مبدأ "هيهات منّا الذلّة"^(١)، وبرزت لدى المجتمع اعتبارات العصبية والانتماء القبليّ وذلك بالانضواء تحت مظلة السلطة الأمويّة، لذلك فإن معظم المجتمع الحجازي لم يتعاطفوا مع النهضة الحسينية، بل وقف البعض ضدها، أما بدافع الخوف، أو جنحوا تحت تأثير الدعاية الأمويّة خوفاً من الفتنة والارتباط بالمصالح المادية السلطوية، أو لأنهم كانوا ينظرون إلى الحكم بمنطق القوة والغلبة لا بمنطق الشرعية الدينيّة، واعتبروا المطالبة بالإصلاح خروجاً عن الطاعة، فكانت هذه محددات لسلوك الجماهير، لذلك فإن النهضة الحسينية لم تكن مجرد حدث عابر بل كانت مواجهة حضارية بين مشروع الإسلام المحمدي في أصلته وروح الإسلام في مقاومة الظلم، ومشروع السلطة في تحوله التي تحتكم إلى العصبية والمصالح الدنيوية، كما أن السلطة الأمويّة حجرت عقل المجتمع من خلال وضع الاحاديث التي تحت على نبذ التفرقة وإضافة صفة القداسة على الخليفة، في سبيل تخدير المجتمع باسم الدين وشل حركتهم في التحرر، لذلك فأنهم استخدموا في وجه المعارضين لها في كل مرة سلاح وحدة الجماعة وشق عصا الأمة وأسست بذلك منظومة من الاحاديث تحض على التزام الجماعة، كما جرى ذلك من تحذير الإمام الحسين (عليه السلام) من شق صفوف جماعة المسلمين^(٢).

(١) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٦٩؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٢١؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٥٩.

(٢) يُنظر: رضوان السيد، الأمة والجماعة والسلطة، ص ١٣٢-١٣٣.

٢- الفئات المساندة :

سطرت الفئات التي ساندت الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أروع أمثلة التضحية والفداء في سبيل الحق ونصرة المظلومين وتحقيق العدالة المجتمعية، وبرزوا من خلال موقفهم أهمية قيمة التضامن بين أفراد المجتمع، فقد التف حول الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فضلاً عن أسرته نخبة من الأصحاب من مختلف الأعراق والطبقات متحدين لتحقيق هدف الدفاع عن المبادئ الإسلامية الأصلية التي حاول النظام الأموي طمسها، وقد عكس هذا التضامن مفهوم الوحدة والتآزر في مواجهة التحديات، فجسدوا بذلك قوله تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١)، متجاوزين بذلك المصلحة الشخصية في سبيل مصلحة الآخرين، وهذا السلوك لا يصدر عن إكراه أو ضغط خارجي بل ينبع عن وعي داخلي من احساس بالمسؤولية تجاه الآخر نابع من الواجب الديني والاخلاقي فضلاً عن القيم المجتمعية التي تربوا عليها مثل التعاون والالتزام والتكافل، كما في قوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٢)، وقول رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"^(٣)، وقول الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "التَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ أَمَانَةٌ وَدِيَانَةٌ"^(٤).

ساند الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فئة تمثلت باهل بيته وإقربائه فوقف غالبية اولاد الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(٥) إلى جانب أخيهام الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مسطرين بذلك أروع ملاحم البطولة والفداء والذوبان في شخص الإمام ومستحکمين بذلك المعرفة المتكاملة والحقة، والاعتقاد اليقيني بأن الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إمام مفترض الطاعة وأنه أولى بهم من انفسهم، هذا الوعي لم يكن فردياً بل كان تعبيراً عن الضمير الجمعي الذي تشكل في بيئة اهل البيت (عَلَيْهِمُ

(١) سورة المائدة، الآية ١٠٣ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٢ .

(٣) أبي داود الطيالسي، مسند أبي داود، ص ٦٨؛ ابن أبي شيبة، المصنف، ج ١٩، ص ٢٨٩؛ ابن حنبل، مسند

أحمد، ج ٣٢، ص ٤٠٠ .

(٤) التميمي، غرر الحكم، ص ٤٣٧ .

(٥) يُنظر: الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٨٧ - ٩١ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

السَّلامُ) الذي تبلورت فيه منظومة القيم والمعتقدات التي تعرف الحق وتفرض الالتزام به، فلم يكن الأقدام على الشهادة مجرد فعل بطولي، بل كان امتثالاً لعقلانية سلوكية ترسخت من خلال الإيمان الجماعي، بأن الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلامُ) هو أولى بالنفس من ذاتها ودلالة هذا في قول أبا الفضل العباس (عَلَيْهِ السَّلامُ) :

" يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت ان تكوني" (١) .

أبدى أبو الفضل العباس (عَلَيْهِ السَّلامُ) شجاعة منقطعة النظير في معركة كربلاء وفي دعم ومساندة أخيه الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلامُ) والانقياد والطاعة المطلقة له في سبيل نصرته الحق وحماية الدين، وتعود هذه المواقف إلى والمؤهلات التي امتازت بها شخصيته (عَلَيْهِ السَّلامُ) تقدر بنفاذ البصيرة، وذكر ذلك الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق (عَلَيْهِ السَّلامُ) أذ قال: " كَانَ عُمُّنَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ نَافِذَ الْبَصِيرَةِ، صَلَبَ الْإِيمَانِ، جَاهِدَ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَأَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا، وَمَضَى شَهِيدًا" (٢) .

نجح الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلامُ) في ما سعى إليه من إعداد من يساند الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلامُ) من أبنائه عندما طلب من أخيه عقيل الذي كان نسأبه عالمًا بأنساب العرب : أن يرى له امرأة قد أولدتها الفحول من العرب ليتزوجها لتلد له غلامًا فارسًا يكون عونًا لولده الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلامُ)، فاقترح عليه فاطمة بنت حزام الكلابية؛ ذلك لأنه ليس في العرب أشجع من آبائها (٣)، وقد أدت أم البنين دورها التربوي بأعلى درجات الأخلاص، فربّت أبنائه على الطاعة في سبيل الحق ونصرة المظلومين والدفاع عن القيم الإنسانية، فكانوا خير عضدٍ لأخيهم يوم الطف، فضلاً عن العباس

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٧٩.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٧٦؛ ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ٣٥٦.

(٣) يُنظر: ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ٣٥٧ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

(عَلَيْهِ السَّلَامُ) وقف جعفر^(١) وعبد الله^(٢) وعثمان^(٣) إلى جانب الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حتى نالوا وسام الشهادة .

أنَّ أبا الفضل العباس (عَلَيْهِ السَّلَامُ) واخوته أدركوا حقيقة نهضة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وفهموا الواقع الأمر الذي جعلهم قادرين على اتخاذ قرارات مصيرية في اوقات حاسمة، فلم يتركوا نصرة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عندما عرض عليهم شمر بن ذي الجوشن^(٤) الأمان حتى ينجون من الموت المحتوم ، بل آثروا البقاء مع الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(٥) حتى آخر لحظة ضاربين بذلك مثلاً رائعاً في الشهامة والاباء والإيثار والتضحية الخالدة

(١) جعفر بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أمه السيدة أم البنين بنت حزام الكلابية، وكان من شبان بني هاشم الذين رافقوا الإمام الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء، استشهد يوم الطف وهو في مقتبل العمر - في العشرينات - بعد أن قاتل قتال الأبطال، قتله هاني بن ثببت الحضرمي. يُنظر: الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٨٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٥، ص ٨٥؛ المقرئ، المقفي الكبير، ج ٣، ص ٣٣٥ .

(٢) عبد الله بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأمّه السيدة أم البنين بنت حزام الكلابية، كان من أنصار الإمام الحسين (عليه السلام) يوم الطف، استشهد شاباً وهو ابن خمس وعشرين سنة، وقد قتله هاني بن ثببت الحضرمي وقيل قتله خولي بن يزيد الأصبحي. يُنظر: الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٨٨؛ المقرئ، المقفي الكبير، ج ٣، ص ٣٣٥ .

(٣) عثمان بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأمّه السيدة أم البنين بنت حزام الكلابية، وقد ورد أنَّ الإمام علي (عليه السلام) قال في تسميته له: (إنما سمّيته باسم أخي عثمان بن مظعون)، شارك في نصرة الإمام الحسين (عليه السلام) يوم الطف، فبرز للقتال وقاتل قتال الأبطال، فرماه خولي بن يزيد بسهم فأصابه فأوهنه، ثم شدّ عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله، وقُطع رأسه. يُنظر: الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٨٩؛ المقرئ، المقفي الكبير، ج ٣، ص ٣٣٥ .

(٤) شمر بن ذي الجوشن بن شُرْحبيل بن الأعور الضبّابي العامري الكلابي، شارك في صفين مقاتلاً تحت راية الإمام علي عليه السلام، ثم غيّر ولاءه لاحقاً فمال إلى السلطة الأموية، وكان من شهود الزور على حُجر بن عدي الكندي، ثم أصبح من أخطر أذرع السلطة الأموية في واقعة كربلاء؛ إذ كان قائد مسيرة جيش عمر بن سعد، وهو الذي تولّى بنفسه مهام التحريض والقتل في الطف، بل هو - على الأصح - من تولّى احتزاز رأس الإمام الحسين عليه السلام، وبعد ثورة المختار الثقفي، تمكّن رجاله من القبض عليه وقتله نحو سنة سبعين للهجرة. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٤٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٨، ص ٢٧٠، ص ٤٢٢؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٨٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ١٠٥ .

(٥) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١١٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤١٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٦٥ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

في سبيل مبدأ ومنطق النهضة الحسينية، فضلاً عن ذلك وقف محمد الأصغر^(١) وأبو بكر^(٢) أبناء الإمام عليّ (عليه السلام) إلى جانب أخيه الإمام الحسين (عليه السلام) ونصرته إيماناً بمبادئ نهضته الإصلاحية .

وفي هذا السياق يرى عالم الاجتماع الفرنسي إميل دور كهايم أن الوعي الجمعي هو المصدر الحقيقي لعقلانية سلوك الإنسان حيث تتحدد العقلانية عنده بالنظر أساساً إلى الضمير الجمعي وذلك باعتباره يحدد القواعد المنظمة للسلوك الظاهري والمجموع الكلي للمعتقدات والعواطف العامة بين أعضاء المجتمع^(٣)، وفي ذلك يمكن القول إن أبناء الإمام عليّ (عليه السلام) فقد جسدوا هذا المفهوم في بعده الآسري، فلم يكن موقفهم نابغاً من عاطفة شخصية أو بطولة فردية، بقدر ما كان استجابة لمنظومة قيمية موحدة تشكلت في وعيهم أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) هو الحق، وأنّ نصرته هي معيار الشرف والكرامة؛ ذلك لأن مبادئ النهضة الحسينية بما تحمله من معاني الحق والعدل ورفض الطغيان ونصره المستضعفين كانت تمثل محور وعيهم الجمعي ومرجعيتهم الأخلاقية العليا .

شكل الوعي أحد المحددات في رسم مواقف بعض الفئات من النهضة الحسينية، ذلك لأن تفاوت مستوى الوعي بين أفراد المجتمع انعكس على مواقفهم وانحيازهم أو انكفائهم تجاه النهضة الحسينية، فكلما كان الفرد مدرّكاً لطبيعة الصراع بوصفه صراعاً بين الحق والباطل، لا مجرد تنازع

(١) محمد الأصغر بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وأمه ورقاء . وهي أم ولد، كان من الموالين لأخيه الإمام الحسين (عليه السلام)، وقد استشهد معه في كربلاء، قتله رجل من بني أبان بن دارم. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٢٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٤١٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٤٦٨؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص٩٠ .

(٢) أبو بكر بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وأمه ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك بن نهشل بن دارم، وقد تزوّجها الإمام عليّ (عليه السلام) بعد معركة الجمل، كان من أنصار أخيه الإمام الحسين (عليه السلام)، واستشهد معه في كربلاء. يُنظر: أبو مخنف مقتل الحسين، ص٢٣٥ - ٢٣٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٤٦٨؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص١١٢؛ الصدوق، الأمالي، ص٢١٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٨ .

(٣) عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الهوية، ص٤٣ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

سياسي للسيطرة على السلطة، أزداد تمسك الفرد بموقف النصر والمساندة والدفاع عن المبادئ التي تمثلها النهضة، فقد وقف آل عقيل^(١) إلى جانب الإمام الحسين (عليه السلام) حتى اللحظات الأخيرة على الرغم من سماح الإمام الحسين (عليه السلام) لهم بالانصراف خاصة بعد مقتل السفير مسلم بن عقيل (ت ٦٠هـ / ٦٧٩م)، وهذا ما يتضح في خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) لهم : " يَا بَنِي عَقِيلٍ حَسْبُكُمْ مِنَ الْقَتْلِ بِمُسْلِمٍ، أَذْهَبُوا فَقَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ. فَأَجَابُوا بِقَوْلِهِمْ: وَمَا نَقُولُ لِلنَّاسِ؟ نَقُولُ: تَرَكْنَا شَيْخَنَا وَسَيِّدَنَا وَبَنِي عُمُومَتِنَا خَيْرَ الْأَعْمَامِ وَلَمْ نَرَمْ مَعَهُمْ بِسَهْمٍ وَلَمْ نَطْعَنْ مَعَهُمْ بِرُمَحٍ وَلَمْ نُضْرِبْ بِسَيْفٍ وَلَا نَذْرِي مَا صَنَعُوا ؟ لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ وَلَكِنَّا نَفْدِيكَ بِأَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا وَأَهْلِينَا وَنُقَاتِلُ مَعَكَ حَتَّى نَرِدَ مَوْرِدَكَ، فَقَبِّحَ اللَّهُ الْعَيْشَ بَعْدَكَ" ^(٢) .

كان آل عقيل ركنًا أساسيًا في النهضة الإصلاحية وهم كل من عبد الرحمن بن عقيل^(٣) وجعفر بن عقيل^(٤) وغيرهم^(٥) الذين بذلوا شجاعة عظيمة في مواجهة الأعداء يدفعهم بذلك إيمانهم بالمبادئ السامية إلى بذل ارواحهم فداء للعقيدة الإيمانية والمشروع الاصلاحى الانساني الذي تبناه الإمام الحسين (عليه السلام)، ولم تقتصر النصر على كبار الرجال من آل ابي طالب فقط بل كان لصغارهم نصيب من الرسالة الجهادية، كما كان لأولاد عبد الله بن جعفر دورًا في النهضة الحسينية وهما عون ابن السيدة زينب بنت الإمام علي (عليها السلام)، ومحمد بن عبد الله الذي ورث هذا

(١) يُنظر: الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٩٥ - ٩٨ .

(٢) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٠٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤١٩؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٩٢ .

(٣) عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب، وكان متزوجًا من خديجة بنت علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فولدت له سعيًا وعقيلًا، خرج مع الإمام الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء، وقاتل بين يديه حتى استشهد، تولى قتله عثمان بن خالد بن أسير الجهني، ولما قام المختار الثقفي بالأخذ بثارات شهداء كربلاء، وجّه في طلبه، فظفر به وقتله . يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٢٨، ج ٦، ص ٤٠٩؛ محمد العلوي، المجدي، ص ٥٢١ .

(٤) جعفر بن عقيل بن أبي طالب، وأمه أم البنين بنت الشقر بن الهضاب، خرج مع الإمام الحسين (عليه السلام) وقاتل بين يديه حتى استشهد في كربلاء، تولى قتله بشر بن الحوط الهمداني، وقيل: إن عبد الله بن عروة الخثعمي رماه بسهم فنفذ في قلبه فقتله. يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٠٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٩٥ .

(٥) يُنظر: الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٩٥ - ٩٨؛ محمد العلوي، المجدي، ص ٥٢١ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

الموقف من والدته الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف التي التحقت هل الأخرى بركب الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وقد استشهد عون ومحمد بين يدي الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) على الرغم من أنّ والدهما لم يلتحق بالنهضة الحسينية واكتفى بإبداء النصيحة دون المشاركة الميدانية، في حين جسد الإبناء الروح الثورية المدافعة عن الحق، منطلقين من وعي رسالي يهدف إلى تخليص المجتمع من الفساد المستشري في السلطة، ولتحقيق العدالة المجتمعية فكان موقفهم استجابة لنداء الواجب الاخلاقي.

كما ساندت الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فئة تمثلت الموالي الذي تجلى الوعي الفاعل لديهم فساندوه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وناصروه منذ اللحظات الأولى لانطلاق النهضة الحسينية، ويمكن تفسير ذلك اجتماعيًا من خلال القول أنّ موقفهم نابع من صفتهم أعضاء فاعلين في الجماعة، أي أنماط الانتماء لديهم تقوم على الولاء^(١) والتماهي الفكري والوجداني في شخصية الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بوصفه قائدًا يجسد القيم الالهية والحق في مواجهة الانحراف والوقوف بوجه الظلم، وقد كان الموالي محط ثقة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقد أرسل مولاه سليمان بن رزين^(٢) إلى البصرة لإيصال رسالته إلى زعماء الأخماس وأشرف البصرة^(٣).

أشترك الموالي في معركة الطف وقد كان بإمكانهم أن يعودوا بعد أن سمح الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لإصحابه بالانصراف أذ قال: "وأنتم في حل من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمة، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وتفرقوا في سواده، فإن القوم إنما

(١) يُنظر: عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الهوية، ص ٤٧ .

(٢) سليمان بن رزين من أتباع الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقد كان أباه مولى للإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، تزوج من كبشة وهي جارية للسيدة أم إسحاق زوجة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فولدت له سليمان ، رافق سليمان الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في تحركه من المدينة المنورة إلى مكة ، كان من ضمن قافلة الشهداء الذين سقطوا في طريق النهضة الحسينية ، فبعد أن أنجز مهمته على أكمل وجه وواصل الرسائل إلى زعماء الأخماس ، قام المنذر بن الجارود العبدى بعد زعمه أنّه تخوّف من أن يكون هذا الرسول مدسوساً من قبل عبيد الله بن زياد، لذلك اقتاد سليمان إلى ابن زياد قبل أن يخرج ابن زياد إلى الكوفة فأمر بقتله صبراً . يُنظر: جواد كاظم النصرالله، شهيد النهضة الحسينية، ص ٥١٤ - ٥٢٧ .

(٣) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٣٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٣٥؛ جواد كاظم النصرالله، شهيد النهضة الحسينية، ص ٥١٤ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

يطلبونني، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري"^(١)، لكنهم أثروا التضحية بالنفس وربطوا على طاعة إمامهم والذوبان في القيادة الشرعية والتفاني من أجلها، ونجد ذلك واضحاً في موقف جون^(٢) مولى أبي ذر الغفاري الذي قال له الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "أنت في إذن مني، فإنما تبتعنا طلباً للعافية فلا تبتل بطريقنا"^(٣)، فأجاب الإمام قائلاً: "يا ابن رسول الله! أنا في الرخاء ألحس قصاعكم، وفي الشدة أخذكم، والله! إن ريحي لمنتن، وإن حسبي للئيم، ولوني لأسود، فتنفس علي بالجنة، فتطيب ريحي، ويشرف حسبي، ويبيض وجهي، لا والله! لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم، ثم قاتل رضوان الله عليه حتى قتل"^(٤)، يتضح من النص أعلاه أن ولاء جون لم يكن عاطفياً بل نابع من فهم ووعي مبدئي ديني وإرادة حقيقية بنصرة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) والثبات إلى جانبه حتى وأن كلفه ذلك حياته، فجسد جون الولاء والإخلاص حتى الشهادة.

وقد لعب أحد الموالى وهو عقبة بن سمعان^(٥) دوراً محورياً في نقل الأحداث التاريخية وتوثيقها باعتباره شاهد عيان في جميع مراحل مسيرة النهضة الحسينية، حيث صحب الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من المدينة إلى العراق^(٦)، وكان لعقبة بن سمعان دور في تنفيذ الروايات والادعاءات التي روج لها الأمويين والتي زعمت أن الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد هَمَّ بالاستسلام

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٠٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤١٩؛ الصدوق، الأمالي، ص ٢٢٠.

(٢) جون بن حوي بن قتادة بن الأعور بن ساعدة بن عون بن كعب بن مولى من أهل النوبة مولى أبي ذر الغفاري اشتراه الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ووهبه إلى أبي ذر لخدمته، وعندما نفى الأخير إلى الزبدة ذهب معه وعند وفاته عاد إلى المدينة وانضم إلى بيت الإمام علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وخرج مع الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من مكة إلى كربلاء. يُنظر: ابن شهرآشوب، المناقب، ج ٤، ص ١٠٨؛ محمد علي الحلو، انصار الحسين، ص ١٧٥.

(٣) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٦٤-٦٥؛ ابن نما، مثير الأحزان، ص ٥٤.

(٤) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٦٥؛ ابن نما، مثير الأحزان، ص ٥٤.

(٥) عقبة بن سمعان مولى السيدة الرباب بنت أمري القيس زوجة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، ذكره المؤرخين في مجموعة عداد أصحاب الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، يعد من الرواة المعروفين لواقعة الطف، وقد أعتقل بعد واقعة كربلاء لكنه نجا من القتل بعدما تبين أنه مولى. يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤١٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٥٤؛ الطوسي، رجال الطوسي، ص ٧٨.

(٦) يُنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٦٤؛ سبط بن الجوزي، مرآة الأعيان، ج ٨، ص ١٢٤.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

والخضوع للسلطة الأموية وذلك بأن يضع يده في يد يزيد^(١)، وقد أنبرى عقبة ليدحض هذه المزاعم قائلاً: "صَحِبْتُ الْحُسَيْنَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ وَمِنْ مَكَّةَ إِلَى الْعِرَاقِ وَلَمْ أَفَارِقْهُ حَتَّى قُتِلَ، وَسَمِعْتُ جَمِيعَ مُحَاظِبَاتِهِ لِلنَّاسِ إِلَى يَوْمِ مَقْتَلِهِ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ مَا يَتَذَكَّرُ النَّاسُ أَنَّهُ يَصْغُ يَدَهُ فِي يَدِ يَزِيدَ، وَلَا أَنْ يُسَيِّرُوهُ إِلَى نَعْرِ مِنْ نَعُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: دَعُونِي أَذْهَبَ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرُ النَّاسِ"^(٢).

أن مساندة الموالي للإمام الحسين (عليه السلام) جاء ذلك من تأثير هدف النهضة الحسينية القائمة على أساس العدل والإنصاف الإنساني بمختلف اتجاهاته ومشاركة كالعادل السياسي والاجتماعي وبناء الدولة التي تحترم الإنسان دون طبقية، وجعل من روح الإسلام مساراً لنهضته الإصلاحية التي استوعبت احتياجات الإنسان وتطلعاته^(٣) فهو من مدرسة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) الذي صرح قائلاً: "النَّاسُ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ"^(٤).

كما وقف إلى جانب الإمام الحسين (عليه السلام) نخبة من أفراد المجتمع المدني جسدا ومعاني التضحية والوفاء والولاء لأهل البيت (عليهم السلام) فمنهم عبد الله بن يقطر^(٥) الفرد الذي جسد قوة الإيمان وصلابه العقيدة وثبات المبدأ، عندما وقف بوجه عبيد الله بن زياد^(٦)، وأستهان به

(١) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٩٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٦٤؛ سبط بن الجوزي، مرآة الأعيان، ج ٨، ص ١٢٤؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٢٧.

(٢) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٠٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤١٣ - ٤١٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٦٤.

(٣) محمد حسين زبون الساعدي، فلسفة التاريخ، ص ١٥٨.

(٤) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٤٢٧؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج ١، ص ٣١٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٧، ص ٣٢.

(٥) عبيد الله بن يقطر بن أبي عُقب الليثي، كانت أمه ميمونة حاضنة للإمام الحسين عليه السلام في بيت أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقد ولدته قبل ولادة الإمام الحسين بثلاثة أيام، فكان بمنزلة أخ له بالرضاعة والملازمة. نشأ في بيت النبوة، فكان أحد رُسل الإمام إلى الكوفة، ولما قبض عليه عبيد الله بن زياد، أمر برمييه من فوق القصر، فتكسرت عظامه، فقام إليه عمرو الأزدي وقيل: عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه. يُنظر: الطوسي، رجال الطوسي، ص ١٠٣؛ ابو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١١، ص ٤٠٨ - ٤٠٩؛ محمد السماوي، ابصار العين، ص ٩٣.

(٦) عبيد الله بن زياد بن أبيه، ويُعرف بابن مرجانة نسبةً إلى أمه، وكانت من سبايا أصفهان، وُلد سنة ٣٢ هـ وقيل ٣٠ هـ، بعد أن ألحق معاوية بن أبي سفيان أباه زياداً بنسبه، أصبح عبيد الله في عداد رجالات بني أمية وارتقى في مناصبهم، ولاه معاوية على المشرق، ثم تولى عبيد الله البصرة بعد وفاة أبيه سنة ٥٥ هـ، وعندما أعلن الإمام الحسين

الفصل الثاني تباين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

بعد أن أمره "أصعد فوق القصر فالعن الكذاب أبْن الكذاب، ثم أنزل حتى أرى فيك رأيي"^(١)، فصعد القصر فلما أشرف على الجماهير أعلن كلمته الخالدة وأكد نصرته للثورة الحسينية بقناعة تامة أذ قال: "أني رسول الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) اليكم لتنصروه وتؤازروه على أبْن مرجانة وابن سَمِيَةِ الدعيّ ابن الدعي لعنه الله"، فأمر عبيد الله بن زياد بقتله وذلك بأن يلقي من فوق القصر إلى الأرض^(٢).

(عليه السلام) ثورته، أسند يزيد بن معاوية إليه ولاية الكوفة إلى جانب البصرة، فكان المسؤول المباشر عن قمع حركة مسلم بن عقيل، ثم عن قيادة الجيش في واقعة الطف، انتهت حياته مقتولاً على يد إبراهيم بن الأشتر خلال ولاية المختار الثقفي على الكوفة سنة ٦٦ هـ. يُنظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٣٧، ص ٤٣٣ - ٤٦٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٥٤٥ - ٥٤٩، أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١٢، ص ٧٨.

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٩٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٩٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٥٢.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٩٢؛ البلاذري، أنساب لأشراف، ج ٣، ص ٣٧٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٩٨.

المبحث الثاني

تبين الموقف المجتمعي في اليمن من النهضة الحسينية

أولاً : التركيبة الاجتماعية في اليمن

تميز المجتمع اليمني في العصر الإسلامي الأول في تركيبته الاجتماعية المتنوعة والمتجذرة في إرث حضاري سبق الإسلام، فقد شكل العرب الغالبية العظمى من السكان الذين كان يتكون من عدد من القبائل، وقد انقسمت القبائل الكبرى إلى بطون وعشائر، وتنسب القبائل العربية التي تكون منها سكان اليمن إلى قحطان، الذي ينتهي نسبه إلى سام بن نوح (عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(١) .

وقد تنوعت القبائل في اليمن وتفرعت إلى مجموعات كبرى، من أبرزها قبيلة حمير التي تنسب إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان^(٢)، التي بدورها تفرعت إلى عدد من البطون منها (بني مالك، وبني الهميسع، وبني وائل)، إما القبيلة الأخرى والتي تعد من القبائل اليمنية الكبرى فهي كهلان بن سبأ^(٣)، والتي تفرعت إلى عدد من البطون من أشهرها (الأزد)^(٤)، مذحج^(٥)، همدان^(٦)، طي^(٧)، كندة^(٨) .

(١) يُنظر: الصحاري، الأنساب، ص ٦٧؛ رحمة احمد الزهراني، الحياة السياسية، ص ٢٥٠ .

(٢) يُنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٢؛ رحمة احمد الزهراني، الحياة السياسية، ص ٢٥٠ .

(٣) يُنظر: رحمة احمد الزهراني، الحياة السياسية، ص ٢٥٢ .

(٤) الأزد : ينسبون إلى الأزد بن غوث بن مالك سكنوا في عمان ونزلوا في البصرة زمن خلافة عمر بن الخطاب واخذت اعدادهم تتزايد في خلافة معاوية . يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٥١٦؛ السمعاني، الأنساب، ج ١، ص ٢١٣ .

(٥) مذحج: تنسب إلى مذحج بن مالك بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ . يُنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٨٥؛ ابن عبد البر، الإنباه، ص ١٢٠ .

(٦) همدان: تنسب إلى همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وقد ورد في فضلها ما يُروى عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: لو كنتُ بوابًا على باب جنة لقلتُ لهمدان:

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

ومن بين عناصر المجتمع اليمني في العصر الأموي برزت فئة الموالي وقصد بهم آنذاك طائفة الأبناء، وهم من الفرس الذين أصبح لهم شأن كبير في العصر الأموي، إذ تولى بعضهم مناصب هامة في الدولة، فقد تولى الضحاك بن فيروز^(٣) ولاية اليمن من قبل معاوية بن أبي سفيان^(٤).

برز في المجتمع اليمني الرقيق الذين ارتبط وجودهم نتيجة للطبيعة التجارية والزراعية لبلاد اليمن التي تحتاج للأيدي العاملة، فضلاً عن موقعها الجغرافي الذي يجمعها بالبحر الأحمر الأمر الذي سهل الهجرات والتبادل، لذلك فقد شكل رقيق الحبشة، مورداً أساسياً لبلاد اليمن^(٥).

ثانياً : الاوضاع العامة في اليمن واثرها في مواقف المجتمع من النهضة الحسينية

كان المجتمع اليمني على إطلاع بأخبار الدعوة الإسلامية في مكة؛ وذلك بحكم كون اليمن محطة رئيسة للقوافل التجارية في رحلة الشتاء والصيف، فضلاً عن عرض رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الإسلام على القبائل الوافدة إلى مكة وقد أسلم بعض الأفراد من المجتمع اليمني من أبرزهم الطفيل بن عمرو الدوسي^(٦)، ومن ثم هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة (٥)

=ادخلوا بسلام. يُنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٨٤؛ السمعاني، الأنساب، ج ١٣، ص ٤٢٠؛ عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، ج ٣، ص ١٢٢٥.

(١) طَبِي: تنسب إلى جلهمة بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد ابن كهلان بن سبأ. يُنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٨٥.

(٢) كندة: تنسب إلى ثور بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرد بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. يُنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٨٥.

(٣) الضحاك بن فيروز: الضحاك بن فيروز الديلمي الأبنائوي تابعي من أهل اليمن كان آخر من ولي اليمن لمعاوية بن أبي سفيان توفي سنة ١١٤ هـ. يُنظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٤٤٨.

(٤) يُنظر: رحمة احمد الزهراني، الحياة السياسية، ص ٢٥٨.

(٥) يُنظر: رحمة احمد الزهراني، الحياة السياسية، ص ٢٥٩.

(٦) الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص الدوسي، من قبيلة دوس بالأزد، أسلم في مكة، ثم عاد إلى قومه في أرض دوس داعياً لهم إلى الإسلام، فأقام فيهم حتى هاجر رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى المدينة، لحق الطفيل بالمسلمين في معركة خيبر، ومعه جماعة ممن أسلم من قومه، فاستقر بالمدينة ولازم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

للبعثة) وللمدينة وبداية تكوين الدولة الإسلامية، وأتساع نفوذها، وقد بعث رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) رسالة إلى باذان^(١) حاكم اليمن فأسلم وبإسلامه إسلم الأبناء من الفرس سنة (٦هـ/ ٦٢٧م)^(٢)، وقد أقره رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على اليمن، فلم يزل عاملاً عليها حتى وفاته^(٣).

كان المجتمع قائماً على التكتلات القبليّة تتصدرها قبيلة حمير مركز الثقل والنفوذ، ومن هنا جاء اهتمام رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فأرسل لهم أكثر من مبعوث، أولهم المهاجر بن أبي أمية^(٤) وذلك في السنة (٧هـ/ ٦٢٨م) يدعوهم إلى الإسلام الذين بادروا إلى ارسال مبعوثهم^(٥)

واله (وَسَلَّمَ) حتى وفاته، قُتِلَ في وقعة اليمامة، وقيل بل في معركة اليرموك في خلافة عمر بن الخطاب. يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ٢١٩؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢٥، ص ١٩؛ الزركلي، الإعلام، ج ٣، ص ٢٢٧.

(١) باذان بن ساسان الفارسي من فئة الأبناء، وهم أبناء الفرس الذين بعثهم كسرى أنوشروان مع سيف بن ذي يزن إلى اليمن لطردهم الأحمش منها، فاستقروا هناك وتنازلوا، وكان باذان والياً على صنعاء، فلما بلغته رسالة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يدعوهم إلى الإسلام - بعد حادثة هلاك كسرى - تحقق من صدق النية فأسلم في حياة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فكان أول والٍ فارسي يدخل في الإسلام. يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ١، ص ٣٤٩؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ١، ص ٤٦٤.

(٢) يُنظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٦٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٦٥٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ١٦٨.

(٣) يُنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ٤، ص ١٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٦٩؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، ج ١٤، ص ٢٢٥.

(٤) المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة بن مخزوم القرشي المخزومي، أخو أم سلمة زوج النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، كان اسمه الوليد، فعينه رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بعثه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) رسولاً إلى الحارث بن عبد كلال الحميري في اليمن، ولّاه على صدقات كندة والصّدف، إلا أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) توفّي قبل أن يخرج إليها، وهو الذي فتح حصن النّجير في حضرموت مع زياد بن ليلى الأنصاري. يُنظر: الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٢٥٧٨ - ٢٥٧٩؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥، ص ٢٦٥.

(٥) وقدم على رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كتاب ملوك حمير وهم كل من الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والنعمان قيل ذي رعين ومعاقر وهمدان، وبعث إليه زرة ذو يزن مالك ابن مرة الرهاوي بإسلامهم، ومفارقتهم الشرك وأهله. يُنظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٥٨٨؛ ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٣٥٦.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

إلى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) معلنين إسلامهم وذلك في السنة (٦٢٩ هـ / ٦٢٩ م)^(١)، أَنَّ إِسْلَامَ الزَّعَمَاءِ عِنْدَ الْعَرَبِ كَانَ يَعْنِي فِي الْغَالِبِ اسْتِجَابَةَ أَفْرَادِ الْقَبِيلَةِ تَبَعًا لَهُمْ.

كما بعث رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى بلاد اليمن ثلاث مرات لنشر الإسلام ولجمع الزكاة ولتتولى القضاء بينهم^(٢)، وفي المرة الأولى أسلمت على يده قبيلة همدان في يوم واحد^(٣) بعد أَنَّ فُشِلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ الَّذِي بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَكَثَّ سِتُّ أَشْهُرٍ هُنَاكَ فَلَمْ يَجِيبُوهُ^(٤)، لَقَدْ رَأَى الْمَجْتَمَعَ الْيَمَنِيَّ عِلْمَ الْإِمَامِ عَلِي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَفَضْلَهُ وَعِدَالَتَهُ فَتَشَيَّعَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ لَهُ، وَلَمْ يُبْنَى وَلَانَهُمْ عَلَى رَوَابِطِ الدَّمِ أَوْ الْمَصْلَحَةِ وَإِنَّمَا عَلَى أَسَاسِ الْعَدَالَةِ وَالْحَقِّ وَهَذَا مَا لَمْ يَسُوهُ عِنْدَ الْإِمَامِ عَلِي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مِنَ الصَّدَقِ وَالْوَرَعِ وَهُوَ مَا لَمْ يَجِدْهُ فِي طَرِيقَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الَّتِي غَلَبَ عَلَيْهَا طَائِعُ الْقَائِدِ الْعَسْكَرِيِّ لَا الْحَاكِمِ الْعَادِلِ، وَمِنْ هُنَا يَظْهَرُ إِنَّ الْمَجْتَمَعَ الْيَمَنِيَّ لَمْ يَكُنْ سَهْلَ الْإِنْقِيَادِ بِالْقُوَّةِ لَكِنَّهُ سَرِيعَ الْاسْتِجَابَةِ حِينَ يَجِدُ الْقِيَادَةَ الَّتِي تَحْتَرِمُ كِرَامَتَهُ وَتَخَاطِبُ وَعِيَهُ.

وقد أخذ المجتمع اليمني بالدخول إلى الإسلام تدريجيًا، وقد أرتد بعضهم قبل وبعد وفاة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)^(٥)، وفي عهد عمر بن الخطاب استتفر القبائل اليمنية للمشاركة في الفتوحات الإسلامية في الشام والعراق، فاستجاب له غالبية المجتمع اليمني وخرجت منهم هجرات واسعة نحو ميادين الفتح^(٦).

(١) يُنْظَرُ: ابْنُ هِشَامٍ، سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ، ج ٢، ص ٥٨٨؛ ابْنُ سَعْدٍ، الطَّبَقَاتُ، ج ١، ص ٣٥٦؛ الطَّبْرِي، تَارِيخُ الرِّسْلِ وَالْمُلُوكِ، ج ٣، ص ١٢٠.

(٢) يُنْظَرُ: النَّسَائِيُّ، خِصَائِصُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، ص ٣٨٩؛ الطَّبْرِي، تَارِيخُ الرِّسْلِ وَالْمُلُوكِ، ج ٣، ص ١٣٢؛ الْمَفِيدُ، الْإِرْشَادُ، ج ١، ص ٨٢.

(٣) يُنْظَرُ: الطَّبْرِي، تَارِيخُ الرِّسْلِ وَالْمُلُوكِ، ج ٣، ص ١٣٢؛ الْمَفِيدُ، الْإِرْشَادُ، ج ١، ص ٨٢؛ الْبَيْهَقِيُّ، السَّنَنِ الْكُبْرَى، ج ٤، ص ٥٩٥؛ ابْنُ كَثِيرٍ، الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، ج ٧، ص ٣٩٦.

(٤) يُنْظَرُ: الرُّوْيَانِيُّ، مَسْنَدُ الرُّوْيَانِيِّ، ج ١، ص ٢١٨؛ الطَّبْرِي، تَارِيخُ الرِّسْلِ وَالْمُلُوكِ، ج ٣، ص ١٣٢؛ الْبَيْهَقِيُّ، دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ، ج ٥، ص ٣٩٦.

(٥) يُنْظَرُ: حَسَنُ سَلِيمَانَ مَحْمُودٍ، تَارِيخُ الْيَمَنِ السِّيَاسِيِّ، ص ٥٩ - ٧٥.

(٦) يُنْظَرُ: حَسَنُ سَلِيمَانَ مَحْمُودٍ، تَارِيخُ الْيَمَنِ السِّيَاسِيِّ، ص ٧٧.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

وفي خلافة الإمام عليٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وقف غالبية المجتمع اليمني إلى جانبه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقد وقفت همدان معه في معاركه، وهذا ما أكدّه قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ): " يا معشر همدان ، أَنْتُمْ دِرْعِي وَرُمَحِي يا همدان، ما نصرتم إلا الله ولا أجبتكم غيره، فقال سعيد بن قيس: أجبنا الله وأجبناك، ونصرنا نبي الله صلى الله عليه في قبره ، وقاتلنا معك من ليس مثلك ، فارم بنا حيث أحببت"^(١)، وعلى الجانب الآخر انحازت بعض القبائل اليمنية إلى معاوية بن أبي سفيان وبذلوا نفوسهم دونه حيث ان أفراد قبيلة عك^(٢) قيدوا أرجلهم بالعمائم حوله دلالة على عدم الفرار^(٣)، أن مساندتهم كانت طمعاً في العطاء والمنافع المادية^(٤)، وقد أدى اليمانيون دوراً في الوقوف إلى جانب معاوية ويتضح ذلك من كلمات الضحاك بن المنذر الحميري^(٥) حين خاطب معاوية بقوله: "نحن نصرناك ومنعناك يوم صفين ونصرناك على الأنصار والمهاجرين وآثرناك على الإمام التقي الرقي رضي ابن عمّ النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فبنا علوت المنابر ولولا نحن لم تعلها وبنا دانت لك المعاشر ولولا نحن لم تدن لك"^(٦)، كما وقفت قبيلة كلب^(٧) إلى جانب السلطة الأموية، وذلك عندما أدرك معاوية أهمية الارتباط بقبيلة كلب اليمنية التي كانت أقوى القبائل اليمنية في الشام وأكثرها عدداً، فاختر زوجه له ميسون بنت بحدل الكلبية والدة يزيد، وهذا ما يفسر تأييدها

(١) ابن مزاحم، وقعة صفين، ص ٤٣٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٨، ص ٧٨.

(٢) عك: من قبائل اليمن من الأزدي وهو من ولد عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزدي، وقيل ان عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزدي بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان ، وبطنون عك أربعة غافق ، وساعده ، وعبس ، وبولان ، تقع أرضها في جنوب أرض معد. يُنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٢٨؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ٢، ص ٤١ .

(٣) يُنظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٨٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٤ .

(٤) ابن مزاحم، وقعة صفين، ص ٤٣٦ .

(٥) الضحاك بن المنذر بن سلامة بن ذي فائش ابن يزيد بن مرة الحميري، كان من سلالة الملوك، وقد وقف إلى جانب معاوية في معركة صفين ضد الإمام عليٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ). يُنظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢٤، ص ٣٧٠ .

(٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢٤، ص ٣٧١ .

(٧) قبيلة كلب: تنسب إلى كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمرات بن الحَاف بن قُضاعة. يُنظر: ابن الكلبية، جمهرة النسب، ج ٢، ص ٣٣٤ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

للمعاوية ومن جاء بعده، ويعود لهذه القبيلة الفضل في تأسيس الدولة الأموية وذلك للجهد الذي بذلته في حرب صفين^(١).

أراد معاوية بسط هيمنته على المجتمع اليمني، فجهز جيشاً يتكون من ثلاثة آلاف مقاتل وأمر عامله بسر بن أبي أرطاة^(٢)، بالتوجه إلى اليمن في سنة (٤٠ هـ / ٦٦٠ م) واستهدف الموالين لأهل البيت، وقد أوصاه بوصية، هو أن لا ينزل على بلد أهله مجتمعين على طاعة الإمام علي (عليه السلام) إلا ويبسط عليهم لسانه حتى يروا أنهم لا نجاة لهم منه، ثم امره ان يكف عنهم ويدعوهم إلى بيعته، ومن يأبى يكون مصيره القتل، كما أكد عليه أن يقتل الموالين للإمام علي (عليه السلام) اين ما كانوا^(٣).

وكان بسر بن أرطاة من القادة العسكريين المعروفين بقسوتهم المفرطة، فقد كان سفاكاً للدماء، قاسي القلب، لا رأفة ولا رحمة لديه، وقد جسد العنف السياسي بحملته على اليمن التي أُنسبت بقدر عال من القسوة والتنكيل، فقد نفذ عمليات القتل الجماعي بأفراد المجتمع اليمني لا سيما الموالين للإمام علي (عليه السلام)^(٤)، وقام بذبح الأطفال على درج القصابين أمام أنظار امهاتهم كما فعل ذلك بولدي عبيد الله بن العباس^(٥) عامل الإمام علي (عليه السلام) على اليمن،

(١) زهير هوارى، السلطة والمعارضة، ص ٢٦٠.

(٢) بسر بن أرطاة ويقال بسر بن ابي أرطاة، وهو عمير بن عويمر بن عمران بن الحليس ... بن عامر بن لؤي، أمه زينب بنت الأبرص، وُلد قبل وفاة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بسنتين أو ثلاث، وكان من أنصار عثمان بن عفان، نزل دمشق وكان من قواد معاوية بن أبي سفيان، شارك في معركة صفين، وقاد غارة إلى الحجاز واليمن سنة ٤٠ هـ بأمر معاوية، فقتل جماعة من شيعة الإمام علي (عليه السلام) وسبى نساءهم، فكنَّ أول مسلمات سُببن في الإسلام، اختلف في سنة وفاته، ف قيل في أواخر عهد معاوية، وقيل سنة ٨٦ هـ في زمن عبد الملك بن مروان. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٤٠٩؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٥٧٩ - ٥٨٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص١٥٧ - ١٦٤؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج١، ص٤٣٥ - ٤٣٦.

(٣) يُنظر: الثَّقَفِي، الغارات، ج٢، ص٥٩٨؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٦.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١٤٠؛ سبط ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص١٦٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٧٣٣.

(٥) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١٤٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٧٣٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٦٨٣.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

ولم يكتف بذلك بل أقدم على سبي نسائهم وقام بعرضهن في الأسواق^(١)، ولما بلغ الإمام عليّ (عليه السلام) ما فعله بسر بن إرطاه أمر بتجهيز ألف فارس من الكوفة ومثلهم من البصرة وجعل قيادتهم إلى جارية بن قدامة السعدي^(٢)، وكلفه بالتوجه إلى اليمن وملاحقة بسر ومعاقبته على ما اقترفه^(٣).

خضعت اليمن لحكم معاوية بن أبي سفيان (٤٠هـ/٦٦٠ م) وتمكن من فرض سيطرته على غالبية المجتمع الذي يتكون من قبائل متعددة ومتباينة في الولاء، فجعل اليمن ولاية مركزية تتبع الدولة الأموية مباشرة، وقام بتوحيد إدارتها وذلك بجمع مخاليف^(٤) صنعاء والجند بعامل واحد^(٥)، وقد اتخذ معاوية سياسة العقاب ضد المجتمع وذلك بإحكام سيطرته على اقتصاد القبائل من خلال مصادرة أملاك وضياع الملوك وضمها إلى نفسه وأتباعه واقطاعها إلى أهل بيته، وأستغل هذه الأموال في تثبيت حكمه وتدعيم علاقاته وقمع المعارضين والمناوئين^(٦)، وعانى

(١) يُنظر: ابن أبي شيبه، المصنف، ج ٢١، ص ٣٨٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٥، ص ٣٦٩؛ المقرئ، المقفى الكبير، ج ٢، ص ٢٤١.

(٢) جارية بن قدامة السعدي التميمي: صحابي، من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وهو عمّ الأحنف بن قيس أو ابن عمّه، رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وروى عنه، ثم اختص بالإمام عليّ (عليه السلام)، فكان من خاصته ورجال المهمات لديه، تولى أخذ بيعة أهل البصرة للإمام عند توليه الخلافة، وشارك في جميع حروبه الجمل وصفين والنهروان قائداً على تميم ورباب البصرة، قضى على فتنة عبد الله الحضرمي، وكما بعثه الإمام عليّ (عليه السلام) في ألفين لمواجهة بسر بن أرطاة بعد غارته على الحجاز واليمن، فطارده حتى أخرجه من اليمن إلى الشام، وبعد استشهاد الإمام عليّ (عليه السلام) بايع الإمام الحسن (عليه السلام) وظلّ على ولائه لأهل البيت (عليهم السلام). يُنظر: ابن حبان، الثقات، ج ٣، ص ٦٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ١٣٥ - ١٣٦؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ١، ص ٣١٤؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ١٢٥.

(٣) يُنظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ٢٠٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٧٢، ص ١٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٧٣٣.

(٤) مخاليف: تقسيم اداري أستخدم في اليمن، فكانوا يطلقون على الناحية من بلادهم بالمخلاف، ولكل مخلاف اسم يعرف به، وغالباً تعرف باسم قبيلة من قبائل اليمن إذا أقامت بالمكان وعمرته فغلب عليه اسمها. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٧.

(٥) يُنظر: الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ص ٥٠.

(٦) يُنظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٣٤.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

الموالين لأهل البيت من اليمانيين من استبداد الحكام الأمويين وجور ولاتهم، فقد استخدموا ضدهم حرب الأموال من أجل أضعافهم وتقكيك البيئة الاجتماعية المعادية للسلطة الأموية^(١).

كما ذكرنا سابقاً أن معاوية سعى إلى تنشئة جيل اجتماعي يبغض الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) فشرع سياسة السب، فقام الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون الإمام علي (عليه السلام) ويبرؤون منه علناً^(٢)، ومن دهاء معاوية وحيله التي لجأ إليها لضمان أنتشار هذه السياسة، هو أمره بتقديم الخطبة قبل الصلاة، وذلك لان الناس كانوا ينصرفون قبل الخطبة لئلا يسمعو لعن الإمام علي (عليه السلام)^(٣).

وقد نجح معاوية إلى حد بعيد في ترسيخ هذا المشروع العدائي في المجتمع اليمني، أراد من خلاله تأسيس منظومة ثقافية تناصب العداء لأهل البيت (عليهم السلام)، حتى أصبحت سياسة السب كنمط للتربية والتعليم، وهذا ما يتضح في ما حديث الراوي هشام بن السائب الكلبي^(٤) أنه قال: ادركت بني أود^(٥) يعلمون اولادهم وحرّمهم سب الإمام علي (عليه السلام) وفيهم رجل دخل على الحجاج بن يوسف الثقفي^(٦) فكلّمه وقد اغلظ عليه الحجاج في الجواب، فقال له لا نقل هذا

(١) يُنظر: ابن بكار، أخبار الوافدات، ص ٦٨؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ١، ص ٣٤٤.٣٤٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٦٩، ص ٢٢٥.

(٢) يُنظر: سليم بن قيس، كتاب سليم، ص ٣١٤؛ الطبرسي، إعلام الوري، ج ١، ص ١٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ٤٤.

(٣) يُنظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٤) هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو المنذر، نسابة وأخباري، اشتهر في الأنساب وأخبار العرب.

يُنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٤٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ١٤٠.

(٥) بني أود: وهم بنو أود بن صعب بن سعد من كهلان من القحطانية، وبنو أود أيضاً من أود بن عبد الله بن قادم بن زيد حي من همدان من كهلان من القحطانية. يُنظر: القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٨٧.

(٦) الحجاج بن يوسف الثقفي، وُلد في الطائف سنة ٤٠ هـ تقريباً، وكان من أبرز عمّال بني أمية وأكثرهم نفوذاً وولاءً لهم، حتى أوصى عبد الملك بن مروان ابنه الوليد بالناية به وسمّى أحد أبنائه باسمه، حاصر مكة المكرمة حينما تحصّن بها عبد الله بن الزبير سنة ٧٣ هـ، واستمرّ الحصار ستة أشهر وسبع عشرة ليلة، ثم رمى الكعبة المشرفة بالمنجنيق حتى تهدّمت جدرانها عُرف بشدّته وبطشه وسفكه للدماء، إذ قُتل على يده أكثر من مئة وعشرين ألف شخص، وكان من أشهر من قتلهم التابعي سعيد بن جبير، اتخذ سجوناً قاسية مات فيها عشرات الألوف، وأسّس مدينة واسط بالعراق واتخذها مقراً له، وتوفي فيها سنة ٩٥ هـ. يُنظر: بحشل، تاريخ واسط، ص ٢١ - ٢٢؛

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

فلا لقريش ولا لثقيف منقبة يعتدون بها، الا ونحن نعتد بمتلها، فخاطبه الحجاج وقال له وما هي مناقبكم؟، قال ما شهد منا مع ابي تراب معاركه الا رجل واحد، وبسبب مشاركته جعلت منزلته تسقط في أعين قومنا وفقد مكانته وهيبته في القبيلة، وماله فينا ذكر فاصبح منبوذاً لا قدر له ولا قيمة، وان معيار الزواج لدينا مبنياً على موقف المرأة من الإمام عليّ (عليه السلام) فإذا كانت تحب أبا تراب او تذكره بخير نتجنبها ولا نتزوجها، ولم نسمي ذريتنا من الذكور بأسماء (عليّ او حسناً او حُسيناً)، ولا جارية فسميت فاطمة، واذا دعي رجل منا إلى البراءة من الإمام عليّ (عليه السلام) ولعنه، الا أجابهم وقال ازيد حسناً وحسيناً^(١).

ويتضح مما سبق مدى نجاح سياسة معاوية في تنشئة مجتمع يكمن العداء لأهل البيت (عليهم السلام) فنجد أن القبيلة جعلت المشاركة في صف الإمام عليّ (عليه السلام) منقصة واستخدموا النبذ الجماعي تجاه الفرد المشارك، أن تكريس العداء للإمام عليّ (عليه السلام) كثقافة جمعية كانت لها تبعات في حياة المجتمع منها اختيار الزوجة، مما يدل على ان البنية السياسية الأموية استطاعت التأثير على أعراف المجتمع وتوجهاته، كما أن امتناع القبيلة من التسمية بأسماء رموز اهل البيت (عليهم السلام) يدل على أنها كانت ممنوعة اجتماعياً، فتشكل عقل جمعي قائم على البراءة من الإمام عليّ واهل بيته (عليهم السلام) ولم تكن البراءة مجرد عقيدة، بل تحولت إلى سلوك جمعي يشمل الزواج والتسمية.

لم يكن لدى معاوية هواجس مقلقة في تحصل البيعة من مجتمع اليمن، بالمقارنة مع العراق الذي احاطه باهتمام خاص وكذلك بلاد الحجاز، ويعود ذلك إلى الطبيعة الجغرافية والمجتمعية لليمن، إذ انها بلاد معزولة، وأن أي تحرك فيها ضد السلطة الأموية سيكون ثانوياً، ويتضح هذا المعنى في نصيحة عبد الله بن عباس عندما أقترح على الإمام الحسين (عليه السلام) المسير إلى اليمن وذلك لان فيها "حصونا وشعابا، وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك بها

الصفدي، وفيات الوفيات، ج ١١، ص ٢٣٦ - ٢٣٨؛ الفلقشلندي، نهاية الأرب، ص ١٩٩؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٣٤٣ .

(١) يُنظر: الثقيفي، الغارات، ج ٢، ص ٨٤٢ - ٨٤٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦١؛ ابن طاووس، فرحة الغري، ص ٥٠ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

شيعة، وأنت عن الناس في عزلة"^(١)، لذلك لم يذكر أن معاوية قد أرسل البعوث إلى والي اليمن بأخذ البيعة لابنه يزيد من المجتمع.

شكلت النهضة الحسينية حدثاً تاريخياً كبيراً في حياة المجتمع الإسلامي، حيث امتدت مواقف النهضة إلى بلاد اليمن الذي أسفر عن تفاعل أفرادها من النهضة مواقف متباينة، تتراوح بين التأييد الذي أقتصر على القبائل اليمنية التي سكنت الكوفة حيث شكلت النهضة الإصلاحية عامل جذب في استقطابها لبعض أفراد المجتمع اليمني المقيمين في الكوفة، وما من شك أن التعاطف مع الإمام الحسين (عليه السلام) مبعثه الميل من كونه حفيد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبن الإمام علي (عليه السلام) الذي على يده أسلمت غالبية المجتمع اليمني، فضلاً عن أنهم وجدوا في ثورته سبيلاً للتخلص من جور بني أمية حيث انتهجت السلطة الأموية سياسة اقتصادية جائرة وكان الهدف من ذلك فرض ارادة معينة لتحقيق الاهداف الخاصة للسلطة، وعمدوا إلى سفك الدماء للتخلص من المعارضة، فلعب اليمنيون دوراً بارزاً في النهضة الحسينية

الموقف الآخر لليمنيين تمثل بالعدائية تجاه النهضة الحسينية، على الرغم أن حركة تأييد الإمام الحسين (عليه السلام) في الكوفة قامت على أكتاف اليمنيين، ألا إن إفشال حركة مسلم بن عقيل كان بأياد يمانية أيضاً، حيث كان حليف الأمويين عبد الله بن مسلم الحضرمي قد عينه يزيد بن معاوية في الكوفة وكلفه بمسؤولية تتبع حركات مسلم (عليه السلام) ونقل الأخبار له، فكان يرفع كل نشاطاته وتحركاته إلى يزيد مما سهل القبض عليه وشل حركته كلياً^(٢).

كما قامت جماعة من أهل اليمن من الذين استجابوا لمغريات السلطة الأموية المادية، فقاتلوا الإمام الحسين (عليه السلام) ونكلوا به وبأخوته^(٣)، وتوالت أعمالهم الوحشية ضد الإمام (عليه السلام)

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٤٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٨٣- ٣٨٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٤٨ .

(٢) يُنظر: الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٣٥ .

(٣) يُنظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٥٧ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

(السلام) ومن معه مقابل أجر زهيد يطلبونه من السلطة الأموية مع ذلك لم يجدوا من ذلك شيء^(١)، وقد أعرضت بعض القبائل عن المشاركة في قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وكل قبيلة تتكل على غيرها، حيث كانت تكره الإقدام على هذا الفعل، غير أن جماعة من أهل اليمن أقدمت على ما تحاشاه الآخرين، حيث حمل مالك بن النسير الكندي^(٢) على الإمام الحسين (عليه السلام) وضربه بالسيف على رأسه، ثم حمل عليه سنان بن أنس النخعي^(٣) فطعن الإمام (عليه السلام) وأجهز عليه، وحمل رأس الإمام (عليه السلام) خولي بن يزيد الأصبحي^(٤) إلى ابن زياد^(٥).

أما موقف مجتمع اليمن بشكل عام فلم تسعفنا مصادر التاريخ الإسلامي برسم صورة واضحة لموقف أهل اليمن تجاه النهضة الحسينية، أو اوضاع اليمن بشكل عام في العصر الأموي،

(١) يُنظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٥٧؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٦، ص ٢٦٢٩.

(٢) مالك بن النسير البدي الكندي، كان رجلاً فتاكًا وجريئًا، وقد اشتهر بدوره في واقعة الطف حيث ضرب الإمام الحسين عليه السلام على رأسه، وبعد الواقعة، أرسل المختار الثقفي للقبض عليه مالك بن عمرو النهدي، وقد أحضره الأخير وأمر المختار بإشعال نار عظيمة في الرحبة، ثم قطع يده ورجله وإلقاؤهما في النار، وتوالت عملية قطع أعضائه حتى مات. يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٤٠٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٤٨.

(٣) سنان بن أنس بن عمرو النخعي من قبيلة بني نَخَع إحدى بطون مذحج اليمانية، وقد عُرف سنان بانتمائه إلى التيار الأموي في الكوفة، وكان من أتباع عبيد الله بن زياد، شارك في جيش عمر بن سعد يوم عاشوراء، وكان من رجال الشمر بن ذي الجوشن الذين هجموا على خيام الإمام الحسين عليه السلام. وتذكر أغلب الروايات أنه هو الذي حرَّ رأس الإمام الحسين عليه السلام بعد استشاده، فحملة إلى عمر بن سعد طمعًا في الجائزة، ولما خرج المختار الثقفي يطلب بدم الحسين عليه السلام، أمر بالقبض عليه، فهرب إلى البصرة، فهدم المختار داره، وتذكر بعض المصادر أنه قُتل أخيرًا على يد أنصار المختار. يُنظر: الهروي، النسب، ص ٣١٨؛ ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٤٧٣؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٠٣، ج ٦، ص ١٥٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٥٣؛ الأزدي، تاريخ الموصل، ج ١، ص ١١١.

(٤) خولي بن يزيد الأصبحي: خولي بن يزيد الأصبحي الإيادي، وكان من المشاركين في جيش عمر بن سعد بواقعة كربلاء، تشير الروايات إلى أنه رمى عثمان بن علي عليه السلام بسهم فقتله، ثم تولى مع حميد بن مسلم نقل رأس الإمام الحسين عليه السلام ورؤوس أصحابه إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة، وبعد ثورة المختار الثقفي سنة ٦٦ هـ، أرسل للقبض عليه، فاختبأ في منزله، غير أن زوجته دلت عليه لبغضها فعله، فأخذ وأعدم بأمر المختار. يُنظر: ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين، ص ٧٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٠١، ص ٢٠٦؛ الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج ٥، ص ٤٤٩، ص ٤٥٥.

(٥) يُنظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٥٨-٢٥٩.

الفصل الثاني تباين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

ويبدو ذلك لانتقال مركز الثقل إلى الشام وركزت المصادر على الحجاز لانطلاق النهضة الحسينية منها، والعراق بوصفه الساحة التي دارت عليها معركة الطف، وقد كان على اليمن يومئذٍ والٍ قويّ ذو طابع سلطوي وهو بحير بن ريسان الحميري^(١) أستعمله يزيد على اليمن للأشراف على الجباية وضبط البلاد^(٢)، فمن الممكن أنه أدى دورًا في منع أي انخراط شعبي في حركات مناوئة للسلطة الأموية، كما أن معظم المجتمع كان من أتباع الأمويين حيث لم يكن في اليمن قاعدة موالية لأهل البيت (عليهم السلام) ذلك لأنهم قد انتقل معظمهم إلى العراق وسكنوا الكوفة بالخصوص، ولم يبق على الاغلب في اليمن الا الذين كانوا يكون البغض لأهل البيت حيث يذكر^(٣) أن نسوة نذر أن قتل الإمام الحسين (عليه السلام) تنحر كل واحدة منهن عشر قلائص^(٤)، فلما أستشهد (عليه السلام) وفين بنذورهن، وهذا يبين حجم البغض والعداء للإمام الحسين (عليه السلام).

(١) بحير بن ريسان الحميري اليماني، تولى اليمن ليزيد بن معاوية، كان مستبدًا جبارًا أخضع الناس ولم يجراً أحد أن يطرح عليه سؤال، لأنه يعرض نفسه للعقوبة. يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٨٥؛ الجندي اليماني، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج ١، ص ١٧٥ .

(٢) يُنظر: يحيى بن الحسين، غاية الأمان في اخبار القطر اليماني، ص ١٠٠ .

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦١ .

(٤) قلائص: الفتية من الإبل. يُنظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الاعظم، ج ٦، ص ٢٠٤؛ البيضاوي، تحفة الأبرار، ج ٢، ص ٢٣١؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٨١.

المبحث الثالث

الموقف المجتمعي في بلاد الشام من النهضة الحسينية

أولاً : التركيبة الاجتماعية في بلاد الشام :

تألف مجتمع بلاد الشام من عناصر سكانية متنوعة شملت العرب، والموالي والرقيق، واهل الذمة وغيرهم، وقد شكل العرب الغالبية العظمى من السكان، إذ كان تواجد العرب فيها قديماً، فقد كان ينزلون في وسط بلاد الشام وجنوبها قبل الفتح سنة (١٣هـ / ٦٣٤م)، منها القبائل القحطانية اليمنية التي نزلت إليها، ومن أهم هذه القبائل هي قبيلة قضاة^(١) بفروعها^(٢)، كما نزل في شمال الشام مجموعة من القبائل من ربيعة العدنانية^(٣) التي كانت تدين بعضها بالديانة النصرانية^(٤)، كذلك سكنت القبائل المضرية^(٥) في مناطق مختلفة من الشام، وقد تزايدت أعداد العرب بعد الفتح .

(١) قبيلة قضاة: اختلف النسابون فيها فقالوا: من حمير، من القحطانية، غلب عليهم اسم أبيهم، فقبل لهم: قضاة وهم بنو قضاة بن مالك ابن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير، وذهب بعضهم الى ان قضاة من العدنانية، ويقولون: هو قضاة بن معد ابن عدنان. يُنظر: المبرد، نسب عدنان، ص ٢٣؛ ابن عبد البر، الإنباه في ذكر القبائل، ص ٤٠؛ السمعاني، الأنساب، ج ١٠، ص ١٧٩؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٤٠٠؛ عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، ج ٣، ص ٩٥٧.

(٢) هم قبائل كلب وبهراء وجهينة وبلي وسليح وتغلب وتوخ ونهد. يُنظر : وداد عوض الدرايسه، الحياة الاجتماعية والثقافية، ص ٧؛ محمد عزب دسوقي، القبائل العربية، ص ١٩٠ .

(٣) ربيعة العدنانية: تنسب إلى ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان . يُنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٨٣ .

(٤) يُنظر: محمد عزب دسوقي، القبائل العربية، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٥) القبائل المضرية: تنسب إلى مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. يُنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٨٣ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

لعبت القبائل العربيّة في الشام دورًا محوريًا في تثبيت سلطان بني أمية، وفي مقدمتها قبيلة كلب التي كانت من أقوى القبائل اليمنية فيها وأكثرها عددًا، ويعود لهذه القبيلة الفضل في تأسيس الدولة الأمويّة وذلك للجهد الذي بذلته في حرب صفين إلى جانب معاوية، وقد أدرك معاوية أهمية الارتباط بقبيلة كلب اليمنية لذلك عمل على زيادة الأواصر مع تلك القبائل عن طريق المصاهرة إليها، فاختار زوجة له منها^(١)، فقد كانت عملية المصاهرة من ضمن مفهوم الرياسة عبر تكتل العصبية القبليّة وتوظيفها في بناء الولاءات، وقد اعتمدت الخلافة الأموية على هذه العصبية لدعم مواقع نفوذها^(٢).

وقد تجلت مساندة القبائل اليمنية في مخاطبه بعض زعمائها لمعاوية، مثل الضحّاك بن المنذر الحميري حين خاطب معاوية قائلاً: "نحن نصرناك ومنعناك يوم صفين ونصرك على الأنصار والمهاجرين وآثرناك على الإمام التقي الرقي رضي الله عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فبنا علوت المنابر ولولا نحن لم تعلها وبنا دانت لك المعاشر ولولا نحن لم تدن لك"^(٣)، لم تكن بعض القبائل اليمنية ترى في معاوية إمامًا شرعيًا وإنما حليفًا سياسيًا، ولأنها له مقترن بالعدل والمساواة، خاصة وأن القبائل اليمنية كانت تشكل عماد القوة العسكرية للأمويين في الشام، لكن بعضهم كان يعاني من التمييز والإقصاء وهذا ما يتضح من خطاب حيوة بن شريح الكلاعي^(٤) "يا معاوية أنصفنا من أنفسك وآس بيننا وبين قومك وإلا تغلغت بنايديهم الصفاح أو لننطحنهم بها أشد النطاح ولنوردنهم بها حوض المنية المتاح فقاibusنا بفعلنا حذو النعل بالنعل وإلا والله أقمنا درأك بعد لنا ولقينا صغوك"^(٥) بعزمنا حتى ندعك أصوع من الرداء وأذل من الحذاء"^(٦).

(١) يُنظر: ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج ١، ص ٤٠؛ الدارقطني، المؤلف والمختلف، ج ٤، ص ٢٠٧٩؛ ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج ٨، ص ١٤٢.

(٢) يُنظر: زهير هوارى، السلطة والمعارضة، ص ٢٦٠.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢٤، ص ٣٧١؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ١١، ص ١٥١.

(٤) حيوة بن شريح الكلاعي اليماني كان ممن وفد على معاوية بن أبي سفيان. يُنظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٥، ص ٣٨٦.

(٥) صغوك: ميلك. يُنظر: ابن ولاد، المقصور والممدود، ص ٧٣.

(٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢٤، ص ٣٧٢؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ١١، ص ١٥٢.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

من فئات المجتمع الشاميّ الذين سكنوا إلى جانب العرب الموالي الذين شكلوا فئة كبيرة من المجتمع في العصر الأمويّ، وقد تعاونوا مع القبائل العربيّة المتحالفة معها وقد فرض لهم العطاء، إلا أنّ عطاءهم كان أقل من العرب^(١).

ومن عناصر المجتمع الأخرى العبيد والرقيق الذين شكلوا فئة كبيرة من السكان وذلك نتيجة للفتوحات الإسلامية التي جلبت أعداد ضخمة من الرقيق، الذين عملوا في خدمة البيوت، وقد اعتاد الأمويّون على توزيعهم إلى المحاربين بعد الحرب^(٢)، كذلك سكن بلاد الشام النبط^(٣)، الذين تميزوا باشتغالهم بالفلاحة وزراعة الأرض، كما شارك بعضهم في الفتوحات إلى جانب المسلمين، إذ عملوا كعيون وحرس يساعدون الجيوش على توفير المعلومات وحماية الطرق^(٤).

كذلك شكل أهل الذمة فئة سكانية في المجتمع الشاميّ، وعلى وجه التحديد النصاريّ الذين لعبوا دوراً في الإدارة والطب، وأشهرهم سرجون الرومي^(٥) الذي عمل مستشاراً لمعاوية والذي ظل في منصبه مدة طويلة^(٦)، كما تميزوا في الطب ومن أبرزهم ابن أثال^(٧) الذي شغل منصب

(١) يُنظر: وداد عوض الدرايسه، الحياة الاجتماعية والثقافية، ص ١٣- ١٧.

(٢) يُنظر: وداد عوض الدرايسه، الحياة الاجتماعية والثقافية، ص ٢٤ - ٢٥.

(٣) النبط: الانباط جمع نبط وهم قومٌ ينزلون بالبطائح بين العراقيّين فضلاً عن الشام، سموا بذلك لأنهم ينبطون الماء أي: يخرجونه. يُنظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ٣٠٣؛ ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١، ص ١٢٨؛ ابن رسلان، شرح سنن أبي داود، ج ١٣، ص ١٤٤.

(٤) يُنظر: وداد عوض الدرايسه، الحياة الاجتماعية والثقافية، ص ٣١.

(٥) سرجون بن منصور الرومي، كان مولى لمعاوية بن أبي سفيان وكاتباً له، تولى الإشراف على الأموال والدواوين في عهده، واستمر في منصبه بعده في زمن يزيد بن معاوية، ثم معاوية بن يزيد، فمروان بن الحكم، حتى عهد عبد الملك بن مروان، وقد بقي يشرف على جهاز الديوان قرابة نصف قرن، فكان من أقدم وأطول الكُتّاب خدمةً للدولة الأموية. يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ١٨٠؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٥٢؛ الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ٢٧.

(٦) يُنظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٥٢؛ الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ٢٧.

(٧) ابن أثال النصراني: من الأطباء في دمشق، اشتهر بخبرته في الأدوية المفردة والمركبة، بما فيها السموم القاتلة، كان مقرباً من معاوية بن أبي سفيان منذ أن ملك دمشق، إذ اصطفاه لنفسه وأحسن إليه، وكان معاوية يقدر علمه ويكثر من محادثته وطلب نصيحته في بعض الأمور، واستخدامه كأداة في تنفيذ المخططات السياسية للأمويين يُنظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ١٧١.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

الطبيب الشخصي لمعاوية، وكان الطبيب الأكثر مهارة في صناعة السموم، وقد ارتبط اسمه بعدة وقائع من الاغتيال السياسي عن طريق دس السم في البلاط الأموي، منها عندما طرح معاوية فكرة توريث الحكم لابنه يزيد، فاختار المجتمع الشامي عبد الرحمن بن خالد بن الوليد^(١) كخليفة محتمل لمعاوية^(٢)، فدس إليه ابن أثال النصراني فسقاه السم فمات على اثره، كما دس السم لمالك الأشتر النخعي الذي بعثه الإمام علي (عليه السلام) واليًا على مصر^(٣)، وقد أشتهر معاوية بن أبي سفيان بمقولته "أن لله جنّدًا من عسل"^(٤)، كذلك برز من أهل الذمة عددٌ من الشعراء أشهرهم الأخطل^(٥) الذي مدح عددًا من خلفاء بني أمية، كيزيد بن معاوية^(٦).

ثانيًا: الاوضاع العامة في بلاد الشام وأثرها في مواقف المجتمع من النهضة الحسينية

تميز المجتمع الشامي في صدر الإسلام بخصوصية اجتماعية وسياسية ميزته عن بقية الأمصار الإسلامية، فقد كان المجتمع الشامي متنوع في تركيبته القبلية والدينية، جمع بين القبائل

(١) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، قائد بارز عُرف بقدرته العسكرية، اتسم موقفه السياسي بالانحراف عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وبني هاشم، بخلاف أخيه المهاجر الذي كان محبًا للإمام علي ومواليًا له، شارك عبد الرحمن في صفين إلى جانب معاوية، فاكسب منزلة كبيرة لدى أهل الشام فارتفع شأنه بينهم، حتى أنهم لما طرح معاوية مسألة ولاية العهد وأخذ البيعة ليزيد، أجمعوا على اختيار عبد الرحمن بن خالد بدلًا عن يزيد، معتبرين إياه الأجدر والأحق، هذا الاختيار أقلق معاوية وأثار غيظه السياسية، فأضمر العداء له، خاصة لما لاحظ النفاق الناس حوله، وحين أصيب عبد الرحمن بالمرض، أمر معاوية طبيبه ابن أثال بأن يسقيه دواءً مسمومًا، ففعل فمات سنة ٤٧ هـ . يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ٥٤٠ - ٥٤١؛ ابن الأثير أسد الغابة، ج ٣، ص ٤٣٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٨٦.

(٢) يُنظر: العسكري، الأوائل للعسكري، ص ٢٣٤؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ١٧٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٨٦.

(٣) يُنظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ١٧٢ - ١٧٤.

(٤) المقدسي، البدء والتاريخ ج ١، ص ١٧١؛ السمعاني، النسب، ج ١٣، ص ٧٠؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٣، ص ٣٠٤؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٦، ص ١٩٠.

(٥) الأخطل: غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة أبو مالك التغلبي النصراني، من كبار شعراء الدولة الأموية، وكان نصرانيًا من قبيلة تغلب، اشتهر بمدحه لخلفاء بني أمية وولاتهم والتقرب إليهم بشعره، كان مقدّمًا عندهم بسبب براعته في الشعر وسلاطة لسانه، فمدح يزيد بن معاوية في حياة أبيه معاوية، وهجا الأئصار دفاعًا عنه، وأنه سمي الأخطل لخلل لسانه، أي طوله، وقيل أيضًا أنه كني بذلك لفحش كلامه . يُنظر: ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج ١، ص ٤٣٦؛ الأصفهاني، الأغاني، ج ٨، ص ٤١٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٨، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٦) يُنظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٨، ص ١٠٥ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

العربية الوافدة إليه من شبة الجزيرة العربية، وأخرى استوطنت في المنطقة منذ الفتح الإسلامي، فضلاً عن جماعات نصرانية تحالفت مع الأسرة الأموية .

إلى جانب هذا التنوع المجتمعي عرفت بلاد الشام بالاستقرار السياسي والاداري، فقد ارتبط حكمها بالأسرة الأموية منذ عهد خلافة أبي بكر (١١-١٣هـ)، الذي أستطاع أن يشتري ولاء زعيم الأسرة الأموية أبي سفيان الذي مارس دوراً انتهازياً، عندما حاول أن يستميل ويحرض بني هاشم إلى معارضته لبيعة أبي بكر، إذ أخذ ينادي ويقول : "إِنِّي لَأَرَى عَجَاجَةً لَا يُطْفِئُهَا إِلَّا دَمٌ! يَا آلَ عَبْدِ مَنْفٍ، فِيمَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ أُمُورِكُمْ؟ أَيْنَ الْمُسْتَضْعَفَانِ؟ أَيْنَ الْأَذَلَّانِ عَلَيَّ وَالْعَبَّاسُ؟ مَا بَالُ هَذَا الْأَمْرِ فِي أَقَلِّ حَيٍّ مِنْ قُرَيْشٍ؟ ثُمَّ قَالَ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ابْسُطْ يَدَكَ أَبَايَعَكَ، فَوَاللَّهِ لَنُيْنِ شِئْتَ لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْهِ خَيْلًا وَرَجُلًا"^(١)، فزجره الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ورد عليه قائلاً: "إِنَّكَ وَاللَّهِ مَا أَرَدْتَ بِهَذَا إِلَّا الْفِتْنَةَ، وَإِنَّكَ وَاللَّهِ طَالَمَا بَغَيْتَ لِلْإِسْلَامِ شَرًّا! لَا حَاجَةَ لَنَا فِي نَصِيحَتِكَ"^(٢)، وقد أشار عمر بن الخطاب على ابو بكر لتلقف الموقف وذلك بأن يشتري سكوت ابي سفيان من خلال منحه أموال الصدقات^(٣)، وتولية ولده يزيد بن ابي سفيان على جند الشام^(٤)، وقد استمر هذا التحالف إذ تولى معاوية بن ابي سفيان ولاية دمشق بعد وفاة أخيه يزيد في خلافة عمر بن الخطاب (١٣ - ٢٣هـ)^(٥) .

تمكن معاوية بن ابي سفيان من ترسيخ سلطانه في بلاد الشام مع امتداد مدة ولايته الطويلة، فبدأ بترسيم حدود دولته، لا سيما بعد أن آلت معظم مقدرات الدولة الإسلامية إلى أيدي الأمويين في عهد عثمان بن عفان (٢٣ - ٣٥هـ) حين اعتبرت العائلة الأموية وصوله إلى السلطة

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٠٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٨٧؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٤٥ .

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٠٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٨٨ .

(٣) يُنظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١١؛ سبط ابن الجوزي مرآة الزمان، ج٤، ص٢٦٩ .

(٤) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٨٧؛ ابن عبد البر، العقد الفريد، ج١، ص١١٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤، ص٤٨٦ .

(٥) يُنظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص١٥٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٨٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٠، ص٢٣٨؛ محمد بن عبد الرزاق، خطط الشام، ج١، ص١٠٠ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

وصولاً لهم، إذ تصرفوا إزاء خلافته وكأنها حق من حقوقهم، وبذلك أصبح معاوية الحاكم الفعلي لبلاد الشام كلها بعد أن أقره الخليفة عثمان عليها^(١).

عمل معاوية على استثمار النفوذ السياسي والاقتصادي الذي منحه لهم الخليفة عثمان، فوظفه في احكام سيطرته على المجتمع الشامي، إذ اعتمد على سياسة القوة واللين فقرب القبائل، وكان يعطي بسطاء للأشراف ولأولئك الذين كان لهم وزن بين مجتمعهم^(٢)، كما قام معاوية بتعزيز دور القصاصين في تشكيل وعي جماهيري يقوم على الطاعة والولاء^(٣)، وبذلك تمكن من خلق قاعدة اجتماعية قوية مكنته من تكوين جيش خاص وولاء جماهيري واسع اعتمد عليه في شن الحرب على الخلافة الشرعية المتمثلة بالإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ومن ثم الإمام الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وصولاً إلى انتزاع السلطة وتأسيس الملك الوراثي الذي مثل بداية انحراف جوهرى عن مسار الحكم الإسلامى نحو النمط الملكى العضوض الذى يعتمد على القوة والتسلط على المجتمع، وقد أشار سعد بن ابى وقاص إلى التحول الجذري في طبيعة الحكم عندما دخل على معاوية قائلاً له: "السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ! فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: فَهَلَّا غَيْرَ ذَلِكَ! أَنْتُمْ الْمُؤْمِنُونَ، وَأَنَا أَمِيرُكُمْ، فَقَالَ سَعْدٌ: نَعَمْ إِنْ كُنَّا أَمْرًاكَ"^(٤)، إنما أنت منتز^(٥).

وقد اعتمد معاوية في بناء سلطته على شبكة واسعة من المصالح والولاءات النفعية، إذ أدرك أنّ تثبيت السلطة الأموية لا يقوم على الشرعية الدينية؛ بحكم موقع الأسرة الأموية في التاريخ الإسلامى، بوصفهم من الطلقاء واعداء الأمس، الذي لم يكن يؤهلهم ولا يمنحهم أنّ يكونوا مرشحين لمقام الخلافة على أساس ديني، لذلك فقد وجد معاوية أنّ البديل الواقعي يكمن في توظيف أدواته

(١) يُنظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ١٧٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٨٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٤١٤.

(٢) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٤٢؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ١٠، ص ٢٧٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٦٤.

(٣) يُنظر: ارکان حميد زياد، أساليب معاوية، ص ٨٥٤ - ٨٥٥.

(٤) عبد الرزاق، المصنف، ج ١٠، ص ١٥؛ ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٩٨٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢١٧؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ١٧، ص ٣٢٤.

(٥) وقد ورد بإضافة هذا النص في: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢١٧.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

السياسية القائمة على الدهاء والمراوغة، واستمالة الأفراد عبر الإغراءات والمكاسب المادية والمناصب، بما يضمن ولاءهم واستقرار مشروعه السلطوي، لذلك فقد أستعان بعدد من الأفراد الذين عدّهم المؤرخون^(١) من أدهى رجالات المجتمع الإسلامي، وقد كان هو أدهى بينهم جميعاً، وقد قال الإمام عليّ (عليه السلام) في ذلك: "والله ما مُعاويةَ بأدهى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدهَى النَّاسِ، وَلَكِنْ كُلُّ غُدْرَةٍ فُجْرَةٌ وَكُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(٢)، ومن ابرز هؤلاء الدهاة عمرو بن العاص، وزياد بن أبيه.

لعب هؤلاء الأفراد دوراً مركزياً في تثبيت سلطة معاوية، إذ تمكن عمرو بن العاص من احتواء أزمة وقعة صفين عبر تدبير خطة رفع المصاحف التي اوقفت المعركة وحالت دون انتصار جيش الإمام عليّ (عليه السلام)^(٣)، كما كان أحد الأطراف الأساسية في افتعال أزمة التحكيم وما ترتب عليها من ظهور الخوارج^(٤)، الأمر الذي أدى إلى خلخلة معسكر الإمام عليّ (عليه السلام) وتهيئة المناخ السياسي لرسوخ سلطة معاوية بعد الاتفاق مع أبو موسى الأشعري^(٥)، وقد نال عمرو بن العاص مقابل ذلك ولاية مصر^(٦)، وقد حذر رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من اجتماع عمرو بن العاص مع معاوية إذ قال: "إِذَا رَأَيْتُمُ مُعَاوِيَةَ وَعَمْرُو بْن

(١) يُنظر: الجاحظ، الحيوان، ج٧، ص٤٥٧؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢٦٩؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٩، ص١٨٢؛ الذهبي، سير إعلام النبلاء، ج٣، ص٥٨.

(٢) الإسكافي، المعيار والموازنة، ص١٦٦؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص٣١٨؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٠، ص٢١١.

(٣) يُنظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٨؛ ابن أعثم، الفتوح، ج٣، ص١٨١؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٩٠.

(٤) يُنظر: ابن مزاحم، وقعة صفين، ص٥١٠ - ٥١٤؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص١٠٨ - ١١٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٥٦٠.

(٥) يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤، ص٢٥٧؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٩٥ - ٩٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٦٨٣.

(٦) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص١٦٩؛ الذهبي، سير إعلام النبلاء، ج٣، ص٧٣؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٤، ص٣٧٩.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

الْعَاصِ مُجْتَمِعِينَ فَافْرَقُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَجْتَمِعَا عَلَى خَيْرٍ"^(١)، ذلك لان تحالفهم قائم على الدهاء السياسي والمصالح الشخصية الدنيوية على حساب وحدة الأمة، وهذا ما ظهر واضحا عندما قاموا بتحويل النص الديني إلى أداة للصراع السياسي، فبدل أن يكون القرآن الكريم مصدرا يوحد المجتمع الإسلامي، جرى توظيفه للخداع من أجل وقف القتال وكسب الوقت .

إما الركيزة الثانية التي اعتمد عليها معاوية في ترسيخ سلطته هو زياد بن أبيه وهو رجل بلا نسب معلوم، فقد عمل معاوية على استمالته عبر الجمع بين الترهيب والترغيب، إذ عندما تحولت الخلافة إلى معاوية سنة (٤١هـ/٦٦١م) تحصن زياد بن أبيه في قلعة اصطخر^(٢) بما كان بحوزته من الأموال والضرائب التي جمعها من ولايتي البصرة وفارس، وقد مثل هذا التحصن تحديا سياسيا أمام معاوية حتى قال: "بئس الوطاء العَجَزُ، ذَاهِيَةُ الْعَرَبِ مَعَهُ الْأَمْوَالُ، مُتَحَصِّنٌ بِقِلَاعِ فَارِسَ، يُدْبِرُ وَيُرَبِّصُ الْحَيْلَ، مَا يُؤْمِنُنِي أَنْ يُبَاعِيَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ"^(٣)، لذلك فقد عمد معاوية إلى بعث بسر بن أرطاة إلى البصرة ليخضعها بالقوة، وليقبض على أبناء زياد وأبناء أخيه^(٤)، مستخدما العنف الأسري كأداة سياسية لإضعاف مقاومه زياد واجباره على الانصياع للسلطة الأموية، ولم يكتف معاوية بالضغط، بل لجأ إلى استخدام سياسة الترغيب إذ فاوض زياد بن أبيه أن يخضع لطاعته مقابل احتفاظه بالأموال التي استحوذ عليها من خراج البصرة وفارس^(٥)،

(١) ابن مزاحم ، وقعة صفين، ص ٢١٨ - ٢١٩؛ النعمان المغربي، شرح الأخبار، ج ٢، ص ٥٣٧؛ الآبي، نثر الدر، ج ٢، ص ٧٠ .

(٢) اصطخر: إحدى المناطق التي يتألف منها إقليم فارس وهي من أقدم المدن في بلاد فارس، وتقع في القسم الشمالي من الإقليم، وكانت تسمى عند اليونان (برسيبوليس) أي مدينة الفرس وعاصمة ملوك فارس، وبالقرب منها توجد بقايا قصور الملوك الأخمينيين. يُنظر: الإصطخري، المسالك، والممالك، ص ١٢٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٤٢٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢١١ .

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١٧٧؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص ٢٦٨؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ٩ .

(٤) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١٦٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٣١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٢٩٠ .

(٥) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١٧٨؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

ولأحكام ولائه بشكل تام لجأ معاوية إلى خطوة غير مسبقة، وهو تقريبه من نفسه وأدعى أنه أخوه^(١) مستغلاً دهاءه وكفاءته العسكرية والإدارية وقد ولّاه على البصرة وخراسان^(٢).

حرص معاوية على إحاطة المجتمع بخطاب يرسخ شرعية بني أمية، ويعيد تشكيل وعي المجتمع وفق ما يخدم سلطانه، لذلك فمن الأسس الفكرية التي استند عليها معاوية في تثبيت سلطته تقريب الفقهاء وحثهم على ذكر روايات قبيحة تقتضي الطعن في الإمام عليّ (عليه السلام) وجعل لهم اعطيات سخية تحفزهم على المضي في هذا الاتجاه، فاختلف بعضهم ما يرضي السلطة الأموية^(٣)، وكان من أبرز هؤلاء أبو هريرة الذي مال إلى معاوية وارتبط به ارتباطاً وثيقاً باحثاً عن موقع يضمن له الحظوة والمغانم، وفرصة لتجاوز تهميشه الاجتماعي، وليخلق له شأناً بين المجتمع بعد أن كان مغموراً في زمن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والخلفاء الراشدين.

وقد أدرك معاوية طبيعة المرحلة الجديدة، إذ تمثّلت له حقيقة احتياج السلطة الأموية الناشئة إلى دعامة فكرية تحفظ سلطانها، وإن تأسست على الدهاء والمكر والقوة العسكرية، لكنها لا يمكن أن تصمد من دون دعامة فكرية وروحية، ولذلك سعى معاوية إلى إسناد حكمه إلى شخصية رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عبر روايات تُنسب إليه، وتمنح الحكم الأموي مسحة دينية تُخضع الجباه والرقاب، لذلك عزم أبو هريرة على أن يكون هو المزود الأول لهذه السلطة بهذا السلاح، فيُغنيها عن البحث في غيره، ويكفيها مؤونة ابتكار خطاب شرعي بديل، فأخذ على عاتقه أن يدعم السلطة الأموية بالاحاديث التي تمنحها شرعية دينية، وتصرف وجوه المجتمع عن خصمها والمتمثل آنذاك في الإمام عليّ (عليه السلام)^(٤)، لذلك قام بوضع الاحاديث التي تضيف على شخص معاوية هاله من التقديس، أن هذه الظاهرة هي من أخطر ما يصيب العقول والمجتمعات،

(١) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢١٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٥، ص ٢١٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٧، ص ٥٧.

(٢) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢١٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٥، ص ٢١٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٧، ص ٧٥.

(٣) يُنظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٠، ص ٤٠١.

(٤) يُنظر: محمود أبو ريه، شيخ المضيرة، ص ٢٢٧-٢٢٨.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

لأنها تعطل التفكير وتحول الإنسان من باحث عن الحقيقة إلى تابع أعمى، حين يُقدس شخص ما مهما كان علمه أو مكانته، عندما يصبح كلامه عند أتباعه فوق النقد، وكأن الخطأ لا يخرج من فمه، فيخلق باب الحوار، وتتحوّل القناعة إلى عبادة.

وقد راجت في هذه الحقبة الأحاديث التي تتحدث عن فضائل معاوية لتثبت صورته كقائد مختار ومؤيد الهيأ، منها: "اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا وَاهِدًا بِهِ"^(١)، وقد أخذ أبو هريرة على عاتقه وضع هذه الأحاديث لإسباغ الشرعية على سلطان بني أمية المطعون، فروي عن أبي هريرة أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): "الْخِلَافَةُ بِالْمَدِينَةِ وَالْمُلْكُ بِالشَّامِ"^(٢)، وروي أيضًا أنه قال: "إِنَّ اللَّهَ ائْتَمَنَ عَلَى وَخِيهِ ثَلَاثَةً: جَبْرِيلَ، وَأَنَا، وَمُعَاوِيَةَ"^(٣)، كما وروي "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاولَ مُعَاوِيَةَ سَهْمًا فَقَالَ: يَا مُعَاوِيَةُ خُذْ هَذَا السَّهْمَ حَتَّى تَلْقَانِي بِهِ فِي الْجَنَّةِ"^(٤)، وروي أيضًا في فضل الشام أنه قال: "أَرْبَعُ مَدَائِنَ مِنْ مَدَائِنِ الْجَنَّةِ فِي الدُّنْيَا: مَكَّةُ، وَالْمَدِينَةُ،... وَدِمَشْقُ"^(٥).

ومن مدح معاوية إلى الطعن في الإمام علي (عليه السلام) لعب أبو هريرة دورًا محوريًا في ترويح الروايات التي تسيئ للإمام علي (عليه السلام)، فعندما قدم إلى العراق مع معاوية في سنة (٤١هـ / ٦٦١م) دخل مسجد الكوفة وأخذ يضرب على راسه وينادي قائلاً: "يا أهل العراق .. أتزعمون أنني أكذب على الله ورسوله وأحرق نفسي بالنار؟ والله لقد سمعت رسول الله يقول: "إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَرَمًا وَإِنَّ الْمَدِينَةَ حَرَمِي فَمَنْ أَخَذَتْ فِيهَا حَدَثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ

(١) ابن حنبل، مسند احمد، ج ٢٩، ص ٤٢٦؛ ابن ابي عاصم، الآحاد والمثاني، ج ٢، ص ٣٥٨؛ الطبراني، مسند الشاميين، ج ١، ص ١٩٠.

(٢) الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٥، ص ٤١٤؛ البيهقي، دلائل النبوة ج ٦، ص ٤٤٩؛ ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج ٢، ص ١١٧٥.

(٣) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٥٩، ص ٧٤؛ السلفي، المشيخة البغدادية، ج ١، ص ٥٣٤؛ السيوطي، اللآلي المصنوعة، ج ١، ص ٣٨٣.

(٤) الأجرى، الشريعة، ج ٥، ص ٢٤٤٤؛ ابن عدي، الكامل، ج ٨، ص ٣٧٥؛ السيوطي، اللآلي المصنوعة، ج ١، ص ٣٨٥.

(٥) ابن عدي، الكامل، ج ٨، ص ٣٥٠؛ الربيعي، فضائل الشام، ص ٢٩؛ السمعاني، فضائل الشام، ص ٤٧.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

أَجْمَعِينَ " قال: (واشهد بالله أن علياً أخذت فيها!) ^(١)، فلما بلغ معاوية قوله اكرمه وولاه على اماراة المدينة ^(٢)، وأغدق عليه الأموال كما وسعى بتزويجه من سيدته بسرة بنت غزوان ^(٣) التي كان ابو هريرة يعمل لديها اجيراً، كما واقطع له قصرًا ^(٤)، أن ابو هريرة شخصية نفعية مادية بامتياز وهو دل على ذاته بقوله: " الوقوف على التل آمن وأسلم، ومضيرة معاوية ألد وأدسم، والصلاة خلف علي أفضل وأتم " ^(٥)، إذن تمثل التنصيب السياسي في العصر الأموي في اختلاق الأحاديث وصياغتها بما يخدم مصلحة الأطراف المتنازعة، فهي قد خلقت احاديث وروايات بفعل السلطة ولصالح السلطة لتبرير شرعيتها وإضفاء طابع قدسي على حكمها.

وقد اجمع كبار المحدثين ومنهم ابن اسحاق بن راهويه ^(٦) والنسائي ^(٧) على عدم صحة هذه الأحاديث من جهة الإسناد ^(٨)، غير أن الأثر السياسي لهذه الأحاديث، كان قد اكتمل بالفعل قبل أن تنشأ الأهمية الرسمية للإسناد، في وقت متأخر من القرن الثاني مع التوسع في حركة التدوين، فالهدف لم يكن انتاج حديث صحيح بل إسباغ الشرعية النصية على سلطة الحكم الأموي، وقد

(١) مقاتل ابن عطية، أبهى المداد، ج ٢، ص ١١٠؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٧؛ محمود أبو ريه، شيخ المضيرة، ص ٢٢٧- ٢٢٨ .

(٢) مقاتل ابن عطية، أبهى المداد، ج ٢، ص ١١٠؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٧؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١، ص ٤٥؛ محمود أبو ريه، شيخ المضيرة، ص ٢٢٧- ٢٢٨ .

(٣) بسرة بنت غزوان، أخت عتبة بن غزوان المازني أمير البصرة، كانت قد استأجرت أبا هريرة في العهد النبوي على طعام بطنه، ثم تزوجها بعد ذلك، لما كان مروان بن الحكم يستخلفه على إمرة المدينة. يُنظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ٨، ص ٥٢ .

(٤) يُنظر: محمد عباس الطائفي، سياسة الترغيب، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٥) يُنظر: الفضل بن شاذان، الإيضاح، ص ٦٤١؛ ابن عطية، أبهى المداد، ج ٢، ص ١٠٠؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، ج ٣، ص ٢٢٧ .

(٦) بن راهويه: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي النيسابوري الشافعي (١٦١-٢٣٨هـ)، إمام مشهور من أهل مرو، سكن نيسابور، وكان متبوعاً له أقوال فقهية، ويُعد من كبار حفاظ الحديث ، ومن أقران أحمد ابن حنبل. يُنظر: السمعاني، الأنساب، ج ٦، ص ٥٦؛ الصفي، الوافي بالوفيات، ج ٨، ص ٢٥١ .

(٧) النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (٢١٥-٣٠٣هـ) الحافظ صاحب كتاب السنن أحد الكتب الستة المعتمدة في الحديث، عرف بالنسائي نسبة إلى مدينة نسا إحدى مدن خراسان، ولد نيسابور، وتوفي بمكة . يُنظر: الذهبي، سير إعلام النبلاء، ج ١٤، ص ١٢٥؛ العراقي، طرح التثريب، ج ١، ص ٢٨ .

(٨) ابن حجر، فتح الباري، ج ٧، ص ١٠٤؛ عبد الجواد ياسين، السلطة في الإسلام، ص ٢٥٨ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

ظلت هذه الأحاديث الواردة في فضل معاوية، تدور على ألسنة المجتمع طوال الحقبة الأموية التي امتدت قرابة القرن من الزمان، مما يعكس نجاح السلطة في استخدام النصوص لتوجيه الوعي الجمعي وترسيخ السلطة السياسية^(١)، وقد أشار أحمد بن حنبل إلى عملية التنصيب السياسي في العصر الأمويّ إذا قال: "أَنَّ عَلِيًّا كَانَ كَثِيرَ الْأَعْدَاءِ فَفَقَّشَ أَعْدَاؤُهُ لَهُ عَيْنًا فَلَمْ يَجِدُوا فَعَمَدُوا إِلَى رَجُلٍ قَدْ حَارَبَهُ فَأَطْرَوْهُ كِيَادًا مِنْهُمْ لِعَلِّي"^(٢).

سعى معاوية إلى تنشئة المجتمع الشاميّ على بغض الإمام عليّ (عليه السلام)، فاتخذ من سبّه على المنابر سياسة رسمية لدولته، مدرّكاً بأن سلطانه لا يستقرّ ألا بالنيل من مكانة الإمام عليّ (عليه السلام) وتشويه صورته إمام المجتمع^(٣)، حتى أخذت منابر الشرق والغرب تضج بسبّ الإمام عليّ (عليه السلام)^(٤)، فقد عمل على توظيف المنابر والخطاب الديني في غرس قيم سياسية منحازة للأسرة الأمويّة، وجعل الكراهية والبغض للإمام عليّ (عليه السلام) جزءاً من هوية الفرد الشاميّ، فيذكر^(٥) أنّ معاوية أعطى سمرة بن جندب مبلغاً من المال قدر بأربع مائة ألف درهم على أن يخطب بالمجتمع الشاميّ ويروي لهم أنّ هذه الآية نزلت في الإمام عليّ (عليه السلام) وهي قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسَادَ﴾^(٦)، لقد تحول الخطاب الديني في العصر الأمويّ إلى أداة ايدلوجية بيد السلطة الأمويّة، فقد عمدت إلى استخدام المنابر كوسيلة لغرس قيم البغض والعداء في الوعي الجمعي للمجتمع،

(١) يُنظر: عبد الجواد ياسين، السلطة في الإسلام، ٢٦٠ - ٢٦١.

(٢) السلفي، الطيوريات، ج ٤، ص ١٣٨٦؛ ابن حجر، فتح الباري، ج ٧، ص ١٠٤؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٥٢؛ عبد الجواد ياسين، السلطة في الإسلام، ص ٢٥٨.

(٣) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٤٠٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٤٣٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٢٥٤؛ الهيثمي، الصواعق المحرقة، ج ١، ص ١٦٣.

(٤) يُنظر: مقاتل ابن عطية، أبهى المداد، ج ١، ص ٧٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩١.

(٥) يُنظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٣.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٠٤ - ٢٠٥.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

وبذلك جرى بناء منظومة فكرية تقوم على تشويه صورة الإمام عليٍّ وأهل البيت (عليهم السَّلام) باعتبارهم خصم سياسي يجب اقضاءهم من الذاكرة الجماعية للمجتمع الإسلامي .

وقد فرض معاوية على الرافضين للسب عقوبات متنوعة منها الحرمان من الحقوق المالية أو التهديد بالعقوبات السياسية، وقد أشار إمام أهل الشام أبو عمرو عبد الرحمن الأوزعي (ت ١٥٧هـ)^(١) إلى ذلك بوضوح، إذ قال : " مَا أَخَذْنَا الْعَطَاءَ حَتَّى شَهِدْنَا عَلَى عَلِيٍّ بِالنِّفَاقِ وَتَبَرَّأْنَا مِنْهُ، وَأَخَذَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ الطَّلَاقُ وَالْعِتَاقُ وَأَيَّمَانُ الْبَيْعَةِ"^(٢)، وهكذا غدت سياسة السب آلية ممنهجة لإعادة الوعي الجمعي في بلاد الشام، وذلك عبر دمج الدين بالسياسة وتوظيف العقوبات الاجتماعية والاقتصادية على المجتمع لترسيخ الكراهية في نفوسهم .

عمد معاوية إلى إرساء جذور البغض في البنية الثقافية للمجتمع الشاميّ طوال العهد الأموي ضد الإمام عليٍّ (عليه السَّلام) فقد اتهم الإمام عليٍّ (عليه السَّلام) بالنفاق، وسير اتباعه بدعاياته المضللة يحشدون المجتمع له ضد الإمام (عليه السَّلام)، فقد كان يرسل أحد الأفراد ليطوف بين قرى الشام ويجمع المجتمع من حوله ويبث أفكاره بينهم منها أن الإمام عليٍّ (عليه السَّلام) رجلاً منافقاً أراد أن ينخس برسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ويقتله، فيأمرهم بلعنه، فينهال أفراد تلك القرية بلعن الإمام (عليه السَّلام)، ثم يسير إلى القرى الأخرى ويأمرهم بمثل ذلك^(٣).

لم يكتفِ معاوية بذلك بل اتهم الإمام عليٍّ (عليه السَّلام) بخروجه عن الدين، إذ كان في آخر كل خطبة له يقول : " اللهم أن أبا تراب، أُلحد في دينك، وصدَّ عن سبيلك، فالعنه لعناً وببلا،

(١) الأوزعي: عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو يحمّد الشاميّ، ويُعدّ من كبار علماء أهل الشام وفقهائها، وُلد سنة ٨٨هـ، سكن بدمشق، ثم تحول إلى بيروت وتوفي سنة ١٥٧هـ، كان له مذهب في الفقه اعتنقه جماعة من أهل الشام ، ومن أهل الأندلس قبل دخول المذهب المالكي إليها في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل صقر قریش. يُنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٧٥؛ الذهبي، سير إعلام النبلاء، ج ٦، ص ٥٤١ - ٥٤٢.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ١٣٠؛ الذهبي، سير إعلام النبلاء، ج ٦، ص ٥٥٦.

(٣) يُنظر: النقي، الغارات، ج ٢، ص ٥٨١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ١٠٣.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

وعذبه عذاباً أليماً^(١)، ونتيجة للحملات لإعلامية المضلة من قبل السلطة الأموية آنذاك لتضليل المجتمع وتشويه صورة الإمام عليّ (عليه السلام) وتأليب الناس ضده، انطلت هذه الأكاذيب على المجتمع الشاميّ إذ كانوا يسهبون في سب الإمام عليّ (عليه السلام) وبغضه، حتى شاع بينهم أنّ الإمام (عليه السلام) واتباعه لا يصلون^(٢)، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أن غالبية المجتمع الشاميّ لا يعرفون من الذي يسبونه ويشتمونه على المنابر، فروي^(٣) أنّ أحدًا سئل رجلاً من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم قائلاً: "من أبو تراب هذا الذي يلغنه الامام على المنبر؟ قال: أراه لصاً من لصوص الفتن"، تكشف هذه الحادثة نجاح معاوية في عزل المجتمع الشاميّ عن بقية الأمصار الإسلامية وإعادة صياغة وعيه الجمعي بما يخدم ترسيخ السلطة الأموية.

تعد سياسة تقريب القبائل العربية من بين الأساليب التي اعتمدتها السلطة الأموية في فرض سيطرتها، كما عمدت السلطة الأموية على إثارة الخصومات والنعرات القبلية^(٤)، وقد استطاع معاوية استمالة القبائل عبر سياسة الاقطاعات والتحالفات والمصاهرات، فارتبطت بقبيلة كلب النصرانية ومنحها امتيازات تفوق سائر القبائل، وقد كان لهذه القبيلة الدور البارز في تثبيت أركان لحكم الأمويّ، وبحكم التنشئة والتربية البيزنطية لأفراد هذه القبيلة دفعها إلى الاعتراف بشرعية السلطة الأموية القائمة على الغلبة والقهر والتسلط بالقوة ولطاعة المطلقة لزعيمها حيثما توجه^(٥)، كما عمد معاوية إلى تأليب القبائل ضد الإمام عليّ (عليه السلام) من خلال اتهامه بمقتل الخليفة عثمان بن عفان، إذ أخذ من قميص الخليفة الملطخ الدماء أداة رمزية فعالة في التحريض واستمالة

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٥٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ٢١٤.

(٢) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٣؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٦٦٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ٣٦.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٢.

(٤) يُنظر: محمد عزب دسوقي، القبائل العربية، ص ٢٣٤ - ٢٣٥؛ محمد عباس الطائي، سياسة الترغيب، ص ١٦٧.

(٥) شهيد كريم الكعبي، محاضرات في التاريخ السياسي الأمويّ، ص ٦١.

الفصل الثاني تباين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

النفوس، وقد نجح في اجتذاب المجتمع الشاميّ إلى جانبه^(١)، وكان للأشعث بن قيس زعيم قبيلة كندة دور محوري إذ مثل حلقة وصل أساسية بين معاوية وبعض القبائل العراقية مما أسهم في زعزعة الجبهة الداخلية للإمام عليّ (عليه السلام)^(٢).

اتخذ معاوية من مقتل عثمان وترزعه المطالبة بدمه واتهامه للإمام عليّ (عليه السلام) ذريعة سياسية، عمد من خلالها إلى توظيف الحادثة على شكل صور ليتم التأثير على مخيلة الجماهير، فقد علق قميص الخليفة عثمان على المنبر واستمر المجتمع الشاميّ بالبكاء عليه أياماً حتى أقسم البعض منهم إلا يغتسل حتى يأخذوا بثأر الخليفة، وكلما أحس معاوية بفتور في تفاعل المجتمع اتجاه هذا الأمر أعاد تعليق القميص من جديد استجابة لنصيحة عمرو بن العاص^(٣): "حَرِّكْ لَهَا حُورَاهَا تَحْنُ"^(٤)، ويكشف هذا السلوك ما يؤكد غوستاف لوبون أنّ المخيلة الجمعية تتأثر بالصور المادية والذهنية، وأنها تبهر المجتمع وتستحوذ على وعي الأفراد، وتثير في وجدان الجماهير أعنف أشكال الاضطراب والانفعال الجمعي^(٥)، ومن خلال الاستخدام الذكي للصور والخطاب العاطفي من أنّ الخليفة قتل بغير حق وأنّ الأمويّين مصرون على الأخذ بثأره، لأنهم اقرباءه وأنهم ثائرون منكرون لقتله، نجح معاوية في صناعة الطاعة السياسية داخل المجتمع الشاميّ، إذ حول المطالبة بدم عثمان إلى أداة دعائية لترسيخ سلطانه وإضفاء الشرعية على مشروعه الأمويّ .

عمد معاوية إلى توظيف سياسة إعلامية ممنهجة هدف من خلالها إلى صناعة مجتمع مطيع، معزول عن بقية الأمصار الإسلامية، وقابل للتعبئة العاطفية بعيداً عن الوعي النقدي، ومن أبرز ما نُقل عنه في هذا قوله في معركة صفين : "أبلغ علياً أنّي أقاتله بمائة ألف ما فيهم من

(١) يُنظر: ابن مزاحم ، وقعة صفين، ص ٣٢؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٩، ص ١٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٤٢٣.

(٢) يُنظر: ابن مزاحم ، وقعة صفين، ص ٤٨١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢١٤ - ٢١٥.

(٣) يُنظر: الزمخشري، ربيع الأبرار، ج ٤، ص ٤٤٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥٥٥ .

(٤) حرك لها حوارها تحن : المثل يشير إلى تكثير شخص ببعض ما يتقل قلبه من همومه أو مشاعره المؤلمة مما يثير فيه الانفعال أو الغضب . يُنظر : البغدادي، الأمثال، ص ٢٥٥؛ الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص ١٩١ .

(٥) يُنظر: سيكولوجية الجماهير، ص ١١٦ .



الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

يفرق بين الناقة والجمل"^(١)، يكشف هذا النص بوضوح استراتيجية معاوية في إدارة الشام، فهي من جهة تحمل طابعاً استهزائياً بأنصاره ومواليه، إذ وصفهم بالجهل وضيق الأفق يسوقهم كالقطيع، لكنها من جهة أخرى تمثل اعترافاً صريحاً بفاعلية الجهل في ترسيخ الطاعة العمياء، فمعاوية لم يكن يعوّل على إدراك أنصاره لطبيعة النزاع ولا على وعيهم السياسي، بل على استعدادهم للانقياد وراء الخطاب الرسمي دون تساؤل أو مراجعة.

ومن أبرز الأساليب التي تبنتها السلطة الأموية في سبيل فرض هيمنتها السياسية وتثبيت سلطتها هي بذل الأموال، إذ تفنن الحكام الأمويون في توظيفه وفق ما تقتضيه ضرورات المرحلة، فقد استخدم هذا الأسلوب تارةً في شراء الذمم وكسب ولاء الزعماء والأشراف^(٢)، وأخرى في التخلص من الخصوم السياسيين والمعارضين، وبرز معاوية في هذا المجال حيث أغدق الأموال بسخاء لاستمالة القلوب، وكان يصرح قائلاً: "البذل يقوم مقام العدل"^(٣)، كما قال أيضاً: "والله لأستميلن بالأموال ثقات عليّ، ولاقسمن فيهم المال حتى تغلب دنيائي آخرته"^(٤)، وقد لخص صعصعة بن صوحان أثر هذه السياسة في المجتمع الشام بقوله لمعاوية: "أما إطرؤك أهل الشام فما رأيت أطوع لمخلوق وأعصى لخالق منهم، قوم ابتعت منهم دينهم وأبدانهم بالمال، فإن أعطيتهم حاموا عنك ونصروك، وإن منعتهم قعدوا عنك ورفضوك"^(٥).

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٢ .

(٢) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٤٢؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٠، ص ٢٧٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٦٤ .

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٩٣ .

(٤) ابن مزاحم، وقعة صفين، ص ٤٣٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٨، ص ٧٧؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٠٥ .

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ١٢٥؛ الطوسي، الأمالي، ص ٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٣٤ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

وقد عمل معاوية على شراء ولاء عمرو بن العاص وذلك بمنحه ولاية مصر^(١)، وهذا ما أكده عبد الله بن عباس عندما قال لعمرو: "إنك مال بك الهوى إلى معاوية، وبعته دينك بالثمن الأوكس"^(٢)، كذلك نجح في استمالة عبيد الله بن عباس إلى معسكره، فانقل الأخير من ولاء الإمام الحسن (عليه السلام) إلى صفوف الأمويين بعد أن أعطاه معاوية ألف ألف درهم^(٣)، على الرغم من أن السلطة الأموية قد قتلت ولديه^(٤) وهو يطبق عليه ما وصفه نيكولا ميكافيلي بأن البشر خبثاء يتمسكون بالمصالح المادية النفعية أكثر من تمسكهم بحياتهم الخاصة محبون للكسب سريعو التحول وهم على استعداد لتغيير اهوائهم وعواطفهم، فهم أنانيون يحزنون لانتزاع الملكية منهم حزناً يفوق حزنهم على موت أب أو أخ أو ابن لهم ذلك لان الموت ينسى أحياناً لكن الثروة لا تنسى ابداً^(٥).

كما استخدم معاوية الأموال في إخماد ردود الفعل الغاضبة على مقتل حجر بن عدي الكندي^(٦)، فقد أشد غضب مالك بن هبيرة السكوني^(١) أحد رؤساء كندة، الذي أشتات غضباً لهذه

(١) يُنظر: ابن مزاحم، وقعة صفين، ص ٣٩ - ٤٠؛ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١، ص ٢٧٧؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٨٦؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ج ١، ص ١٦.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٣٢؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٨٨؛ احمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج ١، ص ٤١١.

(٣) يُنظر: الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٥٨؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٤٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٥٣.

(٤) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١٤٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٧٣٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٦٨٣.

(٥) يُنظر: الأمير، ص ٥ - ٦.

(٦) حُجر بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الكندي، ويُعرف بحُجر الخير، وقد مع أخيه على النبي محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فأسلما، ارتبط حُجر بالإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ارتباطاً وثيقاً، فكان من خلص أصحابه، وشارك معه في وقعة الجمل وصفين، كما لازم الإمام الحسن (عليه السلام) بعد ذلك، فعَدَّ من أصحابه المقربين، وقد عُرف بالشجاعة والورع والتمسك بالحق، حتى عُدَّ من رموز المعارضة للأمويين في الكوفة، وقد قُتل حجر لولائه لعلي وآل بيته (عليهم السلام) ورفضه الانصياع لسياسة السب والخطابة الأموية. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٢١٧ - ٢١٨؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٧٦.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

الجريمة، لكن استطاع معاوية بفعل دهائه السياسي من استيعاب رده فعله وشراء سكوته، وذلك بأرسال إليه بمائة ألف درهم فأخذها وطابت نفسه^(٢).

إلى جانب ذلك استخدم معاوية المال في التخلص من منافسيه السياسيين والمعارضين الذين كانوا يشكلون تهديدًا مباشرًا لمشروعه في توريث الحكم لابنه يزيد، فعندما أراد معاوية أخذ البيعة ليزيد من المجتمع الشاميّ وشاورهم فيما يستخلف من بعده أشاروا عليه بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد^(٣)، فأدرك معاوية أنّ مكانة عبد الرحمن العسكرية والمجتمعية تعيق مشروع توريث الحكم لذلك فلا بد من التخلص منه، فأوعز إلى طبيبه النصراني ابن أثال أنّ يدس له السمّ مقابل منحه جباية ولاية حمص وخراجها طوال مدة حكمه، ففعل ابن أثال ذلك، وتوفي عبد الرحمن لتخلو الساحة من أبرز المنافسين المحتملين^(٤)، كما عمد معاوية إلى مكاتبة جعدة بنت الأشعث زوجة الإمام الحسن (عليه السلام) عارضًا عليها مبلغًا من المال قدر بمائة ألف درهم ووعدها بأن يزوجه ليزيد في حال اقدمت على اغتيال الإمام الحسن (عليه السلام)^(٥)، فسرعان ما استجابت لهذا العرض وقامت بدس السم للإمام الحسن (عليه السلام) فاستشهد (عليه السلام) متأثرًا بذلك^(٦).

ومن الأسس الفكرية التي استند عليها معاوية في تثبيت سلطته هو تبني مذهب الجبر في الخلافة، واتخذه أساسًا لتسويغ شرعيتهم السياسية وتثبيت هيمنتهم على المجتمع، فأذاع أنّ الله قلدهم الخلافة وعطاهم الملك وأنهم يسوسون الناس بقضائه وقدره، ويعملون بإرادته وأمره، واضفوا

(١) مالك بن هبيرة بن خالد بن مسلم بن الحارث السكوني الكندي، سكن الشام وكان من كبار قومه هناك، كان من ولاة معاوية على حمص، أدرك بيعة مروان بن الحكم ومات في أيامه سنة ٦٥ هـ . يُنظر: ابن قانع، معجم الصحابة، ج ٣، ص ٤٣؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٦، ص ٥١٤.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٧٨؛

(٣) يُنظر: العسكري، الأوائل للعسكري، ص ٢٣٤؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ١٧٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٨٦ .

(٤) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٢٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٦، ص ١٦٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٥١.

(٥) يُنظر: المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١٦؛ القتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص ١٨٣؛ الطبرسي، إعلام الوري، ج ١، ص ٤٠٣ .

(٦) يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٣٨٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٣، ص ٢٨٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٠٨.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

على خلافهم مسحه من الجلالة وخلعوا على شخصياتهم الوائًا من الألقاب الدينيّة، وقد وظفوا الشعراء في الترويج لها، معلّنين بلسان هؤلاء أنهم نخبة العرب نسيًا وخلفًا وصفوة المسلمين ورعًا وتقى^(١)، ونجحت السلطة الأمويّة في ترسيخ مبدأ الخضوع والاستسلام داخل المجتمع، وذلك عبر توظيفها للعقائد بما يخدم مشروعها السياسي، وعلى نحو ما اعتمدت السلطة الأموية على مذهب الجبر لتسويغ حقها في الخلافة والاحتجاج به بوصفه أمرًا إلهيًا مفروضًا على الأمة، فإنها اعتمدت المنهج ذاته أيضًا في شرعنة عقد البيعة لأولياء عهدهما^(٢)، إذ استحدثت معاوية نظام ولاية العهد لابنه يزيد، مبتكرًا بذلك أسلوبًا جديدًا في الحكم لم يكن معهودًا من قبل في التجربة الإسلامية، إذ أراد أن يحول الخلافة إلى ملك وراثي، ولأجل إحكام البيعة ليزيد وضمان استقرار الدولة الأمويّة، لجأ معاوية إلى أساليب متعددة سبق ذكرها التي استطاع من خلالها تثبيت سلطانه؛ فكان يُعقد العطاء على المقربين، ويستميل البعيدين بالمدارة، حتى استوثق له أكثرية المجتمع^(٣)، واحتكار الخطاب الديني والسياسي لصالح شرعنه سلطته وربطها بمشيئة الله بقوله: "إن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء، وليس للعباد خيرة من أمرهم"^(٤)، فمهد بذلك الطريق أمام انتقال الحكم إلى ولده، وقد عرض البيعة على المجتمع الشاميّ الذين بايعوا على السمع والطاعة^(٥)، بعد أن تمكن معاوية من احكام نفوذه السياسي والاجتماعي هناك، وذلك عبر سياسة العطاء والتحالفات والمصاهرة، فأصبحت الشام قاعدة راسخة للسلطة الأموية ومركزًا لتثبيت ولاية العهد ليزيد.

أتسم موقف المجتمع الشاميّ من النهضة الحسينية بالانحياز الكامل إلى السلطة الأمويّة ومساندة يزيد بن معاوية ذلك لأنّ الناس على دين ملوكهم، فالمجتمع لم يتبنّى موقفًا حرًا من

(١) يُنظر: حسين عطوان، الفرق الإسلامية، ص ٢٣٤؛ زهير هوارى، السلطة والمعارضة، ص ٢٥٤ .

(٢) يُنظر: حسين عطوان، الفرق الإسلامية، ص ٢٤١ .

(٣) يُنظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص ١١٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٠١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٣٥٥ .

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٥٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٧، ص ٣٥٨؛ الحلي، نهاية المرام في علم الكلام، ج ١، ص ٢٠ .

(٥) يُنظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص ١١٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٠١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٣٥٥ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

النهضة الحسينية بل أخذوا موقف السلطة بوصفها المرجع الديني والسياسي، فقد كانت الشام القاعدة الاجتماعية والسياسية التي اعتمد عليها معاوية ومن ثم ابنه يزيد في تثبيت الحكم الأموي، ويعزى هذا الانحياز إلى جملة من العوامل منها طول مدة استقرار معاوية في الشام منذ ولايته التي استمرت من (١٨ - ٤١ هـ) ومن ثم خلافته من (٤١ - ٦٠ هـ)، الأمر الذي مكنه من إعادة تشكيل الوعي المجتمعي للمجتمع الشامي وربطه بالسلطة ارتباطاً وثيقاً، وقد اعتمد على جملة من الآليات منها توظيف الإعلام الديني عبر وضع الأحاديث واستمالة القبائل عبر التحالفات والمصاهرة، وتعزيز دور رجال الدين في ترسيخ الطاعة والولاء للسلطة الأموية، فضلاً عن توظيف التربية السياسية التي نشأ عليها الجيل الجديد في ظل الخطاب الأموي، فاصبحوا يُنظرون إلى الأسرة الأموية باعتبارهم الممثل الشرعي الوحيد للدولة والمجتمع .

وقد لعبت البنية الاجتماعية والثقافية لمجتمع الشام في ترسيخ انحيازه للسلطة الأموية، فقد كان المجتمع حديث عهد بالإسلام ومتأثراً بالتراث البيزنطي، فضلاً عن ذلك انهم عرفوا الإسلام التاريخي القائم على القوة والقهر الغلبة والفتوحات والانتهازية والنفعية والتخلص من الخصوم بالقتل، الأمر الذي أدى إلى تشكيل ذهنية قائمة على الطاعة والانقياد للسلطة، بعيداً عن النقاشات الفكرية، مما جعلهم متلقين واعين للدعاية السياسية والدينية للأمويين، وهو ما أفضى إلى دمج المجتمع الشامي في مشروع الدولة الأموية وموقفها تجاه النهضة الحسينية، ويرى علي الوردي أن العقل الإنساني لا يطور في فراغ، وإنما ينمو ضمن الإطار الاجتماعي والثقافي الذي يفرضه المجتمع على أفرادهِ^(١)، فالمجتمع الشامي لم يتيح له فضاء حر للتفكير المستقل، بل صيغ وعيه ضمن البنية السلطوية التي إرساها معاوية طيلة عقود حكمه، إذ عمل على اعتماد سياسة دقيقة هدفت إلى عزل المجتمع الشامي عن بقية الأمصار الإسلامية، وما يدل على سعي معاوية على عزل المجتمع الشامي هو وصيته لأبنه يزيد : "وَأَنْظُرْ أَهْلَ الشَّامِ فَلْيَكُونُوا بِطَانَتِكَ وَعَيْبَتِكَ، فَإِنْ رَأَيْتَ مِنْ عَدُوِّكَ شَيْئاً فَانْتَصِرْ بِهِمْ، فَإِذَا أَصْبَتْهُمْ فَارْزُدْ أَهْلَ الشَّامِ إِلَى بِلَادِهِمْ، فَإِنَّهُمْ إِنْ أَقَامُوا

(١) يُنظر: مهزلة العقل البشري، ص ١٣٢.



الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

بِغَيْرِ بِلَادِهِمْ تَغَيَّرَتْ أَخْلَاقُهُمْ^(١)، لذلك فقد تشكلت ذهنية الشاميين وفق القالب الأموي القائم على الطاعة العمياء والولاء المطلق للسلطة الأموية ليس أدل على ذلك موقفهم في معركة صفين عندما "عصبوا انفسهم بالعمائم، وطرحوا بين ايديهم حجرا، وقالوا: لا نولي الدبر او يولى معنا هذا الحجر"^(٢).

وقد وقف المجتمع الشامي إلى جانب يزيد بن معاوية عندما أصدر أمره إلى والي المدينة الوليد بن عتبة أن يقتل الإمام (عليه السلام) "وليكن مع جوابك إلي رأس الحسين بن علي"^(٣)، بل شارك البعض منهم في مقاتلة الإمام الحسين (عليه السلام) في معركة الطف فقد روي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال: عندما حوشر الإمام (عليه السلام) وأصحابه يوم العاشر من محرم، اجتمع عليه خيل أهل الشام^(٤).

كان الحصين بن نمير السكوني^(٥) من أبرز رجالات المجتمع الشامي الذي أدى دورا مباشرا في معاداة النهضة الحسينية، إذ اعتمد عليه عبيد الله بن زياد بوصفه صاحب شرطته، فكلفه بالمهمة الأساسية إلا وهي قطع الطريق عن الإمام الحسين (عليه السلام) ومنع وصوله إلى

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٢٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٥، ص ٣٢١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٢٠.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٨٠.

(٣) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج ٥، ص ١٨.

(٤) يُنظر: الكليني، الكافي، ص ٥٩٥.

(٥) حصين بن نمير السكوني قائد أموي من أهل حمص، برز في صفين مع معاوية ثم تولى قيادة الشرطة ومواقع عسكرية في الكوفة، كان من معاوني ابن زياد، فألقى القبض على رسل الإمام الحسين (عليه السلام)، وقاد رماة جيش عمر بن سعد يوم عاشوراء، وأسهم في استشهاد حبيب بن مظاهر ورمى الحسين (عليه السلام) بسهم أصاب فمه، حمل بعض رؤوس الشهداء إلى الكوفة، ثم تولى بعد مسلم بن عقبة قيادة جيش الشام في واقعة الحرة، وتوجه بعد ذلك إلى مكة فحاصر عبد الله بن الزبير وأحرق الكعبة. يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٨٥- ٨٦، ص ٩٢؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٦٧؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٥٤، ص ٢٦٧ - ٢٦٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٥١.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

الكوفة، فقد أنزل قواته في القادسية^(١) ونظم الخيل على امتداد الطرق المؤدية إلى الكوفة من جهاتها المختلفة^(٢)، جسد الحصين سياسة السلطة الأموية في عزل الإمام الحسين (عليه السلام) عن قاعدته الشعبية في الكوفة، فكان الحصين من الأدوات الرئيسية في عرقلة النهضة الحسينية وتطويقها قبل أن تبلغ مركزها في الكوفة، وقد أسهم الحصين بن نمير في شلّ الحركة الداخلية في الكوفة، إذ كان المسؤول عن إحباط قنوات الاتصال بين الإمام الحسين (عليه السلام) والمجتمع الكوفي فقد قبض الحصين على قيس بن مسهر الصيداوي^(٣)، وعلى عبد الله بن يقطر وسيرهم إلى عبيد الله بن زياد^(٤).

كما كان الحصين بن نمير أحد القادة الميدانيين في جيش عمر بن سعد^(٥)، إذ تولى قيادة كتيبة من خمسمائة من الرماة ومعهم شرطة المجففة^(٦) وقد مثل هؤلاء قوة ضاربة الذين كان لها

(١) القادسية : تقع شرقي نهر الفرات جنوبي الكوفة، وسمّيت القادسية بالعراق لأنّ قوما من أهل قادس نزلها، وقيل إنّما سمّيت القادسية بقادس، رجل من أهل هراة، قدم على كسرى، فأنزله موضع القادسية. يُنظر: البكري، معجم ما استعجم، ج ٣، ص ١٠٤٢؛ الأدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٣٨١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٩١.

(٢) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٨٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٩٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٥١.

(٣) قيس بن مسهر بن خالد بن جندب بن منقذ بن عمرو بن فُعين الأسدي الصيداوي، وصيدا بطن من بني أسد، كان قيس من أشراف بني صيدا، عُرف بالشجاعة والولاء العميق لأهل البيت (عليهم السلام)، بعد موت معاوية، اجتمعت الشيعة في دار سليمان بن صُرد الخزاعي وكتبوا إلى الإمام الحسين (عليه السلام) يدعونه للقدوم إلى الكوفة والبيعة، وأرسلوا الرسائل واعقبوا ذلك برسالة أخرى حملها قيس بن مسهر الصيداوي إلى الإمام الحسين (عليه السلام)، وحين خرج الإمام الحسين (عليه السلام) من مكة متوجّهاً إلى العراق، بعث قيساً برسالة إلى أهل الكوفة، غير أن عبيد الله بن زياد قبض عليه، فأمر بطرحه من فوق قصر الإمارة بالكوفة، فاستشهد. يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٣٠، ص ٨٥-٨٦؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٧٨، ج ١١، ص ١٦٤-١٦٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٤، ص ٣٩٤، ص ٤٠٥؛ الزركلي، الأعلام، ج ٨، ص ٤٧.

(٤) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٨٦، ص ٩٢؛ الطبري، تاريخ السل والملوك، ج ٥، ص ٣٩٥، ص ٣٩٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٥٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٥١٣.

(٥) عمر بن سعد بن أبي وقاص بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشيّ الزهري، أمه مارية بنت قيس بن معد، أصله من المدينة، وسكن الكوفة، من الذين شهدوا ضد حجر بن عدي الكندي، استعمله عبيد الله بن زياد لقيادة الجيش المكون من أربعة آلاف لمقاتله الحسين (عليه السلام) مقابل أن يعطيه ولاية الري وهمذان،

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

أثر حاسم في واقعة الطف إذ رشقوا أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) بالنبال وعقروا خيولهم فحولهم من فرسان مقاتلين إلى رجاله^(٢)، أن سبب أشراك هذه الكتائب في معركة الطف نتيجة لتوجيهات عبيد الله الذي كان يوجه القادة في ألف مقاتل، لا يصلون إلى معسكر عمر بن سعد إلا بثلاثمائة مقاتل أو اربعمائة وأقل كراهة الأفراد الاشتراك في مقتل حفيد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٣)، لذلك فاعتمد على الشرطة المجففة والمرامية وأسند قيادتهم إلى الحصين بن نمير، نظرًا لكونهم جزءًا من جيش الشام مرتبطون ارتباطًا مباشرًا بالسلطة الأموية ولولاهم كان سياسيًا قبل أن يكون دينيًا، قائم على الطاعة العمياء للسلطة الأموية .

اتبعت السلطة الأموية سياسة ممنهجة هدفت من خلالها إلى تشويه صورة أهل البيت (عليهم السلام) وإضعاف هيبتهم الدينية والاجتماعية إمام المجتمع الشامي، فوجت شائعة مفادها أن اتباع الإمام علي (عليه السلام) لا يصلون^(٤)، وقد انعكست هذه الشائعات بوضوح في معركة الطف، حين طلب الإمام الحسين (عليه السلام) من العسكر الأموي أن يتيحوا له ولأصحابه أداء الصلاة، فرفض الحصين بن نمير بدعوى أن صلاتهم لا تقبل، فانبرى له حبيب بن مظاهر مظهرًا مقاومة معرفية وأخلاقية لهذه الافتراءات قائلاً: "زعمت! الصلاة من آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تقبل وتقبل منك يا حمار"^(٥)، يمثل موقف الحصين بن نمير توضيحًا حيًا لتأثير الترويج السياسي على الوعي الجمعي في الشام.

وقد استجاب بن سعد وقاد الجيش في يوم العاشر من محرم سنة (٦١ هـ / ٨٨٠ م)، بعدما قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وانصاره اقتاد ابن سعد النساء والأطفال إلى عبيد الله بن زياد، قتله المختار الثقفي وضرب عنقه. يُنظر : ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ١٦٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٣٠٩ .

(١) المجففة : إحدى فرق الشرطة في العهد الأموي، وسميت بالمجففة نسبةً إلى التجفاف، وهو ما يُجلل به الفرس من دروع وآلة تقيه الجراح في ساحة القتال، ويُفهم من ذلك أن هذه الفرقة كانت تعد بمنزلة قوة مدركة ذات تجهيز عسكري متكامل . يُنظر : الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٣٧؛ ابن الأثير/ النهاية، ج ١، ص ١٨٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ٣٠.

(٢) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٥٣؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٠٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٣٧ .

(٣) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٨٧؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٥٤ .

(٤) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٣؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٦٦٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ٣٦ .

(٥) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٥٦ - ١٥٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٣٩ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

لعبت الأحقاد التاريخية والضغائن المتراكمة دورًا حاسمًا في تشكيل مواقف مجتمع الشام من النهضة الحسينية، إذ لم يُنظر إلى الإمام الحسين (عليه السلام) بوصفه فقط وريثًا شرعيًا لرسالة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل كامتداد مباشر لبني هاشم الذين شكلوا في المخيال الأموي رمزًا للخصومة التاريخية، فقد تحولت رمزية الإمام (عليه السلام) الدينية والروحية إلى علامة على الصراع القديم التي تعود بين قريش الوثنية والرسالة الإسلامية منذ بدر وأحد والخنق، وهو صراع لم يطوي في الذاكرة الجمعية الأموية، بل جرى إعادة تفعيله في الوعي الشامي عبر الدعاية الرسمية التي غدت فيهم روح الثأر والانتقام، حتى غدا الانحياز إلى السلطة ومشروعها في مواجهة لإمام الحسين (عليه السلام) تعبيرًا عن استمرار تلك الضغائن القبلية.

وقد تجلت هذ الأحقاد المتراكمة والغُل الدفين بوضوح في موقف يزيد بن معاوية نفسه عندما جُلِبَت إليه رؤوس الشهداء جمع المجتمع الشامي، وجيء برأس الإمام الحسين (عليه السلام) ووضع بين يديه في طست، فجعل يضرب ثناياه، مطلقًا أبياته الشهيرة التي قال فيها:

لَعِبَتْ هَاشِمٌ بِالْمُلْكِ فَلَا	مَلَكٌ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ
لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرِ شَهِدُوا	جَرَاعَ الْخَرْجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلُ
حِينَ حَكَّتْ بِقُبَاءٍ بَرْكَهَا	وَأَسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الْأَثَلِ
قَدْ قَتَلْنَا الضَّعْفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ	وَعَدَلْنَا مِثْلَ بَدْرِ فَأَعْتَدَلُ ^(١)

تعبر هذه الأبيات عن البنية النفسية العميقة التي تحكم في الموقف الأموي، وعن استبطان الهزيمة في بدر بوصفها جرحًا لم يلتئم، ووجد في مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) مناسبة للثأر التاريخي، وهذا ما انعكس على الوعي الجمعي للمجتمع الشامي الذي تبني رؤية السلطة وعدّها مرجعيته السياسية والدينية، فقد اندمجت الأحقاد القبلية مع الولاء السياسي، وتحولت إلى موقف جمعي يتبنى سرديّة الأمويين في مواجهة بني هاشم .

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٤؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٢٥٣؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ١٠٥.

المبحث الرابع

الموقف المجتمعيّ في مصر من النهضة الحسينية

أولاً: التركيبة الاجتماعية في مصر

تميزت بلاد مصر منذ القدم بتنوع نسيج مكوناتها الاجتماعية، فقد استوطنت فيها جماعات بشرية متعددة قبل الفتح الإسلامي (٢٠هـ/٦٤٠م)^(١) وقد أشار المؤرخون إلى السبب في تنوع التركيبة السكانية للمجتمع المصريّ إذ ربطوا بين تعاقد القوى السياسية عليها وبين اختلاط أنساب سكانها فقالوا: "السبب في اختلاطهم تداول المالكين لها والمتغلبين عليها، من العمالة واليونانيين والروم وغيرهم، فلهذا اختلطت أنسابهم، واقتصروا من التعريف بأنفسهم على الإشارة إلى مواضعهم والانتماء إلى مساقطهم فيها"^(٢)، ومع الفتح الإسلامي أضيفت عناصر جديدة من أجناس وأعراق مختلفة، مما أسهم في نشوء مزيج ثقافي متنوع، وقد تألف المجتمع المصريّ من الاقباط سكان البلاد الأصليين^(٣) الذين اعتنق بعضهم الإسلام، في حين فرضت الجزية على من بقي على دينة وفق النظم الإسلامية^(٤)، وقد مارسوا التجارة وسائر الأنشطة الاقتصادية^(٥).

كما عاش إلى جنب هؤلاء اليهود الذين شكلوا جزءاً من المجتمع المصريّ على الرغم من أنهم كانوا أقلية في البلاد^(٦)، فضلاً عن الروم الذين كانوا عنصراً من عناصر سكان المجتمع

(١) يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢١٠ - ٢١٤ .

(٢) أبو الصلت الأندلسي، الرسالة المصرية، ص ٢٤؛ المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٢٦ .

(٣) يُنظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٩، ص ٣٣؛ الجوهري، الصحاح، ج ٣، ص ١١٥٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ٧، ص ٣٧٣ .

(٤) يُنظر: البغدادي، الأموال، ص ١٨٨؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٩٣؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٥) يُنظر: جمال عبد الهادي، فتح مصر، ص ٤٧ .

(٦) يُنظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ١٠٦؛ قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر، ص ١٠ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

المصري^(١)، وقد عرفت مصر الروم منذ قديم الزمان، حيث أنها كانت ولاية من الولايات الخاضعة لها منذ عام ٤٧ ق.م واستمرت على ذلك حتى الفتح (٢٠هـ / ٦٤٠م)، وقد دخل الكثير منهم في الإسلام^(٢).

استوطن العرب مصر بعد فتحها على يد عمرو بن العاص فبدا فيها الاستيطان العربي بصورة منظمة، وقد شكلت القبائل اليمنية العنصر السكاني الأبرز بين الفاتحين، إذ كانت تشكل الغالبية الكبرى من المقاتلين، وتشير الروايات إلى أنَّ غالبية جيش عمرو بن العاص من قبيلة عك اليمنية إذ بلغ عدّته أربعة آلاف مقاتل تقريباً^(٣)، في حين كانت قبيلة غافق^(٤) وحدها تمثل ثلث هذ الجيش عند دخوله إلى مصر^(٥)، كما استقرت في مصر أيضاً قبائل فھر وهم جماعة من قريش تفرقت بطونها في الإمبراطورية^(٦).

أخطط عمرو بن العاص مدينة الفسطاط لتكون قاعدة إدارية وعسكرية للمسلمين في مصر^(٧)، وذلك في سنة (٢١هـ / ٦٤١م)، وقد قسم المدينة إلى خطط قبلية عرفت كل خطة باسم القبيلة التي نزلتها، ومن بين الخطط التي أنشئت في الفسطاط ما عرف بخطة أهل الراية، وهم جماعة ضمت أفراداً من قريش والأنصار وغيرهم من القبائل، وقد نسبت الخطة إليهم بهذا الاسم لأنهم كانوا من قبائل متفرقة، ولذلك من غير الممكن لأي بطنٍ منهم من العدد ما يمكنه أن يسجل

(١) يُنظر: المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٨٦؛ احمد أمين، فجر الإسلام، ص ٩٦.

(٢) يُنظر: جمال عبد الهادي، فتح مصر، ص ١٤، ص ٤٢.

(٣) يُنظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٧٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج ١٩، ص ٢٨٥؛ المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١١.

(٤) قبيلة غافق : تنسب إلى غافق بن الحارث بن عكّ بن عدثان بن عبد الله بن الأزد، وهي إحدى القبائل اليمنية الكبرى التي شاركت في فتح مصر واستوطنتها، وقد شكّلت هذه القبيلة جزءاً مهماً من البنية القبليّة اليمنية في الفسطاط والإسكندرية، ولقبيلة غافق خطة مستقلة في الفسطاط عُرفت باسمها . يُنظر: ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج ١، ص ١٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢، ص ٣١٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٧٠.

(٥) يُنظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٧٧؛ البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٥٩٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج ١٩، ص ٢٨٥.

(٦) يُنظر: عبد الله خورشيد البري، القبائل العربية في مصر، ص ٨٣.

(٧) يُنظر: المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٦٥.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

في دعوة مستقلة في الديوان^(١)، ومن الخطط الأخرى خطة مهرة وهم بنو مهرة بن حيدان بن عمرو من قبائل اليمن^(٢)، ومن الخطط البارزة في مدينة الفسطاط خطة أهل الظاهر وقد سميت بهذا الاسم ذلك لأن القبائل التي نزلته كانت قد اقامت في الاسكندرية إبان الفتح، ومن ثم عادت إلى الفسطاط بعد رجوع عمرو بن العاص منها، في الوقت الذي كان فيه الناس اختطوا دورهم واستقروا في الخطط، فخاصمت تلك القبائل إلى عمرو يطلبون منه موضعاً ينزلون فيه، وقد نزل هذه الخطة العتقاء وهم جماعة من قبائل متنوعة كانوا قد أسروا في زمن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فاعتقوا فغلبت عليهم هذه التسمية^(٣)، فضلاً عن أن هناك العديد من الخطط^(٤).

ثانياً: الأوضاع العامة في مصر واثراها في مواقف المجتمع من النهضة الحسينية

خضعت مصر لحكم العرب وبقي عمرو بن العاص والياً عليها حتى سنة (٢٤هـ/٦٤٤م) عندما عزله عثمان بن عفان عنها، وأسند الولاية إلى أخيه من الرضاعة عبد الله بن أبي سرح^(٥) حيث لم تكد ولاية مصر تستتب له حتى بدأ يمهّد لغزو المغرب^(٦)، فقد وجه المجتمع المصري

(١) يُنظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٣، ص ٣٦٨ - ٣٦٩؛ المقرئ، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٨٧.

(٢) يُنظر: ابن الكلبي، نسب معد واليمن، ج ٢، ص ٧١٣؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٣، ص ٣٦٩؛ المقرئ، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٨٧.

(٣) يُنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٣٠؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٣، ص ٣٧٠؛ المقرئ، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٨٨.

(٤) يُنظر: المقرئ، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٨٧ - ٩٠.

(٥) عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، المعروف بأبي يحيى، أسلم قبل فتح مكة لكنه ارتد عن الإسلام وعاد إلى قريش بمكة. وعندما فتحت مكة، أمر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بقتله لو وُجد تحت أستار الكعبة، فهرب إلى عثمان بن عفان، الذي كان أخوه من الرضاعة، فاستره عنده، ثم جاء به عثمان إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) طالباً الأمان له، وفي عهد عثمان، ولاه على مصر، وتمكن من فتح إفريقية في غزوة العبادلة، وقد اختلف في سنة وفاته ما بين ٣٦ و ٣٧ هـ. يُنظر: ابن عبد البر، لاستيعاب، ج ٤، ص ٤٧٢ - ٤٧٣؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٢٦٠ - ٢٦١.

(٦) المغرب: إقليم واسع الامتداد، يحده من جهة الشرق مدينة مليانة آخر حدود إفريقية، ومن الغرب جبال السوس المتصلة بالبحر المحيط، وتدخل فيه جزيرة الأندلس، ويتصف باتساع أراضيه وامتداد قفاره، أي كثرة الصحارى والمواضع الخالية من العمران، مما جعله مزيحاً بين الحواضر العامرة والقضاءات الصحراوية الشاسعة، ينقسم عند الجغرافيين إلى نصفين يمتدان على البحر المتوسط؛ الشرقي ويشمل برقة وإفريقية وتاهرت وطنجة والسوس وزويلة حتى حد مصر، والغربي وهو الأندلس. يُنظر: الإصطخري، المسالك والممالك، ص ٣٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٦١.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

نحو جبهة المغرب فتحولت مصر إلى نقطة انطلاق للجيوش نحو شمال أفريقيا، وقد أندفع الناس من مختلف القبائل للاشتراك في هذه الحملات، يدفعهم في ذلك رغبة الحصول على الغنائم^(١).

عندما تولى الإمام عليّ (عليه السلام) الخلافة، أوكل مهمة ولاية مصر إلى قيس بن سعد الأنصاري الذي أستطاع أن يضبط أمور البلاد من خلال استخدام سياسة المهادنة وكسب المخالفين^(٢)، ثم عزل سعد بن عبادة وولى محمد بن أبي بكر^(٣) ولاية مصر (٣٧هـ/٦٥٧م) الذي أستطاع أن يحكم البلاد بشي من الاستقرار الاداري والسياسي، غير أن هذا الاستقرار لم يدم طويلاً، إذ بعث معاوية عمرو بن العاص على رأس ستة آلاف مقاتل متوجهين إلى مصر وقد اجتمعت لهم العثمانية فاضطربت البلاد وحدثت فتنة انتهت بمقتل محمد بن أبي بكر^(٤) على يد معاوية بن حديج السكوني^(٥).

وبعد مقتل والي مصر محمد بن أبي بكر ومالك الأشتر النخعي سيطر الأمويون على مصر وقد أقر معاوية عمرو بن العاص والياً على مصر لتبدأ ولايته الثانية عليها (٣٨هـ/٦٥٨م)^(٦)، الذي عمل على تطبيق سياسة السب بشكل واسع الذي بداها معاوية وعمه من خلال

(١) يُنظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٢١٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج ١، ص ٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ٧.

(٢) يُنظر: ابو عمر الكندي، الولاة، ص ٢٠؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٩٣.

(٣) محمد بن أبي بكر، أمه أسماء بنت عميس، وُلد عام حجة الوداع في عقب ذي القعدة ب ذي الحليفة أو ب الشجرة حين توجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى حجته، نشأ في حجر الإمام علي (عليه السلام) بعد أن تزوج أمه، وكان من أنصاره المخلصين، فشهد معه وقعة الجمل على رأس الرجالة، كما شهد صفين، ولاه الإمام علي (عليه السلام) مصر، فاستشهد فيها بعد أن قبض عليه معاوية بن حديج فقتله صبراً سنة ٣٨هـ. يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ٣٥٦ - ٣٥٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥، ص ٩٧ - ٩٨.

(٤) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١٠٠ - ١٠٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٧٠٧ - ٧٠٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٦٥٧ - ٦٦٠.

(٥) معاوية بن حديج بن جفنة السكوني، من أهل مصر، وكان عثمانياً الهوى، ولم يبايع الإمام علي (عليه السلام)، قتل محمد بن أبي بكر، تولى ولاية مصر سنة ٤٣هـ، وغزا إفريقية ثلاث مرات فأصيبت عينه في إحداها، بقي والياً على مصر حتى وفاته سنة ٥٢هـ. يُنظر: ابو نعيم، معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٢٥٠٢؛ ابن الأثير، أسد لغابة، ج ٥، ص ١٩٨ - ١٩٩.

(٦) يُنظر: ابن مزاحم، وقعة صفين، ص ٣٩ - ٤٠؛ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١، ص ٢٧٧؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٨٦؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ج ١، ص ١٦.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

أجهزته، والسبب ممارسة عرف بها عمرو بن العاص قبل إسلامه، فقد كان من أشد أفراد المجتمع الذين يمعنون في هجاء رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والطعن فيه^(١)، وقد انعكس هذا الميل العدائي في موقفه من الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، إذ تبنى سياسة السلطة الأموية في سبّه ولعنه على المنابر^(٢)، بل تجاوز ذلك إلى محاولات تأليب الراي العام ضد الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، كما ورد في قوله للسيدة عائشة: "لوددت أنك كنت قتلت يوم الجمل، فقالت: ولم . لا أبا لك؟ فقال: كنت تموتين بأجلك، وتدخلين الجنة، ونجعلك أكبر تشنيع على علي"^(٣).

لقد ترسخت لدى العرب في العصر الأموي قناعة تقوم على أن الموالي وسكان البلاد المفتوحة إنما هم فيء أفاءه الله عليهم، وأن العرب، بحكم كونهم الفاتحين، وحدهم أصحاب الحق في الاستئثار بعوائد هذا الفيء والاستنفاع بها، وقد مثل الموالى إحدى الفئات الاجتماعية الأكثر تهميشاً في المجتمع الأموي، حيث تجسدت في معاملتهم مظاهر التمييز القائمة على العصبية القبلية العربية، فقد كانت الأعراف الاجتماعية العربية تحرم الموالى من أبسط أشكال المساواة الإنسانية؛ إذ لم يكن العرب يخاطبونهم بكناهم أو ينادونهم بأسمائهم وألقابهم، بل اعتُبر ذلك من خصائص النسب العربي وحده، كما لم يكن مقبولاً أن يمشوا جنباً إلى جنب مع العرب، مما جعلهم في موقع التبعية المستمرة، ورسخ الفجوة بينهم وبين العرب في البناء الاجتماعي والسياسي للسلطة الأموية^(٤)، وقد تجلّى التحكم بالجانب الاقتصادي عبر فرض سياسات مالية تعزز التفاضل بين الفئات، كما يظهر من أمر معاوية لعماله: " زد على كل امرئ من القبط^(٥) قيراطاً^(١)".

(١) يُنظر: الفضل بن شاذان، الايضاح، ص ١٨٨؛ ابن قتيبة، غريب الحديث، ج ١، ص ٢٨٧؛ الروياني، مسند الروياني، ج ١، ص ٣٥٧.

(٢) يُنظر: الطبراني، المعجم الكبير، ج ٣، ص ٧١؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٢٤٧.

(٣) الآبي، نثر الدر، ج ٢، ص ٦٠؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ٢٥١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٣٢٢.

(٤) يُنظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٣، ص ٣٦٠ - ٣٦١؛ بوشامه حنان، العصبية القبلية، ص ٢٣ - ٢٧.

(٥) الهروي، الأموال، ص ١٩٠؛ ابن زنجويه، الأموال، ج ١، ص ٣٦٦؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢١٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٦٢، ص ٤٣١.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

وجه والي مصر مسلمة بن مخلد^(٢) (٤٧- ٦٢هـ / ٦٦٧- ٦٨١م) المجتمع المصري نحو جبهة المغرب، فتحوّلت مصر إلى نقطة انطلاق للجيش نحو شمال أفريقيا، وهو ما جعل أهلها في حالة تعبئة دائمة^(٣)، وأبعدهم عن الانخراط المباشر في الحركات المعارضة للأمويين في المشرق، وبذلك، نجحت السلطة الأموية في جعل مصر ليس فقط ركيزة مالية وعسكرية، بل أيضًا فضاء اجتماعي مضبوط من خلال الفتوحات، حيث ارتبط ولاء الناس للسلطة بالمكاسب المادية والعسكرية التي توفرها هذه الحملات.

لم تشكل مصر مصدر قلق جدي لمعاوية ولا ليزيد عند إعلان البيعة، إذ كانت أقرب إلى الأقاليم الثانوية من حيث التأثير في شرعية السلطة أو تهديد مركزها السياسي، مقارنة بالحجاز والعراق، وأن المجتمع في مصر وجد نفسه أمام منظومة حكم لا تركز على شرعية النص الديني أو الرمز النبوي، وإنما على منطق المنفعة، وبذلك تشكلت ثقافة سياسية واجتماعية جديدة، حيث غدت الطاعة للسلطة الأموية ممرًا للثروة والجاه، فصار الولاء السياسي للسلطة مساويًا في المخیال الاجتماعي للالتزام الديني، وأصبح الانحياز إلى السلطة الأموية هو الخيار الآمن اجتماعيًا واقتصاديًا، الأمر الذي منح معاوية قدرة على الاستقرار والتوسع لا بقوة الشرعية، بل بقوة هندسة الولاءات الاجتماعية.

لم يكن لمجتمع مصر دور فعلي أو موقف مباشر يذكر في أحداث النهضة الحسينية، إذ اكتفى سكانها بالارتباط بالسلطة الأموية خضوعًا وانصياعًا، فلم يظهر بينهم أي مقاومة أو تأييد فعلي لنهضة الإمام الحسين (عليه السلام)، فقد عرفت مصر في زمن الخلافة الأموية بانتمائها

(١) القيراط: أصله قراط وهو جزء من أجزاء الدينار، يساوي نصف عُشره في أكثر البلاد، ويجعلونه في الشام جزءًا من أربعة وعشرين، يستخدم القيراط في مصر. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٣٧٥.

(٢) مسلمة بن مخلد بن الصامت بن نيار بن لوزان بن عبد بن الخزرج الأنصاري، شهد فتح مصر وسكن فيها، من انصار معاوية شهد معه صفين ضد الإمام علي (عليه السلام)، وكان ممن حضر قتل محمد بن أبي بكر، ولآه معاوية مصر والمغرب معًا، فكان أول من جمعت له الولاياتان، فلما تولى مات معاوية اقره يزيد عليها. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٥٠٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص١٦٨- ١٦٩؛ الذهبي، سير إعلام النبلاء، ج٣، ص٤٢٤؛ ابن حجر، الإصابة، ج٦، ص٩١- ٩٢.

(٣) يُنظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٢٢٤؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ج٢، ص٣٢٤.

الفصل الثاني تباين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

وخضوعها للسلطة المركزية، وقد كان لعمر بن العاص الفضل في دمج المجتمع المصري بالسلطة الأموية، ونتيجة لذلك، أصبح الولاء لمعاوية وولده يزيد مرهونًا بالمكاسب المادية، لا بالشرعية الدينية، كما شكل تركيز ولاية مصر بيد مسلمة بن مخلد الأنصاري الذي عرف بولائه المطلق لمعاوية، فدخلت مصر مرحلة من الاستقرار الإداري والسياسي تحت هيمنة السلطة الأموية، وقد استقر مسلمة في منصبه لما يقارب عقدًا من الزمن، أتاح للسلطة الأموية ترسيخ نفوذها وربط المجتمع المصري بالسلطة وخضوعه لحكمها، مما أبعدها عن التفاعل المباشر مع أحداث النهضة الحسينية وانشغالها بالفتوحات في بلاد المغرب.

المبحث الخامس

الموقف المجتمعيّ في خراسان من النهضة الحسينية

أولاً: التركيبة الاجتماعية في خراسان

أتسم مجتمع خراسان بتعدد عناصر سكانه العرقية والدينيّة، وذلك امتداداً لأثره الحضاري قبل الإسلام، فبعد أن خضعت خراسان لحكم الدولة الإسلامية خلال العصر الراشدي، شهدت البلاد تحولات اجتماعية واسعة، إذ اندمج العرب الفاتحين مع السكان الأصليين من الفرس الذين كانوا يشكلون الكتلة الرئيسة من مجتمع خراسان، وقد وقع كثير من الفرس أسرى في أيدي المسلمين، وأسترق بعضهم، كما دخل عدد كبير منهم في الإسلام^(١).

إلى جانب الفرس المسلمين، سكنت البلاد جماعات أخرى مثل الهياطلة وهم جنس من الترك، أسسوا في القرن الخامس الميلادي إمبراطورية واسعة امتدت إلى ما وراء النهر وشمال الهند، وأطلق عليهم لقب الهون البيض لبياض بشرتهم، وقد انهارت دولتهم في القرن السادس الميلادي، غير أن فلولهم استقرت داخل خراسان وأسهمت في تشكيل نسيجه السكاني^(٢)، وكانت لهم أمارات محلية قوية، وقد دخل البعض منهم في صلح مع المسلمين لقاء بقائهم امراء على مناطقهم^(٣)، فضلاً عن اليهود الذين كانوا أقلية محدودة، وبعض الروم الذين جلبوا أسرى بسبب الحروب الفارسية الرومانية^(٤).

(١) احمد أمين، فجر الإسلام، ص ١١١ .

(٢) يُنظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ١، ص ١١٤؛ ابن الفقيه، البلدان، ص ٦٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٣٧٣؛ يُنظر: علي فرحان زوير، الهياطلة تاريخهم، ص ٤٦؛ ناهد محمود حسين، خراسان في العصر الأموي، ص ٦٥.

(٣) يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٩٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٩٥؛ ناهد محمود حسين، خراسان، ص ١٠٧.

(٤) احمد أمين، فجر الإسلام، ص ٩٥ .

ثانياً: الاوضاع العامة في خراسان واثرها في مواقف المجتمع من النهضة الحسينية

إنَّ الفتح الإسلامي لخراسان لم يتم دفعة واحدة بل تم عبر مراحل متعاقبة، أبتدأت منذ عهد عمر بن الخطاب (١٣ - ٢٣هـ) حينما عهد إلى الأحنف بن قيس الذي فتحها بعد أن أنتصر العرب على الفرس في معركة نهاوند^(١)، وقد استمر الفتح في عهد عثمان بن عفان (٢٣ - ٣٥هـ) إذ أن الاحنف بن قيس لم يتمكن من بسط السيطرة على جميع أنحاء خراسان، فكلف عثمان عبد الله بن عامر^(٢) بالعمل على أخضاع المناطق وما انتقض منها وذلك سنة (٢٩هـ / ٦٤٩م) فتمكن من فتح البلاد مرة أخرى وخضعت له المناطق بعد أن صالحه أهلها^(٣)، وفي عهد الإمام علي (عليه السلام) تمردت بعض نواحي خراسان ونقضت الصلح، فبعث الإمام علي (عليه السلام) خليد بن قرة اليربوعي^(٤) إليها سنة (٣٧هـ / ٦٥٧م)، فتمكن من إخماد التمرد وإعادة السيطرة على البلاد^(٥).

(١) نهاوند: مدينة كبيرة تقع جنوب همدان بفاصل مسيرة ثلاثة أيام، تُعدّ من أقدم مدن الجبل. اختلفت الروايات في أصل اسمها؛ ف قيل إنه محرّف عن نوح أوند المنسوب إلى نوح عليه السلام، وقيل أصله بنوهاوند بمعنى الخير المضاعف، أمّا فتحها فوقع في عهد عمر بن الخطاب، وتختلف الروايات بين سنتي ١٩هـ و ٢١هـ. يُنظر: ابن الفقيه، البلدان، ص ٥٢٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣١٣ .

(٢) عبد الله بن عامر بن كريز، وإل أموي من بني عبد شمس، وابن خال عثمان بن عفان، وُلِد في عهد رسول الله ، وتولّى البصرة شاباً في نحو الخامسة والعشرين، يُعدّ من أبرز الفاتحين؛ إذ افتتح أطراف فارس، وأكثر خراسان، وأصبهان، وحلوان، وكرمان، استمر والياً لعثمان حتى مقتله، ثم ولّاه معاوية البصرة ثم عزله، توفي سنة ٥٨هـ . يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ٤٣٦ - ٤٣٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٨ - ٢٠ .

(٣) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٤) خليد بن قرة اليربوعي: قائد عسكري من رجال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، أُوفِد إلى خراسان بعد عجز جعدة بن هبيرة المخزومي عن إخماد التمرد في أبرشهر ونيسابور، تولّى خُليد قيادة الحملة، فحاصر نيسابور حتى قبلت الصلح، ثم صالحه أهل مرو، وأسهم بذلك في إعادة فرض الحكم على المنطقة. يُنظر: الطبري، تاريخ السل والملوك، ج ٥، ص ٦٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٦٩٩ .

(٥) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٩٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٦٧٨ .

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

وفي العصر الأمويّ وتحديدًا في سنة (٤٥هـ/٦٦٥م) أصبحت خراسان تابعه إداريًا لوالي البصرة زياد بن أبيه، الذي سعى إلى إحكام سيطرته على البلاد من خلال تطبيق نظام الأرباع^(١) بغية ضبط مراكز النفوذ وتنظيم التوزيع العسكري والإداري، وقد أدت هذه السياسة إلى اخضاع خراسان وتحويلها إلى قاعدة داعمة للسلطة الأموية^(٢)، فقد كان زياد بن أبيه أحد أعمدة السلطة الأموية، وأدواتها الأكثر فاعلية في ترسيخ السيطرة وربط المجتمع بالسلطة، وكان من خطة زياد أن يسير الربيع بن زياد الحارثي^(٣) مع مجموعة من العرب، حيث أن البلاد لم تشهد استيطانًا فعليًا قبل العصر الأمويّ فسير زياد بن أبيه خمسين ألفًا من مقاتلة المجتمع البصريّ والكوفيّ مع أسرهم إلى خراسان وذلك لسد الثغر بالمقاتلة ولأبعادهم عن مناطقهم^(٤)، وقد شكل عامل خراسان الربيع بن زياد حركة معارضة وتنظيم انتفاضة ضد الحكم الأمويّ، احتجاجًا على مقتل حجر بن عدي وقد ركن إلى تأييد الجماعات اليمانية الذين أخرجهم زياد بن أبيه من الكوفة إلى خراسان وكان عددهم خمسة وعشرون ألفًا^(٥)، إذ خاطب الربيع الناس وبين امتعاضه من السلطة الأموية على أقدامها لقتل حجر صبراً وطالبهم بمساندته والوقوف إلى جانبه لأنكار هذا الفعل إلا أنه لم يجبه أحد^(٦)،

(١) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٢٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٩؛ ابن خلدون، العبر، ج ٣، ص ١١.

(٢) فقد ولّى زياد على كل ربع قائدًا من وجوه العرب، فاستعمل على مرو أمير بن أحمر اليشكري، وعلى إبرشهر خليلد بن عبد الله الحنفي، وعلى مرو الروذ والفارياب والطارقان قيس بن الهيثم، وعلى هراة وباذغيس وقادس وبوشنج نافع بن خالد الطاحي، وبذلك رسّخ توزيع السلطة على قواعد قبلية موزعة. يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٢٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٩؛ ابن خلدون، العبر، ج ٣، ص ١١.

(٣) الربيع بن زياد بن أنس الحارثي، من بني الديان من بني الحارث بن كعب من مذحج، أدرك عصر النبوة، وولي البحرين، وقدم المدينة في أيام عمر بن الخطاب، ولاه عبد الله بن عامر على سجستان سنة ٢٩هـ، ففتحت على يديه، وولي خراسان لمعاوية، توفي سنة ٥١ هـ. يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٢٥٥؛ الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ١٤.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٢٦؛ البغدادي، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٤٠٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٨٣.

(٥) البغدادي، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٤٠٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٨٣؛ زهير هوارى، السلطة والمعارضة، ص ٢٧٦.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٧٥-٢٧٦.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

فاردف لهم قائلاً: " لَا تَزَالُ الْعَرَبُ تُقْتَلُ صَبْرًا بَعْدَهُ، وَلَوْ نَفَرْتُ عِنْدَ قَتْلِهِ لَمْ يُقْتَلْ رَجُلٌ مِنْهُمْ صَبْرًا، وَلَكِنَّهَا أَقَرَّتْ فَذَلَّتْ"^(١).

وفي ضمن هذه السيطرة على المجتمع ولى معاوية سنة (٥٤هـ/٦٧٣م) عبيد الله بن زياد على خراسان^(٢) ليتابع نهج والده في تكريس الطاعة وربط المجتمع الخراساني بالسلطة الأموية، وقد توالى على حكم خراسان غالبية أسرة زياد بن أبيه، إذ جعل معاوية الإقليم في دائرة نفوذهم المباشر^(٣)، ضماناً لاستمرار الولاء الأموي في تلك المنطقة البعيدة والمهمة استراتيجياً.

وقد انتهجت السلطة الأموية سياسة هدفت منها توجيه سكان الأقاليم الكبرى نحو الفتوحات، ليس فقط بدافع التوسع الجغرافي أو الاقتصادي، بل بوصفها آلية لضبط المجتمعات المحلية وتوجيه طاقاتها بعيداً عن أي تمرّد داخلي، فخراسان تحولت إلى قاعدة عسكرية متقدمة نحو بلاد ما وراء النهر، حيث وجد الأمويون في حماسة القبائل ورغبتها في الغنائم وسيلة لتفريغ طاقاتها، وفي الوقت ذاته إبقائها منشغلة في صراعات خارجية بدلاً من التفكير في معارضة السلطة المركزية، وفي هذا السياق تمكن عبيد الله بن زياد والي خراسان من دخول بخارى وعقد صلح مع ملكتها، وقد أصاب عبيد الله من جند بخارى نحو ألفين من المقاتلين، تميزوا بمهارتهم

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٩١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٨٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٣٤٤.

(٢) يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٩٧؛ اليعقوبي، البلدان، ص ١٢٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٩٢.

(٣) كان إقليم خراسان في دائرة نفوذ أسرة زياد بن أبيه، إذ أقام عبيد الله بن زياد فيها سنتين قبل أن يستدعيه معاوية إلى البصرة، فاستخلف على خراسان أسلم بن زرعة الكلابي، ثم أعاد معاوية خراسان إلى نفوذ آل زياد حين ولاها لعبد الله بن زياد، غير أنه لم يستقر فيها سوى أربعة أشهر لعجزه وضعفه فُعزل، ثم أسندها إلى عبد الرحمن بن زياد، فلم يُحمد في ولايته فُعزل هو الآخر، فتولاها سعيد بن عثمان، إلا أنه لم يلبث أن انصرف عنها، وأعاد عبيد الله بن زياد إحكام سلطته أسرته فجعل أخاه عباد بن زياد والياً عليها، ثم أعقب ذلك بولاية عبد الرحمن بن زياد مرة أخرى، فتركها بعد أن استخلف عليها قيس بن الهيثم السلمي، وحين تولى يزيد بن معاوية الخلافة، عين سلم بن زياد والياً على خراسان، فاستمر بذلك خضوع الإقليم لسيطرة أسرة زياد التي تحولت إلى الذراع الأموي الأقوى في تلك المنطقة. يُنظر: اليعقوبي، البلدان، ص ١٢٩ - ١٣١.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

العالية في الرمي بالسهام، فقدم بهم إلى البصرة^(١)، وقد جعل منهم قوة خاصة أدخلهم في جهازه الأمني كقوة منفصلة عن العصابات القبلية العربية، معتمداً عليهم في تثبيت سلطته وحماية مراكزه الإدارية^(٢).

تميزت العصبية القبلية في خراسان بطابعها التنافسي الحاد، إذ لم تعد مجرد أداة بيد السلطة، بل تحولت إلى صراع مستمر بين القبائل على الغنائم والمناصب، وهو ما استغلته السلطة الأموية لتعزيز السيطرة على المجتمع وضمان ولاء القبائل عبر نظام الأرباع وهذه البنية القبلية إدت إلى بروز العصبية كعامل حاكم في العلاقات الاجتماعية والسياسية داخل الإقليم، حيث كان الولاة الأمويين أنفسهم يعمدون إلى تغذيتها واستثمارها في سبيل ضبط المجتمع، فإذا تولى الحكم وال من أصل يمني، رفع شأن القبائل اليمنية وقربهم، وإذا أعقبه والي مضري انعكس الوضع تماماً، فيقوم بالانتقام من خصومه السابقين ويستبدل عماله برجال من قبيلته^(٣).

ترتب على الفتوحات الإسلامية وقيام الدولة الأموية ظهور نظرة عامة بين غالبية العرب تقوم على اعتبار الموالي وسكان البلاد المفتوحة ملكاً خاصاً لهم وإن العرب بوصفهم الطبقة الفاتحة أحق الناس بالتمتع بعوائد هذا الملك، فقد أصبح الموالي في العصر الأموي أكثر الفئات الاجتماعية تعرضاً للتهميش والإقصاء، إذ سادت في معاملتهم مظهر واضحة من التمييز القائم على العصبية القبلية حيث اعتبروهم أدنى منهم في المستوى حتى كانوا يقولون لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة حمار أو كلب أو مولى وكانوا يستكثرون عليهم بدعوى أنهم اخرجوهم من دار الشرك إلى دار الإيمان^(٤)، ولم يقف الأمر عند حدود التهميش، بل تعداه إلى الاستحقار والإيذاء، حتى وصلت بعض مواقف معاوية بن أبي سفيان إلى التفكير في القضاء عليهم، فقد استدعى الأحنف

(١) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٩٨؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ٢٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٧، ص ٣٢٠.

(٢) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ١٨٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١١٠.

(٣) يُنظر: ناهد محمود حسين، خراسان في العصر الأموي، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(٤) يُنظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٣، ص ٣٦٠ - ٣٦١.

الفصل الثاني تبين الموقف المجتمعي في الحجاز واليمن والشام ومصر وخراسان من النهضة الحسينية

بن قيس قائلًا: "إني رأيت هذه الحمراء قد كثرت، وأراها قد قطعت عليّ السلف، وكأني أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان، فقد رأيت أن أقتل شطرًا منهم وأدع شطرًا لإقامة السوق وعمارة الطريق"^(١).

وهكذا خضعت خراسان للسلطة الأموية بعد أن فرض زياد بن أبيه وابنه عبيد الله السيطرة على المجتمع هناك، من خلال نظام الأرباع واستخدام القوة السياسية والعسكرية، وتطويع القبائل العربية ضمن وحدات مرتبطة بالولاء المركزي، مع استثمار العصبية القبلية لتعزيز الطاعة، كما تم توجيه السكان نحو الفتوحات، فاصبح المجتمع الخراساني مرتبطًا بالسلطة الأموية وانحاز عمليًا إلى موقف يزيد بن معاوية، دون أي اعتراض على ولاية العهد، وقد كان والي خراسان حين النهضة الحسينية عبد الرحمن بن زياد^(٢) (٥٩ هـ / ٦٧٨ - ٦٨٠ م).

وقد شكّل تركيز ولاية خراسان في يد آل زياد عاملاً حاسماً في إخضاع المجتمع الخراساني للسلطة الأموية، إذ عملت هذه الأسرة على ترسيخ نفوذها الإداري والعسكري بما يخدم المشروع المركزي للدولة، فاستمرارهم في الحكم على الإقليم لفترات متعاقبة منحهم القدرة على إحكام الرقابة على القبائل العربية المقاتلة من جهة، وضبط السكان المحليين من جهة أخرى، وبهذا لم يعد المجتمع الخراساني مرتبطاً بسلطة محلية أو قبلية مستقلة، بل جرى ربطه بشكل مباشر بالبنية الإدارية والسياسية للأمويين، الأمر الذي ساعد على تحقيق قدر من الاستقرار النسبي والخضوع للسلطة المركزية، مما انعكس على موقفه من النهضة الحسينية باعتباره امتداداً للولاء السياسي أكثر منه التزاماً دينياً أو أخلاقياً. إذ لم يذكر لهم موقف مناصر للنهضة الحسينية.

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، ص٣٦١؛ الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج١، ص٤٢٥.

(٢) عبد الرحمن بن زياد بن أبي سفيان: هو أخو عبيد الله بن زياد، ولأه معاوية بن أبي سفيان إمارة خراسان سنة ٥٩ هـ / ٦٧٨ م، استمر في ولايته حتى وقوع مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ م، عُرف عنه باللين والضعف، وأخذ عليه ترك الغزو، فلما قدم على يزيد بن معاوية عثقه وعزله عن خراسان وولى أخيه سلم بن زياد. يُنظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٣١؛ المزي، تهذيب الكمال، ج١٧، ص١١١.

الفصل الثالث

تباين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة

الحسينية حتى سنة (٦١هـ / ٦٨٠م)

المبحث الأول

التركيبة الاجتماعية في العراق

شهد العراق في العصر الأمويّ مجتمعاً شديد التعقيد والتداخل، نتيجة للتحوّلات السياسية التي رافقت الفتح الإسلامي، وما أعقبه من تغييرات في البنية الاجتماعية الادارية والعسكرية، وقد كان لتأسيس الكوفة والبصرة بوصفهما من أبرز الأمصار الإسلامية في العراق، أثر في بلورة هذا المزيج، إذ شكلتا ميداناً لصراعات النفوذ والولاءات، الأمر الذي أفرز تركيبة اجتماعية متنوعة، ضمت عناصر متباينة من حيث الانتماء القبلي، والتوجه الديني، والعلاقة بين السلطة المركزية، لذلك تكمن أهمية دراسة التركيبة الاجتماعية للعراق في أنها تفسر جانباً مهماً من الوقوف على الجذور الفكرية لفئات المجتمع التي أثرت على مواقفه السياسية والتي أدت إلى ظهور حركات المعارضة للسلطة الأموية، كما تسهم أيضاً في فهم سلوك المجتمع العراقي وموقفه من السلطة والنهضة، وقد كان في العراق مدن عديدة لكن في هذه الدراسة سنركز على الكوفة والبصرة، وعليه سيقسم هذا المحور إلى فرعين :

أولاً : عناصر المجتمع الكوفي

نشأت الكوفة في صدر الإسلام سنة (١٧هـ / ٦٣٨م) أسسها المسلمون أيام سعد بن ابي وقاص كواحدة من أهم الأمصار التي أنشأتها الدولة الإسلامية لأغراض عسكرية وإدارية، وقد سكن فيها عناصر متعددة، تتباين عاداتهم وأديانهم، فشهدت الكوفة تركيبة سكانية متنوعة العناصر منها العرب والفرس والمسيح واليهود وغيرهم.

أثرت العديد من العوامل في تنوع سكان الكوفة، نذكر منها الأهمية الجغرافية في دفع القبائل للانتقال إليها، وكان الأثر البالغ في جعل مجتمعها متأثراً إلى حد كبير بطبيعة القبائل المتنقلة التي استقرت فيها، وهذا ما أشار له عمر بن الخطاب إلى سعد بن ابي وقاص: بأن يختار لهم موضعاً يشابه بيئتهم المعتادة البداوة والصحراء، إذ قال: "أن العرب بمنزلة الإبل لا يصلحها

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

إلا ما يصلح الإبل^(١)، وقد وصف لويس ماسيون ثقافة القبائل التي نزلت الكوفة بأن بعضهم شديد البداوة، والبعض الآخر قبائل متحضرة، والأخرى قبائل نصف متحضرة^(٢).

أما العامل الآخر الذي أدى دورًا في تنوع سكانها هو وقوعها على الطريق التجاري، إذ تحولت بعد مدة قصيرة من تمصيرها إلى محطة لتبادل البضائع والسلع التجارية بين بلاد فارس من جهة، ومنطقة شبه الجزيرة العربية وبادية الشام من جهة أخرى^(٣)، فضلاً عن ذلك أثر العامل العسكري في التنوع، وذلك لكون الكوفة قاعدة عسكرية تتطرق منها الجيوش، ودار هجرة للمسلمين بدل المدائن^(٤)، ومن أهم العناصر التي استوطنت الكوفة نذكر منها :

١. العرب :

شكل العرب الغالبية العظمى من المجتمع الكوفي، إذ نزلها إشراف العرب من الصحابة الأولين ووجوه الناس^(٥)، وكان أول من نزلها من الصحابة عبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر^(٦)، وقد أصبحت الكوفة محط نظر القبائل العربية، إذ كان أكثر الذين انتقلوا إليها من عرب الجنوب، فبلغ عددهم عشرين ألفاً، منهم اثنا عشر ألفاً من قبائل اليمن القحطانية، وثمانية آلاف من القبائل العدنانية^(٧)، الأمر الذي يظهر أن سكان مجتمع الكوفة كانوا من العرب الاقحاح^(٨)، وشكلوا الأداة

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١، ص ٣١٨؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧١؛ كما وردت عند الطبري بتصرف، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤١؛ هشام جعيط، الكوفة، ص ٩٥.

(٢) خطط الكوفة، ص ٢٣.

(٣) رسمية خمات الجبوري، موقف أهل الكوفة من الحداث السياسية، ص ١٧.

(٤) يُنظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١، ص ٣١٨؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧١؛ عبد الحكيم الكعبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص ١٥٤.

(٥) يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٥؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٠ - ٢٧١؛ ابن الفقيه، البلدان، ص ٢٠٣.

(٦) يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٧ - ٨؛ الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج ٢، ص ٥٤٢؛ ابن الفقيه، البلدان، ص ٢٠٢.

(٧) يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٩٢.

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج ١، ص ٣٨١.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

العسكرية التي تمت بها الانتصارات، فتألف منهم عنصر الأشراف، وطبقة زعماء القبائل، وطبقة رؤساء الجيش وطبقة الجند^(١).

قسم سعد بن ابي وقاص القبائل التي سكنت الكوفة إلى سبع أقسام عرف كل قسم منها بـ (سبع)، فكانت الأسباع مناطق عسكرية، هدفها حشر مقاتلة القبائل وفقاً للقيادات والتعبئة العسكرية عند النفير والخروج للفتح في المواسم، ومن ثم توزيع الغنائم والأعطيات بعد العودة من قبل رؤوس الأسباع^(٢)، كما اضطر سعد بن ابي وقاص أحياناً في تنظيمه للقبائل على أن لا يلتزم بنظام النسب أو القربى فكان يدخل في بعض القبائل عشائر عربية لا تمت إلى القبيلة بصلة النسب حتى إنه أدخل أحياناً وحدات من العجم^(٣) ضمن وحدات القبائل العربية^(٤).

وقد سادت الروح القبلية بين قبائل المجتمع الكوفي، إذ سكنت المدن على أسس قبلية، فقد كانت كل قبيلة تنزل في حي معين لا يشاركها فيها إلا حلفاؤها، كما كان لكل قبيلة مسجدها ومقبرتها الخاصة بها، ويرى لويس ماسيون أن إحدى الصفات المميزة لطوبغرافية الكوفة جباناتها^(٥) أي مقابر العشائر والبطون، وقد نقل ابن ابي الحديد صورة الروح القبلية التي كانت سائدة في الكوفة: "كان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة أخرى، فينادي باسم قبيلته يا للنخع مثلاً، أو يا لكندة نداء عالياً يقصد به الفتنة وإثارة الشر، فيتألب عليه فتیان القبيلة التي مر بها فينادون يا لتميم، ويا لربيعة ويقبلون إلى ذلك الصائح فيضربونه، فيمضي إلى قبيلته

(١) مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة، ص ٧ .

(٢) لويس ماسيون، خطط الكوفة، ص ١٨ .

(٣) العجم: يطلق العرب على غيرهم ممن لا ينتمون إلى العرب، لفظة اعاجم، والعجم عندهم خلاف العرب، والرجل الواحد أعجمي، ولعلماء اللغة آراء في تفسير هذه اللفظ وهي من الألفاظ الجاهلية؛ وقد ورد اللفظ في القرآن الكريم، منها: قال تعالى ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾، سورة فصلت، الآية ٤٤، و ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ، فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ سورة الشعراء، الآية ١٩٨- ١٩٩، ففي هذه الآيات دلالة واضحة على أن المراد من أعجمي خلاف العربي، وأن هذا المصطلح كان معروفاً عند العرب قبل الإسلام. يُنظر: محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ٣٣، ص ٥٩؛ جواد علي، المفصل في التاريخ، ج ٧، ص ٣٠٨ .

(٤) محمد حسين الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة، ص ٤٢ .

(٥) يُنظر: خطط الكوفة، ص ٣٤ .

فيستصرخها، فتسل السيوف وتثور الفتن، ولا يكون لها أصل في الحقيقة الا تعرض الفتان بعضهم ببعض^(١).

استمرّ نظام الأسباع في الكوفة بعد تأسيسها، وبقي معمولاً به حتى عهد خلافة الإمام عليّ (عليه السلام) الذي أدخل عليه بعض التعديلات الإدارية مع طبيعة المرحلة السياسية والمجتمعية^(٢)، إلا أنّ هذا التنظيم تغير عندما تولى زياد بن أبيه إمارة الكوفة سنة (٥٠هـ / ٦٧٠م) من قبل معاوية، إذ الغى نظام الأسباع، واستحدث بدله على غرار ما كان في البصرة نظام الأرباع^(٣).

٢ - الموالي :

يعد الموالي أحد عناصر المجتمع الكوفي وهم على نوعين: الأول موالي قدموا إلى الكوفة كأسرى حرب، ثم اعتنقوا الإسلام، فأعتقوا من قبل العرب أي تم تحرير رقبتهم من الرق وتخلصوا من العبودية^(٤)، فاصبحوا موالي لهم وأعضاء فاعلين في عشيرة سيدهم، إذ دخلوا ضمن التنظيم القبلي يحاربون إلى جانب قبيلة سيدهم إذا وقعت حرب، إما النوع الآخر من الموالي من الأعاجم الذين قدموا إلى الكوفة واستوطنوها وتحالفوا مع بعض القبائل العربية على أن يضعوا انفسهم تحت حماية القبيلة، معلنين الطاعة والولاء لها، بالمقابل تدفع عنهم القبيلة دية في حال ارتكابهم جريمة، وإذا رفضت القبيلة أن تدفع يكون بإمكانهم نقض الولاء^(٥).

وقد شكل الفرس الفئة الأبرز عدداً ضمن الموالي، وقد كان لهم حضوراً مبكراً في الكوفة منذ الفتح الإسلامي، حيث دخل إلى الكوفة عددٌ من محاربي الفرس يقدر عددهم بـ (اربعة آلاف) قد استسلموا للعرب وتعاهدوا إلى القتال بصفوفهم، مقابل أن يترك لهم خيار محل الإقامة،

(١) شرح نهج البلاغة، ج١٣، ص١٦٧ .

(٢) يُنظر: ابن مزاحم، وقعة صفين؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٧٩؛ لويس ماسيون، خطط الكوفة، ص٢١-٢٢.

(٣) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٢٦٨؛ لويس ماسيون، خطط الكوفة، ص٢٨.

(٤) يُنظر: نبأ رضا حسين، العتق في الدولة العربية الإسلامية، ص١ .

(٥) محمد حسين الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة، ص٧٤ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

فأستجاب لهم سعد بت أبي وقاص وفرض لهم العطاء وقد عرفوا بحمراء الديلم^(١)، وحالف هؤلاء بعض القبائل العربية مثل قبيلة تميم^(٢)، وقد شكل الموالي نسبة كبيرة، حيث قدر عدد سكان مجتمع الكوفة في عهد خلافة الإمام عليّ (عليه السلام) بـ (سبعة وخمسين ألفاً) من العرب، بينما قدر عدد الموالي بـ (ثمانين ألفاً)^(٣)، كما ذكر أن عدد الموالي أخذ يزداد في العصر الأموي^(٤).

اتبعت الدول الأموية سياسة تمييزية تميزت بالطابع الاقصائي والتهميشي تجاه الموالي، إذ كتب معاوية بن أبي سفيان إلى عامله في الكوفة زياد بن أبيه وأمره : "انظر إلى الموالي ومن أسلم من الأعاجم فخذهم بسنة ابن الخطاب، فإن في ذلك خزيهم وذللهم أن ينكح العرب فيهم ولا ينكحونهم، وإن ترثهم العرب ولا يرثونهم، وإن تقصر في عطائهم وارزاقهم، وأن يقدموا في المغازي يصلحون الطريق ويقطعون الشجر، ولا يؤم احد منهم العرب ولا يقدم احد منهم في الصف الأول إذا حضرت العرب الا ان يتم الصف، ولا تول احدا منهم ثغرا من ثغور المسلمين ولا مصرا من امصارهم، ولا يلي احد منهم قضاء المسلمين ولا احكامهم فإن هذه سنة عمر فيهم وسيرته، إلى أن قال: فإذا جاءك كتابي هذا فأذل العجم واهنهم واقصهم ولا تستعن بأحد منهم ولا تقض لهم حاجة"^(٥).

٣ - السريان :

كان من بين العناصر غير العربية التي استقرت في الكوفة وهم السريان الذين يعدون من أقدم الجماعات المسيحية التي سكنت في المشرق، وقد سكنوا في بادي الأمر مناطق الفرات

(١) حمراء الديلم : العرب تسمى العجم الحمراء، ويقولون: جئت من حمراء ديلم، كقولهم جئت من جهينة وأشباه ذلك، ويطلق العرب على العجم الحمراء لبياضهم، ولأن الشقرة أغلب الألوان عليهم. يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٥؛ جواد علي، المفصل، ج ٧، ص ٣٠٩ .

(٢) يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٥؛ ابن الفقيه، البلدان، ص ٥٥٨؛ محمد حسين الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة، ص ٧٥؛ مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة، ص ٧-٨ .

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٢٥ .

(٤) يُنظر: جرجي زيدان، التمدن الإسلامي، ج ١، ص ١٨٥ .

(٥) الثَّقَفِي، الغارات، ج ٢، ص ٤٥٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ٢٦٣؛ عباس القمي، سفينة البحار، ج ٦، ص ١٦٧ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

الايوسط كالرها^(١) وغيرها، كما سكنوا ايضاً في الاديرة الواقعة في أطراف الحيرة^(٢)، والنجف، قدموا إلى الكوفة بعد تمصيرها واستقروا فيها واشتغلوا بالعلم والفكر، إذ قام السريان بنشر الفلسفة اليونانية بين مجتمع العراق، وقاموا بترجمة كتب العلوم والثقافة اليونانية إلى السريانية^(٣)، كان السريان يدينون بالمسيحية، فكان لهم في الكوفة أسقفان ذلك لأن نصارى الكوفة طائفتان هما النساطرة^(٤) وكانوا من الحضر، واليعاقبة^(٥) الذين كانوا من البدو^(٦).

٤ - النبط :

شكل النبط أحد مكونات المجتمع الكوفي، وكان العرب قديماً يطلقون لفظة النبط على سكان العراق^(٧)، وقد كانوا ينتشرون في منطقة السواد أي الاراضي الزراعية، التي عمروها فأصبحت ملكهم، وقد أستمروا حكمهم على سواد العراق الف سنة^(٨)، حتى عرفوا بملوك الطوائف^(٩)،

(١) الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ سميت باسم الذي استحدثها، وهو الرها بن البلمندي بن مالك، وقيل إنها سميت بالرّها ابن الروم بن لنطي بن سام بن نوح عليه السلام، وهي بالرومية (أداسا) ، بناها الملك سلوقس في السنة السادسة من موت الإسكندر مع اللاذقية وسلوقية وأفامية وحلب. يُنظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ١٠٦ .

(٢) الحيرة : كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النّجف، فقد كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر ثم من لخم النعمان وآبائه، سميت الحيرة لأن تبعا الأكبر لما قصد خراسان خلف ضعف جنده بذلك الموضع وقال لهم حيروا به أي أقيموا به، وقيل إنما سميت الحيرة لأن تبعا لما أقبل بجيوشه فبلغ موضع الحيرة ضلّ دليله وتحير فسميت الحيرة. يُنظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .

(٣) يُنظر : محمد حسين الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة، ص ١٠٩؛ (٣) رسمية خمات الجبوري، موقف أهل الكوفة من الاحداث السياسية، ص ٢٣ .

(٤) النساطرة: فرقة من النصارى تنسب الى نسطور الذي كان بطريكاً في القسطنطينية، وقد انتشرت هذه الفرقة في العراق وفارس وخراسان . يُنظر: ابن حزم، الفصل في الملل، ج ١، ص ٤٨ .

(٥) اليعاقبة: فرقة من النصارى تنسب إلى يعقوب البرذعاني وكان راهباً بالقسطنطينية، واليعاقبة كانوا يرون أن المسيح هو الله، وأن الله والإنسان اتحدا في طبيعة واحدة هي المسيح، وقد انتشرت في بلاد النوبة ومصر والحجاز. يُنظر: ابن حزم، الفصل في الملل ، ج ١، ص ٤٨ .

(٦) لويس ماسيون، خطط الكوفة، ص ٤٧ .

(٧) يُنظر: الفراهيدي، العين، ج ٧، ص ٤٣٩؛ ابن سيده، المحكم والمحيط، ج ٩، ص ١٩٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٤١١ .

(٨) يُنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٦٢، ابن الجوزي، المنتظم، ج ١، ص ١٦٢ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

ولم يكن حضور النبط في الكوفة مجرد وجود سكاني، بل أّسم بتأثير ثقافي واضح على المجتمع الكوفيّ، فقد تميزوا بصفات سلوكية تختلف عن تلك التي عرف بها العرب، فقد ذكر الجاحظ^(٢) أن ابا عمر بن العلاء^(٣) قال لأهل الكوفة: " لكم حذقة^(٤) النّبط و صلفهم، ولنا دهاء فارس وأحلامها".

٥ - اليهود والنصارى :

كان من بين عناصر مجتمع الكوفة اليهود والنصارى، حيث جاءوا النصارى إلى الكوفة من الحيرة والقرى المحيطة بها، إما اليهود فقد وفدوا إلى الكوفة بعد تمصيرها، قادمين من نجران^(٥) اليمن وأقاموا فيها في محلة نسبت إليهم عرفت بالنجرانية^(٦)، كما جاء قسم منهم من الحجاز وذلك بعد أن قام عمر بن الخطاب بأجلائهم وذلك (٢٠هـ/٦٤٠م) كما قدم بعضهم من الحيرة، وبلغ عددهم سبعة آلاف يهودي، وزاول اليهود فضلاً عن النصارى عدد من المهن منها التجارة والصياغة ونسج الحرير وصناعة الزجاج، كما أشتهر النصارى بمزاولة مهنة الطب^(٧).

(١) ملوك الطوائف: سمو بملوك الطوائف لأن كل ملك منهم كان ملكه على طائفة قليلة من الأرض. يُنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٣١٢ .

(٢) البيان والتبيين، ج٢، ص ٧٢ .

(٣) أبو عمرو بن العلاء المازني البصري، قيل: إن كنيته اسمه وقيل: اسمه زيان بن العلاء، ولد سنة ٧٠هـ، وهو أحد القراء السبعة، كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر، وكان أبو عمرو من أشراف العرب ووجوهها، توفي بالكوفة سنة ١٥٤هـ . يُنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ٤٦٧ - ٤٦٨؛ الذهبي، أنساب الأشراف، ج٦، ص ٤٠٧ .

(٤) حذقة: تعني ادعى أكثر مما عنده، وقيل الحذقة التصرف بالظرف . يُنظر: الفارابي، معجم ديوان الأدب، ج٢، ص ٤٨٣؛ الرازي، مختار الصحاح، ص ٦٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص ٤١ .

(٥) نجران: من مخاليف اليمن من ناحية مكة، سميت نسبه إلى نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان لأنه كان أول من عمرها ونزلها. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٦٦؛ القزويني، آثار البلاد، ص ١٢٦ .

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٧٤؛ لويس ماسيون، خطط الكوفة، ص ٤٤؛ مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة، ص ٩ .

(٧) محمد حسين الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص ١٠٣ - ١٠٥ .

ثانيًا : عناصر المجتمع البصري

أسست البصرة في صدر الإسلام سنة (١٤هـ / ٦٣٥م) بواسطة الوالي عتبة بن غزوان^(١) كواحدة من أهم الأمصار التي أنشأتها الدولة الإسلامية لأغراض عسكرية، وقد سكن فيها عناصر متعددة، تختلف دياناتهم وطبائعهم وثقافتهم، ومن أهم العناصر التي سكنت البصرة منها :

١- العرب :

شكل العرب الغالبية العظمى من المجتمع البصري، إذ نزلتها القبائل العربية قبل التمسير، فكانت البصرة مأهولة بالسكان قبل الفتح الإسلامي، وذلك لكونها قاعدة عسكرية للفرس لمواجهة ورصد تحركات القبائل العربية من بكر بن وائل التي كانت تشن الهجمات على الأبله^(٢) بين الحين والآخر والتي كانت تمثل قاعدة مهمة للفرس في العراق^(٣)، كما يذكر أنَّ العرب كان لهم وجود قديم حيث أنَّ بعض القبائل العربية عندما ضاق بهم العيش في الحجاز نزحوا إلى بابل، ثم انتشروا بعد ذلك في منطقة الأبله^(٤).

وبعد فتح العراق وتمسير البصرة أخذها عتبة بن غزوان قاعدة عسكرية تنطلق منها الجيوش للتحرير^(٥)، فتتابعت هجرات القبائل العربية من شبة جزيرة العرب إلى البصرة، حتى بلغ

(١) عتبة بن غزوان بن جابر... بن قيس بن عيلان، وهو حليف بني نوفل بن عبد مناف بن قصي وقيل حليف بني شمس، اختلف فيه إذا كان من ضمن الذين هاجروا إلى أرض الحبشة، ذلك لأنه شارك في بدر، وقد سيره عمر بن الخطاب إلى أرض البصرة، ليقاوم الفرس في الأبله وقد افتتحها، واختط البصرة، وهو أول من مصرها وعمرها، وقاد مات في الريدة، واختلف في سنة وفاته ما بين سنة (١٥ - ١٧هـ). يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٥٥٨ - ٥٥٩.

(٢) الأبله: مدينة كانت على نهر الأبله بين البصرة والخليج، وكانت مرفأ السفن من الهند، وثغر من ثغور الفرس، وكانت عامرة كثيرة البساتين، وقد فتحها المسلمون في سنة ١٤هـ، وبقيت عامرة في أيام الخلفاء الراشدين وأيام الأمويين، ثم خربت في سنة ٢٥٦هـ في أيام العباسيين. يُنظر: ناصر خسرو، سفر نامه، ص ١٥٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٧٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٨ - ٩.

(٣) يُنظر: عبد الجبار ناجي، المدن العربية، ص ١٥٦؛ سليم محمد الشيرازي، البصرة والكوفة، ص ٦٠.

(٤) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ٥٥٨ - ٥٥٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٣٧؛ سليم محمد الشيرازي، البصرة والكوفة، ص ٦١.

(٥) يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٣٧؛ المسعودي، التنبيه والأشراف، ج ١، ص ٣١٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٣٢.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

عدّد سكانها في خلافة الإمام عليّ (عليه السّلام) ستين ألفاً^(١) من الرجال المحاربين في ديوان العطاء، وقد كانت النظم السائدة فيها قائمة على الأسس القبليّة، فقسّمت البصرة إلى خطط، وسميت الخطة باسم القبيلة التي سكنتها^(٢)، ثم جعل زياد بن أبيه البصرة خمسة أخماس^(٣) ضم كل خمس عدّد من العشائر، وجعل على كل خمس رؤساء ومنحهم سلطات واسعة مستمدة من مراكزهم الشخصية والاجتماعية، ومن الواجبات الملقية على عاتقهم أنهم وقت السلم يرأسون مجالس القبائل، كما يحكمون بين القبائل في بعض الخلافات التي تنشأ بين أفراد القبيلة، ويمثلون العشيرة ومصالحها أمام الوالي والخليفة ويقررون موقفهم السياسي، وفي اوقات الحرب يقودون قبائلهم للمشاركة في الحملات، وكانوا خاضعين للأمير باعتباره ممثلاً للخليفة^(٤).

٢ - النبط :

شكل النبط أحد مكونات المجتمع البصريّ، وكانوا يشكلون قسماً كبيراً من أهل السواد، حيث استقروا في الاقسام الجنوبية من العراق، وامتهنوا الزراعة^(٥)، كان النبط يتحدثون العربيّة، ويتبين ذلك من قولهم عندما سئل خالد بن الوليد أحدهم أعرباً انتم أم نبط، فأجابه قائلاً : " نبط استعربنا وعرب استنبطنا"^(٦)، وقد فرضت عليهم الجزية ما لم يكونوا قد اسلموا، مقابل حمايتهم وحراسة ارضهم حتى يتمكنوا من استثمارها^(٧).

(١) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٧٩.

(٢) يُنظر: الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ٢٦٧؛ ابن الفراء، الاحكام السلطانية، ص ٢١٢؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٧٦.

(٣) يُنظر: عبد الجبار ناجي، المدن العربية، ص ١٦٣؛ سليم محمد الشريفي، البصرة والكوفة، ص ٦٣.

(٤) يُنظر: صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص ١٢٠ - ١٢١؛ سليم محمد الشريفي، البصرة والكوفة، ص ٦٥.

(٥) يُنظر: الجوهري، الصحاح في اللغة، ص ٥٠٥؛ الرازي، مختار الصحاح، ص ٣٠٣؛ الشوكاني، نيل الأوطان، ج ٥، ص ٢٧٠؛ سليم محمد الشريفي، البصرة والكوفة، ص ٦٠.

(٦) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٠٠؛ البكري، المسالك والممالك، ج ١، ص ٢٢٦؛ ابن الجوزي، إعمار الأعيان، ص ١١٩.

(٧) أحمد كمال زكي، الحياة الأدبية في البصرة، ص ٧٢.

٣ - العبيد :

شكل العبيد أحد مكونات المجتمع البصريّ، وكان المصدر الرئيسي للعبيد هو أسرى الحروب والمعارك التي خاضها البصريّون بعد التمسير، وقد أقتصرت الاسترقاق على حاميات المدن التي أبدت مقاومة شديدة في مواجهة جيش الفتح، وهذا ما جرى في سجستان^(١)، إذ استرق العرب منهم نحو أربعين ألفاً من الجنود، ولأن هؤلاء العبيد كانوا في الأصل جنوداً ذوي خبرة قتالية، عمل المسلمون على استخدامهم في الحملات العسكرية كأدلاء أو مراسلين أو مقاتلين إلى جانب الجيش الإسلامي، كما أستخدم البعض منهم في الخدمة المنزلية، والأعمال المدنية كحفر الترع وتشييد الأبنية العامة وخدمة الأمراء، لم تكن الدولة الأموية حريصة على إبقاء هؤلاء العبيد في الرق، فكثيراً ما باعهم بثلث أو اطلقت صراحهم مقابل فدية، أو استعملتهم في الأعمال بأجور، وقد بقي معظمهم في الرق حتى بلغ في زمن الحجاج بن يوسف عددهم إذ قدر بنحو الآلف^(٢).

٤ - الموالى :

يعد الموالى أحد عناصر المجتمع البصريّ، وهم على نوعين : موالى العتق الذين قدموا إلى البصرة كأسرى حرب، ثم اعتنقوا الإسلام، فأعتقوا من قبل العرب فتم تحرير رقبتهم من الرق وتخلصوا من العبودية ويصبحون أعضاء فاعلين في عشيرة سيدهم، كما يدخلون ضمن التنظيم القبلي، إذ يحمل الموالى أسم عشيرة سيده مرفقة بكلمة مولى إشارة إلى أن رابطتهم بالعشيرة هي رابطة اجتماعية وليست رابطة دم^(٣)، كما كان الموالى يقومون بأعمال الخدمة لأسيادهم، كما

(١) سجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة، ذكر بعض الجغرافيين أن اسمها يطلق على الإقليم، وأما مدينتها فهي زرنج، تقع جنوبي هراة، وبينهما مسيرة عشرة أيام، أرضها يغلب عليها الرمل، وتعدّ من الأقاليم المهمة في التاريخ الإسلامي، وتقع اليوم في أجزاء واسعة من شرق إيران، فضلاً عن المناطق المحاذية لها في غرب أفغانستان. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩٠.

(٢) يُنظر: صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص ٦٣ - ٧٣.

(٣) يُنظر: صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص ٧٧ - ٧٨.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

عليهم نصرة أسيادهم والمشاركة في الحروب إلى جانبهم^(١) ، أما النوع الآخر من الموالى تمثل بالموالى الاعاجم الاحرار الذين استوطنوا في البصرة بمحض اختيارهم للقيام بالأعمال التجارية ووضعوا انفسهم تحت حماية أفراد أو قبائل مستفيدين من المنافع التي يقدمها الولاء للسيد والعشيرة وحمايتها^(٢) .

وقد سكن إلى جانب هؤلاء الموالى عددٌ من القوات العسكرية الذين عرفوا بالأساورة^(٣) بعدما استسلموا للعرب وعلنوا دخولهم للإسلام بشروط، منها مستعدون لمساندة المسلمين ضد الفرس، ورفضوا أن يشاركوا في النزاعات الداخلية التي تحدث بين المسلمين، مع منحهم الحرية الكاملة بالسكن والتحالف مع القبائل وأن يسجلوا في ديوان العطاء مثل سائر المقاتلين العرب، وقد منح لهم ذلك فنزلوا البصرة وخطت لهم الخطط وقد حالفوا بني تميم^(٤) .

إلى جانب الأساورة كانت هناك قوة أخرى تمثلت بالزط^(٥)، الذين كانوا في جند الفرس، فلما علموا بما كان من أمر الأساورة أسلموا وأتوا المسلمين، فأنزلوهم البصرة وفرض لهم العطاء، وقد حالفوا بني حنظلة، وقد نقل معاوية بعض من الزط إلى سواحل الشام^(١) .

(١) يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٥٤٦؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٦، ص٢٦٩؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٤، ص٢٩٥ .

(٢) يُنظر: صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص٨١ - ٨٢ .

(٣) الأساورة : هم قوم من مقاتلة الفرس، وكان قائدهم سِيَاه الأسواري الذي تولّى قيادة مقدمة يزجدر الثالث آخر ملوك الساسانيين، وعندما حاصر المسلمون بقيادة أبي موسى الأشعري مدينة السوس وفتحها، اختار الأساورة الانضمام إلى المسلمين بعد أن وضعت الحرب أوزارها في تلك النواحي، فدخلوا في الإسلام ضمن شروط خاصة تحفظ لهم مكانة عسكرية واجتماعية، وقد مثّل دخولهم في المجتمع الإسلامي مرحلة مهمة في نشوء فئة الموالى، إذ جعل لهم سهم في العطاء وأسكنوا البصرة، حيث تحالفوا مع بني تميم، وخُفرت لهم خطة سُميت بـ نهر الأساورة . يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٦٢؛ الجوهري، الصحاح تاج اللغة، ج٥، ص١٩١٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣١٧ .

(٤) يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٦٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٩٠؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج١، ص٣٧٧ - ٣٧٨ .

(٥) اختلفت الروايات في أصل الزط، فقول إنهم جنس مستقل كالروم والهند والحبش والترك، وقيل إنهم قوم من البند أو من السودان، وفي بعض الأخبار أنهم السبابجة من أهل السند الذين نزلوا البصرة، وقيل أنهم كانوا في الأهواز كما ورد أنهم كانوا يُستعملون حفاظاً للطرق في الدولة الساسانية، وورد أنهم كانوا يعيشون حياة شبة بدوية متنقلة

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

ومن الجماعات غير العربية التي دخلت في إطار الموالي في البصرة السياج، الذين كانوا من سبايا جند الفرس الذين استسلموا للعرب، فأسكنوهم في البصرة، وقد أوكل لهم حراسة بيت المال والمسجد^(٢)، وحراسة السجن^(٣)، وقد نقل معاوية بعضهم إلى سواحل الشام وانطاكية^(٤)، إذ استغلهم معاوية في تدعيم ثغور الشام البحرية، لما لهم من خبرة في التمرس البحري^(٥)، إلى جانب هذه الفئات جلب عبيد الله بن زياد جماعة من أهل بخارى^(٦)، وقيل أنه سباهم، ويقال بل نزلوا على حكمه، ويقال بل دعاهم إلى الأمان فنزلوا على ذلك، فأسكنهم البصرة وكان عددهم أربعة آلاف^(٧).

تعتمد على موارد لماء والكلاء، ومع ذلك فإن نزولهم في البصرة إلى جانب الأساورة جعلهم من أوائل فئات الموالي التي ساهمت في تكوين الطابع التعددي للمدينة الإسلامية الناشئة. يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٦٦؛ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٤٣؛ النسفي، طلبة الطلبة، ص ٥٠؛ ابن قرقول، مطالع الأنوار، ج ٣، ص ٢٢٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٣٠٨.

(١) يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٦٣ - ٣٦٥؛ صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص ٨٥.

(٢) عندما قدم أصحاب البصرة قادة معسكر الجمل وهم كلا من السيدة عائشة وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام البصرة وكان واليها من قبل الإمام علي (عليه السلام) عُثْمَانُ بْنُ حَنْفِيَةَ الأنصاري، وقد كانت جماعة السياج موكلين ببيت مال البصرة، يقال أنهم كانوا أربعون، ويقال أربعمائة، فقد أبوا أن يسلموا بيت المال إلى قدوم الإمام علي (عليه السلام)، وكان على السياج يومئذ أبو سالمه الزطي، وكان رجلا صالحا، فأتوهم أصحاب الجمل في السحر فقتلوهم. يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٦٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥٧٧.

(٣) يُنظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة، ج ١، ص ٣٢١؛ ابن الأثير، البديع، ج ٢، ص ٧٣٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٢٩٤.

(٤) أنطاكية: مدينة يونانية قديمة تقع غربي مدينة حلب، أول من بنى أنطاكية انطيوخوس، ولم يتمها فأتها بعده سلوقس وسماها باسم والده أنطيوخوس، فاتخذها مقراً لحكمه، ثم غدت من كبريات مدن العصر البيزنطي، بعدها دخلها المسلمون بعد معركة اليرموك (١٥هـ) وأصبحت إحدى أهم حواضر بلاد الشام. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٦٦ - ٢٦٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٨.

(٥) يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٦٥.

(٦) بخارى: من بلاد ما وراء النهر، تقع في إقليم الصغد غربي سمرقند. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٥٣.

(٧) يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٦٥؛ ابن الفقيه، البلدان، ص ٢٣٤؛ القطيعي، مرصد الاطلاع، ج ١، ص ١٦٩.

المبحث الثاني

الاضاع العامة في العراق خلال الحكم الأموي حتى سنة (٦٠هـ/٦٧٩م)

شهد العراق تحولات جوهرية في بنيته الاجتماعية والسياسية وذلك عقب تولي معاوية بن ابي سفيان (٤١هـ - ٦٠هـ / ٦٦١م - ٦٧٩م) الحكم، الذي نجح في اخضاع مجتمع العراق بمدينتيه الاساسيتين (البصرة والكوفة)، وقد كان العراق بمدينتيه أحد أهم المراكز الحيوية في التاريخ السياسي والاجتماعي في القرن الأول الهجري، ليس فقط لموقعه الجغرافي وأهميته الاقتصادية والعسكرية، بل لما احتواه من دور اجتماعي انعكس على التاريخ السياسي، وقد أدرك معاوية حساسية العراق لذا ابتدأ بمخاطبتهم وبين موقفه منهم إذ قال: "مَا قَاتَلْتُمْ لِيَصْلُوا، وَلَا لِيَصُومُوا، وَلَا لِيَحْجُوا، وَلَا لِيَزْكُوا، وَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّكُمْ تَفْعَلُونَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ إِنَّمَا قَاتَلْتُمْ لِيَتَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ لَهُ كَارِهُونَ"^(١)، وقد خص معاوية العراق بسياسات استثنائية تهدف إلى ضبط المجتمع وضمان ولائه للسلطة الأموية، وذلك بعد أن عرف أن العراق مهددًا للمعارضة، ولذلك اتبعت السلطة الأموية نهجًا قمعيًا عدائيًا تجاه مجتمع العراق وفي الأخص مدينتي الكوفة والبصرة وفي كل الميادين السياسية والدينية والاقتصادية وعلى النحو الآتي:

١- النهج السياسي:

أدرك معاوية بن أبي سفيان أن العراق وبالتحديد الكوفة تشكل بؤرة قلق سياسي للدولة الأموية، باعتبارها مركزًا للمعارضة لما كانت تمثله من إرث علوي وثوري جاء من كونها مركزًا لاتباع الإمام علي (عليه السلام) ولتيارات المعارضة عامة، لذلك اعتمد معاوية تجاه العراق سياسة تقوم على الحزم والقمع والترهيب واستخدام القوة العسكرية لفرض سلطة الدولة الأموية، ومن تجليات ذلك تسيير الجيوش إلى المناطق ذات الجماعة المعارضة، فبدأ بشن الغارات عليهم وذلك

(١) ابن أبي شعبة، المصنف، ج ١٧، ص ١٠٧؛ الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج ٣، ص ٣١٨؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٧٧؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج ٢، ص ٥٣٣؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١٤؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٩، ص ١٥٠.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

بعد موقعة صفين وقضية التحكيم (٣٨ هـ / ٦٥٨ م)، كأداة لتهريب المجتمع وبث الرعب في النفوس وفرض واقع نفسي يهيئ لتثبيت الحكم الأموي .

بعث معاوية جيشاً كثيفاً بقياده سفيان بن عوف الغامدي^(١)، وأمره أن يغير على هيت^(٢)، فإن لم يجد بها جند يمضي في طريقه حتى يغير على الأنبار ومن ثم المدائن^(٣) وجه معاوية وأمره بدقة قائلاً: "واعلم أنك إن أغرت على أهل الأنبار وأهل المدائن فكأنك أغرت على الكوفة، إن هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق ترعب قلوبهم، وتفرح كل من له فينا هوى منهم، وتدعو إلينا كل من خاف الدوائر، فاقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك، وأخرب كل ما مررت به من القرى، واحرب الأموال، فإن حرب الأموال شبيهة بالقتل، وهو أوجع للقلب"^(٤)، كما أرسل الضحاك بن قيس الفهري، وأمره أن يسير نحو الكوفة وأوصاه: "فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فأغر عليهما"^(٥) .

ويتضح أن الغارات كانت وسيلة سياسية قبل أن تكون عسكرية في إطار سياسة الترويع والهيمنة على مجتمع العراق، هدفها تخويف المجتمع حيث استهدفت مباشرة الجماعات الموالية

(١) سفيان بن عوف بن المغفل بن عوف بن عمر بن كلب بن ذهل بن سيار بن والبة بن الدئل بن سعد مناة بن غامد بن الأزد الغامدي، أسلم سنة ١٠ للهجرة، شهد فتح الشام، ولاية معاوية على الصوائف، توفي سنة ٥٢ هـ . يُنظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٥، ص ١٧٧؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ٣، ص ١٠٧؛ الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ١٠٥ .

(٢) هيت: بلدة على نهر الفرات، من نواحي بغداد فوق الأنبار، سميت باسم بانيها وهو هيت بن السبدي، كانت من محطات القوافل التجارية، على الطريق بين العراق والشام. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٢١؛ الحميري، الروش المعطار، ص ٥٩٧ .

(٣) المدائن: تقع على جانبي دجلة قريباً من بغداد، فتحت المدائن على يد سعد بن أبي وقاص في سنة ١٦ هـ، سمّتها العرب المدائن لأنها سبع مدائن بين كل مدينة إلى الأخرى مسافة قريبة أو بعيدة، وهي: طيسفون، بهرسير، قصر كسرى (الإيوان)، الرومية، ساباط، أسبانبر، السلوقية، وكانت المدائن دار ملك الأكاسرة. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٧٤-٧٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٢٦ .

(٤) الثقفى، الغارات، ج ٢، ص ٩٤-٩٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٨٥-٨٦؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ص ٤٥٩؛ محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين، ص ٦٠ .

(٥) الثقفى، الغارات، ج ٢، ص ٥٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ١١٦ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

للإمام عليٍّ (عليه السَّلام)، وشن حرب نفسية ضدهم لما للغارات من تأثير نفسي عبر بث الرعب بالمجتمع وزعزعة الثقة بقيادتهم .

كما أخضع معاوية العراق لسلطة مركزية قوية من خلال تعيينه ولاية قساة باطشين في تنفيذ سياسته القمعية، وقد كانوا ذوي سياسة صارمة هدفت إلى ضبط المجتمع والقضاء على المعارضة، ومنع أي حراك معارض ومناهض للسلطة الأموية، وقد مثل هؤلاء الولاة أداة تنفيذ مباشرة لسياسات معاوية، ومن أوائل هؤلاء الولاة المغيرة بن شعبة الذي ولاية معاوية على الكوفة سنة (٤١هـ/٦٦١م) وقد وجّه له تعليمات واضحة تكشف عن البعد السلطوي لسياسة ضبط المجتمع، إذ قال له: "وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة، فأنا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطاني، ويصلح به رعيتي، ولست تاركا إيصاءك بخصلة:.....، العيب على أصحاب علي، والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم، وبإطراء شيعة عثمان، والإدناء لهم، والاستماع منهم" (١).

تكشف وصية معاوية بوضوح أن الولاة لم يكونوا مجرد إداريين، بل أدوات لتغيير الوعي الجمعي وتوجيه الرأي العام، وذلك من خلال فرض خطاب موالٍ للسلطة الأموية، يقوم بالضد تجاه الخصم والتشنيع على اتباعه (الإمام عليٍّ (عليه السَّلام) وأصحابه)، وتقديس رموز السلطة الأموية (عثمان وشيعته)، فلم تقتصر سياسة السلطة الأموية على القمع في التحكم بالمجتمع، بل أيضًا عبر السيطرة على الخطاب والهيمنة على فكر المجتمع .

تميزت سياسة المغيرة بالدهاء والمراوغة السياسية إذ أتبع أسلوب السياسة الناعمة وذلك عبر احتواء زعماء القبائل وتحييد المعارضين من خلال قطع ارزاقهم ومنع عنهم العطاء دون الدخول في مواجهة مباشرة معهم، وعلى الرغم من طاعته السياسية لمعاوية كما أنه لم يمارس سياسة البطش في مواجهة الموالين للعلويين المعارضين على سياسة السب، فقد اكتفى بفرض خطاب موالٍ للدولة الأموية، من خلال المناسبات على المنابر الدينية (٢).

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٥٣- ٢٥٤؛ مقاتل ابن عطية، أبهى المداد، ج ٢، ص ١٠٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٦٩ .

(٢) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٥٢- ٢٥٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٥٤- ٢٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٦٩- ٧٠ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

كما عمل معاوية على إخضاع المجتمع البصريّ فقام بتعيين زياد بن أبيه كخطوة تأسيسية في مشروعه لبناء جهاز سلطوي قادر على ضبط الأمصار بقبضة حديدية، فاختر زياد لولاية البصرة سنة (٤٥هـ / ٦٦٥م) وبقي عليها إلى آخر حياته سنة (٥٣هـ / ٦٧٣م) وقد ابتدأ ولايته بمخاطبة المجتمع البصريّ معبراً عن خلاصة سياسة السلطة الأموية، وقد عرفت خطبته بالبراء^(١) ؛ ذلك لأنه ابتدأها دون الحمد والتسليم، بإشارة ضمنية إلى أن السلطة لم تعد تحكم بمشروعية دينية، بل بمشروعية السلطة القائمة على القوة والطاعة المفروضة، وقد حملت خطبته تهديد صريحاً بالعقوبات الجماعية إذ قال: "وَإِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَا أَخَذَنَّ الْوَلِيَّ بِالْوَلِيّ، وَالْمُقِيمَ بِالْظَّاعِنِ^(٢)، وَالْمُقْبِلَ بِالْمُذْبِرِ، وَالصَّحِيحَ مِنْكُمْ بِالسَّقِيمِ، حَتَّى يَلْقَى الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ فَيَقُولُ: ائْجُ سَعْدٌ فَقَدْ هَلَكَ سَعِيدٌ^(٣)، أَوْ تَسْتَقِيمَ لِي فَنَاتُكُمْ"^(٤)، وأكد على مبدأ قدسية السلطان ووجوب الطاعة: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا أَصَبَحْنَا لَكُمْ سَاسَةً، وَعَنْكُمْ ذَادَةً، نُسُوسُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَا، وَنَذُودُ عَنْكُمْ بِقِيَّةِ اللَّهِ الَّذِي حَوَّلَنَا، فَلَنَا عَلَيْكُمُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحْبَبْنَا، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِيمَا وَلِينَا"^(٥).

اعطى معاوية لزياد مطلق الصلاحية في فرض أي عقوبة يراها، فكان يمثل سياسة الدولة وسيفها الضارب، وإذا وجد معترض على سياسته، تكون عقوبته التي حددها وهي "زَجْرٌ بِالْقَوْلِ، ثُمَّ ضَرْبٌ بِالسَّوْطِ، ثُمَّ الثَّالِثَةُ الَّتِي لَا شَوْىَ لَهَا، فَلَا يَكُونَنَّ لِسَانُ أَحَدِكُمْ شَفَرَةً تَجْرِي عَلَى أَوْدَاجِهِ، وَلْيَعْلَمْ إِذَا خَلَا بِنَفْسِهِ أَنِّي قَدْ حَمَلْتُ سِيفِي بِيَدِهِ، فَإِنْ شَهَرَ لَمْ أُغْمِذْهُ، وَإِنْ أَعْمَدَهُ لَمْ أَشْهَرُهُ"^(٦).

(١) أن الخطباء ، وأهل البيان من التابعين، كانوا يسمون الخطبة التي لم تبتدأ بالتحميد، وتستفتح بالتمجيد بالخطبة البراء . يُنظر: الجاحظ ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ٦ .

(٢) الظاعن: المرتحل، تطلق على كل شخص ذهب إلى سفر، أو سار من بلد إلى آخر. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ٢٧١؛ الفيومي، المصباح المنير، ج ٢، ص ٣٨٥ .

(٣) سعد وسعيد: هما ابنا ضبة بن أد، خرجا في طلب إبل لأبيهما، فرجع سعد، وفقد سعيد، فكان ضبة إذا رأى سواداً تحت الليل قال: أسعد أم سعيد. يُنظر: العسكري، جمهرة الأمثال، ج ١، ص ٣٧٧ .

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ٤١؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢١٦؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٤، ص ١٠٩ .

(٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ٤٢؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢١٧؛ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٠١ .

(٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٣٠٣ .

وقد سجل الجاحظ^(١) السياسة القمعية التي انتهجها زياد بن أبيه إذ أورد أن زياداً " كَانَ يَدْفَنُ النَّاسَ أَحْيَاءً"، وكان أشد قسوة من الولاة الذين سبقوه على المجتمع البصري، ففرض حظر التجوال الليلي قائلاً: "إِيَّايَ وَدَلَجَ اللَّيْلِ، فَإِنِّي لَا أُوتَى بِمُدْلَجٍ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ"^(٢).

وقد أعطى زياد الأوامر لصاحب شرطته بأن يضرب عنق كل من وجد خارج داره بعد صلاة العشاء^(٣)، ويذكر أن جيء بأعرابي وجدته الشرطة ليلاً فقال له زياد " هَلْ سَمِعْتَ النَّدَاءَ؟ فَأَجَابَهُ الْأَعْرَابِيُّ: لَا وَاللَّهِ، قَدِمْتُ بِحُلُوبَةٍ لِي، وَعَشِيَنِي اللَّيْلُ، فَأَضْطَرَرْتُهَا إِلَى مَوْضِعٍ، فَأَقَمْتُ لِأَضْبَحَ، وَلَا عَلِمَ لِي بِمَا كَانَ مِنَ الْأَمِيرِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ زِيَادُ: أَطْنُكَ وَاللَّهِ صَادِقًا، وَلَكِنْ فِي قَتْلِكَ صَلَاحُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ"^(٤)، أدى زياد بن أبيه دوراً مفصلياً في ترسيخ السلطة الأموية وهذا ما نقله المؤرخون من أن " زياد أول من شد أمر السلطان، وأكد الملك لمعاوية، وألزم الناس الطاعة، وتقدم في العقوبة، وجرّد السيف، وأخذ بالظنة، وعاقب على الشبهة، وخافه الناس في سلطانه خوفاً شديداً"^(٥).

أدرك زياد بن أبيه أن البصرة لا يمكن حكمها بأسلوب تقليدي؛ ذلك لأنها حديثة النشأة بنيت سنة (١٤هـ / ٦٣٥م)، ومتعددة القبائل، ومتنوعة الاتجاهات، لذلك ابتدأ بتقسيم القبائل إلى خمس وحدات إدارية عرفت بـ (الأخماس)، في خطوة لإعادة تشكيل الولاءات القبلية، وقد كان زعماء الأخماس مقربين من السلطة الأموية^(٦).

(١) المحاسن والأضداد، ص ٦٧.

(٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٢، ص ٢٦٥؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٦.

(٣) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٢٢٢؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٨.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٢٢٢؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٨.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٢٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٧، ص ٧٧.

(٦) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٤٢، ٣١٨، ٥٢٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٠، ص ٢٧٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٦٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٥٠٨-٥٠٩.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

لتنفيذ مشروع معاوية في بناء جهاز إداري وأمني قوي يخضع مجتمع العراق لمركزية السلطة الأموية في دمشق^(١) جمع على أثره الكوفة والبصرة لزياد بن أبيه عام (٥٠هـ / ٦٧٠م)، وجاء ذلك بعد نجاحه في إخضاع المجتمع البصري بعدما فرض عليهم الانضباط السياسي بالقوة والمراقبة، وقد أفتتح زياد حكمه على الكوفة بقطع أيدي ثلاثين فردًا وقيل ثمانين من المجتمع الكوفي؛ ذلك لأنهم رموه بالحجر وهو يخطب على منبر الكوفة^(٢).

كان زياد يقيم في الكوفة (٦ أشهر) وينيب عنه إذا خرج عنها عمرو بن حريث^(٣)، وكذلك الحال بالنسبة إلى البصرة فإنه يقيم (٦ أشهر) وينيب عنه سمرة بن جندب وكان يأمرهم بتطبيق سياسته، فكان سمرة بن جندب فتاكًا كثير القتل إذ قتل ثمانية آلاف من المجتمع البصري في غيبة زياد^(٤)، وقال أحد البصريين أن سمرة بن جندب قتل من قومه في صباح يوم واحد سبعة وأربعين

(١) دمشق: بلدة مشهورة قصبة الشام فتحها المسلمون سنة ١٤ هـ، وقد تعددت الروايات في أصل تسمية دمشق وبنائها؛ فقليل إنها سُميت بهذا الاسم لأن أهلها أسرعوا في بنائها، فقليل "دمشقوا" أي أسرعوا، كما نسبها بعضهم إلى دماشق بن قاني بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح (عليه السلام). وورد في رواية أخرى أن الذي أنشأ قصبتها هو يقطان بن عامر سالف، فيما قيل أيضاً إن أول من شيدها كان بيوراسف، كانت إحدى مراكز الأجناد في بلاد الشام، اتخذها معاوية عاصمة للخلافة الأموية. يُنظر: ابن الفقيه، البلدان، ص ١٥٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦٣.

(٢) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٣٥؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ٢٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٥٩-٦٠.

(٣) عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان المخزومي، يُعدّ من الصحابة الذين رأوا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وله رواية عنه، نزل الكوفة بعد أن أقطعه عثمان بن عفان أرضًا واسعة، فاستقرّ فيها، عُرف بعداءه للإمام علي (عليه السلام)، وكان من جملة الذين خلّعوا بيعته، وبايعوا حيوان الضبّ محلّه، كما كان من شهود الزور على حجر بن عدي وأصحابه، الأمر الذي أدّى إلى قتلهم، كما أنه كان السبب المباشر في مقتل الصحابي ميثم التمار، إذ وشى به وأشرف على صلبه، وقد تقلّد منصب رئيس شرطة عبيد الله بن زياد بالكوفة، وكان هو الذي بعثه ابن زياد للقبض على مسلم بن عقيل مات سنة ٨٥ هـ. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٥٣٥؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٢٤؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٥، ص ١٨٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٠، ٣٧٣؛ القتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص ٣٠٤ - ٣٠٥؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٢، ص ٢٦١؛ ابن الأثير، جامع الأصول، ج ١٢، ص ٦١٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٢٩.

(٤) يُنظر: البصري، التاريخ وأسماء المحدثين، ص ٢٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٢٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٦٠.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

رجلاً كلهم من حفظة القرآن^(١)، وقد مارس الإرهاب الأمويّ بكل حذافيره فكان يأتي ببضعة عشر رجلاً فيسألهم، ما دينك؟، فيقول الإسلام ديني ومحمدًا نبيي، فيأمر سمرة بن جندب بضرب عنقه^(٢)، تسهم هذه الروايات في تصوير الواقع الأمني القاسي الذي ساد العراق، فالسلطة الأموية لم تكن تتوانى عن إراقة الدماء لتحقيق الاستقرار والولاء والخضوع للسلطة، فاستخدموا أداة القتل لتخويف المجتمع لإنتاج الطاعة للأمويين.

مثل زياد بن أبيه أداة من أدوات الأمويين الأكثر بطشاً في إخضاع المجتمع الكوفي لا سيما أتباع الإمام علي (عليه السلام) وبرز المعارضين للسلطة الأموية، لذلك سخر زياد خبرته السابقة للتعرف على هذه الفئات لغرض تنفيذ سياسة القمع تجاههم، وتحويل السلطة إلى منظومة إرهاب سياسي، هدفها تفكيك الجمهور المعارض في الكوفة وترويع المجتمع حتى لا يفكر في معارضة الأمويين أو الخروج على السلطة فكان يتتبع الشيعة،...، فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق^(٣)، حتى أن الأفراد من المجتمع البصري والكوفي لا يأمنون على أنفسهم بسبب الرقابة التي فرضتها السلطة الأموية "حتى لو أن أحدا منهم أراد أن يلقي سرا إلى من يثق به لأتاه في بيته فيخاف خادمه ومملوكه، فلا يحدثه إلا بعد أن يأخذ عليهم الأيمان المغلظة: ليكتمن عليه"^(٤).

من أبرز مظاهر المشروع الأمويّ لضبط مجتمع العراق، هو ما يمكن تسميته بالإفراغ العقائدي والاضطهاد الفكري، حيث لم يقتصر الضبط على القمع، بل أمتد ليطل بنية الوعي والهوية الإيمانية، فتم استهداف العقيدة لا كإيمان فحسب، بل كقوة دافعة للسلوك السياسي والاجتماعي، هذا ما جعل القيم الدينية مثل نصرة المظلوم، والولاء للحق، ورفض الظلم والجور، تتأكل تدريجياً تحت وطأة القمع السياسي والمراوغة السلطوية والخوف، ولم تكتف السلطة الأموية

(١) يُنظر: الفضل بن شاذان، الإيضاح، ص ٦٤٧؛ البصري، التاريخ وأسماء المحدثين، ص ٢٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٢٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٣٧.

(٢) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٢٠-٢١٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٧، ص ٣٩٧.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ٤٤.

(٤) الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ١٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٢٨؛ جعفر البياتي، الأخلاق الحسينية، ص ١٩٤.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

بإخماد المعارضة بالقوة، بل سعت إلى تغيير التركيبة المجتمعية في الكوفة، إذ أن معاوية عندما اجتمع عليه مجتمع العراق أراد تحويل الكوفة من مركز الولاء العلوي والثقافة الثورية إلى ساحة تغرب فيها القيم وتتبدل فيها ميزان الفهم والانتماء، فصدر قراراً بأن "يخرج من الكوفة المستغرب في أمر عليّ، وينزل داره المستغرب في أمر نفسه من أهل الشام وأهل البصرة وأهل الجزيرة"^(١)، وفي ذلك سعى معاوية إلى إعادة تشكيل هوية مجتمع الكوفة وتوجيه وجدانها نحو الطاعة وخاضعة للسلطة ثقافياً وسياسياً .

فقام معاوية بنقل مدعية النبوة سجاح التميمية^(٢) مع قومها إلى الكوفة وأنزلهم في منازل صادرها من القعقاع بن عمرو^(٣) الذي عرف بموالاته للإمام عليّ (عليه السلام) وتم نفيه إلى فلسطين^(٤)، فتم استبدال شخص عرف بولائه العلوي بشخصية مثيرة للجدل في محاولة لطمس الرموز الدينية، هدف معاوية من ذلك تحويل الكوفة إلى مدينة ذات ثقافة أموية هجينة، وإضعاف الفئات الموالية للعلوين، ان التغيير الذي حصل في التركيبة السكانية للمجتمع الكوفي في عهد معاوية نتيجة للتهجير القسري للقبائل المتحضرة أو ذات الميول المعارضة للسلطة الظالمة، واستبدالها بقبائل رحالة تحمل صفة البداوة أكثر قابلية للاندماج في الثقافة السلطوية، وأقل انخراطاً في الاعمال السياسية والعقائدية، أدى هذا التغيير الديموغرافي إلى حصول تنافر بين القبائل وهذا ما سعت إليه السلطة الأموية، وقد وصف هذا الأمر صعصعة بن صوحان العبدي^(٥) قائلاً بأن

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٧٥؛ سامي البديري، الإمام الحسن (عليه السلام)، ص٤٠٩؛ نبيل الحسني، الانثربولوجيا الاجتماعية الثقافية، ص٤٥.

(٢) سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان، التميمية، من بني يربوع، ادعت النبوة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وكانت في بني تغلب بالجزيرة، تبعها جمع من عشيرتها بينهم كبار تميم ونزلت باليمامة، تزوجت بمسيلمة الكذاب. يُنظر: الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٧٨-٧٩.

(٣) القعقاع بن عمرو التميمي، قيل أنه شهد وفاة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وللقعقاع أثر عظيم في قتال الفرس في القادسية وغيرها، وكان من أشجع الناس وأعظمهم بلاء، وشهد مع الإمام عليّ (عليه السلام) الجمل وغيرها من حروبه، وسكن الكوفة، وهو الذي قال فيه أبو بكر صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل . يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص٣٩٠ .

(٤) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٧٥.

(٥) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث بن الهجرس العبدي من قبيلة عبد القيس من ربيعة، كان خطيباً بارعاً، ومن خلص أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، شهد مع الإمام وقائع الجمل مع

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

الكوفة: "قبة الإسلام، وذروة الكلام، ومصان ذوي الأعلام، إلا أن بها أجلاً تمنع ذوي الأمر الطاعة، وتخرجهم عن الجماعة- وتلك أخلاق ذوي الهيئة والقناعة"^(١).

كما أدى زياد بن أبيه دوراً رئيساً في إعادة تشكيل البنية السكانية والفكرية لمجتمع العراق، فقام بعملية تهجير واسعة لإزاحة القواعد الاجتماعية الموالية لأهل البيت (عليهم السلام) وتفكيك حواضنهم العقائدية، فشرع بتهجير المقاتلة الأعاجم من الكوفة إلى الشام والبصرة^(٢)؛ وسبب ذلك أن الإمام علي (عليه السلام) قد ساءل بينهم وبين المقاتلة العرب في العطاء فاستمالوا إليه، وقد وسع زياد بن أبيه من عملية الإفرار العقائدي فنقل خمسين ألفاً من مقاتلة المجتمع البصري والكوفي مع أسرهم إلى خراسان^(٣).

ومن النهج السياسي الذي اتبعه معاوية هو توريث الحكم لابنه يزيد الذي مثل تحولاً جوهرياً في بنية الدولة الإسلامية، وذلك بتحويلها إلى ملك عضوض تحكمه آليات التهريب والقهر والترغيب، وقد كان لدى معاوية هواجس مقلقة في تحصل البيعة من مجتمع العراق على الرغم من أن العراق كان يفتقد تلك الزعامات التي تستطيع أن تجاهر بموقفها من رفض البيعة^(٤)، مع ذلك اعتمد على عدة أدوات في سبيل تحصيل البيعة، فقد تعهد له المغيرة بن شعبة بأنه سوف يكفيه المجتمع الكوفي، وزياد بن أبيه يكفيه المجتمع البصري^(٥).

أخويه زيد وسيحان، في معركة الجمل كانت الراية أولاً بيد سيحان فُتِل، فحملها زيد فُتِل هو الآخر، ثم انتهت إلى صعصة فثبت بها، وقد روى صعصة عن الإمام علي (عليه السلام) وعن عبد الله بن عباس، توفي بالكوفة في أيام حكم معاوية بن أبي سفيان. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٢٢١؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٢٤، ص ٧٩ - ٨٠.

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٤٢؛ أحمد زكي صفوت، خطب العرب، ج ٢، ص ١٤٨؛ علي الأحمد، مواقف الشيعة، ج ١، ص ٢٥٤.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٥.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٢٦؛ البغدادي، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٤٠٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٨٣.

(٤) زهير هوارى، السلطة والمعارضة في الإسلام، ص ٢٨٤.

(٥) يُنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٩٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٣٤٨؛ ابن خلدون، العبر، ج ٣، ص ١٩.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

وعليه فقد أوفد المغيرة بن شعبه إلى معاوية أفراداً من ذوي الميول الأموية ممن أجابوا إلىبيعة يزيد، وأعطوا كل فرد منهم ثلاثين ألف درهم مقابل الترويج لبيعة يزيد، وجعل عليهم أبنه عروة بن المغيرة، وأظهروا لمعاوية تأييدهم لبيعة يزيد، فألتقت معاوية إلى عروة بن المغيرة وقال له بكم أشتري والدك من هؤلاء دينهم؟، فأجابه قائلاً بثلاثين ألفاً وقيل بأربعمائه، فرد عليه ساخراً: لقد هان عليهم دينهم^(١)، ويبين النص بوضوح كيف أن السلطة الأموية استخدمت الوسائل المادية في شراء الولاءات وتشكيل رأي سياسي يخدم مشروع السلطة الأموية .

كان معاوية بحاجة إلى تحييد الفئات العراقية الفاعلة وعلى رأسها زياد بن أبيه الذي أدرك أن نفوذ زياد في العراق وبالأخص في البصرة يجعله من أهم الفئات التي تشكل عائقاً أو مصدر قلق أمام تثبيت ولاية العهد، لذلك أقدم سنة (٤٤هـ / ٦٦٤م) على استلحاق زياد بن أبيه بنسب أبي سفيان^(٢)، وضمه إلى البيت الأموي، متجاوزاً بذلك الأعراف السائدة والاحكام الشرعية وحرف مفهوم النسب من أجل تحقيق غايات سلطوية، وقد جاء فعل معاوية مخالفاً لقول رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الصريح الذي يقول : "الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ"^(٣)، وقد عبر الإمام الحسن (عليه السلام) عن رفضه الصريح لشرعية اللاحاق السياسي الذي فرضه معاوية إذ تمثل بقوله في مخاطبته لزياد : "وما أنت يا زياد وقريشا ؟ لا أعرف لك فيها أديماً صحيحاً ولا فرعاً نابتاً ولا قديماً ثابتاً، ولا منبتاً كريماً، بل كانت أمك بغياً تداولها رجال قريش، وفجار العرب، فلما ولدت لم تعرف لك العرب والدا فادعاك هذا - يعني معاوية - بعد ممات أبيه، ما لك افتخار"^(٤)،

(١) يُنظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٠، ص٢٩٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٩٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٠، ص٣٤٩.

(٢) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٢١٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص٢١٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٧، ص٥٧.

(٣) عبد الرزاق، المصنف، ج٤، ص٤٩؛ مسلم، صحيح مسلم، ج٢، ص١٠٨١؛ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج١، ص٦٤٧.

(٤) البيهقي، المحاسن والمساوي، ص٦٥؛ الخوئي، منهاج البراعة، ج١٩، ص١٤٦-١٤٧؛ الأميني، الغدير، ج١، ص٢٣٤ - ٢٣٥.

وقد أعتبر الحسن البصري^(١)، هذا الاستلحاق بقوله: "أَرْبَعُ خِصَالٍ كُنَّ فِي مُعَاوِيَةَ، لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ لَكَانَتْ مُوبِقَةً: انْتَرَاؤُهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالسُّفْهَاءِ حَتَّى انْتَزَّهَا أَمْرُهَا بِغَيْرِ مَشُورَةٍ مِنْهُمْ، وَفِيهِمْ بَقَايَا الصَّحَابَةِ وَذَوُو الْفَضِيلَةِ، وَاسْتِخْلَافُهُ بَعْدَهُ ابْنَهُ يَزِيدَ، سَكِيرًا خَمِيرًا، يَلْبَسُ الْخَرِيرَ، وَيَضْرِبُ بِالطَّنَابِيرِ، وَادِّعَاؤُهُ زِيَادًا، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: "الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ، وَقَتْلَ حُجْرًا فَيَا وَيْلًا لَهُ مِنْ حُجْرٍ وَأَصْحَابِهِ"^(٢)، أَنَّ استلحاق معاوية لزياد بن أبيه جاء كخطوة للربط بين زياد والمشروع الأمويّ وذلك من خلال النسب لتأمين ولائه الكامل؛ وذلك لأن استلحاقه كان تمهيداً لتوريث الحكم، وتأمين ولائه السياسي، وقد تجلت هذه النية بوضوح في رسالة معاوية، التي جاء فيها: "أَنْ الْمَغِيرَةَ قَدْ دَعَا أَهْلَ الْكُوفَةِ إِلَى الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ بَوْلَايَةَ الْعَهْدِ بَعْدِي وَلَيْسَ الْمَغِيرَةُ بِأَحَقَّ بِابْنِ أَخِيكَ مِنْكَ"^(٣)، أَنْ تعبير معاوية بابن اخيك يوكد على وظيفة الاستلحاق كأداة لتثبيت ولاية العهد بوصفه شريكاً في العائلة الأموية، الا أن زياد لم يكن يرغب في إعلان أمر ولاية العهد ليزيد بين المجتمع البصريّ، إذ رد على معاوية: "إِنْ كِتَابَكَ وَرَدَ عَلَيَّ بِكَذَا. فَمَا يَقُولُ النَّاسُ إِذَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ وَهُوَ يَلْعَبُ بِالْكَلاِبِ وَالْقُرُودِ وَيَلْبَسُ الْمَصْبَغَ، وَيَدْمَنُ الشَّرَابَ، وَيَمْشِي عَلَى الدَّفُوفِ، وَبِحَضْرَتِهِمُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍ، وَلَكِنْ تَأْمُرُهُ، وَ إِلَى ابْنِهِتَخْلُقُ بِأَخْلَاقِ هَؤُلَاءِ حَوْلًا وَحَوْلِينَ فَعَسِينَا أَنْ نَمُوهُ عَلَى النَّاسِ"^(٤)، يتضح أن زياد بن أبيه لم يكن رافضاً للبيعة، وانما متحفظاً على التوقيت، حتى يتم تزييف صورة يزيد وتضليل المجتمع الإسلامي سياسياً، ذلك لأن وجود شخصيات دينية في المجتمع الإسلامي ذات شرعية دينية سيفجر موجة من الغضب داخل المجتمع العراقيّ، لذلك أشتراط زياد تأجيل اعلان البيعة إلى حين تجميل سلوك يزيد .

(١) الحسن بن يسار البصري، ولد في المدينة في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢١هـ، عد من طبقة التابعين، كان إمام أهل البصرة، توفي سنة ١١٠هـ. يُنظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ١٩٠؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ص ٣٥، الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٢) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص ٢١٧ - ٢١٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٧٩؛ الأزدي، تاريخ الموصل، ج ١، ص ٨٨ .

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢٠.

وحيثما وفد إلى معاوية أحد وجهاء البصرة وهو الأحنف بن قيس الذي قال في ولاية العهد: "أنت أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسره وعلايته، ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه لله رضا، ولهذه الأمة، فلا تشاور الناس فيه؛ وإن كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة"^(١)، يتبين من النص أن الأحنف بن قيس قد أدرك الواقع السياسي الذي عاش فيه، فقد اعترف بسلطة معاوية في اتخاذ القرارات، لكنه في الوقت نفسه حثه على المسؤولية الدينية والأخلاقية تجاه المجتمع الإسلامي، فكان ينبهه إلى المراجعة الذاتية فهل هذا الاختيار يرضا الله ويخدم المجتمع، أم أنه يقتصر على مصالح شخصية دنيوية لضمان استمرارية السلطة الأموية .

لم يكن امتناع الإمام الحسين (عليه السلام) عن بيعة يزيد حدثاً عابراً في الوعي السياسي الإسلامي، بل شكل منعطفاً حاداً أعاد توجيه الجمهور الإسلامي نحو مبدأ الرفض والمقاومة، فقد عرف المجتمع الإسلامي في مختلف الأمصار امتناع الإمام الحسين (عليه السلام) عن البيعة، فالتجته إليه الأنظار وبخاصة مجتمع الكوفة الذي تفاعل معه بطريقة خاصة بحكم خلفيته وذاكرته التاريخية في دعم الإمام علي (عليه السلام)، وتجسد هذا التفاعل حين اجتمع وجهاء الكوفة في دار سليمان بن صرد الخزاعي (٦٥هـ / ٦٨٥م)^(٢)، الذي قام خطيباً بغالبية المجتمع الكوفي قائلاً: "إن معاوية قد هلك، وإن حسينا قد تقبض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعه أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتهم الوهل والفسل فلا

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥، ص ١١٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٠١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٣٥٤.

(٢) سليمان بن صرد بن أبي الجون الخزاعي، قيل أنه أسلم أيام النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان اسمه يسار واسمه النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) سليمان وبعد وفاة النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نزل الكوفة وشهد مع الإمام علي (عليه السلام) جميع حروبه، قاد حركة عرفت باسم التوابين ضد السلطة الأموية، بعد موت يزيد بن معاوية، وأطلقوا على أنفسهم التوابين، بعد أن لم يدركوا نصرته الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء واتخذوا من النخيلة بجانب الكوفة معسكراً لهم، وذلك في سنة ٦٥هـ وأخذ سليمان، يبعث لأصحابه ويذكر الناس بآثار الإمام الحسين (عليه السلام) حتى اجتمع عنده نحو ألف شخص، وانتهت الحركة بمعركة عرفت باسم عين الورد مع الجيش الأموي، التي قتل فيها. يُنظر: ابن الأثير، جامع الأصول، ج ١٢، ص ٤٤٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٥٤٨ - ٥٤٩؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ٣، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

تغروا الرجل من نفسه، قالوا: لا، بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه، قال: فاكتبوا إليه^(١)، فلم تكن الدعوة إلى النهضة على يزيد مجرد استجابة عقلانية لرفض توريث الحكم، بل جاءت تعبيراً عن رغبة المجتمع الكوفي، وفي الخصوص أتباع الإمام عليّ (عليه السلام) الذين رأوا في أمتناع الإمام الحسين (عليه السلام) عبارة عن تجسيد الأمل في التغيير لاستعادة العدالة.

ويمكن مناقشة الموضوع من وجهة نظر اجتماعية حديثة لتفسير رأي المجتمع حيث يرى العالم الفرنسي غوستاف لوبون أن أسباب الثورات لا تؤدي دوراً فاعلاً في تحريك الجماعات نحو التغيير ما لم تتحول إلى عواطف تحفز الفعل الاجتماعي؛ ذلك لأن المظالم وحدها حتى وأن كانت ظاهرة للعيان لا تكفي لأثارة حراك المجتمع، ما لم يقترن بالأمل المناهض للسلطة^(٢)، لذا يبدو إن مظالم الحكم الأموي كانت واضحة ومعروفة لدى المجتمع الكوفي، فلم يتحركوا في زمن معاوية رغم أدراكهم لأفعاله ومظالمه، إلا أن امتناع الإمام الحسين (عليه السلام) عن البيعة ورحيله إلى مكة مثل لحظة تحول عاطفي، فقد اجتمعت شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) كابن الإمام عليّ (عليه السلام)، مع سخطهم على الحكم الأموي، لتتحول إلى أمل بالخلاص من الاستبداد الأموي، وقد مهد لذلك التعبئة الشعبية الكوفية، إذ أجاب الحاضرون سليمان بن صرد قائلين: "بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه"^(٣)، وهذا الجواب الجماعي يثبت أن الوجدان هو محرك الجمهور الكوفي، إذ أن الأحداث الكبرى حين تمس الرمز العاطفي والديني للمجتمع كالإمام الحسين (عليه السلام) تتحول إلى طاقة ثورية يصعب ضبطها .

ومن المعروف أنّ الكوفيين كانوا وجهوا كتاباً إلى الإمام الحسين (عليه السلام) يعود إلى مرحلة مبكرة من تاريخ النهضة الحسينية ، بالتحديد بعد وفاة الإمام الحسن (عليه السلام) (٤٩هـ/ ٦٦٩م)، إذ ورد أن ممن كتب للإمام (عليه السلام) جعدة بن أبي هبيرة المخزومي^(٤)، حيث جاء في

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٢٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٢؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٣٦.

(٢) يُنظر: روح الثورات والثورة الفرنسية، ص ٢٥ .

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٢٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٢؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٣٦.

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٢١ - ٢٢٢؛ كما ورد باختلاف في البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٦٦.

رسالته: "فان من قبلنا من شيعتك متطلعه انفسهم إليك، لا يعدلون بك أحدا، وقد كانوا عرفوا رأي الحسن أخيك في دفع الحرب، وعرفوك باللين لأوليائك، والغلظة على اعدائك، والشدة في امر الله، فان كنت تحب ان تطلب هذا الأمر فاقدم علينا، فقد وطننا أنفسنا على الموت معك"^(١).

وقد رد عليه الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بكتاب عممه إلى جميع أفراد المجتمع الكوفيّ جاء فيه : "اما أخي فأرجو ان يكون الله قد وفقه، وسدده فيما ياتي، واما انا فليس رأيي اليوم ذلك، فالصقوا رحمكم الله بالأرض، واكمنوا في البيوت، واحترسوا من الظنة ما دام معاوية حيا، فلن يحدث الله به حدثا وانا حي، كتبت إليكم برأيي والسلام"^(٢)، أن الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لا يستطيع الخروج على السلطة الأموية ما دام معاوية على قيد الحياة وذلك وفقاً لبنود الصلح، كما انتظر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) سقوط الغلاف الديني الزائف الذي يتستر به معاوية لخداع المجتمع الإسلامي، وهو بهذا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لم ينفِ القابلية والاستعداد للقيام بالنهضة على الأمويين .

٢- النهج الديني :

عُرف عن معاوية شدة بغضه وعدائه للإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لذلك اتبع نهجاً دينياً قائماً على سب الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فاحتكر الأمويين منابر المساجد، وعملوا على اجبار الخطباء على سب الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(٣)، والتمجيد ببني أمية وسلطتهم، فتحوّلت بذلك المنابر إلى ترويض سياسي فأفرغت الدين من بعده المقاوم، وغيبت القدوة النبوية الحقة لصالح طاعة السلطان، وقامت

(١) جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو القرشي المخزومي، أمه أم هانئ بنت أبي طالب، يقال إنه ولد على عهد النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، شارك في معارك الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وقد قال له عتبة بن أبي سفيان: (إنما لك هذه الشدة في الحرب من قبل خالك فقال له جعدة لو كان خالك مثل خالي لنسيت أباك)، ولاه الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) على خراسان. يُنظر: الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج ١، ص ٢٨١؛ بن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ١٢١؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ١، ص ٥٩٠؛ ابو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ٤، ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٢١ - ٢٢٢؛ كما ورد باختلاف في البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٦٦؛ علي الكوراني، جواهر التاريخ، ج ٣، ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٣) يُنظر: ابن حنبل، مسند احمد، ج ٣، ص ١٨٥؛ ابن ابي عاصم، السنة، ج ٢، ص ٦١٨؛ الأصبهاني، حلية الاولياء، ج ١، ص ٩٦ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

بقمع الجماعات الدينية المقاومة، كما أوصى ولاته بتنفيذ سياسته وهذا ما يتضح في وصيته للمغيرة بن شعبة عندما ولاه على الكوفة سنة (٤١هـ/٦٦١م) إذ قال له "لست تاركا إيصاءك بخصلة: لا تترك عن شتم عليّ وذمه، والترجم على عثمان والاستغفار له"^(١).

كما عُرف عن زياد بن أبيه شدة عداوته لأتباع الإمام عليّ (عليه السلام) فكان يجبر المجتمع الكوفيّ على سب الإمام عليّ (عليه السلام) والسعي إلى قمعهم بكل وسيلة، في سياسة تهدف إلى إذلال وقمع المعارضة العلوية ومحاولة السلطة الأموية إلى طمس مكانة الإمام عليّ (عليه السلام) في الوعي الجمعي، وكان من أبرز الجرائم التي ارتكبتها هو قتل الصحابي حبر بن عدي الكنديّ وأصحابه، الذي أعترض على سياسة الولاة، فقد احتج على المغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه لانهما كانا يسبان الإمام عليّ (عليه السلام) في مسجد الكوفة، فقرر زياد بن أبيه القبض عليه، وأستعان بالقبائل اليمنية المستقرة في الكوفة وندبهم لمهمه ملاحقه حبر والقبض عليه، لكنهم لم يظفروا به^(٢)، وقد وجهت إليه تهمة بتدبير أبو بردة بن أبي موسى الأشعري^(٣) الذي شهد هو ومجموعة من الأفراد^(٤)، أن حبر قد خلع الطاعة وفارق الجماعة ودعا إلى الحرب والفتنة ولعن الخليفة وجمع حوله الجماهير وحرّضهم على نكث البيعة وخلع معاوية، وكفر بالله^(٥)، وقد هدد زياد بن أبيه أشراف وزعماء القبائل وحذرهم من مغبة مساندة حبر بن عدي وتوعدهم قائلاً: " يا

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٥٣-٢٥٤؛ مقاتل ابن عطية، أبهى المداد، ج ٢، ص ١٠٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٦٩.

(٢) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٦١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٧١-٧٢.

(٣) عامر بن عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري الفقيه، تولى قضاء الكوفة بعد شريح القاضي، كان أبو بردة يأتيه قاتل عمار بن ياسر أبو غادية الجهني فيقول مرحباً باخي ويجلسه بجانبه. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٣٨٦؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٠؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ٣٣، ص ١٤٥؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج ١٥، ص ١٢٨.

(٤) شهد عليه سبعون رجلاً منهم: عمرو بن الحريث، وخالد بن عرفطة، وقيس بن الوليد، وإسحاق وموسى ابنا طلحة بن عبيد الله، والمنذر بن الزبير، وعمار بن عقبة بن أبي معيط، وعمرو بن سعد بن أبي وقاص، وعامر بن مسعود بن أمية بن خلف، ومحرز بن جارية بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس، وعبيد الله بن مسلم ابن شعبة الحضرمي، وعناق بن شرحبيل بن أبي دهم، ووائل بن حجر الحضرمي، وشبث بن ربعي، وعمرو بن الحجاج الزبيدي، وشمر بن ذي الجوشن وغيرهم. يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٥) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٦٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٦٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٧٨.



أَهْلَ الْكُوفَةِ تَشْجُونَ بِيَدٍ وَتَأْسُونَ بِأُخْرَى^(١)! أَبْدَانُكُمْ مَعِيَ وَقُلُوبُكُمْ مَعَ حُجْرٍ...! هَذَا وَاللَّهِ مِنْ دَحْسِكُمْ^(٢)، وَدَسِكُمْ، وَاللَّهِ لِيُظْهِرَنَّ لِي بَرَاءَتَكُمْ أَوْ لَا تَبِينَنَّكُمْ بِقَوْمٍ أَقِيمَ بِهِمْ أَوْدَكُمْ وَصَعْرَكُمْ^(٣)! (٤).

أفلح زياد في تهديده لزعماء القبائل الذين قاموا بدورهم بتخذيّل أفراد قبيلتهم من مساندة حجر أو الدفاع عنه، وقد سير حجر واصحابه إلى الشام ليسجنوا فيها ولينظر معاوية في أمرهم، وعندما وصلوا إلى منطقة مرج عذراء^(٥)، أرسل إليهم معاوية أكفان وأمر أن يعرض عليهم أن يلعنوا الإمام عليّ (عليه السّلام) ويظهرون البراءة منه وعندما رفضوا قتل حجر واصحابه سنة (٥١هـ/٦٧١م)^(٦)، رغم مكانتهم ووجاهتهم في المجتمع الإسلامي .

أن سياسة السلطة الأموية كانت قائمة على القمع والتصفية لكل معارض ديني أو سياسي، فمارست القتل خارج إطار القانون الشرعي والقضائي، فلم يكن قرار قتل حجر بن عدي ناتجاً من محاكمة أو تهمة موثقة وإنما كان قراراً سياسياً بحثاً، وهذا ما أكده معاوية بذاته حين قال: "ما قتلت احداً الا وأنا اعلم فيم قتلته الا حجر فاني لا اعرف فيم قتلته"^(٧)، وقد ادان القرآن الكريم هذا النهج من الاستخفاف بالنفس البشرية إذ يقول الله تعالى ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٨)، فحجر كان من عباد الله الصالحين الذين ينكرون الظلم ومن صحابة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، إلا أن ولاءه وتشيعه للإمام عليّ (عليه السّلام) من منطق السلطة كان مبرراً كافياً لقتله صبراً، وأن معاوية وعامله زياد بن أبيه قد وجدوا مسوغات

(١) مثل عربي، ومعناه إذا أفسد مرةً وأصلح مرةً. يُنظر: الزمخشري، اساس البلاغة، ج ١، ص ٤٩٤ .

(٢) الدحس: الإفساد والدس. يُنظر: ابن الجوزي، غريب الحديث، ج ١، ص ٣٢٦.

(٣) الأود: الاعوجاج، والصعر: الميل بالخذ تهاوناً واستكباراً. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٧٥، و ج ٤، ص ٤٥٦ .

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٥٧-٢٥٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٧٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٧، ص ٢٢٦ .

(٥) يقع مرج عذراء بالشام على مقربة من دمشق بينهما اثنا عشر ميلاً . يُنظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٦.

(٦) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٦٦-٢٦٧؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٥، ص ٢١٢٥-٢١٢٦ .

(٧) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٢، ص ٢٢١؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٥، ص ٢١٢٧ .

(٨) سورة المائدة، الآية ٣٢.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

لممارساتهم القمعية عبر الشهود كما ورد سابقاً، تتضمن الاتهام بنكث البيعة والخروج على الجماعة، فكانت القوة هي مصدر القرار السياسي في السلطة الأموية، كما عملت على تشريد الموالين منهم الصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي^(١) وقتله وحمل رأسه إلى زوجته التي كانت مسجونة في الشام^(٢)؛ وذلك بسبب اعتراضهم على الإساءة إلى الإمام عليّ (عليه السلام) ورفضهم الانصياع لهذا السب، ومن شدة عداوة وحنقه على الإمام عليّ (عليه السلام) جمع مجتمع الكوفة وعرض عليهم لعن الإمام عليّ (عليه السلام) والبراءة منه، لكن الله عاجلة بالمرض فأصيب بالطاعون^(٣).

أثار مقتل حجر بن عدي وأصحابه موجة كبيرة من السخط والاستنكار في أوساط المجتمع الإسلامي ضد الدولة الأموية، وقد كان الإمام الحسين (عليه السلام) من ابرز المعترضين على قتل حجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي وقد عبّر عن ذلك بتوجيه كتاب إلى معاوية قال فيه: "ألست قاتل حجر بن عدي أخي كندة وأصحابه الصالحين المطيعين العابدين، كانوا ينكرون الظلم، ويستعظمون المنكر والبدع، ويؤثرون حكم الكتاب، ولا يخافون في الله لومة لائم، فقتلتهم ظلماً وعدواناً، بعدما كنت أعطيتهم الإيمان المغلظة، والمواثيق المؤكدة، أو لست قاتل عمرو ابن الحمق صاحب رسول الله، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فصفرت لونه، ونحلت جسمه، بعد أن أمنت وأعطيته من عهود الله عز وجل وميثاقه.....، ثم قتلته جرأة على الله عز وجل، واستخفافاً بذلك العهد"^(٤)، كما أنبت السيدة عائشة معاوية لقتله حجر أذ قالت له: أما

(١) عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب بن عمرو بن القين بن خزاعة، من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) واليه وسلم، نزل الكوفة وشهد مع الإمام عليّ (عليه السلام) جميع مشاهدته، قتله عبد الرحمن ابن أم الحكم بالجزيرة، وأن أول رأس حمل في الإسلام رأس عمرو بن الحمق. يُنظر: ابن سعد الطبقات، ج ٦، ص ٥؛ ابن قانع، معجم الصحابة، ج ٢، ص ٢٠١.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٨٢؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٦٩، ص ٤٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢١٩.

(٣) يُنظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٩، ص ٢٠٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٥، ص ٢٦٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٤٨٩.

(٤) الطبرسي، الإحتجاج، ج ٢، ص ٢٠؛ كما ورد باختلاف في البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ١٢٩.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

خشيت الله في ارتكابك جريمة قتل حجر وأصحابه؟! فأجابها مبرراً بأنه ليس هو الذي قتلهم، إنما قتلهم من شهد عليهم^(١).

كما عمل معاوية على تقريب الفقهاء، فقرب منه شريح القاضي^(٢) الذي لم يعصم نفسه من تأثير السلطة واللاهث وراء الامتيازات، فقد كان من بين الذين شهدوا زوراً ضد حجر بن عدي الكندي فتسببوا بقتله من قبل معاوية^(٣)، كما كان مقرباً من عبيد الله بن زياد^(٤)، وتتجلى تبعيته للسلطة الأموية في حادثة اعتقال هاني بن عروة المرادي عندما تجمعت عشيرة هاني أمام قصر الإمارة منددين بسجن زعيمهم، فلجأ عبيد الله إلى شريح ليستعين به في تهدئة الموقف وانفضاض الجماهير من حول القصر، فدخل شريح على هاني بن عروة فوجده مثخناً بالجراح وآثار التعذيب ظاهرة على جسده، وقد أوصاه هاني أن يبلغ عشيرته بالحقيقة وألا يتركوه، غير أن شريح، وبعد أن خرج من عنده، قصد عبيد الله بن زياد ثم واجه الجماهير المتجمعة بخطاب تخويف وتهديد، قائلاً: " ما هذه الرعة السيئة؟ الرجل حي، وقد عاتبه سلطانه بضرب لم يبلغ نفسه، فانصرفوا ولا تهلکوا بأنفسكم ولا بصاحبكم"^(٥) فانصرفوا على إثر كلامه، ليتحوّل شريح من رمز للعدل إلى أداة لتثبيت سلطة الظلم والقهر.

٣- النهج الاقتصادي:

تحولت السلطة في العصر الأموي من دولة راعية للمجتمع إلى مستنزفه له، إذ لم يكتفِ معاوية بما كان يأتيه من واردات العراق، وإنما عمد على الاستيلاء ومصادرة أملاك وضياع الملوك

(١) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٧٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٧٩؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ١، ص ٣٣١.

(٢) شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، قيل إنه من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن، أسلم في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم يثبت له صحبة، وانتقل من اليمن إلى العراق في خلافة أبي بكر، وقد ولّاه عمر بن الخطاب قضاء الكوفة، فاشتهر بها، وقيل إنه تولّى القضاء ستين سنة، كما تولّى القضاء بالبصرة سنة واحدة، ووفد على معاوية في دمشق، فكان يُقال له: قاضي المصريّن (الكوفة والبصرة)، توفي سنة ٧٨ هـ. يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ١٠٠؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٣٢٦.

(٣) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٧٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٧٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٣٣٥.

(٤) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٤٩؛

(٥) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٤٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٦١؛ محمد عباس الطائفي، سياسة الترغيب، ص ١٥٥ - ١٥٦.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

وضمها إلى نفسه واقطاعها إلى أهل بيته واتباعه، وقد أستغل هذه الأموال في تثبيت حكمه وتدعيم علاقاته وقمع المعارضين للسلطة^(١)، ونقل بيت المال من الكوفة إلى دمشق، وعمل على زياده عطاء مجتمع الشام لكسب ودهم وولائهم، وبالمقابل أنقص من عطاء مجتمع العراق لإذلالهم، فقد فوض معاوية لنفسه كل شيء وهذا ما يتضح من خلال قوله: "الأرض لله وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركت منه كان جائزاً لي"^(٢)، وهذه من آراء الفرقة الجبرية التي تبتها الدولة الأموية أداة تبريرية لممارساتها، ذلك لأن وفق منظور هذه الفرقة أن السلطة تحدد من قبل الله، والخليفة هو خليفة الله وعلى المجتمع الطاعة والخضوع للسلطة .

مثّلت السياسة الاقتصادية التي تبنتها السلطة الأموية امتداداً لاستراتيجيتهم السياسية في تثبيت أركان السلطة، فقد تعمدت إلى خلق أزمات معيشية وقطع أرزاق الخصوم، فأصاب المجتمع مجاعات وازمات كبيرة وهذا ما عبر عنه الأحنف بن قيس أحد زعماء البصرة حين أرسل إلى معاوية رسالة مفادها : "خبزاً خبزاً، تمرّاً تمرّاً، فإن الشعبان لا يجاوز همه سفوان"^(٣)، وإن الجائع لا يجاوز همه عسفان^(٤)^(٥)، وأن معاوية خطب ذات يوم " فقال إن الله يقول في كتابه: ﴿وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾"^(٦) فعلام تلومونني إذا قصرت في أعطياتكم؟، فقام له الأحنف بن قيس وبين له احتكاره للمال العام إذ قال: فجعلته أنت في خزائنك، وحلت بيننا وبينه"^(٧).

(١) يُنظر: اليقوي، تاريخ اليقوي، ج٢، ص ٢٣٤ .

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٤٣؛ كما ورد باختلاف بسيط في : البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٢٧؛ العمري، مسالك الأمصار، ج٢٤، ص ٣٥١.

(٣) سفوان : ماء على قدر مرحلة من باب المريد بين ديار بني شيبان وديار بني مازن على أربعة أميال من البصرة، ومكان سفوان من البصرة كمكان القادسية من الكوفة، وسفوان أيضاً واد بقرب بدر. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٢٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٢٧.

(٤) عسفان: بلد بين مكة والمدينة، بينها وبين مكة تسعة وأربعون ميلاً، وبينها وبين البحر عشرة أميال، وفيها آبار عذبة، وعسفان كثيرة الأهل خصيبة، ماؤها من الآبار، سميت عسفان لتعسف السيل فيها. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ١٢٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٢١.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١٢، ص ٣٢٩.

(٦) سورة الحجر، الآية ٢١ .

(٧) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج٩، ص ٨٤؛ الآبي، نثر الدر، ج٥، ص ٣٥.

الفصل الثالث تباین الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

استطاع معاوية استيعاب خصومه واستمالتهم من خلال الإكرام المالي، فقد تعمد إلى التقرب من الشخصيات المعارضة ذات الثقل في المجتمع، إذ كسب الأحنف بن قيس الذي كان سيد بني تميم وأحد رجالات البصرة الكبار، وقد أدرك معاوية مكانته وتأثيره العميق على قومه، فيذكر أنه إذا غضب غضبوا لغضبه مائة ألف رجل من قومه لا يعلمون فيما غضب^(١)، كان الأحنف من خصوم معاوية في صفين (٣٧هـ / ٦٥٧م)^(٢)، لذلك سعى معاوية في احتوائه، في محاولة لتفكيك الجبهة المعارضة في البصرة من خلال استماله رموزها.

وفد سنة (٥٠ هـ / ٦٧٠م) جماعة على معاوية بينهم الأحنف بن قيس والحتات بن يزيد^(٣)، ولقد منح معاوية للأحنف بن قيس جائزة مالية مقدارها مائة ألف درهم، كتقدير سياسي يهدف إلى كسبه أو تحييده، فيما قلل من عطاء الحتات إذ أعطاه سبعين ألفاً، فاعترض على معاوية قائلاً: ألسنت من أشرف تميم؟ أليست لي طاعة في قومي؟ فما بالك خفصتني دون قومي، فرد عليه معاوية كاشفاً عن جوهر سياسته بقوله: "إني اشتريت من القوم دينهم ووكلتك إلى دينك ورأيك في عثمان، فقال الحتات: وأنا فاشتر مني ديني"^(٤)، يتبين من النص، كيف وظف معاوية الأموال لإعادة تشكيل الولاءات في المجتمع الإسلامي، خصوصاً في العراق، الذي كان يمثل بؤرة مقلقة للسلطة الأموية، كما يتبين أن الحتات كان عثمانياً فلم يكن معاوية بحاجة إلى شرائه، بينما الأحنف كان ممن أعتبر أقرب إلى الإمام عليّ (عليه السلام) فيستوجب شراء صمته وولائه .

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٥٠٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٧٨٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٢٠٦ .

(٢) يُنظر: الضبي، أخبار الوافدين من الرجال، ص٤٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٩، ص٨٦؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٦، ص١٣٤ .

(٣) الحتات بن يزيد بن علقمة بن حويّ بن سفيان بن مجاشع التميمي، قدم على رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مع وفد من بني تميم وأسلم، ووفد على معاوية فمات وقد أمر له بصلة فلم يقبضها. يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١٢، ص١٠٧، ابن دريد، الاشتقاق، ص٢٤١-٢٤٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٢، ص٤٧٠ .

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٢٤٣-٢٤٢؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٠، ص٢٧٨-٢٧٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٤-٦٥ .

كما أستخدم المغيرة بن شعبة سلاح التجويع السياسي لإعادة تشكيل الولاء والخضوع وإجبار المجتمع على الطاعة، حيث حبس العطاء عن غالبية المجتمع الكوفي، وهذا ما يتضح من خطاب حجر بن عدي الكندي لوالي الكوفة المغيرة إذ قال له "مُرْنَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بِأَرْزَاقِنَا فَقَدْ حَبَسَتْهَا عَلْنَا وَلَيْسَ ذَلِكَ لَكَ"^(١).

كما طبق زياد بن أبيه على مجتمع العراق نظامًا اقتصاديًا قائمًا على الجباية^(٢) القسرية والنهب الممنهج لموارد البلاد، حيث أتبع سياسة التهريب لتحصيل الأموال من مجتمع العراق، فقد سخر أدوات السلطة لضمان تدفق الثروات إلى خزينة الدولة الأموية في دمشق، وتبرز هذه السياسة في خطابه لمعاوية حين قال له متفاخرًا: "دوخت لك العراق، وجبيت لك برها وبحرها، وغثها وسمينها، وحملت لك لبها وقشرها"^(٣)، أدرك الأمويين أهمية المال في حياة المجتمع لذلك اعتمدت عليه لإفقار المجتمع عمومًا والمعارضين خصوصًا كي يكونوا أداة طيعة بيد الحكام الأمويين من خلال اتباعهم أسلوب الجباية.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٥٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٧٠؛ ابن خلدون، العبر، ج ٣، ص ١٣.

(٢) الجباية: هي تحصيل الأموال العامة من مصادرها التي فرضت شرعًا أو عرفًا، كالزكاة، الخراج، الجزية، والعشور. يُنظر: ابن الأثير، النهاية، ج ١، ص ٢٣٨.

(٣) الفضل بن شاذان، الإيضاح؛ ص ٦٥١؛ الجهشيري، الوزراء والكتاب، ص ٢٣-٢٤؛ الخالدي، التحف والهدايا، ص ٣٨؛ الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج ١، ص ٥٠١.

المبحث الثالث

تباین الموقف المجتمعيّ في الكوفة والبصرة من النهضة الحسينية

اولاً: موقف مجتمع الكوفة من النهضة الحسينية

أقام الإمام الحسين (عليه السلام) في مكة المكرمة (من ٣/ شعبان) وحتى (٨ ذي الحجة من سنة ٦٠ هـ) أي ما يقارب (١٢٥) يوماً التي تعد من أطول فترات النهضة الحسينية ، أتخذ خلالها موقفاً واضحاً للعيان برفض بيعة يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٤ هـ / ٦٧٩ - ٦٨٣ م) نابغاً من قناعاته بانحراف السلطة الأموية ولما لها أثر في التسبب في انحراف المجتمع عن المبادئ الإسلامية، واعتبار أنّ تولي الأخير للخلافة يعتبر انتهاكاً واخلالاً لشروط بنود صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية، وتعدّياً على مبدأ الشورى إذ جاء في قوله تعالى ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾^(١)، وقال ايضاً ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٢).

رأى الإمام الحسين (عليه السلام) أن تولي يزيد للخلافة المعروف بالفسق والانغماس في اللهو، يشكل تهديداً مباشراً لهوية المجتمع الإسلامي، لذلك أستند (عليه السلام) إلى وعي ديني عميق بمبدأ المسؤولية الاجتماعية الذي ورد في قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"^(٣)، ومن هنا انطلق الإمام الحسين (عليه السلام) بوصفه الصوت النائر الصادح بالحق، محاولاً تنبيه الأمة الإسلامية إلى خطورة المرحلة، داعياً المجتمع الإسلامي إلى القيام بمسؤوليته في مواجهة الظلم والانحراف، فكانت نهضته (عليه السلام) عملاً مكرس لتحرير الروح الإنسانية من العبودية والقيود التي تكبل العقل البشري من الداخل والخارج .

(١) سورة الشورى، الآية ٣٨ .

(٢) سورة ال عمران، الآية ١٥٩ .

(٣) مالك، موطأ مالك، ج ١، ص ١٠٦؛ ابن حنبل، مسند احمد، ج ١٠، ص ٢٢٠؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، ص ٥؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٤٥٩ .

هنالك مقولة مأثورة لطالما ترددت بين أوساط المجتمع في الماضي أو الحاضر ألا وهي إذ فسد الراعي فسدت الرعية، فقد كان يزيد بشهادة معاصريه شخصية لا تمتلك المؤهلات الدينية والأخلاقية التي تخوّله لتولي شؤون الأمة الإسلامية، إذ كان سلوكه يمثل خروجاً على تعاليم الإسلام، فقد بين الإمام الحسين (عليه السلام) شخص يزيد إذ قال: "يزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، ملعن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله"^(١)، كما وصف عبد الله بن حنظلة^(٢) في واقعة الحرة سنة (٦٣هـ / ٦٨٢م) سلوك يزيد المنحط إذ قال: "وَاللّٰهُ مَا خَرَجْنَا عَلَىٰ يَزِيدَ حَتَّىٰ خَفْنَا أَنْ نَرْمِيَ بِالْحِجَارَةِ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَانَ رَجُلًا يَنْكُحُ أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ وَالْبَنَاتِ وَالْأَخَوَاتِ وَيَشْرِبُ الْخَمْرَ وَيَدْعُ الصَّلَاةَ"^(٣).

كان تجاوب المجتمع الإسلامي مع أهداف النهضة الحسينية الإصلاحية بشكل عام محدوداً؛ وذلك نتيجة لسياسة الترويض والتخويف التي كرستها السلطة الأموية، فضلاً عن أن هنالك فئة من المجتمع كانت مستفادة إلى حد ما من السلطة الأموية من خلال الامتيازات التي تمنح لها، وبالتالي أضعفت فاعلية الجمهور الإسلامي وافقدته القدرة على المبادرة والتغيير، وفي خضم هذا الجمود والسكون، كانت الكوفة المدينة الوحيدة التي ابدأ مجتمعها تفاعلاً مع دعوة الإمام الحسين (عليه السلام)، إذ توافدت الرسائل إليه من شخصيات كوفية عدة تعلن الولاء والدعم، فقد كتب المجتمع الكوفي رسالة إلى الإمام الحسين (عليه السلام) وحملت أسم كل من سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة (ت ٦٥هـ / ٦٨٥م)^(٤)، ورفاعة بن شداد (ت ٦٦هـ / ٦٨٦م)^(١)، وحبيب بن

(١) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص ١٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٧؛ محمد جواد مغنية، الحسين وبطلة كربلاء، ص ١٣٤.

(٢) عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الراهب الأنصاري، أمه جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول، ولد في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) واليه (وَسَلَّمَ)، بايعه أهل المدينة وخلصوا يزيد واطهروا عبيه، لكن تمكن الأخير من اخماد ثورة أهل المدينة عندما ارسل مسلم بن عقبة المري الذي استباح المدينة ثلاثة أيام وقد قتل فيها عدداً من الصحاب بينهم عبد الله بن حنظلة سنة (٦٣هـ). يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ٢٨٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٢١٩؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ٤، ص ٥٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٦٦؛ مقاتل بن عطية، أبهى المداد، ج ٢، ص ٦١٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٦، ص ١٩؛ لبيب بيضون، موسوعة كربلاء، ج ٢، ص ٦٩٧.

(٤) المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رباح الفزاري، من وجوه الشيعة ووجهاء الكوفة، يُعدّ من أصحاب الإمام علي (عليه السلام)، ومن من أصحاب الإمام الحسن (عليه السلام) أيضاً، وقد عُرف بالزهد والتقوى، شارك في جميع =حروب الإمام علي (عليه السلام) ونصره فيها، لكنه لم يُوقَف في نصرته الإمام الحسين (عليه السلام)، وبعد الواقعة

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

مظاهر الأسدي، ومسلم بن عوسجة (ت ٦١هـ/ ٦٨٠م)^(٢) وكان مضمون الرسالة هو : "الحمد لله الذي قصم عدوك الجبار الغنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعدا له كما بعدت ثمود! وليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان ابن بشير^(٣) في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام"^(٤) .

التحق بحركة التوابين، وكان من أبرز قادتها، وقُتل في معركة عين الورد سنة ٦٥هـ. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٢١٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٥٥٢ - ٥٥٣، ص ٥٩٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٤٨، أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١٩، ص ١٨٠.

^(١) رفاعه بن شداد بن عبد الله بن قيس البجلي الكوفي، كان من فقهاء الكوفة وشعرائها، ويُعدّ من أصحاب الإمام عليّ (عليه السلام)، حيث شهد معه معركة صفّين، كما كان من أصحاب الإمام الحسن (عليه السلام) بعده، غير أنّه تخلف عن نصرته الإمام الحسين (عليه السلام) يوم كربلاء، شأنه شأن كثير من وجهاء الكوفة الذين قصّروا في أداء واجبهم، إلا أنّه ما لبث أن التحق بحركة التوابين، واشترك في معركة عين الورد، لكنه لم يُقتل فيها. ثم التحق بعد ذلك بثورة المختار الثقفي، واستمرّ معه حتى قُتل مع المختار. يُنظر: ابن الكلبي، =جمهرة النسب، ج ٢، ص ١٨٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٥٥٢ - ٥٥٣؛ ابن دريد، الاشتقاق، ص ٥٢٠؛ أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ٨، ص ٢٠٣.

^(٢) مسلم بن عوسجة بن ثعلبة الأسدي السعدي، ممن شهد فتوح أذربيجان، من أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) والمستشهدين بين يديه في كربلاء، كان من أوائل أنصار الحسين (عليه السلام) الذين سقطوا شهداء يوم عاشوراء، وقف قبل ذلك مع مسلم بن عقيل في الكوفة، فلما قبض على مسلم وهاني بن عروة تخفّى مسلم بن عوسجة حتى لا يقع في يد ابن زياد، ثم تمكن من الالتحاق بالإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، وقد عُرف بشجاعته وفروسيته وصدق ولّائه. يُنظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٣٦؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٧٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٦٢، ص ٤٣٥.

^(٣) النعمان بن بشير بن سعد من بني الحارث الخزرجي، أمه عمرة بنت رواحة، يقال كان أول مولود من الأنصار ولد في المدينة بعد هجرة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، هو من حمل قميص عثمان بن عفان إلى معاوية، عد من المنحرفين عن الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إذ كان على سر أبيه فكان ابوه بشير بن سعد من خصوم الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فقد كان هو من طعن بالأنصار حسداً بسعد بن عباد ودعا لبيعة ابي بكر لذلك اصبح موضع رضا للخلفاء، شارك النعمان في معركة صفين إلى جانب معاوية، اصبح والياً على الكوفة لمعاوية ثم عزله يزيد بعد ثورة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، بعد موت يزيد ٦٤هـ دعا النعمان لابن الزبير وكان عاملاً على حمص، فلما تولى مروان بن الحكم الخلافة أراد أن يهرب، فطلبه أهل حمص وقبضوا عليه واحتزوا رأسه والقوا رأسه في حجر زوجته وذلك في سنة (٦٤ هـ). يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٥٣؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٨٣؛ ابن عسك، تاريخ دمشق، ج ٦٢، ص ١١٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٧.

^(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٢٩ - ٣٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٦٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٢؛ محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين، ص ١٤٦.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

تكشف رسالة أهل الكوفة إلى الإمام الحسين (عليه السلام) سنة (٦٠هـ / ٦٧٩م) عن أدراكهم المبكر لانحراف الحكم الأموي، وتجسيد واضح لحالة السخط الشعبي على الواقع القائم، إذ أجمعت الرسالة التي وقعها كبار وجهاء الكوفة على رفض شرعية يزيد، ووصفت نظام حكم معاوية بأنه ابتز الأمة أمرها، وغصبها فيئها، وتآمر عليها بغير رضا منها، وقتل خيارها، مع إعلانهم لحالة الفراغ القيادي بقولهم ليس علينا إمام، ودعوة مباشرة للإمام الحسين (عليه السلام) ليقوم بهذا الدور، لكن من الملاحظ أن هناك تبايناً بين وعي الجمهور الكوفي والهدف الإصلاحي للثورة الحسينية، إذ أن مضمون الرسالة هدف سياسي يقتصر على قيادة سياسية بديلة تعيد لهم الحكم العادل وتزيج عنهم الحاكم الظالم واستبداله بحاكم شرعي، بينما ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) لم تكن مجرد ردة فعل سياسية على حكم يزيد، إنما مشروعاً إصلاحياً أخلاقياً ودينياً، وهذا ما تضمنه خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) إذ قال: "إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب النجاح والإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر"^(١)، أستهدف من خلاله (عليه السلام) إحياء روح الإسلام في المجتمع الإسلامي، وتخليصه من حالة الانحطاط والانقياد الاعمى التي كرستها السلطة الأموية، وأراد (عليه السلام) تغييراً جذرياً في الوعي والسلوك المجتمعي للأمة حتى لو أدى ذلك إلى الشهادة .

وقد توافدت الكتب على الإمام الحسين (عليه السلام) وتكاثرت حتى ورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب^(٢)، وضمن سيل الرسائل التي وردت على الإمام الحسين (عليه السلام) من الكوفة ، تلقى رسالة من بعض الأفراد الذين شكلوا لاحقاً العمود الفقري للسلطة الأموية في الكوفة هم كل من: شبيب بن ربعي^(٣) (ت ٦٧هـ / ٦٨٦م) ، وحجار بن أبجر العجلي^(١) (ت)، ويزيد بن الحارث

(١) ابن اعثم، الفتوح، ج ٥، ص ٢١؛ الهاروني، تيسير المطالب، ص ١٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ١، ص ٢٧٣.

(٢) يُنظر: ابن طاووس، اللهوف، ص ٢٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٣٦؛ لبيب بيضون، موسوعة كربلاء، ص ٤٤٥ .

(٣) شبيب بن ربعي بن حصين التميمي اليربوعي، شخصية متقلبة المواقف، كان في بداية أمره من أتباع سجاح بنت الحارث التميمية التي ادعت النبوة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة ١١هـ ، بل كان مؤذنها، ثم أسلم بعد ذلك، عُرف بمواقفه المتناقضة؛ فقد حرّض أهل الكوفة على عدم الالتحاق بالإمام علي (عليه السلام) في وقعة الجمل، ثم شارك بعد ذلك مع الإمام علي (عليه السلام) في معركة صفين، وبعد قضية التحكيم مال إلى الخوارج، غير أنه عاد لاحقاً إلى صف الإمام علي (عليه السلام) فقاتل معه في النهروان، وكان من الذين كتبوا

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

الشيبياني^(٢) (ت ٦٨ هـ / ٦٨٨ م)، وعزرة بن قيس^(٣) (ت)، وعمرو بن الحجاج الزبيدي، جاء فيها : "أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ اخْضَرَ الْجَنَابُ^(٤)، وَأَيَّنَعَتِ الثِّمَارُ وَطَمَّتِ^(٥) الْجِمَامُ^(١)، فَإِذَا شِئْتَ فَأَقْدُمْ عَلَى جُنْدٍ لَكَ

=رسائل إلى الإمام الحسين (عليه السلام) يدعونه للقدوم إلى الكوفة، لكنه نكث العهد، بل التحق بجيش عمر بن سعد، وكان من المشاركين في حرب الإمام الحسين (عليه السلام) بواقعة الطف. يُنظر: ابن سعد الطبقات، ج ٦، ص ٢١٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٧٤، ج ٤، ص ٥٧٣، ج ٥، ص ٨٥، ص ٣٥٣؛ الدارقطني، المؤتلف والمختلف، ج ٣، ص ١٤١٢؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ١٢، ص ٣٥١.

(١) حُجَار بن أبجر بن جابر بن بجير العجلي، من أشرف الكوفة ورؤسائها، كان أبوه نصرانيًا وتوفي في أواخر خلافة الإمام علي (عليه السلام)، اشتهر حُجَار بدوره السلبي؛ فقد شارك - بطلب من زياد بن أبيه - في الشهادة ضد حُجَر بن عدي الكندي وأصحابه، مما أدى إلى أن يُقدّم معاوية على قتلهم، وكان حُجَار أيضًا من الذين كتبوا إلى الإمام الحسين (عليه السلام) يدعونه إلى القدوم للكوفة والقيام بالثورة، غير أنه عند قدوم عبيد الله بن زياد إلى الكوفة انقلب على موقفه، فسعى بتفريق الناس عن مسلم بن عقيل، ثم ولّاه ابن زياد قيادة ألف فارس ورجل ليلتحق بجيش عمر بن سعد في كربلاء، وقد ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) اسمه مع جماعة ممن راسلوه، فواجهه (عليه السلام) بتلك الرسائل، إلا أن حُجَار أنكر فعلته ونفى أن يكون كتب إليه. يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٣٠، ص ١٣٢؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٢٣١؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٧٠، ص ٣٩٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٣، ص ٤٢٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٢، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) يزيد بن الحارث بن رويم الشيبياني، أسلم على يدي الإمام علي (عليه السلام)، وكان أحد أفراد شرطة الإمام علي (عليه السلام)، ويعد أحد أشرف الكوفة وزعمائها، وكان من ضمن الجماعة التي كتبت للإمام الحسين (عليه السلام)، تدعوه للمجيء إلى الكوفة إلا أنه جاء مع جيش ابن سعد إلى كربلاء القتال للإمام الحسين (عليه السلام)، وفي يوم عاشوراء ذكره الإمام (عليه السلام) بما كتبه هو وجماعة من أشرف الكوفة، فأذكر ابن الحارث دعوته وقال: لم نفعل. يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٢٣، ص ٥٠٤؛ ابن أعثم، الفتوح، ج ٥، ص ٦٥؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ١٤٥.

(٣) عزرة بن قيس بن عزية الأحمر البجلي الكوفي، كان في بداياته من عمال حكومة أبو بكر وعمر بن الخطاب، ثم برز اسمه في أحداث الكوفة زمن النهضة الحسينية، إذ كان من الذين كتبوا إلى الإمام الحسين (عليه السلام) يدعونه إلى القدوم إلى الكوفة ومبايعته، لكنه سرعان ما نكث عهده وانقلب على موقفه، ولما تحرك عبيد الله بن زياد لمواجهة الإمام الحسين (عليه السلام)، كان عزرة في جيش عمر بن سعد، وقد ولّاه على قيادة الخيالة يوم عاشوراء، وبعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه، أسندت إليه مهمة حمل رؤوس الشهداء إلى الكوفة وتسليمها إلى ابن زياد. يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ج ٢، ص ٣٧٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣١٠، ص ٣٢٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٣٨.

(٤) اخضر الجناب: اخضرت الناحية. يُنظر: ابن دريد، الاشتقاق، ص ٢١٢؛ ابن الإفليبي، شرح شعر المتنبي، ج ٢، ص ٥٣، ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٢٧٨.

(٥) طمت: ارتفعت. يُنظر: ابن السكيت، إصلاح المنطق، ص ١٠٨؛ أبو نصر الجوهري، الصحاح، ج ٦، ص ٢٤١٥؛ ابن أبي زمنين، تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٤٤.



الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

مُجَنَّد^(٢)، يتبين من النص بأنهم قد كونوا صورة لإيهام الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) باستعداد المجتمع الكوفي للثورة، لكن الواقع خلاف ذلك، بدليل أن هؤلاء كانوا من أبرز من خذل الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام)، وشاركوا في مقتله في كربلاء، وهذا يدل على أن الرسائل التي كتبت للإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) لم تكن جميعها نابعة من قناعة أو مشروع اصلاحي، بل بعضها كان نتيجة العاطفة أو استثمار سياسي دون الالتزام بالقيم والولاء الثابت .

وبذلك حصل الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) على تكليف شرعي من المجتمع الكوفي، وبما أنه (عَلَيْهِ السَّلَام) يعمل على الظواهر لا على بواطن الناس، فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل سفيراً وممثلاً عنه إلى الكوفة، ليقيم الحجة على المجتمع الذي وجّه إليه النداء، فقام الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) بتوجيه رسالة إلى المجتمع الكوفي ردّاً على كتبهم، جاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم من حسين بن عليّ إلى الملاّ من المؤمنين والمسلمين، أما بعد، فإن هانئاً^(٣) وسعيداً^(٤) قدما علي بكتبكم، وكانا آخر من قدم علي من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكّرتم، ومقالة جلکم: إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمرکم ورأيكم، فإن كتب إلي

(١) الجمام: جمع جمة، وهو ما اجتمع من الماء. يُنظر: الباهلي، ديوان ذا الرمة، ج ٢، ص ١٠٦٩؛ ابو نصر الجوهري، الصحاح، ج ٥، ص ١٨٩٠.

(٢) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٣٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٧٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٣.

(٣) هانئ بن هانئ السبيعي الهمداني، من أهل اليمن الذين استقروا في الكوفة وكان يتشيع روي عن الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَام)، وقد كان آخر الرسل الذين بعثهم أهل الكوفة للإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام)، كان يحمل رسالة مفادها: أن أهل الكوفة عبروا عن استعجالهم لمجيء الإمام (عَلَيْهِ السَّلَام) . يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٣٢؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٩٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٢٥؛ ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٩، ص ١٠١؛ الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢١٨٣ .

(٤) سعيد بن عبد الله الحنفي، كان آخر الرسل الذين بعثهم أهل الكوفة للإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام)، ساند مسلم بن عقيل عند مقدمه إلى الكوفة وأعلن موقفه بأنه موطن نفسه على نصرة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) وقد أستشهد معه سنة ٦١ هـ . يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٣٠، ٣٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٣، ٣٥٥؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ١، ص ٢٨٦ .

أنه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت علي به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه عن ذات الله والسلام^(١).

يتبين من النص أن الإمام الحسين (عليه السلام) أستخدم مفهوم الإمامة بما يحمل من معنى في رده على المجتمع الكوفي، للإشارة إلى القضية الرئيسية في نهضته، بأنها لم تكن ذات طابع شخصي أو خاص بفتنة معينة، وإنما حاجة ملحة إلى وجود قيادة شرعية عادلة تخدم مصالح المجتمع الإسلامي ككل، وقد وصف (عليه السلام) في رسالته خصائص الإمامة الحقّة، والتي تقوم على العمل بكتاب الله، وتحقيق العدالة بين أفراد المجتمع والتي تعد من أهم المتطلبات الأساسية للقيادة الإسلامية وذلك استناداً إلى قوله تعالى ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٢)، فضلاً عن تقديم التوجيه الديني السليم لأتباعه، ومن الملفت أن الإمام الحسين (عليه السلام) في رسالته لم يعتمد على مبدأ الولاية، أو أرث النبي مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، بل تضمن الإشارة إلى عدم قدرة السلطة الأموية على إنجاز أبسط متطلبات الحكومة الإسلامية^(٣).

كما يتبين أن الإمام الحسين (عليه السلام) في خطابه للمجتمع الكوفي أستخدم وصف (المؤمنين) و(المسلمين) وهو استخدام يؤدي إلى تمييز دقيق بين مستويين من الانتماء الديني، وهذا ما يتضح في قوله تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٤)، ومن هذا المنطلق فإن الإمام لم يكن غافلاً عن الفارق بين الانتماء الظاهري للإسلام وبين الانتماء القلبي العميق الذي يترجم إلى التزام عملي بالإيمان، فقد كان من بين الأفراد الذين كاتبوا لا تتجاوز علاقتهم بالدين حدود الإسلام الظاهري، إذ لم يترسخ الإيمان في قلوبهم بما يدفعهم إلى الثبات والوفاء بالبيعة، وهذا ما ظهر لاحقاً عندما تخلت الأغلبية عن مسلم

(١) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٣١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٣؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٣٩.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٨ .

(٣) يُنظر: محسن طعمة المالكي، الثورة الحسينية، ص ٢٢٤ .

(٤) سورة الحجرات، الآية ١٤ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

بن عقيل، ومن ثم تخليهم عن نصرته الأمام الحسين (عليه السلام) في لحظة حاسمة كشفت هشاشة الوعي العقدي من حيث المبدأ لدى فئات واسعة من المجتمع.

أقبل مسلم بن عقيل سفيراً عن الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة ليمهد الأمر للنهضة الإصلاحية وليطلع على مدى صدق المجتمع الكوفي في مقاومة ظلم الأمويين وجورهم، وهل لديهم الاستعداد الكامل في الثبات على المبدأ ومناصرة الإمام الحسين (عليه السلام) والدفاع عن أهداف نهضته، فقد نزل رائد النهضة الحسينية مسلم بن عقيل في دار المختار بن عبيد الثقفي^(١) (ت ٦٧هـ/ ٦٨٦م)، وكان والي الكوفة آنذاك النعمان بن بشير (٥٩هـ - ٦٠هـ)، وقد أمضى مسلم عدة أيام في دراسة أوضاع الكوفة وشؤونها عن قرب، فالتقى بوجهاء المجتمع الكوفي، واجتمع إليه غالبية المجتمع، ونتيجة لذلك بايعه أكثر من أثنى عشر ألف رجل^(٢) وقيل ثمانية عشر ألف^(٣)، أن هذه البيعة الواسعة لا تعني بالضرورة التزام راسخ، وإنما كشفت لاحقاً عن هشاشة موقف المجتمع الكوفي الذين عانوا من التردد والانقسام.

كان من أبرز المبايعين من كبار الرجال الموالين للعلويين الذين عرفوا بإخلاصهم أمثال عابس بن أبي شبيب الشاكري^(٤) (ت ٦١هـ / ٦٨٠م) الذي تقدم من بين الجمهور الكوفي ووقف بين

(١) المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمير بن عوف الثقفي، وأمه دومة بنت عمرو بن وهب، كان أبوه من قادة الجيش الإسلامي بالعراق، واستشهد يوم الجسر، نشأ المختار بالكوفة، وكان مع الإمام علي (عليه السلام)، وحضر مع سعد بن مسعود الثقفي والي المدائن للإمام علي والحسن (عليهما السلام)، بعد واقعة الطف خرج يطلب بدم الإمام الحسين (عليه السلام)، فقتل جماعة من قتلة أهل البيت، منهم عمر بن سعد وحرملة بن كاهل، قُتل سنة ٦٧هـ/ ٦٨٧م على يد مصعب بن الزبير بعد أن حاصره في قصر الإمارة بالكوفة. يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥، ص ١١٧؛ الزركلي، الأعلام، ج ٧، ص ١٩٢.

(٢) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٣٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٥؛ ابن أعمش، الفتوح، ج ٥، ص ٣٣.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٥٤.

(٤) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٧٥؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٥٤؛ ابن حبان، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٥٦.

(٥) عابس بن أبي شبيب بن شاكر بن ربيعة الهمداني الشاكري، كان من رجال الشيعة رئيساً شجاعاً خطيباً ناسكاً متهجداً وكانت بنو شاكر من المخلصين بولائهم لأمر المؤمنين (عليه السلام)، وكانوا من شجعان العرب وحماتهم وكانوا يلقبون فتيان الصباح. يُنظر: الهمداني، الإكليل، ص ١٧؛ محمد السماوي، أبصار العين، ص ١٢٧ - ١٢٨.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

يروي مسلم وعبر عن موقفه قائلاً: "فإني لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرك منهم، والله لأحدثك عما أنا موطن نفسي عليه، والله لأجيبنكم إذا دعوتهم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله"^(١)، وقد عزز الموقف أحد زعماء القبائل الكوفية وهو حبيب بن مظاهر الأسدي إذ قال لعابس بن شبيب رحمك الله انهيت ما في نفسك بواجز من قولك، ثم قال "وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه"^(٢)، وقد أيد كذلك سعيد بن عبد الله الحنفي موقفهم.

فضلاً عن ذلك ظهر بين المجتمع الكوفي موقف متخاذل وهذا ما صرح به محمد بن بشر الذي كان حاضراً بين المبايعين عندما سئل أحد الحاضرين عن موقفه، إذ إجاب قائلاً: "إن كنت لأحب أن يعز الله أصحابي بالظفر، وما كنت لأحب أن أقتل، وكرهت أن أكذب"^(٣)، يعكس النص صورة واضحة تمثل شريحة من المجتمع كانوا يتمنون انتصار النهضة الحسينية من موقع المتفرج، دون أن يكونوا مستعدين لدفع ثمن المشاركة فيها، إذ اتخذ محمد بن بشر عذراً شخصياً حيث أنه لم يرد أن يقتل، وهذا عذراً يعبر عن خلل في موازين القيم عندما قدم الحياة الدنيوية على المبدأ وهذا ناتج من ضعف الإرادة وتغليب حسابات السلامة الشخصية .

عمل مسلم بن عقيل على أعداد المجتمع الكوفي أعداداً عسكرياً لحين وصول الإمام الحسين (عليه السلام)، فبدأ يقبض أموال من يريد الاعانة ويشتري لهم السلاح^(٤)، إذ اتخذ تدابير الاستيثاق من موقف أفراد المجتمع الكوفي من خلال البيعة والتسليح والأعداد، وعندما أطمأن مسلم بن عقيل للأوضاع التي تهيأت له في الكوفة بعد أن لامس تجاوباً ظاهرياً واسعاً من المجتمع،

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٣٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٥؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ١، ص ٢٨٦ .

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٣٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٥؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ١، ص ٢٨٦ .

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٣٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٥؛ عبد الرزاق المقرم، مقتل الحسين، ص ٩٠ .

(٤) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٤٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٦٤؛ هادي عبد النبي التميمي، ثورة الإمام الحسين، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

كتب للإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يخبره بأن بايعه ثمانية عشر ألف من المجتمع الكوفي، وأنهم معه واستدعاه إلى الاستعجال بالقدوم إلى الكوفة^(١).

اعتمد مسلم بن عقيل على الظاهر من سلوك المجتمع، فقد اجتمع إليه عشرات الآلاف من أهل الكوفة، وظهر له وجهاء المجتمع موقفاً يدل على التأييد والتفاني، ألا أن طبيعة المجتمع الكوفي أفرز تناقضات حادة بين المظهر والجوهر، إذ أثبتت أن هذه البيعة كانت شكلية أو مرهونة بظروف آنية كما سيتضح لاحقاً، حيث لم يكن الكشف عن نوايا المجتمع بسهولة في ظل التقلبات السريعة في الولاءات، فضلاً عن ذلك أن القرار لم يتخذه أفراد مجتمع الكوفة قاطبة، وإنما اتخذه زعماء ورؤساء القبائل وأقطاب المعارضة الذين كانوا يتحدثون باسم جماهير الكوفة، لذلك لم يثبت مجتمع الكوفة على عهدهم الذي عاهدوا به مسلم بن عقيل والإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عدا قلة قليلة جداً أثبت أن تستشهد وفاءً للعهد^(٢)، بمعنى أن الغالبية ينظرون إلى الموضوع من باب المصلحة من دون أن تكون مواقفهم حاسمة نحو الدفاع عن نهج الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) .

تغافل والي الكوفة النعمان بن بشير عن حركة رائد الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مسلم بن عقيل وتجاهل قدومه إلى الكوفة واجتماع الناس عليه إذ لم يقوم بمعارضته أو معاداته، لكن في الوقت نفسه لم يؤيد حركته، ولم يكن ذلك كما أشاعت المصادر بأنه كان حليماً متجنباً لاستخدام العنف، ميالاً إلى السلم والعافية^(٣)، ولذلك لم يستخدم تجاه المجتمع الكوفي صرامة في التعامل بل أكتفى بإلقاء الخطب يحثهم على لزوم الطاعة ويحذرهم من الفتنة، من دون أن يتخذ إجراءات أمنية ضد مسلم بن عقيل واتباعه^(٤)، وقد وصف طه حسين موقف النعمان بن بشير بأنه سار فيهم بسيرة رجل من اصحاب رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، فهو لم يلجأ إلى تعنيف الناس، وإنما سار

(١) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٦٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٧٥؛ ابن أعمش، الفتوح، ج ٥، ص ٥٧.

(٢) يُنظر: عماد الدين باقي، علم اجتماع، ص ٦٠ .

(٣) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٣٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٣٤ .

(٤) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٣٤ - ٣٣٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٣٤ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

فيهم سيرة الإمام عليّ (عليه السلام) مع الخوارج، فرفق بهم ونصح لهم وحبب إليهم العافية ودعاهم إلى الوفاء بالبيعة ليزيد^(١).

أنّ النعمان كان أمويّ الهوى والتبعية فلم يكن متسامحاً ولا وديعاً وخاصة تجاه المواليين للعلويين الذي حمل تجاههم ضغينة متجذرة^(٢)، كما كان مستعداً لحمل السلاح ضد المجتمع الكوفيّ الكوفيّ إذا خرجوا على طاعة يزيد^(٣)، وقد أثبت النعمان عداؤه لأهل الكوفة عندما رفض صرف الزيادة التي أمر بها معاوية في أعطياتهم، محتجاً بذلك ببيغضه لهم؛ بسبب نصرتهم للإمام عليّ (عليه السلام)^(٤)، إما موقفه الغامض من حركة مسلم بن عقيل ربما أنه أكتفى بمراقبة ما ستؤول إليه الأحداث، لا سيّما بعد أن انضم إلى حركة مسلم بن عقيل كبار زعماء الكوفة وقد كان من بينهم صهره المختار الثقفي، من الممكن أن النعمان راهن على احتمالية نجاح الحركة، فأثر الصمت لعله يجد موطئ قدم في حال تغيرت موازين القوى، أو ربما أنه عمد إلى اتخاذ موقف اللامبالاة من الأحداث بسبب موقفه من يزيد الذي كان يبغض الانصار فيذكر أنه أمر أحد الشعراء أن يقوم بهجاء الانصار فأنشد قائلاً:

دَهَبَتْ فُرَيْشٌ بِالْمَكَارِمِ كُلِّهَا وَاللُّؤْمُ تَحْتَ عَمَائِمِ الْأَنْصَارِ^(٥)

اعترض على سياسة النعمان بن بشير عددٌ من حلفاء السلطة الأمويّة، الذين وصفوا رأي النعمان برأي المستضعفين وطالبوا باتخاذ سياسة الحزم ضد مسلم بن عقيل وانصاره، وقد كتبوا إلى

(١) يُنظر : الفتنة الكبرى، ج ٢، ص ٢٥٥ .

(٢) يُنظر : الثقفي، الغارات، ج ٢، ص ٧٨؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٣٠٣؛ علي الكوراني، سيرة أمير المؤمنين، ج ٥، ص ٢١٧ .

(٣) يُنظر : الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٣١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٦؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٣٤ .

(٤) يُنظر : البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٢؛ الأصفهاني، الأغاني، ج ١٦، ص ٢٨٩؛ ابو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج ٥، ص ١٤٦-١٤٧ .

(٥) المبرد، الكامل في اللغة، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٦، ص ١٧٠؛ الأصفهاني، الاغاني، ج ١٥، ص ٧٦ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

يزيد يبلغونه بقدم مسلم بن عقيل ومبايعته للإمام الحسين (عليه السلام)، متهمين النعمان بالضعف ومحذرين من أن استمرار هذا التراخي قد يؤدي إلى ضياع الكوفة من قبضة الدولة الأموية^(١).

أرعب تسارع الأحداث في الكوفة السلطة الأموية المركزية، فبادر يزيد إلى اتخاذ تدابير حازمة لإعادة فرض السيطرة على الكوفة، إذ استشار مولاة سرجون الرومي الذي بدوره أشار عليه بتولية عبيد الله بن زياد وتكليفه بمهمه مزدوجة وهي الجمع بين ولايتي البصرة والكوفة، وكسر شوكة المعارضة في الكوفة بقتل مسلم بن عقيل^(٢).

أقبل عبيد الله بن زياد في وجوه أهل البصرة وحشمه من أهل بيته حتى قدم الكوفة مثلثاً بلباس يوهم المجتمع بأنه الإمام الحسين (عليه السلام)، خاصةً وأنه قد بلغ المجتمع الكوفيّ قدوم الإمام (عليه السلام)، فظنوا حين قدوم عبيد الله أنه الإمام (عليه السلام)، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس الا وسلموا عليه : مرحبا بك يا بن رسول الله! قدمت خير مقدم^(٣)، فلما دخل قصر الإمارة وعلم المجتمع أنه عبيد الله عمت غالبية سكان الكوفة حالة من الكآبة والحزن الشديد^(٤)، وعمل عبيد الله على فرض جو من الرعب السياسي والاجتماعي إذ أمر الناس بالصلاة جامعة فاجتمع إليه جمع غفير وخطب بهم قائلاً: "فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَانِي مِصْرَكُمْ وَتَغْرَكُمْ وَفَيْئَكُمْ، وَأَمْرَنِي بِإِنْصَافِ مَظْلُومِكُمْ، وَإِعْطَاءِ مَحْرُومِكُمْ، وَبِإِحْسَانٍ إِلَيَّ سَامِعِكُمْ وَمُطِيعِكُمْ، وَبِالْشِدَّةِ عَلَى مُرِيكِكُمْ وَعَاصِيِكُمْ، وَأَنَا مُتَّبِعٌ فَيْكُمْ أَمْرَهُ، وَمُنْقَذٌ فَيْكُمْ عَهْدَهُ، فَأَنَا لِمُحْسِنِكُمْ كَالْوَالِدِ الْبَرِّ، وَلِمُطِيعِكُمْ كَالْأَخِ الشَّقِيقِ، وَسَيْفِي وَسَوْطِي عَلَى مَنْ تَرَكَ أَمْرِي وَخَالَفَ عَهْدِي، فَلْيُبْقِ أَمْرُؤُ عَلَى نَفْسِهِ،

(١) يُنظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٣١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٤٨٠ .

(٢) يُنظر: الطبري، تاريخ السل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٦ - ٣٥٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٣٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٤٨١ .

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٤٠ - ٤١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٨؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٩٩ .

(٤) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٤٠ - ٤١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٨؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٩٩ .

الصدق ينبئ عنك لا الوعيد"^(١)، جسدت الخطبة سياسة مزدوجة بين الترهيب والبطش للمخالفين، والترغيب والمداواة للمطيعين، وقد اتخذ عبيد الله بن زياد عدة اجراءات سياسية تركت أثراً واضحاً في موقف المجتمع الكوفي منها :

١- سياسة الترهيب :

بادر عبيد الله بن زياد عند توليته على الكوفة (٦٠هـ / ٦٧٩م) إلى اتخاذ اجراءات صارمة تهدف إلى إحكام السيطرة على المجتمع ومنع أي تحرك داعم للإمام الحسين (عليه السلام) ومعارض للسلطة الأموية، فقد استدعى العرفاء^(٢) وأمرهم " اَكْتُبُوا إِلَيَّ الْغُرَبَاءَ وَمَنْ فِيكُمْ مِنْ طَلَبَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ فِيكُمْ مِنَ الْحُرُورِيَّةِ وَأَهْلِ الرِّيبِ الَّذِينَ رَأَيْهُمْ الْخِلَافَ وَالشَّقَاقُ" وقد وضع العرفاء إمام خيارين، وهما أن يرفع العريف الأسماء التي يشتبه في ولائها لغير السلطة الأموية والتبرؤ من مسؤوليتهم، أو يضمن إلا يصدر عن هؤلاء أي تمرد أو نشاط مناوئ للسلطة الأموية وفي حال الإخلال بذلك تقع المسؤولية على العريف، ومن يتخلف عن هذين الخيارين توعدهم عبيد الله بعقوبات منها "فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَبَرِئْتُ مِنْهُ الذِّمَّةُ وَحَلَّالٌ لَنَا دَمُهُ وَمَالُهُ، وَأَيُّمَا عَرِيفٍ وَجَدَ فِي عَرَاقَتِهِ مِنْ بُغْيَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدٌ لَمْ يَرْفَعْهُ إِلَيْنَا صُلِبَ عَلَى بَابِ دَارِهِ وَأُلْغِيَتْ تِلْكَ الْعَرَاقَةُ مِنَ الْعَطَاءِ وَسَيَّرَ إِلَى مَوْضِعِ بَعْثَانِ الزَّرَّارَةِ"^(٣)، لقد كان لهؤلاء العرفاء دور كبير في تفريق أفراد المجتمع الكوفي عن مسلم بن عقيل.

وقد استخدم عبيد الله اسلوب التجسس كنوع من سياسة الترهيب وذلك عندما خرج مسلم بن عقيل من دار المختار الثقفي ونزل في دار احد زعماء اليمن واحد أشراف الكوفة وهو هاني بن

(١) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٤١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٨؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٤٤ .

(٢) العرفاء جمع عريف، هو القِيم بأمْرِ قومٍ قد عَرَفَ عليهم، وقد سَمِيَ عَرِيفًا، لأنه يعرف أحوالهم، وتنحسر مهام العريف في محاربة المعارضة وقمع عناصرها من المهدي، وتجميع الجند عند الحاجة . يُنظر: الغازي، مسند الرضا، ص ٢٢؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٢٨٢؛ الزمخشري، أساس البلاغة، ج ١، ص ٦٤٦ .

(٣) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٢٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٩؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٤٤ . ٤٥؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ٤٢ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

عروة المرادي^(١) الذي وقف إلى جانب مسلم بن عقيل فقد آوى مسلم ونصره، فكانت داره معقلاً تختلف إليه الجماعات لإعطاء البيعة لمسلم والتخطيط لقدام الإمام الحسين (عليه السلام) وتدوين إسماء المبايعين، وجمع الأموال وشراء السلاح وبث العيون لمتابعة الأوضاع^(٢)، وقد كان عبيد الله يتعقبه من دون الوصول إليه، لذلك لجأ إلى الحيلة والدهاء للقبض عليه، إذ أرسل مولى له ومعه ثلاث آلاف درهم لاختراق صفوف أتباع مسلم بن عقيل، وأمره أن يتقرب إليهم من خلال استغلال المشاعر الدينية والوجدانية لاسيما حب أهل البيت (عليهم السلام)، وادعاء النصرة والولاء لهم، فذهب إلى مسلم بن عوسجة الأسدي وبايعه وأخذ منه المواثيق، ثم دخل على مسلم بن عقيل وجعل يختلط بهم ويتردد عليهم ويرفع أخبارهم إلى عبيد الله بن زياد^(٣)، مما أدى إلى كشف التنظيم الثوري، فقبض ابن زياد على هاني بن عروة^(٤)، الأمر الذي أدى بمسلم بن عقيل إلى التعجيل في حركته .

وقد رفض هاني تسليم مسلم بن عقيل إلى عبيد الله بن زياد، حيث رد عليه قائلاً: "لا، والله لا أجيئك أبداً، أنا أجيئك بصنفي ثقلة!"^(٥)، كان هاني إذا ركب حصانه رافقه أربعة آلاف

(١) هاني بن عروة بن الفضاض بن ثمران، من كبار وجوه مراد وأشراف الكوفة، وكان من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، ومن خواص الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) والمخلصين له، ولما قَدِمَ مسلم بن عقيل إلى الكوفة سفيراً عن الإمام الحسين (عليه السلام)، نزل في دار هاني التي أصبحت مركزاً لتحرك الموالين لاهل البيت وموضع لقاءاتهم السرية، وبعد وصول عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، انكشف أمر مسلم، فاعتقل هاني وأُخضع للتعذيب، ثم أُعدم بأمر ابن زياد، ليكون أحد أوائل شهداء النهضة الحسينية في الكوفة إلى جانب مسلم بن عقيل. يُنظر: ابت عساكر، تاريخ دمشق، ج ٧٣، ص ٣٤٦؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ٦، ص ٤٤٥؛ الزركلي، الإعلام، ج ٨، ص ٦٨ .

(٢) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٤٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٦٢؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ١٠٠ .

(٣) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٤٥ - ٤٦؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٣٥ - ٢٣٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٦٢ - ٣٦٤ .

(٤) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٥٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٦٧ .

(٥) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٥١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٦٦؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ٤٧ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

فارس وثمانية آلاف من المشاة، وإذا رافقه حفاؤه كان يصل عدد المرافقين له إلى ثلاثين ألفاً^(١)، لذلك عندما علمت قبيلته مذحج باعتقاله وأنه قد قتل، أقبلوا واحاطوا بالقصر هاتفين بأن "فرسان مذحج ووجوهها، لم تخلع طاعه، ولم تفارق جماعة، وقد بلغهم أن صاحبهم يقتل، فأعظموا ذلك"^(٢)، فأمر عبيد الله بن زياد شريح القاضي أن يخرج لمذحج ويبلغهم أن هانئاً حي لم يقتل^(٣)، لذلك تراجعوا عن القصر ولم ينصروه، وذلك خوفاً من السلطة الحاكمة وذلك بعد تهديد عبيد الله بن زياد حيث خطب قائلاً: "أيها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم، ولا تختلفوا ولا تفرقوا فتهلكوا وتذلولوا وتقتلوا وتجفوا وتحرموا، إن أخاك من صدقك، وقد أعذر من أنذر"^(٤).

عقد مسلم بن عقيل لرؤساء الأرباع على قبائل الكوفة، بعد أن بايعه ثمانية عشر ألفاً، وحوله في الدار اربعة آلاف ورفع شعار "يا منصُورُ أمِثْ"، وعزم على محاصرة قصر الأمانة^(٥)، فاضطر عبيد الله إلى الاحتماء داخل القصر مع فئة قليلة من أنصاره، لكنه أستطاع من خلال عيونه وجواسيسه والحرب النفسية أن يمزق صفوف المجتمع الكوفي وينال من وحدتهم، إذ أستعان بزعماء القبائل الذين لهم سلطة ونفوذ على أفراد قبيلتهم.

أمر عبيد الله كثير بن شهاب بن الحارثي^(٦) الذي كان من زعماء الكوفة ووجهائها، بالانطلاق إلى داخل الكوفة وأن يجمع حوله قبيلة مذحج التي كانت تأتمر بأمره، ويجوب مع

(١) يُنظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٥٩.

(٢) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٥٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٦٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٤١.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٦٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٤١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٠، ص٣٩٦.

(٤) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٥٤. ٥٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٦٨؛ ابو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص١٠٣.

(٥) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٥٥. ٥٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٦٨ - ٣٦٩؛ المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٥٢.

(٦) كثير بن شهاب بن الحُصين المذحجي، ويُلقَّب ذِي الحُصَّة لُحْصَة كانت في حلقه، عُدَّ من سادات مذحج وأشرف الكوفة، واشتهر بين الناس بالبخل، ولَّاه معاوية بن أبي سفيان ولاية الرِّي، وكان له دور بارز في الحياة

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

أفرادها في أزقة الكوفة لترهيب السكان من مغبة الخروج على طاعة السلطة ومحاربة والي الخليفة الأمويّ ويخذل النَّاس عن مساندة مسلم بن عقيل ، إذ خاطب أهل الكوفة قائلاً : "أيها النَّاس الحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشر، ولا تعرضوا انفسكم للقتل، فإن هذه جنود ... يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الأمير عهداً: لئن اتممت على حربيه ولم تنصرفوا من عشيكم ان يحرم ذريتك العطاء، ويفرق مقاتليكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى فيكم بقية من أهل المعصية إلا اذاقها وبال ما جرت أيديها"^(١)، وقد نجح في بث الاشاعة وتثييط النَّاس عن مساندة مسلم بن عقيل، إذ حالما سمع المجتمع كلام الأشرف أخذ النَّاس يتفرقون وينصرفون^(٢) .

وقد استطاع والي الأمويّ أن يجهز على حركة مسلم بن عقيل في الكوفة فقتل زعيمها مسلم(عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهانئ بن عروة الذي قتل نتيجة لنصرته فقد صبت السلطة جام غضبها عليه حيث نزل به أقسى العذاب حتى قتل وبعث برأسه مع رأس مسلم(عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى يزيد بن معاوية^(٣)، وقد برزت في ثورة مسلم بن عقيل شخصيات تنتمي إلى الطبقة الموالية للعلويين ممن عرف بولائه العميق لأهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) لذلك شنت السلطة حملة من الاعتقالات طالت هذه الشخصيات بعد انهيار الدعم المجتمعي لمسلم، يأتي في مقدمتهم عبيد الله بن عمرو الكندي الذي كان له دور بارز في دعم مسلم بن عقيل، وكان يأخذ البيعة من المجتمع الكوفي، وقد شارك في تنظيم الثورة داخل الكوفة، بعد أن عقد له على ربع كندة وربيعه^(٤) ، وعندما تخاذل الكثير المجتمع الكوفي عن مسلم(عَلَيْهِ السَّلَامُ) قبضت السلطة الأموية على عبيد الله بن عمرو، وأصدرت

=السياسية بالكوفة خلال العهد الأموي، حيث استعمل أداة للسلطة في مراقبة الشيعة وتثييط الناس عن نصرته الإمام الحسين (عليه السلام). يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ١٤٩؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٠، ص ٢٨ .

(١) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٥٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٧٠ - ٣٧١؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٥٣ - ٥٤ .

(٢) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٥٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٧٠ - ٣٧١؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٥٣ - ٥٤ .

(٣) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٧٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٧٩ - ٣٨٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٨، ص ٣٠٦ .

(٤) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٥٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٦٩ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

أمر بضرب عنقه ^(١) ، كما قبضت على عبد الله بن الحارث الهمداني ^(٢) الذي قام بدور مشابه للأول، فكان يأخذ البيعة للإمام الحسين (عليه السلام) وخرج مع مسلم (عليه السلام) يحمل رايه حمراء ^(٣)، وعبد الأعلى الكلبي ^(٤)، وعمار بن صلخب الأزدي ^(٥) كان دورهما مشابها كسابقيهما في الدعوة والنصرة، وعندما تخاذل الكثير المجتمع الكوفي عن مسلم بن عقيل ألفت السلطة الأموية القبض على هؤلاء الأفراد وصدرت أوامر بإعدامهم ^(٦)، لقد مثل هؤلاء الابطال بوقوفهم إلى جانب مسلم (عليه السلام) ومساندتهم له دون خذلان ذروة الكمال الإنساني وجسدوا أعلى القيم الإنسانية، فقد آمنوا بمبادئ النهضة الحسينية وانضموا تحت لواء سفير الإمام الحسين (عليه السلام)، فلم يقفوا بجانبه من أجل سلطان أو حكم أو غنائم بل من أجل التخلص من جور السلطة الأموية، فضلا عن أن هدف الإمام الحسين (عليه السلام) ألا وهو الإصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحسين الاحوال المعيشية للمجتمع، ففي زمن تتلاطم فيه امواج الباطل، ويعلو

(١) يُنظر: البراقي، تاريخ الكوفة، ص ٣٣٣ .

(٢) عبد الله او عبيد الله بن الحارث بن نوفل بن عمرو بن الحارث بن ربيعة بن بلال بن أنس ابن سعد الهمداني، شهد صفين مع الإمام علي (عليه السلام)، ساند مسلم بن عقيل، ولما تخاذل الناس عن مسلم بن عقيل (عليه السلام) وانفضوا عنه، قبض عليه كثير بن شهاب المذحجي، فسلمه إلى عبيد الله بن زياد، فأمر ابن زياد بحبسه، ثم قتله بعد ذلك عقوبة له على ولائه لمسلم بن عقيل وموقفه المناصر للإمام الحسين (عليه السلام). يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٧٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٨١؛ البراقي، تاريخ الكوفة، ص ٣٣٣-٣٣٤ .

(٣) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٧٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٨١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٤٠٤ .

(٤) عبد الأعلى بن زيد بن الشجاع بن كعب بن امرئ القيس، من شيعة الكوفة، ولما تخاذل الناس عن مسلم بن عقيل (عليه السلام) وانفضوا عنه، قبض عليه كثير بن شهاب المذحجي، فسلمه إلى عبيد الله بن زياد، فأمر ابن زياد بحبسه، ثم قتله بعد ذلك عقوبة له على ولائه لمسلم بن عقيل وموقفه المناصر للإمام الحسين (عليه السلام). يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٧١؛ ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج ٢، ص ٤٠١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٧٩ .

(٥) عمار بن صلخب الأزدي الكوفي، أحد رجال الأزد الشيعة في الكوفة زمن النهضة الحسينية، عُرف بولائه لأهل البيت (عليهم السلام)؛ إذ كان من الراغبين في نصره مسلم بن عقيل حين قدم الكوفة مبعوثاً للإمام الحسين (عليه السلام)، خرج متجهاً بالسلاح لنصرته، لكن قبض عليه من قبل محمد بن الاشعث وأُرسِل إلى عبيد الله بن زياد، فأمر بقتله أمام قومه من الأزد سنة ٦٠هـ، ليكون عبرة لغيره، ويُعدّ من أوائل الشهداء الذين سقطوا قبل واقعة الطف نتيجة القمع الأموي في الكوفة. يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٥٨، ص ٧١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٧٠، ص ٣٧٩ .

(٦) يُنظر : ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٧١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٧٩ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

صوت الظلم والفساد في المجتمع الإسلامي، برز هؤلاء الابطال الذين لم تستهويهم الحياة الزائفة، ولم يغرهم رهبة السلطة والجيش، بل وقفوا بوجه الطغيان بثبات العقيدة وصدق الانتماء والميل العاطفي المنبعث من وعي نابع من يقظة الضمير وصدق الشعور، فقد كانوا الفاعلين الأخلاقيين المندفعين بدافع الإيمان العميق بالقيم والمبادئ، لا من دافع المصالح المادية الدنيوية.

كما تمكنت السلطة الأموية من الإمساك بـ قيس بن مسهر الصيداوي الذي كان آخر حلقة وصل بين القيادة الحسينية والقاعدة الشعبية في الكوفة، فقد كان يحمل رسالة الإمام الحسين (عليه السلام) إلى المجتمع الكوفي، وقد قبض عليه الحصين بن نمير الذي بدوره سلمه إلى والي الكوفة عبيد الله بن زياد الذي أمره بأن يصعد القصر وأن يسب الإمام الحسين (عليه السلام) الذي وصفه ابن زياد " فسب الكذاب ابن الكذاب، لكن قيس لم يفعل ذلك بل صعد القصر وخاطب المجتمع بكل ثبات وعزيمة قائلاً : أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ، ابْنُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ، وَأَنَا رَسُولُهُ إِلَيْكُمْ، وَقَدْ فَارَقْتَهُ بِالْحَاجِرِ، فَأَجِيبُوهُ، ثُمَّ أتم كلمته بلعن عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ وَأَبَاهُ، وَاسْتَغْفَرَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ"، فامر عبيد الله ابن زياد أن يرمى به من فوق القصر، فرمي به وأُستشهد^(١)، أستخدم عبيد الله كل وسائل القمع من اجل أَدْخَالِ الرعب إلى نفوس المجتمع الكوفة وأراد من قتل قيس مثلاً مرعباً لكل من تسول له نفسه الاستجابة للنهضة الحسينية، كما حبس زعماء الكوفة الموالين لأهل البيت أمثال المختار بن عبيد الثقفي^(٢) حتى أصبح عدد الموالين لأهل البيت في السجون ما يقدر بأربعة آلاف وخمسمائة سجين^(٣).

كما قام عبيد الله بن زياد بتنصيب نقاط تفتيش في كل نقطة من منافذ الكوفة، إذ عمد على تضيق المجتمع الكوفي وجعلهم تحت الرقابة الشاملة والاشتباه المستمر، لا سيما بعد أن صدرت إليه تعليمات مباشرة من يزيد بالاعتقال على النوايا والظنون لا على الجريمة "فَضَعَ الْمَنَاطِرَ

(١) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٨٦؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١١، ص ١٦٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٩٥ .

(٢) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٢٨٤؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٧٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٥٧٠ .

(٣) يُنظر: ابن طاووس، اللهوف، ص ١٥٣ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

وَالْمَسَالِحَ، وَاحْتَرَسَ وَاحْبَسَ عَلَى الظَّنَّةِ وَخَذَ عَلَى النَّهْمَةِ^(١)، فمارس ارهاباً اجتماعياً فاصبح الولاء للإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) تهمة يحاسب عليها الفرد الكوفي، وعمل على تفكيك القاعدة الشعبية ومنعها من التواصل مع القيادة، إذ بعث الحصين بن نمير وأمره أن ينزل على القادسية وأن يمنع المرور من ناحية الكوفة إلى الحجاز إلا من كان حاجاً أو معتمراً أو من لا يشتبه في ميله للإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(٢)، كما عمل على نشر العيون والرصد على الطرق بهدف مراقبة الاحداث والتحركات^(٣)، وأوكل قيادة العسكر والحرس إلى زحر بن قيس الجعفي الشخصية الموالية للسلطة الأموية وتكليفه بتأمين حدود ومداخل المدينة، كما ربط الكوفة ميدانياً بعسكر عمر بن سعد وشكل منظومة عسكرية متكاملة فكانت الأخبار ترد إليه في كل وقت^(٤) .

وقد فرض الحكم العسكري على الكوفة حيث نشر العيون والمسالح، وارسل الحر بن يزيد الرياحي^(٥) مع ألف فارس من الجند لقطع الطريق المؤدي إلى الكوفة على الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ومنعه من الدخول إلى المدينة أو الاقتراب منها^(٦)، أن الخوف من قدرة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) على تحريك الرأي العام الكوفي كان دافعاً أساسياً وراء هذا الاستتعار، إذ خشي والي الأموي من أن وصول الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى الكوفة يؤدي إلى تجدد الانتفاضة،

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٨١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٥، ص ٣٢٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٥٠٨ .

(٢) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٩٦؛ الدينوري، الأخبار الطوال ، ص ٢٤٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٠١ .

(٣) يُنظر: الدينوري، الأخبار الطوال ، ص ٢٤٣ .

(٤) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٨٨ .

(٥) الحر بن يزيد بن ناجية الرياحي التميمي، من أشراف وفرسان الكوفة وأحد وجوهها البارزين، بعثه عبيد الله بن زياد على رأس ألف فارس لاعتراض الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ومنع دخوله الكوفة، والتقاءه في طريقه بكريلاء، وفي يوم عاشوراء جعله عمر بن سعد قائداً على ربع تميم وهمدان، غير أنه انقلب على جيش ابن زياد بعد أن أيقظته خطب الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ووجد نفسه بين خياري الدنيا والآخرة، فاختار نصرته الحق، فالتحق بمعسكر الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) واستشهد بين يديه بعد قتال بطولي، فصار رمزاً للتوبة والشجاعة والعودة إلى الحق. يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١٢، ص ١٥٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٠٨، ص ٤٢٧ - ٤٢٨؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٢٧ .

(٦) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٠٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٠٨؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٨٣ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

وانبعثت الولاء الشعبي خاصةً وانهم قد بادروا سابقًا بمكاتبتهم للإمام (عليه السلام) ودعوته إلى الكوفة، وهذا الولاء الذي بدا يتفكك بفعل التهريب والاعتقالات والمغريات المالية .

٢- سياسة الترغيب :

انتهج عبيد الله بن زياد سياسة دقيقة في تفكيك الدعم المجتمعي الذي تكون حول مسلم بن عقيل في الكوفة، حيث أمر خمسا من زعماء الكوفة من أمثال محمد بن الأشعث^(١)، والشمر بن ذي الجوشن، وشبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، والقعقاع بن شور الذهلي^(٢)، بالخروج من قصر الأمانة على أن يجمع كل منهما اتباعه وأفراد عشيرته، ثم يرفع راية في حي من أحياء المدينة، ويدعو أفراد المجتمع إلى التجمع تحت رايته طلبًا للأمان من عقوبة الحكومة الأموية^(٣)، وأمرهم بأن "أشرفوا على الناس فمنا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم"^(٤)، فالمجتمع الكوفي لم يخير بين الطاعة والمعصية فقط، بل بين الأمان والمصير الغامض، وقد أدت هذه السياسة إلى انفضاض سريع ومفاجئ من حول مسلم بن عقيل إذ كانت المرأة تأتي ابنها أو أخاها فتقول انصرف الناس يكفونك، وكذلك

(١) محمد بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، أمه أم فروة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر، ويُعدّ في أهل الكوفة، كان من أبرز رجالات السلطة الأموية فيها؛ فقد كان من خاصّة زياد بن أبيه، وأوكل إليه مهمّات حسّاسة، منها ملاحقة حُجر بن عدي الكندي والقبض عليه، كما شارك في قمع حركة مسلم بن عقيل، وكان ضمن قادة جيش عبيد الله بن زياد الذين خرجوا لقتال الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، قُتل سنة ٦٧ هـ في الكوفة أيام ثورة المختار الثقفي. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٦٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٣٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٧١-٣٧٠؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ١٠٧؛ ابن حجر العسقلاني، الأصابة، ج ٦، ص ٢٥٨.

(٢) القعقاع بن شور بن يزيد السدوسي الذهلي، من بني سدوس بن شيبان، إحدى بطون بكر بن وائل، عاصر الدولة الأموية، ووفد على معاوية بن أبي سفيان بدمشق، فكان موضع تقدير وتكريم عنده، أدى دورًا كبيرًا في محاربة مسلم بن عقيل والقضاء على حركته. يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٧٥؛ ابن دريد، الاشتقاق، ص ٣٥٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٩، ص ٣٥٠؛ الزركلي، الإعلام، ج ٥، ص ٢٠١ .

(٣) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٥٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٦٩؛ ابن أعمش، الفتوح، ج ٥، ص ٥٠.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٥٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٧٠؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٥٣ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

الحال فأن الرجل يأتي إلى أبنه وأخيه فيقول غداً يأتي جند أهل الشام فما تفعل بالحرب والشر فينصرفوا عن مساندة مسلم، ولم يبق معه أحد^(١)، أن الحركة لم تبلغ من التنظيم والتعبئة اللازم الذي يسمح بأبطال مفعول الحرب النفسية التي مارسها عبيد الله بن زياد ضد المجتمع الكوفي، الأمر الذي جعل من الكوفة ساحة مفرغة من أي تماسك ثوري، فضلاً عن ذلك لعب رؤساء القبائل دوراً في هذا المجال وبالتالي انعكس على أفراد القبيلة في التراجع والانكفاء وعدم نصره مسلم على الرغم من البيعة الأولية له.

لعبت رابطة الدم (العصبية القبلية) دوراً أقوى من رابطة الإسلام في مجتمع الكوفة، ويرى ابن خلدون أن العصبية هي القوة الأساسية في المجتمع مؤكداً على أن الاجتماع الإنساني لا يكتمل دون وازع قاهر متغلب يكون له السلطان على الجماهير بالعصبية^(٢)، ومن هذا المنطلق نجد أن عبيد الله بن زياد عمد إلى تفعيل العصبية القبلية عبر زعماء القبائل طالباً منهم رفع راياتهم في أحياء الكوفة، وجمع اتباعهم حولهم تحت لواء الطاعة للسلطة الأموية، فأنجذب المجتمع الكوفي نحو العصبية الأقوى التي وفرت لهم بحسب منطق العصبية الخلدونية الحماية والتغلب، والتي فعلها الحاكم الأموي عبر أدوات القهر والتهديد والوعيد لتثبيت نفوذه، مما جعل الجمهور الكوفي ينظم إلى الجماعة القوية التي تمتلك زمام السلطة متخليين عن الرابطة الدينية التي لم تستند إلى عصبية قبلية بل إلى قيم دينية وأخلاقية وإصلاحية.

ويمكن أن يفهم المجتمع الكوفي من خلال رؤية عالم الاجتماع علي الوردي للفرد العراقي مبدأه أن الفرد العراقي يعيش صراعاً ما بين البداوة والحضارة وهو ما يفضي إلى حالة من ازدواج الشخصية^(٣)، وقد انعكس ذلك واضحاً في زمن مسلم بن عقيل في الكوفة الذي أفرز صراعاً بنيوياً عميقاً في الشخصية العراقية، بين قيم البداوة المتوارثة التي تمجد العصبية والانفعال اللحظي، والانقياد لزعيم القبيلة الذين ربطوا الأمان السياسي بالولاء للسلطة، وبين قيم الحضارة الدينية التي

(١) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٥٩؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٣٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٧١.

(٢) يُنظر: العبر، ج ١، ص ١٧٤.

(٣) يُنظر: شخصية الفرد العراقي، ص ٤٨ - ٥١.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

جاء بها الإسلام المحمدي والتي تقوم على الالتزام بالعهد والثبات على المبدأ، والاستعداد للتضحية في سبيل الإصلاح الديني والسياسي، لقد وجد الفرد العراقي نفسه ممزقاً بين الوفاء بالبيعة للإمام (عليه السلام) وهو مبدأ عقدي وأخلاقي، وبين نداء القبيلة والعائلة والمصلحة الآنية، فقد ساهمت السياسات الأموية الممنهجة في ترسيخ هذا الانقسام، عندما عملت على تفريغ المجتمع من مسؤوليته العامة وحكمت عليه بالانكفاء وانعدام الإحساس، وتخديره بالضغوط الاقتصادية المعاشية والانشغال بتحصيل الأرزاق، مما لا يترك مجالاً للتفكير سوى في النفس والهـم الذاتي والاطر الأسري فقط، فأنكفأ الفرد الكوفي على نفسه وهمومه الخاصة.

يرى غوستاف لوبون أن الأفكار التي توحى للجماهير أو تحرضها، لا يمكن أن تصبح مهيمنة على المجتمع، إلا إذا تجسدت في نفوس الأفراد على هيئة صور^(١)، وهذا ما عملت عليه السلطة الأموية، فكانت تصور عبر دعاياتها أن الإمام الحسين (عليه السلام) خارج على إمام زمانه، أو أن جيوش الشام الجرارة ستأتي إلى العراق وتقضي على الإمام الحسين (عليه السلام) وأن من يخرج مع جيش السلطة الأموية سيكافئ بالأموال، ومن يساند الإمام الحسين (عليه السلام) ستكون عقوبته مماثلة لمقتل مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، وقيس بن مسهر الصيداوي، فكانت هذه الأمور مبرراً أن يتخذها الأفراد ويتخلوا عن نصره الإمام الحسين (عليه السلام).

ويؤكد لوبون أن الجمهور لا يميز عادةً بين الحدث الحقيقي وصورته الذهنية المضخمة في مخيلته، إذ يقوم بتشكيل الوقائع بشكل لا يخضع لمنطق أو ترابط عقلائي، فالصورة المتشكلة في ذهنه تنير بدورها مجموعة من الصور التي لا ترتبط بالضرورة بعلاقة سببية واضحة مما يؤدي إلى تشويه الواقع، مما تساهم في تشكيل السلوك الجمعي^(٢)، فقد بالغت الدعاية الأموية في تضخيم قوة الجيش وإيهام المجتمع الكوفي بقرب وصوله، على الرغم أن المسافة بين الشام والكوفة كانت تتطلب وقتاً طويلاً في ظروف السير آنذاك، ومع ذلك فقد أستجاب المجتمع الكوفي لهذا التهديد الوهمي وكأن الجيش الشامي بات على أبواب الكوفة، وهذا يعكس غياب التفكير النقدي لدى

(١) يُنظر : سيكولوجية الجماهير، ص ٨٢.

(٢) يُنظر: سيكولوجية الجماهير، ص ٦٧ .

الجمهور الكوفي، وانخداعهم بالصورة الذهنية أكثر من الواقع الفعلي، وقد أدى هذا الخوف الجماعي إلى قيام الأسر الكوفية بسحب أبنائهم من جيش مسلم بن عقيل رغم أن المعطيات الموضوعية لم تكن تستدعي هذا التراجع السريع في النصرة وهنا يتجلى ما أكدده لوبون من أن الجماهير لا تزن الأحداث بعقلانية، وإنما تتصرف بناءً على انفعالاتها والصور المتخيلة في وعيهم الجماعي^(١)، ويشير إلى ذلك إريك فروم أن الدعاية تلعب دوراً فعالاً في مخادعة غالبية المجتمع بحيث أنهم يصدقون مزاعمها، إذ أن الحقائق الواقعة لا تعني لهم شيئاً مقارنة بالضجة الموحية التي تفرع رؤوسهم^(٢) .

كان المجتمع الكوفي متعدد العناصر والولاءات والانتماءات، تتدخل فيه العناصر القبلية والسياسية، إذ كانت المدينة تضم فئات مختلفة من الخوارج، والموليين للسلطة الأموية، إضافة إلى الزعامات القبلية ذات النفوذ الواسع، فضلاً عن من كانوا يميلون إلى أهل البيت (عليهم السلام) بدرجات متفاوتة، وهذا التعدد انعكس على استجابة المجتمع لدعوة الإمام الحسين (عليه السلام) للنهضة والإصلاح، إذ توزعت المواقف بين العداء والانحياز للسلطة الأموية، والتخاذل والحياد، مقابل فئة قليلة اختارت مساندته والوقوف إلى جانبه في مواجهة الظلم الأموي، وبذلك يمكن تصنيف موقف فئات المجتمع الكوفي تجاه النهضة الحسينية على النحو الآتي:

١- الفئات المعادية :

لعبت الأحقاد التاريخية المتراكمة دوراً في تشكيل المواقف المتباينة لأفراد المجتمع الكوفي من النهضة الحسينية، فقد كانت التركيبة النفسية والاجتماعية للكوفة مزيجاً غير متجانس، مما أدى إلى خلق بيئة بتركيبة غريبة متعددة الولاء والهوية، تتنازعها الانتماءات القبلية والسياسية والفكرية، أثرت على نفسية المجتمع، فقد برز في الكوفة الحزب الأموي، ومن جهة ظهر التيار العثماني، الذي تشكل كرد فعل سياسي وعاطفي بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان الذي شكل بيئة خصبة للكراهية، وقد استغل معاوية هذا الاتجاه حين رفع شعار الاقتصاص من قتله عثمان متهمًا الإمام

(١) يُنظر: سيكولوجية الجماهير، ص ٦٧ .

(٢) يُنظر: المجتمع السوي، ص ٣٠٣ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

عليّ (عليه السلام) بأنه قتله، فعملت السلطة الأموية على تشويه صورته وصورة أهل بيته (عليهم السلام)، فزرع بذلك بذور البغضاء في قلوب الجماهير، وقد أدى هذا التيار دوراً مباشراً في معاداة النهضة الحسينية، والذي برز واضحاً في واقعة الطف عندما خاطب عزرة بن قيس الأحمسي زهير بن القين: "يا زهير، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنما كنت عثمانياً"^(١)، وقد كان بعضهم يبارز وهو يقول "أنا على دين عثمان"^(٢).

وقد تجلّى البغض في صور متعددة من التاريخ الإسلامي المبكر، حين أنقلب الخوارج على الإمام عليّ (عليه السلام) بعد أن أشاروا عليه باللجوء إلى التحكيم ثم كفروا ورفعوا شعار "لا حكم إلا لله"، فقال لهم الإمام عليّ (عليه السلام): "كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ"^(٣)، وعانى الإمام عليّ (عليه السلام) من تذبذب الولاء ويتضح ذلك في خطابه للمجتمع الكوفي إذ قال: "يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ خُلُومِ الْأَطْفَالِ وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرْكُمُ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً وَاللَّهِ جَرَتْ نَدْمًا وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا قَاتَلَكُمْ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا وَشَحَنَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا وَجَرَّعْتُمُونِي نُعْبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ لِلَّهِ أَبُوهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مَنِي لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السِّتِّينَ وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ"^(٤).

كما تجلت هذه الأحقاد المتراكمة والغُل الدفين بشكل صريح في يوم عاشوراء، حين واجه الإمام الحسين (عليه السلام) الجموع المقاتلة بقوله: "أَخْبِرُونِي، أَتَطْلُبُونِي بِقَتِيلٍ مِنْكُمْ قَتَلْتُهُ، أَوْ

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١١٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤١٧؛ عباس القمي، نفس المهموم، ص ٢٠٨.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٤٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٣٥؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١٠٣؛ الطبرسي، إعلام الوري، ج ١، ص ٤٦٢.

(٣) مالك، المدونة الكبرى، ج ٢، ص ٤٩؛ أبو جعفر الأسكافي، المعيار والموازنة، ص ١٧٠؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٨٢.

(٤) الكليني، الكافي، ج ٥، ص ٦؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٦٩ - ٧٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٧٦.

مَالٍ لَكُمْ اسْتَهْلَكْتُهُ، أَوْ بَقِصَاصٍ مِنْ جِرَاحَةٍ"^(١) فقد وضع الإمام خصومه في مواجهة سؤال أخلاق صريح، إذ لم يكن هناك جناية ولا اعتداء ولا تجاوز على حق من حقوق المجتمع فما هو المبرر حتى يستبيح دمه!، وقد سكت البعض منهم^(٢)، بينما رد آخرون بقولهم: نُقَاتِلُكَ بُغْضًا مِّنَّا لِأُبَيْكَ!"^(٣)، ويكشف هذا الجواب عن عمق التحول القيمي في المجتمع، معلنين أن الحافز على مقاتله الإمام الحسين وأهل بيته (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) هو البغض الشخصي والتاريخي، إذ نجحت السلطة الأموية في ترسيخه داخل الوعي العام، وشيطنة المشروع العلوي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بوصفه تهديدًا لوحدة الإمة لإسلامية، على الرغم أن الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في بادئ الأمر فقط رفض مبايعة يزيد، إذ أراد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من خلال ذلك إسقاط مشروع السلطة الأموية وذلك من عدم البيعة، والتي تعني رفع غطاء مشروعية السلطة السياسية، فقامت السلطة الأموية بتشويه صورة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وتحويله إلى مصدر تهديد.

وعليه فقد برز في المجتمع الكوفي فئات متعددة اتخذت موقفًا معاديًا للنهضة الحسينية وفي مقدمتها فئة السلطة الأموية التي شكلت العمود الفقري للفئات المعادية، إذ انعكست سياسات الأمويين السلطوية على العديد من الشخصيات والفئات النفعية والمخالفة للعلويين في إعلان ولائهم للأمويين وتبني سياساتهم ومن أبرزهم عبيد الله بن زياد الذي سعى في تأمين الولاء السياسي للسلطة الأموية ومواجهة أي تعاطف محتمل مع النهضة الحسينية، معتمدًا خطابًا دعائيًا يجمع بين التهيب والترغيب، إذ أعلن زيادة الأعطيات العسكرية مئة درهم لكل مقاتل، وأتبع ذلك بتهديد واضح وصريح لكل من يتخلف عن المعسكر الأموي بسقوط الذمة عنه، فقد قال: 'فلا يبقين رجل من العرفاء والمناكب والتجار والسكان إلا خرج فعسكر معي، فأيما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلفا عن العسكر برئت منه الذمة'^(٤)، فقد مارست السلطة الأموية سياسة تقوم على شراء

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٣٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٢٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٧٠.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٣٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٢٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٧٠.

(٣) مقاتل ابن عطية، أبهى المداد، ج ٣، ص ٣٧٧؛ لبيب بيضون، موسوعة كربلاء، ج ٢، ص ١٤٨.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٨٦ - ٣٨٧؛ مرتضى العسكري، معالم المدرستين، ج ٣، ص ٨١ - ٨٣.

الفصل الثالث تباین الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

الولاءات وفرض الرقابة القمعية، بهدف تحويل المجتمع الكوفي إلى بيئة خاضعة للإدارة العسكرية ومنع أي تحرك يمكن أن يدعم النهضة الحسينية .

كما برز بين الفئات المعادية فئة القادة العسكريين الطامعين، حيث كان للمآرب الشخصية وحب السلطة والرغبة الشديدة والسعي لامتلاك النفوذ دورًا في تباین مواقف أفراد المجتمع، حيث دفعت هذه الأسباب شمر بن ذي الجوشن وعمر بن سعد فقد عمد الأخير إلى مكاتبة يزيد بن معاوية لإعلامه بقدوم سفير الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مسلم بن عقيل إلى الكوفة^(١)؛ وذلك من أجل الحصول على الحظوة لدى يزيد ولعل أن يخصه بولاية، فقد كانت المصلحة الشخصية النفعية محركًا قويًا لدى عمر بن سعد في مقاتله الإمام الحسين^(٢) (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من أجل الحصول على ولاية الري^(٣)، أن هوى السلطة والمقام وحب الثروة يُعمي في كثير من الأحيان قلوب بعض الجماهير وأبصارهم بحيث يفقدون القدرة على الرؤية والتمييز بين الحق والباطل، وبين المبادئ الأصلية والقيم المادية الزائلة، ومن أجل تخفيف حدة الضمير يلجأ هؤلاء إلى عالم التبريرات الواهية، حتى وأن كانت تلك الأفعال قائمة على الظلم وسفك دماء الأبرياء، إلا أن الإنسان يظل شاهدًا على نفسه^(٤)، ودلالة ذلك في قوله تعالى ﴿لِلْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾^(٥)، وتجلى هذا في موقف عمر بن سعد على الرغم من أنه كان يعلم فداحة ما هو مقدم عليه، وكان باستطاعته أن يتصل من مهمة محاربة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، لكنه حاول

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٣٥؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ص ٣١ .

(٢) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٩٥-٩٤؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ١٦٨ .

(٣) الري: وهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا وإلى قزوین سبعة وعشرون فرسخا ومن قزوین إلى أبهر اثنا عشر فرسخا ومن أبهر إلى زنجان خمسة عشر فرسخا . يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١١٦ .

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان، ج ٢٣، ص ٤٩٢ .

(٥) سورة القيامة، الآية ١٤ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

تبرير مهمة القيام بهذه العملية هو أن لم أقم بها أنا فسيقوم بها غيري وهو شمر بن ذي الجوشن^(١).

أن طموح عمر بن سعد طغى على ضميره، فلبس أفعاله برداء الطاعة للسلطة الحاكمة، فأثر الباطل على أتباع نهج العدل والحق، فخرج على رأس جيش يقدر عدده بأربعة آلاف مقاتل لمواجهة الإمام الحسين (عليه السلام) بعد أن كانوا معدّين لحملة عسكرية على الري^(٢)، وقد جمعت عناصره من أنصار السلطة الأموية، والطامعين بالمكاسب المادية والمتريدين الذين خضعوا للتهديد بالقتل أو السجن في حال امتنعوا عن المشاركة، وبذلك استطاعت السلطة الأموية من تحويل الكوفة من حاضنة محتملة للنهضة الحسينية إلى معسكر للقمع والمواجهة^(٣)، وقد بلغ الانحدار الأخلاقي بعمر بن سعد أن يأمر بأن توطأ الخيول جسد الإمام الحسين (عليه السلام)^(٤) في مشهد يعكس مدى تغلب المصالح الدنيوية على كل معايير القيم الإنسانية .

كما أنّ شمر بن ذي الجوشن الذي عرف بمواقفه العدائية لأهل البيت (عليهم السلام)، فقد شارك في معركة النهروان ضد الإمام علي (عليه السلام) بعد أن انحاز إلى صفوف الخوارج وبني أمية، للبحث عن النفوذ السياسي وبرز دوره في شرعنه القتل وإقصاء الأصوات الموالية لأهل البيت في شهادة الزور ضد حجر بن عدي الكندي^(٥)، كما عمل على تفكيك الحاضنة الشعبية لمسلم بن عقيل من خلال التخويف والإرهاب السياسي^(٦)، فضلاً عن محاربة الإمام الحسين (عليه السلام).

(١) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٩١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤١٥؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ٧٣.

(٢) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٠٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٠٩؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٥، ص ٤٩.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٨٦ - ٣٨٧؛ مرتضى العسكري، معالم المدرستين، ج ٣، ص ٨١ - ٨٣.

(٤) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤١٥؛ ابن نماء، مثير الأحزان، ص ٦٦؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٧٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٦١.

(٥) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٧٠.

(٦) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٥٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٦٩؛ ابن أعثم، الفتوح، ج ٥، ص ٥٠.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

(السَّلامُ) إذ تولى قيادة ميسرة الجيش الأموي^(١)، ولم يكن شمر بن ذي الجوشن فردًا في مواجهة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلامُ) بل أمتد التحالف ضد الحق ليشمل قبيلته هوازن التي لعبت دورًا محوريًا في محاربة الإمام (عَلَيْهِ السَّلامُ) فقد كانت من بين القبائل التي انضوت تحت لواء السلطة الأموية، والتي ساهمت في بشكلٍ فاعل في المعسكر والعمليات القتالية، التي أدت إلى استشهاد الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلامُ)، وجاءت برؤوس الشهداء وعددها عشرون رأسًا إلى والي الأموي عبيد الله بن زياد بقياده الشمر نفسه^(٢) .

ويمكن التعليق على توجه هذه الفئة من خلال النظرية الميكافيلية^(٣) التي برزت في مقولة (الغاية تبرر الوسيلة)، لأن هذا النوع من الناس يشارك بشتى الطرق للوصول إلى الإمارة بالغدر والإثم، ويكون بلا عدل ولا رحمة، وأن سهلت تلك الأمور نيل الملك لكنها لا تتيل صاحبها مجدًا^(٤)، وأنَّ البشر خبيثاء يتمسكون بالمصالح المادية النفعية، ميالون للكسب سريعو التحول وهم على استعداد لتغيير اهوائهم وعواطفهم، بل أنهم مستعدون لتجاوز كل الحدود الأخلاقية لتحقيق مصالحهم^(٥).

وتعد ظاهرة النقلب في المواقف والانتهازية السياسية في الكوفة زمن النهضة الحسينية ظاهرة جماعية لم تقتصر على فرد بعينه، بل كانت موقفًا اجتماعيًا تجسد بوضوح في سلوك شبت

(١) يُنظر: ابو مخنف، قتل الحسين، ص ١٢٨؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٥٦؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ١٨٧.

(٢) يُنظر: ابو مخنف، قتل الحسين، ص ٢٤٦ - ٢٤٧؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤١٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٦٨ .

(٣) الميكافيلية: نظرية في الحكم والسلوك السياسي تقوم على السعي إلى السلطة بأي وسيلة كانت، ارتبطت باسم المفكر الإيطالي نيكولا ميكافيلي (١٤٦٩-١٥٣٢م)، الذي عرض مبادئها في كتابه الشهير الأمير، الموجّه إلى الأمير الإيطالي لورينزو دي مديتشي. ويُعد هذا الكتاب أول نص مؤسّس في الفكر السياسي الحديث، إذ قدّم تصوّرًا جديدًا للسلطة قائمًا على الواقعية السياسية البحتة، الركيزة الأساسية في الميكافيلية هي القاعدة الشهيرة: "الغاية تبرر الوسيلة"، بما تحمله من إلغاء للاعتبارات الأخلاقية في الحكم، ومن أخطر مبادئها إجازة تحويل المحظور إلى مباح متى ما كان يخدم تثبيت الحكم أو بلوغ السلطة؛ فتصبح القسوة والوحشية أدوات استراتيجية، وتُعتبر الممارسات الدموية والأخلاقية وسائل مشروعة وضرورية في صراع الحكام على السلطة. يُنظر: نيكولا ميكافيلي، الأمير، ص ٣ - ١٢ .

(٤) يُنظر : نيكولا ميكافيلي، الأمير، ص ١٠٠- ١٠٣ .

(٥) يُنظر: نيكولا ميكافيلي، الأمير، ص ٥ - ٦ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

بن ربيعي التميمي وغالبية أفراد المجتمع، فشبت الذي بدأ موقفه بدعم للنهضة الحسينية الذي كان ممن كاتبوا الإمام الحسين (عليه السلام) داعيًا إياه للقدوم إلى الكوفة، لكنه سرعان ما انقلب على موقفه بعد أن أدرك تغير موازين القوى لصالح السلطة الأموية وأصبح من قادتها، إذ تحرك شبت بن ربيعي ضمن منطق السلطة لا المبادئ، فقد بدأ بدعوة الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة، ثم أنقلب عليه^(١)، وأسهم بفاعلية في القضاء على حركة مسلم بن عقيل بعد أن عقد له عبيد الله بن زياد لواء لمقاتلته^(٢)، فكان أداة من أدوات النظام القمعي، إذ سعى إلى انتاج الطاعة السياسية للسلطة الحاكمة عبر الوعود بالكرامة والمنافع المادية، كما عمل على ترهيب الجمهور الكوفي بالتهديد والعقوبة لمن يخرج ضد السلطة ويساند مسلم بن عقيل ورسم صورة مصغرة في أذهان المجتمع بأن جيش الشام قادم إليهم^(٣)، كما بعثه عبيد الله بألف مقاتل وأمره أن يلتحق بجيش عمر بن سعد^(٤)، إذ كان أمير الرجالة في معسكره^(٥)، وشاركت معه قبيلته مشاركة مباشرة، إذ جاءت بسبعة عشر رأسًا من شهداء الطف^(٦).

لقد جسّد شبت بن ربيعي في سلوكه السياسي نموذجًا دقيقًا لما وصفه نيكولا ميكافيلي من أن السياسي لا ينبغي عليه أن يكن صادقًا على الدوام ولا يحفظ العهود إذا كانت ضد مصلحته، فعليه أن يتطبع بخصال الثعلب، أي أن يتحول الفرد في مواقفه حسبما يقتضيه تقلب

(١) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٣٢؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٩٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٢٥.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٥٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٦٩؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ١٠٣.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٥٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٧٠؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٥٣.

(٤) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٨٧؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٥٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨٦.

(٥) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٢٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٦٨.

(٦) يُنظر: أبو مخنف، قتل الحسين، ص ٢٤٧؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤١٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٦٨.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

الأحوال، من أجل الاحتفاظ بمكانته وامتيازاته في عالم متقلب لا تحكمه القيم بل المصالح^(١)، وهكذا عمل شبت ضد الإيمان والإنسانية والدين، لا عن جهل وانما عن وعي تام وحساب سياسي بدليل اعترافه الصريح: "أَلَا تَعْجَبُونَ أَنَّا قَاتَلْنَا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمَعَ ابْنِهِ آلِ أَبِي سُفْيَانَ خَمْسَ سِنِينَ ثُمَّ عَدَوْنَا عَلَى ابْنِهِ وَهُوَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ نُقَاتِلُهُ مَعَ آلِ مُعَاوِيَةَ وَابْنِ سُمَيَّةَ الزَّائِنَةَ، ضَلَالٌ يَا لَكَ مِنْ ضَلَالٍ!!"^(٢)، وهذا التحول يمكن تفسيره من خلال مبدأ التحول الذي وصفه نيكولا ميكافيلي بأن طبيعة الناس ليست قائمة على الوفاء أو الثبات، بل على المصلحة الآنية وتجنب الخطر^(٣)، لقد أثر شبت النجاة والامتيازات على المبدأ والولاء، وقد أثبت من خلال قوله بأنه أشترك مع الباطل رغم معرفته بالحق^(٤).

إما الفئة الأخرى التي أدت دوراً رئيساً في معاداة النهضة الحسينية، فقد تمثلت بأشراف الكوفة وقبائلهم ورؤساء العشائر الذين كانوا يمثلون الطبقة الأكثر نفوذاً في المجتمع، إذ كانت مواقفهم حاسمة، فقد شكلت هذه الفئة بما تملكه من نفوذ اجتماعي أداة فعالة بيد السلطة الأموية، وقد برز من هذه الفئة عدد من الشخصيات التي لعبت دوراً جوهرياً في تثبيت الموقف المعادي للنهضة، منهم كثير بن شهاب الحارثي الذي كان عثمانى الهوى^(٥) أموي التبعية، الذي اعتبر مناهضة الثورة الإصلاحية أفضل وسيلة لتأمين مكانته داخل الحكم والحصول على الحظوة لدى السلطة الأموي، ولذلك تبنى خطاباً يرسخ هيمنة السلطة الأموية، ويمنع تشكيل أي وعي جماهيري بديل، فاضطلع بدور تحريضي وتضليلي بارز وذلك عبر بث الإشاعات وتثبيط الهمم، فكان يطوف في الكوفة ويأمر المجتمع بالطاعة والاستقامة للسلطة الأموية، كما خوفهم من عواقب الأمور والفتنة ومعصية السلطة ويأمرهم بالجماعة وتجنب الفرقة، وتخذيلهم عن مناصرة ومساندة

(١) يُنظر : الأمير، ص ١٤٥ - ١٤٧.

(٢) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٥٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٣٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٧٥.

(٣) يُنظر: الأمير، ص ١٤١.

(٤) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٥٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٣٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٧٥.

(٥) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٨٧.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

الإمام الحسين (عليه السلام)^(١)، ساعياً لترسيخ روح الاستسلام في النفوس ومنع أي تحرك شعبي ضد السلطة الأموية، وقد نجح في ذلك بالفعل، إذ خاطب المجتمع قائلاً: "أيها الناس الحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشر، ولا تعرضوا انفسكم للقتل، فإن هذه جنود ... يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الأمير عهداً: لئن اتممت على حربه ولم تنصرفوا من عشيكم ان يحرم ذريتكم العطاء، ويفرق مقاتليكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى فيكم بقية من أهل المعصية إلا اذاقها وبال ما جرت أيديها"^(٢)، فما أن سمع المجتمع خطابه أخذ الناس يتفرقون وينصرفون^(٣)، إذ كانت المرأة تأتي ابنها أو أخاها فتقول انصرف الناس يكفونك، وكذلك الحال فأن الرجل يأتي إلى أبنه وأخيه فيقول غداً يأتي جند أهل الشام فما تفعل بالحرب والشر^(٤).

لقد جاءت طريقة كثير بن شهاب في التأثير على الرأي العام الكوفي تطابق تماماً ما يذكره غوستاف لوبون في كتابه سيكولوجية الجماهير إذ يرى أن "الجماهير لا تتأثر إلا بواسطة العواطف المتطرفة، فإن الخطيب الذي يريد جذبها ينبغي أن يستخدم الشعارات العنيفة، ينبغي عليه أن يبالغ في كلامه ويؤكد بشكل جازم ويكرر دون أن يحاول إثبات أي شيء عن طريق المحاجة العقلانية"^(٥)، ومن هذا المنطلق، لم يكن كثير بن شهاب يخاطب عقول الناس بل العواطف معتمداً أسلوب التخويف والتهويل والمبالغة، وهكذا استطاع عبر لغة الخوف وتضخيم التهديدات أن يحدث تفككاً جماهيرياً سريعاً في صفوف المؤيدين، مسخرًا العوامل النفسية والاجتماعية في خدمة خطاب الطاعة والتخذيل، لقد كان هذا الانصراف الجماعي نتيجة مباشرة للخطاب التحريضي الذي وجهه بدقة لعقلية الجماهير سريعة التقلب، وقد جاءت استجابة غالبية المجتمع مع ما يصفه نيكولا

(١) يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٠١.

(٢) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٥٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٧٠ - ٣٧١؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٥٣ - ٥٤.

(٣) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٥٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٧٠ - ٣٧١؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٥٣ - ٥٤.

(٤) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٥٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٧١؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٨٧؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٥٤.

(٥) ص ٧٥.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

ميكافيلي في تحليله لطبيعة الجماهير، إذ يرى أنهم سريعو التحول مختلفين الطبائع والغرائز، مبالغون لتجنب الأخطار، محبّون للكسب، فهم يبدون الولاء الكامل ما داوموا آمنين، لكنهم سرعان ما ينقلبون وتتغير مواقفهم حينما يحدق بهم الخطر^(١).

كما لعب كل من حجار بن أبجر العجلي، ويزيد بن الحارث الشيباني وهما من أشرف الكوفة وزعمائها، دورًا كبيرًا في مناهضة النهضة الحسينية، سعيًا للحفاظ على مصالحهم السياسية التي ارتبطت بالسلطة المركزية، فكانوا من بين الذين كاتبوا الإمام الحسين (عليه السلام)^(٢)، لكن تغيرت مواقفهم بعد وصول عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، فقد تصرفا على اعتبارهم عصبية تبحث عن البقاء ضمن النظام الذي يضمن لها مصالحها، فقدموا مصلحتهم الخاصة على المبادئ والقيم التي نادى بها النهضة الحسينية، فاستجابوا للسلطة الأموية في تثبيت الطاعة وتحولوا إلى أدوات لتسوية سلطة يزيد، فنجحوا في تفريق المجتمع الكوفي عن مسلم بن عقيل وتبنوا خطاب السلطة الأموية القامع للنهضة^(٣).

وقد شاركوا في جيش عمر بن سعد المعد لمحاربة الإمام الحسين (عليه السلام)، إذ وجه عبيد الله حجار بن أبجر في ألف مقاتل، كما وجه يزيد بن الحارث بالمثل، وكانوا لا يصلون إلى معسكر عمر بن سعد إلا بثلاثمائة مقاتل أو أربعمائة وأقل كراهة الأفراد الاشتراك في مقتل حفيد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ^(٤)، وقد إقام الإمام الحسين (عليه السلام) الحجة عليهم بأنهم قد عمدوا إلى مكاتبته لكنهم أنكروا ذلك^(٥)، أنهم لم يراعوا العهد، وتمكنوا من تحيير أوهام الناس بمكرهم، فكانوا مثلاً حياً للنفعية، حيث أتمم سلوكهم بالتحول للبراغماتي وذلك للحفاظ على النفوذ،

(١) يُنظر: الأمير، ص ١٤١ .

(٢) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٣٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٧٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٣.

(٣) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٥٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٦٩؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٥٢.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٨٧ .

(٥) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٣٢؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٩٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٢٥ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

لذلك فمن غير الممكن أن يحفظوا العهود لأنها ضد مصلحتهم، وفي نهاية أنهم سيتغلبون على الذين أتخذوا الأمانة عادة والوفاء أساساً لحياتهم^(١).

كما جسد أسماء بن خارجة الفزاري^(٢) (ت ٦٦٥ هـ / ٦٨٥ م) الذي كان سيد قومه مظهرًا من مظاهر التناقض في سلوك سادات الكوفة وأشرافها، إذ اجتمع في شخصه الفعل السياسي للسلطة الأموية من جهة، والنزعة القبلية من جهة أخرى، فقد شارك بتفكيك الحاضنة الشعبية لمسلم بن عقيل، حيث كان من بين الذين بعثهم عبيد الله بن زياد لإحضار هانيء بن عروة^(٣) رغم معرفته بعداء السلطة الأموية له التي تحمل ضغينة ضده وتخطط لقتله، نتيجة لإيوائه ومساندته لسفير الإمام الحسين (عليه السلام)، ورغم اعتراضه الصريح لاحقًا على ما تعرض له هانيء من ضرب وإهانة بقوله: "أمرتنا أن نجئك بالرجل حتى إذا جنناك به، هشمت وجهه، وسيلت دمه على لحيته، وزعمت أنك تقتله" ويقال أن ابن زياد قد أمر بحبسه^(٤)، أن هذا الاعتراض لا يعكس معارضة حقيقية للسلطة، وإنما هو نوع من الملامة الأخلاقية، نظرًا لمكانة هانيء بن عروة الذي كان زعيم قبيلة مراد وأحد وجهاء الكوفة وأشرافها وله مكانة مرموقة بين قومه والمجتمع الكوفي، وأن هذا الاعتراض لم يترجم إلى انسحاب أو تمرد، بل بقي أسماء بن خارجة منخرطًا إلى جنب السلطة الأموية، فلربما هذا الاعتراض محاولة لحفظ ماء وجهه إمام قومه، فضلًا عن ذلك أن عبيد

(١) يُنظر: نيكولا ميكافيلي، الأمير، ص ١٤٤ .

(٢) أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري، أحد الأشخاص الذين شهدوا ضد حجر بن عدي، بناءً على طلب من زياد بن أبيه، والي العراق، ليقوم معاوية باتخاذ ذلك ذريعة لقتل حجر بن عدي وأصحابه في مرج العذراء، وبعد مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) عزم المختار على هدم دار أسماء بن خارجة الفزاري وإحراقها لأنه كان ممن عمل في قتل مسلم بن عقيل، وشارك في قتال الإمام الحسين (عليه السلام)، وهرب أسماء خوفًا على نفسه، فنزل على ماء لبنني أسد يسمى ذروة ببادية الشام في نفر من مواليه وأهل بيته فأقام بها، ولم يزل أسماء مقيما بذروه إلى أن قتل المختار، ودخل مصعب بن الزبير الكوفة، فانصرف اسماء إلى الكوفة . يُنظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣٠٣ . ٣٠٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٧٠؛ ابن أعثم، الفتوح، ج ٦، ص ٨٠؛ ابن حبان، الثقات، ج ٤، ص ٥٩؛ بن شاعر، فوات الوفيات، ج ١، ص ١٦٨ .

(٣) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٤٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٦٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ص ٣٤ .

(٤) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٥٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٦٧.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

الله بن زياد كان زوجاً لابنته هند بنت أسماء بن خارجة^(١)، مما يعني أن العلاقة بينهما لم تكن مجرد طاعة سياسية بل مصاهرة .

وقد شارك أسماء بن خارجة فعلياً في واقعة الطف ضمن جيش الدولة الأموية، وبعد انتهاء المعركة، عندما كان القوم يقطعون رؤوس سادات أهل البيت (عليهم السلام)، كان الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) لا يزال على قيد الحياة، فتدخل أسماء بن خارجة الفزاري قائلاً دعوه لي، والله لا يصل احد إلى ابن خولة، وحمله إلى الكوفة وقال عبيد الله بن زياد: دعوا لأبي حسان ابن اخته^(٢)، فقد تشفع له أسماء بن خارجة لا لأنه أحد أبناء حفيد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإنما توسل بدعوة النسب لحمايته؛ وذلك لأن أم الحسن المثنى، خولة بنت منظور الفزارية تنتمي إلى قبيلته^(٣)، ويكشف هذا الموقف عصبية قبلية مغلغة بلباس النخوة، تحكمها المصلحة القبلية لا المبادئ الدينية، وهذا ما أكد عليه ابن خلدون أن العصبية لا تقوم إلا على النسب أو ما في معناه من الولاء والتحالف، وهي التي تدفع المجتمع إلى النصر^(٤) .

كما أدى أحد اشراف الكوفة وهو عزرة بن قيس الاحمسي الشخصية التي تجسدت فيها ظاهرة التقلب في المواقف وانقلاب الولاء تبعاً لمصالح السلطة، فقد كان من الذين كتبوا إلى الإمام الحسين (عليه السلام) يدعونه فيها إلى الحضور الى الكوفة^(٥)، لكنه سرعان ما نكث البيعة، وخرج للقتال ضمن معسكر السلطة الأموية، وكان إحدى ادواتها العسكرية، حيث جعله عمر بن سعد

(١) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١٢، ص ٢٣؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٩٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٧٠، ص ١٦٥ .

(٢) يُنظر: أبي نصر البخاري، سر السلسلة العلوية، ص ١٧؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٢٥؛ العاملي، الدر النظيم، ثص ٥١٩؛ الإربلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ٢٠٢؛ ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ١٠٠ .

(٣) يُنظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢٨؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٢٠؛ محمد العلوي، المجدي في أنساب الطالبين، ص ٢٠١؛ الطبرسي، إعلام الوري، ج ١، ص ٤١٦ .

(٤) يُنظر: العبر، ج ١، ص ١٦٠ .

(٥) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٧٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٤٧٩ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

قائدًا على الخيالة^(١)، والمفارقة الأخلاقية الأبرز في سلوكه تتجلى عندما بعثه عمر بن سعد إلى الإمام الحسين (عليه السلام) يستفهم عن سبب قدومه، فاستحيا عزرة ان يقابل الإمام الحسين (عليه السلام) لأنه قد خان عهده القديم^(٢)، وهذا ما يدل على إحساس داخلي بالتناقض الأخلاقي بين ما فعله سابقًا وما يفعله الآن، كما خاطبه زهير بن القين^(٣) ناصحًا له: "فاتق الله يا عزرة فإني لك من الناصحين، أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية!"^(٤)، يبرز هذا الخطاب كمحاولة أخلاقية لتذكيره بالحق والالتزام بالوعود والمواثيق لكنها لم تجد استجابة، وذلك عزرة أختار الانحياز للسلطة؛ بسبب حسابات القوة والطمع والمصلحة، وفي هذا الموضوع يمكن أن نشير إلى رؤية علي الوردي الذي يرى أن من طبيعة الإنسان بوجه عام إنه ميال إلى تصديق كل ما يلائم رغبته أو مصلحته، فإذا سمع ما يخالف ذلك فإنه يلجأ للتقليل من قيمته^(٥)، لذلك رد عزرة على زهير قائلاً: "يا زهير، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنما كنت عثمانياً"^(٦).

أظهر عزرة بن قيس انزعاجًا عند اشتداد القتال، من قوة جياذ الإمام الحسين (عليه السلام)، الذين أبدوا شجاعة منقطعة النظير، فكانت تكشف خيله رغم قلة عددهم أثنان وثلاثون فارسًا، مما دفع بعزرة بن قيس بطلب الإمدادات من عمر بن سعد، وقد اقترح عليه أن يبعث إليهم الرجال والرماة^(٧)، وهذا يعكس حالة الارتباك الميداني أمام ثبات القلة المؤمنة، ويعد عزرة بن قيس نموذجًا

(١) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٢٨؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ١٨٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٢٢.

(٢) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٠٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤١٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٤٢٦.

(٣) زهير بن القين بن الحارث بن عامر بن سعد، من قبيلة بجيلة، وهي من القبائل العربية التي سكنت الكوفة. يُنظر: ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج ٢، ص ١٧٧؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٨٨.

(٤) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١١٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤١٧؛ محمد السماوي، إِبصار العين، ص ١٦٤.

(٥) يُنظر: مهزلة العقل البشري، ص ٧٥.

(٦) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١١٩؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٩٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤١٧.

(٧) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٣٦.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

ميكافيلي خالص، حيث قدم مصلحة البقاء والتقرب من السلطة على حساب المبادئ والعهود، إنه شخص انتهازي نفعي، إذ ينطبق عليه وصف ميكافيلي الذي يؤكد أن الناس يعمدون إلى تغيير مواقفهم حينما تكون ضد مصالحهم^(١)، لقد كتبت عزرة بنفسه للإمام الحسين (عليه السلام) متعهداً له بالنصرة وأقدم فإن لك جنداً مجندة^(٢)، ألا أنه نكت البيعة وأنضم إلى الجيش الأموي وتولى موقعاً قيادياً، ولم يكتف بذلك بل حمل رؤوس الشهداء من شباب بني هاشم وأصحاب الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة وأقدم بهم على عبيد الله بن زياد^(٣).

كما أدى زعيم قبيلة كندة محمد بن الأشعث الكندي دوراً محورياً في وأد حركة مسلم بن عقيل وتفريق الجماهير من حوله، أذ كان ضمن وجوه الكوفة الذين نادوا على اصحابهم بالابتعاد عن مسلم (عليه السلام) وأخذ يتوعدهم بجيوش يزيد وخيول أهل الشام، وهددهم بمنع الأعطية، وأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، فتفرقت الجماهير عن مسلم (عليه السلام)^(٤)، كما استقدم مسلم بن عقيل إلى ابن زياد بعد ما منحه الأمان^(٥)، وكان له دور في محاربة الإمام الحسين (عليه السلام) فقد كان يوم معركة الطف (٦١هـ/٦٨٠م) ضمن جيش عمر بن سعد على ربع ربيعة وكندة، وقد تهجم على الإمام (عليه السلام) بألفاظ نابية أذ قال "أين حسين؟، فإجابه الإمام (عليه السلام): ها أنا ذا، فقال: ابشر بالنار تردها الساعة"^(٦)، وأنكر على الإمام الحسين (عليه السلام) فضيلة وحرمة أنتسابه إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أذ روي أن "أَقْبَلَ رَجُلٌ آخَرَ مِنْ عَسْكَرِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ ، يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسِ الْكِنْدِيِّ ، فَقَالَ : يَا حُسَيْنَ بْنَ فَاطِمَةَ ، أَيُّهُ حُرْمَةٌ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَتْ لِغَيْرِكَ ؟ فَتَلَا الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى

(١) يُنظر: الأمير، ص ١٤١ .

(٢) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٣٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٧٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٣.

(٣) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٢١٨؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤١٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٥٦ .

(٤) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٣٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٧١-٣٧٠.

(٥) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٦٣-٦٤؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ١٠٧؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ٥٣ .

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٠١؛ ابن نما، مثير الأحزان، ص ٥٤ .

ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾
، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ ، إِنَّ مُحَمَّدًا لَمِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِنَّ الْعِتْرَةَ الْهَادِيَّةَ لِمَنْ آلِ مُحَمَّدٍ. مَنْ الرَّجُلُ ؟
فَقِيلَ : مُحَمَّدٌ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسِ الْكَنْدِيِّ" (٢) .

كما أن أخيه قيس بن الأشعث لا يختلف عنه في غدره ومناهضته وحربه للإمام الحسين (عليه السلام) فقد كان من الذين كاتبوا الإمام (عليه السلام) يستعجلونه بالقدوم إلى الكوفة، وقد خاطبه الإمام الحسين (عليه السلام) متسائلاً عن تبدل موقفه أذ قال: "...يا قيس بن الأشعث...، ألم تكتبوا إلى أن قد أينعت الثمار، واخضر الجنباب، وطمت الجمام، وانما تقدم على جند لك مجند فاقبل، لكن قيس بن الأشعث انكر ذلك وقال: ما ندري ما تقول، ولكن انزل على حكم بني عمك، فإنهم لن يروك إلا ما تحب، فقال له الإمام الحسين (عليه السلام): لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أفر فرار العبيد" (٣)، وبحكم هم زعماء قبائل انضوت قبيلتهم تحت حكم السلطة الأموية في مناهضة الإمام الحسين (عليه السلام) أذ جاءت بعد انتهاء معركة الطف بثلاثة عشر رأساً بقيادة قيس (٤).

إما الفئة الأخرى التي شاركت في معاداة النهضة الحسينية، التي كانت من ضمن فئة الطامعين بالمكاسب المادية والامتيازات الآنية، الذين كان دافعهم الأساسي هو الطمع في المال والجاه، والحصول على المغنم والأموال هي التي دفعت بفئة كبيرة من المجتمع الإسلامي إلى المشاركة في مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وهي فئة براغماتية نفعية وظيفتها الانقياد لمن يدفع أكثر ويوفر امتيازات عاجلة، وقد أدرك عبيد الله ابن زياد طبيعة هذه الفئة، فعمل على استمالتهم عبر التحفيز المالي فاغراهم بالأعطيات العسكرية إذ أعلن لكل فرد يشارك في المعسكر

(١) سورة آل عمران، الآية ٣٣ - ٣٤ .

(٢) الصدوق، الأمالي، ص ٢٢٢ .

(٣) المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٩٨؛ الطبرسي، إعلام الوري، ج ١، ص ٤٩٥؛ العاملي، الدر النظيم، ص ٥٥٣؛ الشافعي، جواهر المطالب، ج ٢، ص ٢٨٦ .

(٤) يُنظر: أبو مخنف، قتل الحسين، ص ٢٤٧؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤١٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٦٨ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

الأمويّ فله زيادة مئة درهم لكل مقاتل^(١)، مما دفع كثير من الانتهازيين إلى الانخراط في الجيش، ومن أبرز الشواهد على ذلك ما روي عن مسروق بن وائل أنه قال: "كنت في أوائل الخيل ممن سار إلى الحسين، فقلت: أكون في أوائلها لعلّي أصيب رأس الحسين، فأصيب به منزلة عند عبّيد الله بن زياد"^(٢)، يجسد هذا التصريح نموذج من الانحدار القيمي والأخلاقي، يندفع أفراد المجتمع نحو القتل طمعاً في المغامم والرضا السلطوي.

أنّ هذا الطمع وصل إلى حد الافتخار بقتل حفيد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وهذا ما ظهر في قول أحدهم وكان ممن ساهم في قتل الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) وحز رأسه الشريف وذهب به إلى عبّيد الله بن زياد قائلاً:

"أَوْفَرِ رِكَابِي فِضَّةً وَذَهَبًا فَقَدْ قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحَجَّبَا
قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا وَخَيْرَهُمْ إِذْ يُنْسَبُونَ نَسَبًا"^(٣)

يعكس النص الجهل القيمي الذي كان سائداً بين أوساط المجتمع، فهو يعترف بأنه قتل خير الناس أما وأبا ويقر بعلو نسب الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام)، لكنه يراه طريقاً للكسب والامتيازات، فيسعى إلى رأسه طمعاً في المكافأة المالية، وهذا ما يعكس قلباً مادياً غلفه الطمع، وعقلاً مخدراً فقد بوصلة القيم .

إنّ هذه البراغماتية لم تكن حالة فردية مقتصرة على فئة محددة، بل شكلت دافعاً لفئة كبيرة من الجماهير الذين شاركوا في معسكر عبّيد الله ابن زياد، وقد ساعد العقل الجمعي نتيجة للتزييف المتراكم في الخطاب الديني الأمويّ على تبرير هذا الفعل الشنيع، فذهب كثير منهم يتفاخرون بمشاركتهم في قتل حفيد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، على اعتبار أنه يحافظون على وحدة الجماعة أو ينفذون أوامر ولي الأمر، مما يظهر كيف تمكّنوا من تسويق الجريمة باسم الدين،

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ٣٨٦ - ٣٨٧؛ مرتضى العسكري، معالم المدرستين، ج٣، ص ٨١ - ٨٣.
(٢) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٤٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٣٦٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ١٧٣.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ٢٠٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٣٩٠؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص ١٢٩؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج٣، ص ١١٧.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

أنَّ السبب الحقيقي وراء انحراف المجتمع الإسلامي الكبير هو تفكك المنظومة القيمية في المجتمع، نتيجة العزوف والانفصال عن القيم القرآنية الإسلامية، بعد أن هجر القرآن الكريم ونسي الدين وغيب مفاهيم العدالة والحرية وكرامة الإنسان، وبذلك أُنِحت الأرضية النفسية والسلوكية التي تجعل من القتل مشروعاً، لا بل مرغوباً في سبيل مغنم الدنيا.

وقد أدت السلطة الأموية دوراً حاسماً في هذا التحول، إذ عملت بكل ثقلها على التأثير في سلوكيات المجتمع الإسلامي وتحريف مسيرته، إذ لم تستطع السلطة مقاومة شعار (لا اله الا الله محمد رسول الله) فقررت احتوائه وتحريف معناه، فعملت على هندسة وعي الأمة من خلال صناعة خطاب ديني مزيف، وترويج أحاديث نبوية موضوعة تنسف قيم القرآن وتبرر القتل والطاعة العمياء للسلطة مثل :

- " إِذَا بُويعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَأَقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا"^(١).

- " سَتَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارِقَ الْجَمَاعَةِ أَوْ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ فَأَقْتُلُوهُ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارِقَ الْجَمَاعَةَ"^(٢)، وذلك بالرغم من نصوص القرآن الكريم الواضحة كقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾^(٣)، كذلك روجت السلطة الأموية لعقيدة الجبر القائمة على أن الإنسان مجبور على أفعاله جبراً تكوينياً من قبل الله سبحانه وتعالى، أي أن الإنسان مسير لا مخير لا يملك حرية ولا قدره له على اختيار أعماله وأن أفعاله مفروضة عليه، مما أدى إلى تبرير الفعل الإجرامي بدعوى أنه من جهة القدر والقضاء الإلهيين^(٤)،

(١) مسلم، صحيح مسلم، ج٣، ص١٤٨٠؛ أبو عوانة، مستخرج أبي عوانة، ج٤، ص٤١١؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج١٦، ص٥١٧.

(٢) ابن حنبل، مسند أحمد، ج٣١، ص٣٣٨؛ النسائي، السنن الكبرى، ج٣، ص٤٢٨؛ الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ج٦، ص١٠٢؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج١٧، ص١٤٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٣٣.

(٤) يُنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص٨٥.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

فاستخدم الدين نفسه لتزييف الحقائق وتثبيت الطاعة المطلقة، وكان هذا المسار المنحرف من أخطر أدوات السلطة في تفريغ الإسلام من جوهره القيمي وتحويله إلى أداة طيعة في يد السياسة .

ومن ضمن فئة الطامعين برز كل من أسيد بن مالك الحضرمي وهاني بن ثابت الحضرمي الذين كانوا من ضمن العشرة الذين انتدبهم عمر بن سعد^(١) ، فقاموا بفعل شنيع وهو قيامهم برض جسد الإمام الحسين (عليه السلام)، فكانت غايتهم الحصول على الامتيازات المالية مهما كانت الوسيلة، وقد دخل أسيد بن مالك على عبيد الله بن زياد متفاخرًا بفعله قائلاً :

"نحن رضنا الصدر بعد الظهر بكل يعبوب^(٢) شديد الأسر"

فرد عليه عبيد الله بن زياد متسائلاً من أنتم فقال له : " نحن وطأنا بخيولنا ظهر الحسين حتى طحنًا حناجر صدره"^(٣).

تمثل هذه الأبيات الشعرية ذروة التجرد من القيم الدينية والإنسانية، وتكشف بكل وضوح الانحدار الأخلاقي والقسوة والعنف، التي مارسها أفراد الجيش الأمويّ تجاه الإمام الحسين (عليه السلام) الذي تجاوز حدود العقل والدين، فقاموا برض جسده الشريف بفعل متعمد وأمر من القيادة الأموية لإهانة الجسد بعد القتل، ويعد هذا الفعل مخالفاً لقيم الإسلام والإنسانية والتي تأمر بإكرام الميت فكيف إذا كان ابن بنت نبي الإمة (صلى الله عليه وآله وسلم).

ويمكن تفسير تلك الأفعال من حيث الجانب أو الرؤية الاجتماعية فيرى غوستاف لوبون أن الجماهير تبرهن على انحطاط اخلاقيتها غالباً، لأنها تتشكل كجمهور غير مسؤول يشعر

(١) وهم اسيد بن مالك وهاني بن ثابت الحضرمي وواخط ابن ناعم وصالح بن وهب الجعفي وسالم بن خثيمة الجعفي ورجاء بن منقذ العبدي وعمر بن صبيح الصيداوي وحكيم بن الطفيل السنبسي واخنس ابن مرثد واسحاق بن حوية. يُنظر: ابن نما، مثير الأحزان، ص ٦٦-٦٧؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٧٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٦١ .

(٢) الجواد كثير الجري السريع . يُنظر: الثعالبي، فقه اللغة، ص ١١٨؛ السيوطي، المزهري في علوم اللغة، ج ٢، ص ١٤٤.

(٣) ابن نما، مثير الأحزان، ص ٦٦ - ٧٦؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٧٩ - ٨٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٦١ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

الإنسان باللامسؤولية والانفلات من العقاب، فتطلق ما في الفرد من غرائز همجية بدائية نائمة في أعماقه، فيتحرك من الضوابط الأخلاقية والاجتماعية التي تقيده عندما يكون الفرد معزولاً^(١)، كما يوضح لوبون أن: "الخصائص الأساسية للفرد المنخرط في الجمهور تلاشي الشخصية الواعية، هيمنة الشخصية اللاواعية، توجه ضمن نفس الخط بواسطة التحريض والعدوى للعواطف والأفكار، الميل لتحويل الأفكار المحرض عليها إلى فعل وممارسة مباشرة، وهكذا لا يعود الفرد هو نفسه، وإنما يصبح عبارة عن إنسان آلي ما عادت إرادته بقادرة على أن تقوده"^(٢).

لابد من الإشارة أن هذا ليس تبرير للأفعال وإنما دراسة حركة الفرد العادي ضمن إطار الضغط والعقل الجمعي وأهمية المصلحة، وفي ضوء ذلك يمكن من خلاله فهم توحش سلوك بعض المجتمع الكوفي أو بالتحديد عسكر الجيش الأموي في واقعة الطف، فقد شارك بعضهم في رض الجسد الشريف للإمام الحسين (عليه السلام) بالخیل، أو التهافت على رفع الرأس طمعاً في الجائزة، ليس بدافع الكراهية الفردية وحدها، بل بفعل العقل الجمعي الذي هيأ لهم مناخاً نفسياً يشجعهم على ارتكاب العدوان ويلغي المحاسبة، فقد وجد أولئك القتلة في الجمهور المسلح درعاً نفسياً يحميهم من الشعور بالذنب، ويحول فعلهم إلى مصدر تفاخر.

أن المراد من رض الجسد الطاهر للإمام الحسين (عليه السلام) بعد قتله لم يكن جريمة ضد فرد وإنما بياناً دموياً موجهاً إلى المجتمع الإسلامي اجمع، مفاده أن السلطة الأموية لا تعرف حرمة لأحد حتى وأن كان خامس اصحاب الكساء^(٣)، قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٤)، أو سيد شباب الجنة، كما قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): " الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ"^(٥)، لقد أرادت الدولة الأموية أن تجعل من

(١) يُنظر: سيكولوجية الجماهير، ص ٧٩ .

(٢) سيكولوجية الجماهير، ص ٦٠ .

(٣) الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٢٦٢؛ الطبراني، المعجم الأوسط، ج ٤، ص ١٣٤؛ ابن الأثير، جامع الأصول، ج ٩، ص ١٥٦ .

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٣٣ .

(٥) ابن أبي شيبة، المصنف، ج ١٨، ص ٩٢؛ ابن حنبل، مسند احمد، ج ١٧، ص ٣١؛ النسائي، السنن الكبرى، ج ٧، ص ٤٦٠ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

جسد الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) نقطة انكسار في وعي الأمة، ليدرك الجميع أنَّ أي محاولة مستقبلية للتحرك للثورة أو المعارضة، ستقابل بما هو أشد من القتل نفسه، أرادت تحويل كربلاء إلى درس قمعي يؤكد أنَّ الخروج على الحاكم حتى ولو كان بالحق يقابل بالسحق الكامل، كما عملت على صناعة الخوف الجماعي وكسر الإرادة في نفوس المجتمع الإسلامي بإظهار أن السلطة فوق كل اعتبار شرعي أو ديني أو أخلاقي .

ويمكن تفسير حركة المجتمع المعادي الذي انساق مع سياسات وتوجهات السلطة الأموية من خلال أراء غوستاف لوبون في حركة الجمهور إذ يقول أن " الجمهور مقود كلياً من قبل اللاوعي، فأعماله واقعه تحت تأثير النخاع الشوكي أكثر مما هي واقعة تحت تأثير المخ أو العقل،...، ولكن بما أنها غير موجهة من قبل المخ فإن الفرد يتصرف على هوى صدف التحريض والإثارة،...، وبالتالي فهو عبد للتحريضات التي تظهرها، والفرد المعزول يمكنه أن يكون راسخاً لنفس المحرّضات المثيرة كالإنسان المنخرط في الجمهور. ولكن عقله يتدخل ويبين له مساوئ الانصياع لها"^(١) ، وبهذا يمكن أن نقول أن القتلة في معركة الطف لم يكونوا مجرد أشرار منفصلين، بل كانوا جزءاً من جمهور فقد ضميره الإنساني، وعطّل وعيه تحت سطوة التحريض الجماعي، فالبغض الذي ضل مكبوتاً لسنوات خرج للعلن في معركة الطف، وتحول إلى مشهد دموي، ولم يسلم منها حتى الطفل الرضيع عبد الله بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(٢)، فحين يقتل الطفل لا شيء فقط لكونه ينتمي لبית النبوة (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، أنَّ مقتل الطفل الرضيع في كربلاء كان البرهان الصارخ على أن الحقد المتراكم ينتج جمهوراً منزوع الوعي والرحمة والقيم، فقد تحول القاتل في كربلاء من فرد مسؤول إلى جمهور منفعل يقوده اللاوعي، لذلك فإن حرمة بن كاهل الأسدي^(٣) حين رمى الطفل بسهم، لم يكن يتحرك بصفته الفردية وإنما كان يمثل جمهوراً بكامله

(١) سيكولوجية الجماهير، ص ٦٣ - ٦٤.

(٢) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٨٧؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٠٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٤٨ .

(٣) حرمة بن كاهل الأسدي الوالبي من الشخصيات البارزة في الجانب الأموي بسبب دوره العسكري في واقعة كربلاء سنة ٦١هـ، وقد ارتبط اسمه في المصادر التاريخية برمي السهام والمشاركة المباشرة في استهداف الإمام

وافقه على هذا الفعل وسكت عنه، فنجحت السلطة الأموية في تحويل الجمهور إلى وحش بلا وعي، وساهمت بشكل مباشر في انحدار المجتمع الإسلامي من نور النبوة إلى ظلام التحريض وانهيار القيم.

٢ - الفئات المساندة :

على الرغم من تنوع الفئات التي نصبت العداء للنهضة الحسينية، فقد برزت في المقابل فئات مجتمعية اتخذت موقفًا داعمًا للإمام الحسين (عليه السلام) وقد كانوا فئة قليلة من المجتمع الكوفي بعدما ذكرنا الاساليب التي استعملتها السلطة الأموية ترهيب وقمع المجتمع ومنعه من المشاركة الأمر الذي جعل هذه الفئة قليلة ومكونة من مجموعة من الأفراد، الذين لم ينطلق موقفها المساند من الولاء العقدي فحسب، بل من قناعة عميقة بالمبادئ الانسانية التي تتجاوز الانتماءات الدينية والقبلية، فقد رأت هذه الفئة في نهضته مشروعًا اصلاحيًا يهدف إلى حماية كرامة الإنسان وصون العدالة إحداث التغيير ومواجهة الظلم والفساد السلطوي، وقد مثلت هذه الفئة النخبة الواعية، التي أدركت عمق الانحراف الأموي، وانحازت بوعي وبصيرة إلى المشروع الحسيني، مدفوعين بحس اخلاقي وواجب انساني يفرض عليهم نصره الحق، فلم تكن مواقفهم ارتجالية أو عاطفية، بل تعبير عن التزام عميق بمبادئ العدالة الأخلاقية ورغبة في تطبيق القيم الإنسانية الأصلية مثل الصدق والوفاء والشجاعة ومقاومة الظلم وهي قيم أرساها رسول الله (صلى الله عليه وآله) واليه وسلم في المجتمع .

تميز أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) بدرجة عالية من الوعي بقضية النهضة الحسينية واهدافها وعلى معرفة تامة بالقيادة المتمثلة بالإمام الحسين (عليه السلام) بوصفه الامتداد الطبيعي لرسالة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) واليه وسلم وامتدادًا لنهج أبيه الإمام علي (عليه السلام) في العدل والإصلاح، ولأخيه الإمام الحسن (عليه السلام) في حكمته وصبره، وقد زاد من هذا الوعي أنهم عايشوا الأوضاع المجتمعية المتردية تحت الحكم الأموي المتسم

=الحسين (عليه السلام) وأهل بيته . يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٠١؛ أبي الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٧٤.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

بالعصبية القبليّة والمحسوبية وتفاقم حالة الاغتراب الديني والاخلاقي، وبيئة سياسية ملوثة بالترهيب الأمويّ والتهديد بالقتل والمصادرة، ولم تتخذ هذه الفئات بشعارات السلطة ولا بتزييف الإعلام، فكانوا أشبه باللبنة الصلبة في جدار المجتمع المتداعي، وقد جاءت شهادة أعدائهم على هذا الوعي الإنساني خير دليل على صدق موقفهم حينما قال عمرو بن الحجاج الزبيدي مخاطبًا الجيش الأمويّ: "أَتَذُرُونَ مَنْ تُقَاتِلُونَ؟ فُرْسَانُ الْمِصْرِ، قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ، لَا يَبْزُرُ إِلَيْهِمْ مِنْكُمْ أَحَدٌ فَإِنَّهُمْ قَلِيلٌ وَقَلٌّ مَا يَنْبَقُونَ"^(١)، فكانوا مصداقًا لما قاله الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بحقهم: "فإني لا أعلم أصحابًا أوفى ولا خيرا من أصحابي"^(٢).

ولابد من الوقوف على مواقفهم ويأتي في مقدمتهم فئة الاصحاب الذين كانوا من صحابة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وهم يمثلون هذه الفئة حق تمثيل من حيث الولاء والاستشهاد من اجل الحق، فقد حفظوا وصيته، وثبتوا على ولائهم في مساندة الاصلاح والوقوف إلى جانبه، وفي الدفاع عن العمق الرسالي المحمدي الاصيل، ويأتي في مقدمتهم أنس بن الحارث الأسدي^(٣) الذي سمع حديث رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول: "إِنْ ابْنِي هَذَا يَعْنِي الْحُسَيْنَ يَقْتُلُ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا كَرْبَلَاءُ فَمَنْ شَهِدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَنْصِرْهُ"^(٤)، فلبى نداء الجهاد مع الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهو من عداد الكوفيّين^(٥) القلة الذين ناصرُوا الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فقد كان شيخًا كبيرًا طاعنًا في السن وقورًا شجاعًا، إذ يذكر أنه عندما برز إلى القتال شد وسط ظهره بعمامته ورفع حاجبيه بعصابته^(٦)، وأخذ يرتجز ويقول:

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٤٠٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٤٣٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٧٤.

(٢) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص١٢١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٤١٨؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص١١٢؛ المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٩١.

(٣) يُنظر: البخاري، التاريخ الكبير، ج٢، ص٣٠؛ البغوي، معجم الصحابة، ج١، ص٦٣؛ الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج١، ص٢٤٣.

(٤) البغوي، معجم الصحابة، ج١، ص٦٤؛ الأزدي، المخزون في علم الحديث، ص٤٨؛ الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج١، ص٢٤٣؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٤، ص٢٢٤.

(٥) يُنظر: ابن منده، المستخرج من كتب الناس، ج٢، ص٧١؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص٢٨٨.

(٦) يُنظر: باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين، ج٣، ص٢٣٤.

" آل علي شيعة الرحمن " وآل حرب شيعة الشيطان ^(١)

لقد جسد أنس بن الحارث مصداق لقول الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "اعْرِفَ الْحَقَّ تَعْرِفَ أَهْلَهُ"^(٢)، فقد ثبت على ولائه في مساندة الحق والدفاع عن حفيد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ونصرته، إذ لم يتردد في الانحياز إلى الحق حين تجلّى، فلم يمنعه كبر سنه من خوض غمار المعركة، فقاتل دون الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حتى مضى شهيداً^(٣) في طريق احقاق الحق وانصاف منهجه مؤكداً أنَّ الولاء للحق لا يقاس بالعمر أو القوة البدنية، وإنما بصدق البصيرة وثبات المبدأ، ومن الشخصيات الأخرى من فئة الأصحاب هو عبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري الخزرجي^(٤) من الصحابة الذين شهدوا بيعة الغدير وشهد للإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بذلك^(٥)، وقد واصل مسيرته في الدفاع عن القيم الالهية والاستمرار على الولاء حتى ارتقى شهيداً مع الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(٦).

ومن الشخصيات الأخرى المساندة الصحابي مسلم بن عوسجة الأسدي الذي كان في طليعة رجال الموالين للعلويين الذين كاتبوا الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يدعونه بالقدوم إلى الكوفة،

(١) ابن نما، مثير الأحزان، ص ٥٤ .

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٦٤؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢١٠؛ الهمداني، تثبيت دلائل النبوة، ج ١، ص ٢٢٥ .

(٣) يُنظر: البخاري، التاريخ الكبير، ج ٢، ص ٣٠؛ البغوي، معجم الصحابة، ج ١، ص ٦٣؛ ابن حبان، الثقات، ج ٤، ص ٤٩؛ الطوسي، رجال الطوسي، ص ٢١ .

(٤) هو عبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري من بني سالم الخزرج، أدرك رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وشهد واقعة غدير خم، رباه الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وعلمه القرآن. يُنظر: الجرجاني، الأملالي الخمسية، ج ١، ص ٢٢٦؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٤٦٥؛ المحلي، الحقائق الوردية، ج ١، ص ٢٢٩ .

(٥) ينظر: عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ، قَالَ: نَشَدَ الْإِمَامَ عَلِيَّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) النَّاسُ فِي الرَّحْبَةِ، مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍ؟ مَا قَالَ إِلَّا قَامَ، وَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ، فَقَامَ بَضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فِيهِمْ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ رَبِّ الْأَنْصَارِيِّ، فَقَالُوا: نَشَهُدُ أَنَّ سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: "أَلَا إِنَّ اللَّهَ وَلِيِّي، وَأَنَا وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَاجِبْ مَنْ أَحَبَّهُ، وَأَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُ، وَأَعِنْ مَنْ أَعَانَهُ". يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٤٦٥ .

(٦) محمد السماوي، إبصار العين في أنصار الحسين، ج ١، ص ١٥٨ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

وقد أدى دورًا في أخذ البيعة من المجتمع الكوفي وفي مساندة مسلم بن عقيل إذ كان يهيئ له الأموال والسلاح، قد عقد له مسلم على ربع مذبح وأسد^(١)، وبعد القبض على هانيء بن عروة ومسلم بن عقيل، توارى مسلم بن عوسجة عن أنظار السلطة الأموية هو وحبيب بن مظاهر واستطاعوا أن يتسللوا ويلتحقوا بركب الإمام الحسين (عليه السلام) على الرغم من السياسة الأمنية المشددة للسلطة الأموية^(٢)، وقد كان على ووعي كبير بقضية النهضة الحسينية، وقد تجلى هذا الوعي الكامل لرسالة النهضة الحسينية عندما طلب منهم الإمام الحسين (عليه السلام) أن يتفرقوا تحت جناح الليل إذ قال لهم مخاطبًا: "هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ، فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا، ثُمَّ لِيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، تَفَرَّقُوا فِي سَوَادِكُمْ وَمَدَائِنِكُمْ حَتَّى يَفْرَجَ اللَّهُ، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا يَطْلُبُونِي، وَلَوْ قَدْ أَصَابُونِي لَهَوَا عَنْ طَلَبِ غَيْرِي"^(٣)، فأبدى مسلم موقفه إذ رد عليه قائلاً: "أَنْحَن نَخْلِي عَنْكَ وَلَمَّا نَعْذِرُ إِلَى اللَّهِ فِي أَدَاءِ حَقِّكَ! أَمَا وَاللَّهِ حَتَّى أَكْسِرَ فِي صَدُورِهِمْ رَمَحِي، وَأَضْرِبَهُمْ بِسَيْفِي مَا ثَبَتَ قَائِمُهُ فِي يَدِي، وَلَا أَفَارِقُكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعِيَ سِلَاحٌ أَقَاتِلُهُمْ بِهِ لَقَذَفْتُهُمْ بِالْحِجَارَةِ دُونَكَ حَتَّى أَمُوتَ مَعَكَ"^(٤).

ويمكن أن نقف على مقدار القيم التي تحلت بها هذه الفئة الحقة من حيث الثبات والتضحية رغم كل الظروف والسياسات الأموية فقد دافع مسلم بن عوسجة بكل شجاعة عن عترة أهل بيت النبوة ومنهجها القويم وعن المبادئ والقيم حتى آخر نفس، إذ أوصى حبيب بن مظاهر الأسدي قائلاً: "أَوْصِيكَ بِهَذَا، رَحِمَكَ اللَّهُ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْحُسَيْنِ، أَنَّ تَمُوتَ دُونَهُ"^(٥)، وعندما

(١) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٥٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٦٩؛ ان الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٤١.

(٢) يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٤٣٦؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ص ١٢٥؛ المقرئ، المقفي الكبير، ج ٣، ص ٣٣٠.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٢٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤١٩؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ص ٧٥.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٢٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤١٩؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ص ٧٥؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ١، ص ٣٥٠.

(٥) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٥١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٣٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٧٤.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

أستشهد تنادى عسكر الجيش الأمويّ قتلنا مسلماً، فقال شيبث بن ربعي : " تَكَلِّتُكُمْ أَمَّهَاتُكُمْ إِنَّمَا تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ بِأَيْدِيكُمْ وَتَذَلُّونَ أَنْفُسَكُمْ لِغَيْرِكُمْ، أَتَفْرَحُونَ بِقَتْلِ مِثْلِ مُسْلِمٍ؟ أَمَا وَالَّذِي أَسْلَمْتُ لَهُ لَرَبِّ مَوْفٍ لَهُ قَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْمُسْلِمِينَ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَ .. أَذْرِبِجَانَ قَتَلَ سِتَّةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَبْلَ أَنْ تَنَامَ خُيُولُ الْمُسْلِمِينَ، أَفَيَقْتُلُ مِثْلَهُ وَتَفْرَحُونَ؟" ^(١)، أن هذه الكلمات تعكس مدى التناقض الذي كان يعيشه بعض أفراد الجيش الأمويّ فهم على علم ودراية بمكانة الإمام الحسين (عليه السلام) واصحابه وفضلهم، مع ذلك يقدمون على محاربتهم طمعاً في المناصب وخوفاً من فقدان المكاسب الدنيوية، فأثروا المصالح على نصرة الحق ، وهو ما عبر عنه الإمام الحسين (عليه السلام) في خطابه : "فَقَدْ مَلِئْتُ بُطُونَكُمْ مِنَ الْحَرَامِ فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِكُمْ" ^(٢)، وهذا الانحراف يكشف عن ضعف الإيمان وضمير مغلوب بالهوى، والانقياد بشكل أعمى للسلطة الأموية، إذا لم يمنعهم وعيهم بالحق من الانحياز إلى الباطل .

ومن الفئات التي ساندت الإمام الحسين (عليه السلام) فئة الانصار التي ارتكزت مواقفهم على رفض الظلم ونصرة المظلومين والشعور بالمسؤولية الاخلاقية والثبات على المبدأ ويأتي في مقدمتهم حبيب بن مظاهر الأسدي الذي كان في مقدمة الطليعة التي آمنت بالمشروع الالهي للإسلام المحمدي الأصيل، وقد واكبه منذ بدايته فقد كان بين الذين كاتبوا الإمام الحسين (عليه السلام) يدعونه بالقدوم إلى الكوفة، كما كان في طليعة المبايعين لمسلم بن عقيل، وقد كان شاهداً فاعلاً على مراحل الرسالة منذ زمن الإمام علي (عليه السلام) مشاركاً في جميع مشاهده، ثم واصل طريقه مع الإمام الحسين (عليه السلام) وقد ثبت على ولائه في مساندته للنهضة الحسينية ، ذلك لأنه يرى في الكلمة عهداً وفي البيعة ميثاقاً لا يجوز التراجع عنها، وجسد هذا الثبات حين التحق بالإمام في كربلاء، وشارك في المعركة بكل كيانه وإيمانه، وقد كان عنصراً فاعلاً في تعزيز جبهة الإمام الحسين (عليه السلام) وحشدها بالمقاتلين، إذ أستاذن الإمام الحسين (عليه السلام) أن يذهب إلى قومه ليدعوهم إلى نصرة الإمام والانضمام إليه، إذ خاطبهم قائلاً : " إني قد أتيتكم

(١) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٥٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٣٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٧٤.

(٢) الهاروني، تيسير المطال، ص ١٥٤؛ المحلي، الحقائق الوردية، ج ١، ص ٢٢٣؛ احمد حسين يعقوب، كربلاء الثورة، ص ٢٨٤ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

بخير ما أتى به وافد إلى قوم قط، أتيتكم أدعوكم إلى نصره ابن بنت نبيكم فإنه في عصابة من المؤمنين ، الرجل منهم خير من ألف رجل ، لن يخذلوه ولن يسلموه وفيهم عين تطرف ،...، وأنتم قومي وعشيرتي ، وقد أتيتكم بهذه النصيحة ، فأطيعوني اليوم تنالوا شرف الدنيا وحسن ثواب الآخرة،^(١)، وكانوا قد استجابوا في بادئ الأمر لكنهم عندما رأوا خيول عمر بن سعد تخوفوا وتهربوا من المسؤولية، حتى غادروا منازلهم تحت جنح الليل^(٢) .

كان حبيب على ميسرة الإمام الحسين (عليه السلام) وقد حاول أن يعظ جيش عمر بن سعد الذين طبع الله على قلوبهم، فخاطبهم قائلاً: "أما والله لبئس القوم عند الله قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذريه نبيه عليه السلام وعترته أهل بيته صلى الله عليه واله وعباد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسفار، والذاكرين لله كثيراً"^(٣) .

أما الشخصية الأخرى التي جسدت أروع سمات الوفاء والتضحية وأحد دعاة النهضة الحسينية ألا وهو عابس بن ابي شبيب الشاكري الذي ينتمي إلى قبيلة همدان، هذه القبيلة التي لطالما عرفت بولائها لأهل البيت (عليه السلام)، وقومه الذين قال بحقهم الإمام علي (عليه السلام): "لو تمت عدتهم ألفا لعبد الله حق عبادته"^(٤)، فقد كان من خواص أصحاب الإمام علي (عليه السلام) ومن الرجال الموالين لأهل البيت الذي أعلن موقفه الواضح من النهضة الحسينية عند قدوم مسلم بن عقيل إذ إجاب بالقول الصريح: "وَاللَّهِ لأَجْبِينَكُمْ إِذَا دَعَوْتُمْ، ولَأُقَاتِلَنَّ مَعَكُمْ عَدُوَكُمْ، ولَأُضْرِبَنَّ بِسِيفِي دُونَكُمْ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ، لَا أُرِيدُ بِذَلِكَ إِلَّا مَا عِنْدَ اللَّهِ"^(٥)، فقد كان من الفئة المؤمنة المجاهدة، المتفانية في سبيل المبدأ، فكان على درجة عالية من الوعي بمبادئ النهضة الحسينية ،

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص٣٤٥؛ محمد السماوي، أبصار العين، ص١٠٢؛ محسن الامين، ج٤، ص٥٥٤.

(٢) يُنظر: الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص٣٤٦؛ علي الكوراني، سلسلة القبائل العربية، ص٣٣.

(٣) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص١١٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٤١٦؛ كما ورد باختلاف يسير في ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص٩٨ .

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، ص٣٣٩؛ البري، الجوهرة، ج٢، ص٢٠٤؛ دمشق، خلاصة الأثر، ج١، ص٤٨٥ .

(٥) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٥٥؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص٢٨٦ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

باعتبار أنَّ قائدها يمثل الامتداد للإسلام المحمدي، وعابس من أسرة عرفت بالشجاعة والاقدام والولاء والاخلاص والصدق وهذا ما انعكس على مساندته للنهضة الحسينية ، فقد أرسله مسلم ابن عقيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بكتاب إلى الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(١).

لم يكن عابس مجرد تابع عاطفي، بل صاحب بصيرة وهدف، يدرك طبيعة السلطة الأموية المنحرفة، وقد ربط مصيره الروحي والمعنوي بمن يمثل الحق وهذا ما يتضح من خطابه للإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): " يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أَمْسَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ قَرِيبٌ وَلَا بَعِيدٌ أَعَزُّ عَلَيَّ وَلَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ، وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى أَنْ أَدْفَعَنَّ عَنْكَ الضِّيمَ وَالْقَتْلَ بِشَيْءٍ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَدَمِي لَفَعَلْتَهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَشْهَدُ اللَّهَ أَنِّي عَلَى هَدْيِكَ وَهَدْيِ أَبِيكَ"^(٢).

كان عابس الشاكري مثلاً للفئة الشجاعة المتجاوزة لحدود الحسابات الشخصية، فحين برز للقتال أخذ المعسكر الأموي ينادي هذا أسد الأسود هذا ابن شبيب لا يخرج إليه أحد منكم، الأمر الذي أدى بعابس أنَّ يتحدى السلطة الأموية منادياً ألا رجل لرجل!، فأمر عمر بن سعد أن يرضخوه بالحجارة، فقام عابس بألقاء درعه ومغفره^(٣)، أراد من خلال ذلك فضح جبن الخصوم إمام جيشهم، لزرع الرهبة في نفوس الطرف المقابل عبر اظهار اللامبالاة بالموت وأرباك العدو نفسياً، خاصة وأنَّ الجيش الأموي كان يهاب أنصار الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لما يملكه هؤلاء الابطال من شجاعة واستعداد للتضحية حتى آخر نفس، وكذلك أراد عابس أنَّ يبعث رسالة مفادها أنَّ الإيمان بالقضية أقوى من حب النجاة، وأنَّ القتال ليس من أجل البقاء بل من أجل الشهادة عن إدراك وبصيرة لا بدافع الحماسة أو الانجرار الانفعالي بل عن قناعة فكرية وعقيدة راسخة بأن التضحية بالنفس هي الخيار الأسمى في سبيل المبدأ واحقاق الحق، وقد تخاصم جيش العدو فيما بينهم بعد مقتل عابس وكل فرد يدعى أنه قتله طمعاً في الجائزة المالية التي يحصل عليها من

(١) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٦٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٧٥؛ احمد زكي، خطب العرب، ج ٢، ص ٧٦.

(٢) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٦٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٤٤؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ٢، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٣) المغفر : من الدروع، وهو ما يكون على رأس الفارس من حديد. يُنظر: العكبري، شرح ديوان المتنبّي، ج ٢، ص ٢٥٨؛ ابن هذيل، حلية الفرسان، ص ٥١ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

السلطة الأموية، حيث أن كل فرد ينسب لنفسه قتله، حتى قدموا إلى قائد العسكر عمر بن سعد فقال لهم : لا تختصموا فهذا لم يقتله فرد وإنما الجميع شارك في قتله^(١)، وقد استشهد معه موله شوزب^(٢).

ومن المنضوين مع هذه الفئة سيد القراء برير بن خضير الهمداني^(٣) الذي كان نموذجاً مضيئاً لأصحاب الوعي، فلم يمنعه كبر سنّه من أن ينهض للجهاد في سبيل الله والحق ومقارعة الظلم والفساد الأمويّ، فعندما بلغه خبر خروج الإمام الحسين (عليه السلام) إلى مكة سار من الكوفة حتى التحق بالركب، وعندما جمع الإمام أنصاره وخطب بهم قائلاً: "إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ، وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا، وَاسْتَمَرَّتْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصَبَابَةِ الْإِنَاءِ، وَإِلَّا خَسِيسٌ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَيْلِ، أَلَا تَرَوْنَ الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَالْبَاطِلُ لَا يُتَنَاهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ، وَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً، وَالْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا"^(٤)، فقام إليه برير فقال: "يا ابن رسول الله، لقد منّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك، وتقطع فيك أعضاؤنا حتى يكون جدك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شفيعاً يوم القيامة، فلا أفلح قوم ضيعوا ابن بنت

(١) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٦٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٤٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٤٥٤ - ٤٥٥ .

(٢) شوزب بن عبد الله الهمداني الشاكري، من وجوه الشيعة وفرسانها، من صحابه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وشارك معه في حروبه الثلاثة، عُرف بالشجاعة والعبادة، وكان حافظاً للحديث، يجلس إليه الشيعة للأخذ عنه، رافق موله عابس بن شبيب إلى مكة بكتاب مسلم بن عقيل إلى الإمام الحسين (عليه السلام)، وظل معه حتى كربلاء، في يوم عاشوراء تقدّم للقتال بين يدي الحسين (عليه السلام)، فقاتل قتال الأبطال وقتل جماعة من القوم حتى استشهد. يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٦٧ - ١٦٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٤٣ - ٣٤٤؛ الطوسي، رجال الطوسي، ص ١٠١؛ المحلي، الحقائق الوردية، ج ١، ص ٢٣٠؛ المقرم، مقتل الحسين، ص ٢٦٢.

(٣) برير بن خضير الهمداني المشرقي، من أقرأ أهل زمانه، وكان شيخاً من شيوخ القراء، عُرف بالنسك والشجاعة والعبادة، يُعدّ من أصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام). يُنظر: الطوسي، الأمالي، ص ٢٢٣؛ الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث، ج ٢، ص ٢١ .

(٤) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٠٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٠٣ - ٤٠٤؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج ٣، ص ١٥٠ .

نبيهم، أف لهم غدا ما يلاقون، سينادون بالويل والثبور في نار جهنم وهم فيها مخلصون^(١)، لقد كانت معركة الطف ميداناً للامتحان الحقيقي للقلوب المؤمنة ولمن يدعي العدل، تجلى فيه الحق والولاء، وتعرى الباطل، فقد استخدم الإمام الحسين (عليه السلام) الخطاب العقلي التوعوي وذلك للضرب على وعي الجماهير، فكانت كربلاء مدرسة في الوعي، برزت فيها معادن الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله، فقد قاتل برير دون الإمام الحسين (عليه السلام) وختم حياته بالشهادة بين يدي سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢).

ومن الأبطال الآخرين من فئة الانصار المساندين الذين نصروا الحق وكانوا قوى فاعلة تتجاوز البنى التقليدية للمجتمع، حيث نهضوا مع الإمام الحسين (عليه السلام) ليحسدوا القيم العليا في لحظات الانحراف، وليعيدوا البوصلة الأخلاقية للمجتمع، ويقودوا المجتمع مع الإمام (عليه السلام) نحو الوعي والاصلاح ومن هؤلاء زهير بن القين البجلي من أشرف قبيلته وكان نازلاً بالكوفة، وعرف عنه بأنه عثماني الهوى^(٣)، وقد كان يكره مسايير ركب الإمام الحسين (عليه السلام) القادم من مكة ويتفاداه خشية أن يجتمع بالإمام (عليه السلام) ويدعوه للنصرة^(٤)، حتى إنه تردد من إجابة رسول الإمام الحسين (عليه السلام) إليه، فأنبرت إليه زوجته دلهم بنت عمرو لتقول له: "أبيعت إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه! سبحان الله! لو أتيتك فسمعت من كلامه! ثم انصرفت"^(٥)، فأتى زهير بن القين الإمام الحسين (عليه السلام) وبمجرد الالتقاء بالإمام (عليه السلام) تحول موقفه من تلك اللامبالاة العثمانية بهذا التحرك إلى أشد المتحمسين للثورة الحسينية والمدافعين عن مبادئها والدفاع عن الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، ومن ذلك قوله: "والله يابن رسول الله لوددت

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ١، ص ٣٣٧.

(٢) يُنظر: الصدوق، الأمالي، ص ٢٢٤؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص ٢٠٣.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٧٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٥١.

(٤) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٨٨؛ لطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٩٦.

(٥) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٨٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٩٦.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

أني قتلت ثم نشرت ألف مرة وأن الله يدفع بذلك القتل عنك وعن هؤلاء الفتية من إخوتك وولذك وأهل بيتك" (١) .

ومن الأبطال الذين ثبتوا على ولائهم هو أبو ثمامة الصائدي الذي كان من فرسان العرب ومن وجهاء الكوفة من الذين عرفوا بشجاعتهم ووفائهم وصدقهم في مساندة الحق، حيث أدى دوراً كبيراً في النهضة الحسينية، فكان ممن كاتبوا الإمام الحسين (عليه السلام) يدعونه إلى القدوم للكوفة، وعندما أتى مسلم بن عقيل إلى الكوفة كان دور أبو ثمامة هو تجميع الأموال فكان خبيراً بالأسلحة لذلك عمل على شراء السلاح لانصار مسلم (عليه السلام) (٢)، وقد عقد له مسلم (عليه السلام) على ربع تميم وهمدان (٣)، وعندما تخاذل الجيش عن مساندة مسلم (عليه السلام)، اختفى عن الانظار خوفاً من السلطة الأموية، واستطاع الالتحاق بالإمام الحسين (عليه السلام) حتى استشهد معه .

كان أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) طراز فريد قلماً يجود الدهر بأمثالهم، فقد صمم هؤلاء الأبطال على القتال مع الإمام الحسين (عليه السلام) والموت دونه رغم قلة عددهم، فقد بلغوا أعلى درجات الكمال والوعي والبصيرة والمعرفة الكاملة بالإمام الحسين (عليه السلام)، وإيمانهم بقيم الإسلام ومنهج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العادل، وقضية إمامهم، ومن هؤلاء الأبطال سعيد بن عبد الله الحنفي وهو من وجوه الموالين للعلويين الذي أعلن موقفه الواضح من النهضة الحسينية عند قدوم مسلم بن عقيل وأكد أنه موطن نفسه على نصرة الإمام الحسين (عليه السلام) (٤)، وقد صدق بما عاهد عليه وترجم هذا الفعل عندما طلب منهم الإمام الحسين (عليه السلام) أن يتفارقوا تحت جناح الليل وينجون بأنفسهم لكنه رد على الإمام الحسين (عليه السلام) قائلاً: "وَاللَّهِ لَا نَخْلِكَ حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَا حَفَظْنَا غَيْبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص فَيْكَ، وَاللَّهِ لَوْ

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤١٩- ٤٢٠؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ١، ص ٣٥٠-٣٥١؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٥٦.

(٢) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٤٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٦٤.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٦٤.

(٤) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٣٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٥؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ١، ص ٢٨٦ .

علمت أنني أقتل ثم أحيأ ثم أحرق حيا ثم أذر، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك! وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا^(١).

لقد كان سعيد يدرك الدوافع التي يقاتل من أجلها الإمام الحسين (عليه السلام) ورأى من الواجب الديني والأخلاقي مساندته، فكان قتاله مع الإمام الحسين (عليه السلام) نابع من عقيدة خالصة، فلم يقف بجانب الإمام (عليه السلام) من أجل مصلحة أو من جانب العصبية القبلية أو لأغراض نفعية، بل وقف إلى جانب الإمام إيماناً برسالته وهو يعلم بأنه سينال الشهادة، فرفض أن يكون أداة طيعة بيد السلطة الأموية يعيش بخنوع، فأثر الموت بكرامة على حياة الذل والهوان.

جسد سعيد الحنفي أروع المواقف العظيمة عندما وقف أمام الإمام الحسين (عليه السلام) وهو قائم يصلي يقيه بجسده ليحميه من سهام الأعداء حتى أثنى بالجراح وسقط شهيداً وهو يقول: "اللهم العنهم لعن عاد وثمود، اللهم! أبلغ نبيك عني السلام، وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح، فإني أردت بذلك نصرة ذرية نبيك"^(٢).

أما البطل الآخر فهو الحجاج بن مسروق الجعفي^(٣) الذي كان من الموالين لأهل البيت (عليه السلام) إذ أنه عندما علم بنهضة الإمام الحسين (عليه السلام) خرج من الكوفة إلى مكة، وصحب الإمام (عليه السلام) في طريقه إلى الكوفة، وكان مؤذن الإمام (عليه السلام) في أوقات الصلوات^(٤)، وقد بعثه الإمام الحسين (عليه السلام) إلى عبيد الله بن الحر الجعفي يسأله

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٢٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤١٩؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ص ٧٥.

(٢) الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ٢، ص ٢١؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٦٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٣.

(٣) الحجاج بن مسروق بن مالك بن كتياف بن عتبة بن الكداع الجعفي، وكان من اليمنيين الذين نزلوا الكوفة واستقروا فيها، وكان من الشيعة قتل مع الإمام الحسين (عليه السلام) في واقعة الطف ٦١ هـ. يُنظر: الكلبي، جمهرة النسب، ج ٢، ص ١٥٤؛ ابن دريد، الانتشاق، ص ٤٠٩؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٥٦٨.

(٤) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٩٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٠١؛ ابن كثير البداية والنهاية، ج ١١، ص ٥٢٢.

الفصل الثالث تباین الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

النصرة والانضمام إليهم^(١)، وعندما استفسر منه عبيد الله عن سبب قدومه إجابته قائلاً: "والله قد أهدى الله إليك كرامة إن قبلتها ! قال عبيد الله : وما ذاك ؟ فقال : هذا الحسين بن علي يدعوك إلى نصرته، فإن قاتلت بين يديه أجرت، وإن مت فإنك استشهدت"^(٢).

لقد كان الحجاج على معرفة تامة بالإمام الحسين (عليه السلام) وبمشروعه الإصلاحية، إذ أنه في واقعة الطف أخذ يقاتل ويرتجز ويقول :

" أَقْدَمَ حُسَيْنًا هَادِيًا مَهْدِيًا فَأَلْيَوْمَ تَلْقَى جَدَّكَ النَّبِيَّ

ثُمَّ أَبَاكَ ذَا النَّدَى عَلِيًّا ذَاكَ الَّذِي نَعْرِفُهُ وَصِيًّا "^(٣).

ولم يقتصر التباين على مستوى المجتمع أو القبائل، بل أمتد إلى داخل الأسرة الواحدة، في تجل صارخ للانقسام القيمي، ومن أبر الشواهد على ذلك أن عمرو بن قرظة الأنصاري الذي أصطف إلى جانب الإمام الحسين (عليه السلام) مدافعاً عنه بشجاعة وهو ينشد ويقول :

" قَدْ عَلِمْتَ كَتِيبَةَ الْأَنْصَار أَنِي سَاحِمِي حُوزَةَ الذَّمَار

دُونِ حُسَيْنٍ مَهْجَتِي وَدَارِي "^(٤)

وقد استشهد عمرو وهو يقاتل في صفوف الإمام الحسين (عليه السلام)، بينما كان اخوه علي بن قرظة في جيش عمر بن سعد فخطب الإمام الحسين (عليه السلام) بلهجة اتهامية قائلاً :

(١) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص٣٠؛ ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص٧٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص٣٢٥ .

(٢) ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص٧٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص٣٢٥؛ لبيب بيضون، موسوعة كربلاء، ص٥٧٧ .

(٣) ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص١٠٩؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج٤، ص١٠٣؛ محمد تقي التستري، قاموس الرجال، ج٣، ص١١٧ .

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص١٤٤ - ١٤٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٤٣٤؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج٢، ص٢٦ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

"يَا حُسَيْن، يَا كَذَاب ابن الكذاب، أضللت أخي وغررته حتى قتل"، فرد عليه الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) محدداً جوهر التباين: إن الله لم يضل أخاك، ولكنه هدى أخاك وأضلك^(١).

من الفئات المساندة للنهضة الحسينية هي فئة اصحاب المبادئ، في كثير من الأمور قد يغير الأفراد مواقفهم منها من التأييد إلى المعارضة، وتارة أخرى من المعارضة إلى التأييد، وهذا يكون ناتج عن عدة عوامل ودوافع منها ذاتية ونفسية أو دوافع مادية للحصول على المنصب وغيرها، وبالنظر إلى واقعة الطف، نجد أنَّ من رجالاتها قد غيروا مواقفهم بعد أن كانوا في الصف المعادي حين انكشف لهم طريق العدالة والحق، ويبرز الحر بن يزيد الرياحي نموذجاً واضحاً لهذه الفئة، إذ كان أحد زعماء الكوفة وساداتها، ومن قادة السلطة الأموية الذي أرسله عبيد الله بن زياد بألف فارس وأمره: "جعجع بالحُسين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله الا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتياني بأنفاذك أمري"^(٢).

عمل الحر بن يزيد الرياحي على تنفيذ أوامر السلطة الأموية بحذافيرها، ولعل الموقف الذي اتخذه إلى جانب الجيش الأموي كان معتقداً أنَّ المسألة لن تصل إلى أن تتجرأ السلطة على قتل الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام) وهذا ما يتضح من حوار مع عمر بن سعد إذ قال له: "أصلحك الله! مقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: إي وَاللَّهِ قتالا أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي"^(٣)، وهذا الحوار لعب دوراً في نفس الحر بن يزيد الرياحي، إذ لم يتصور أنَّ تصل الأمور إلى هذا الحد ويشارك في قتل الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام)، خاصةً وأنه كان على معرفة كبيرة بمكانة الصديقة فاطمة الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَام) وهذا ما يتضح حين أراد الإمام (عَلَيْهِ السَّلَام) الانصراف إلى الكوفة فمنعه الحر فقال له الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام): "ثكلتك أمك! ما تريد؟ فأجابه الحر: أما وَاللَّهِ لو

(١) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٤٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٣٤ .

(٢) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٠٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٠٨؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٨٣.

(٣) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٣٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٢٧؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٩٩ .

غيرك من العرب يقولها لي وَهُوَ عَلَى مثل الحال التّي أنت عَلَيَّهَا مَا تركت ذكر أمه بالمثل أن أقوله كائنا من كان، ولكن وَاللّهِ مَا لي إِلَي ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن مَا يقدر عَلَيْهِ^(١) .

شاهد الحر الرياحي المواقف الإنسانية للإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، إذ لم يعاملهم كأعداء حتى وهم في طريقهم لمنعه، بل قدم لهم المياه وسقى خيولهم، كما صلى بهم الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(٢)، وأقام عليهم الحجة بأنهم دعوة بالقدوم إلى الكوفة،^(٣) ولذلك كان للمواقف الإنسانية والاخلاقية للإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فضلاً عن أثباته الحجة على خصومه وكشف ظلم السلطة الأموية، وثباته على المبدأ حين عرض الحر عليه أوامر بن زياد رد عليه الإمام " الموت أدنى إليك من ذَلِكَ"^(٤)، هذه المواقف لم تغير موقف الحر مباشرة، لكنها زرعت في نفسه بذور الشك في مشروعية ما يفعله وجعلته يعيش صراعاً داخلياً بين الولاء الظاهري للسلطة الأموية، والندم واليقين بأنه يقف في الجانب الظالم، وكانت اللحظة الفاصلة في تغيير موقفه يوم عاشوراء عندما اصطف الجيشان وبدأت المعركة تتضح معالمها ورؤية نية قتال الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، بدأ يتغير موقفه خاصةً عندما رأى إصرار الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) على الحق رغم علمه بمصيره، وتضحية أصحابه في سبيل المبادئ، تحرك ضمير الحر ووصل إلى الذروة، فتهياً الصراع النفسي للانفجار في صورة توبة واختار الانضمام إلى الحق فتمثل قائلاً : "إني وَاللّهِ أخير نفسي بين الجنة والنار، ووالله لا أختار عَلَى الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت"^(٥).

(١) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٩٨؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٨١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك،

ج ٥، ص ٤٠٢؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٨٠

(٢) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٩٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٠٢؛ المفيد، الإرشاد،

ج ٢، ص ٧٩؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ٦٢ .

(٣) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٩٧-٩٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٠٢؛ المفيد، الإرشاد،

ج ٢، ص ٧٩ - ٨٠؛ الطبرسي، إعلام الوري، ج ١، ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .

(٤) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٩٧-٩٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٠٢؛ المفيد، الإرشاد،

ج ٢، ص ٧٩ - ٨٠؛ الطبرسي، إعلام الوري، ج ١، ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .

(٥) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٣٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٢٧؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢،

ص ٩٩؛ الطبرسي، إعلام الوري، ج ١، ص ٤٦٠ .

التحق الحر وولده بالإمام الحسين (عليه السلام) فتقدم قائلاً: "جعلني الله فداك يا بن رسول الله! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسأيرتك في الطريق، وجعجت بك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة،.....، وإني قد جئتك تائبا مما كان مني إلى ربي، ومواسيا لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لي توبة؟ قال له الإمام الحسين (عليه السلام): نعم، يتوب الله عليك، ويغفر لك، ما اسمك؟ قال: أنا الحر بن يزيد، قال الإمام الحسين (عليه السلام): أنت الحر كما سميتك أمك، أنت الحر إن شاء الله في الدنيا والآخرة"^(١).

مثلت لحظة انضمام الحر الرياحي إلى معسكر الإمام الحسين (عليه السلام)، نموذجاً فريداً لكسر الطاعة العمياء والخروج من حالة الانقياد الأعمى للسلطة الأموية، وانفصالاً عن السلوك الجمعي، وقد قاتل الحر الرياحي دون الإمام الحسين (عليه السلام) حتى مضى شهيداً، وبهذا الفعل دخل الحر التاريخ من بابه الواسع، كنموذج للإنسان الرسالي الذي يمتلك القدرة على تغيير مواقفه في ضوء الحقائق والقيم، ويحدد الموقف الصحيح ويقف عنده بكل ثبات وعزم، فلا يتجاوزهما كانت التحديات أو التضحيات، وأثبت أن الوعي الأخلاقي قادر على كسر قيود الخوف، والتحرر من قيود سلطة الجماعة المهيمنة .

كذلك هناك من يمثل هذه الفئة الذين حولوا موقفهم إلى الجانب الإيجابي بنصرة الحق، بعدما انحازوا من معسكر عمر بن سعد والتحقوا بركب الإمام الحسين (عليه السلام) فكان من أبرزهم أبو الشعثاء يزيد بن زياد الكندي^(٢)، والحارث بن امرئ القيس الكندي^(٣)، فقد خرجوا يزيد بن زياد مع جيش عمر بن سعد لقتال الإمام الحسين (عليه السلام)، لكن عندما رأوا أن السلطة الأموية ردت الشروط على الإمام (عليه السلام) ولم تجب دعوته إلى السلم وعزمها على قتله (عليه السلام)

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٣٥ - ١٣٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٢٧ - ٤٢٨؛ وقد ورد باختلاف يسير في المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٧٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٤٥؛ عباس القمي، منتهى الآمال، ج ١، ص ٦٦٦.

(٣) يُنظر: الجرجاني، الأمالي الخميسية، ج ١، ص ٢٢٧؛ المحلي، الحقائق الوردية، ج ١، ص ٢٢٩؛ محمد السماوي، أبصار العين، ص ١٧٣.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

(السَّلامُ)، حدث التحول في ضميرهم فمالوا إلى الحق معلناً توبته^(١)، ويؤكد الإمام عليّ (عليه السَّلامُ) أن: "الرَّاضِي بِفِعْلٍ قَوْمٍ كَالدَّاحِلِ فِيهِ مَعَهُمْ، وَعَلَى كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانٍ، إِنَّهُ الْعَمَلُ بِهِ وَإِنَّهُ الرِّضَى بِهِ"^(٢)، ومن هنا فإن تحولهم لا يعد توبة فحسب، بل يمثل فعلاً وعياً للتحرر من إثم الرضا بالباطل، الذي حذر منه الإمام (عليه السَّلامُ).

يرى علي الوردي أن الثورات التي قد هزت التاريخ في مختلف العصور، لم يثر فيها المجتمع من جراء ظلم واقع عليهم، وإنما يثورون من جراء شعورهم بالظلم، ذلك لأن الشعور بالظلم هو أعظم أثراً في المجتمع من الظلم ذاته، إذ قد تتعايش الجماهير مع الاستبداد والقهر جيلاً بعد جيل حتى يصبح جزءاً من الطبيعة الاجتماعية التي اعتادوا عليه، لذلك فإن الشعور بالظلم هو العامل المحرك حين تنتقل الجماهير من حالة التعايش مع القهر إلى وعي نقدي يرفضه^(٣)، وهذا الوعي لا ينبع تلقائياً من شدة البطش، وإنما يتغذى غالباً من أفكار ومبادئ تنتشر بين المجتمع وتعيد صياغة وعي الناس بحقوقهم وكرامتهم، وهذا ما فعله الإمام الحسين (عليه السَّلامُ) حيث حول الظلم من واقع مألوف إلى شعور حي بالظلم، فقد أيقظ الضمائر من سباتها من خلال خطاباته حين قال "أَلَا تَرَوْنَ الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَالْبَاطِلُ لَا يُتَنَاهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ"^(٤)، فقد وضع الناس إماماً مرآة أخلاقية فلم يعد الاستبداد قضية سياسية فحسب، بل أصبح انحرافاً دينياً وأخلاقياً يهدد رسالة الإسلام، وقد زرع (عليه السَّلامُ) الشعور بالكرامة وأعاد تعريف الطاعة حين قال (عليه السَّلامُ): "أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكِزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ؛ بَيْنَ السَّلَةِ وَالذَّلَةِ، وَهِيَهَاتَ مَنَا الذَّلَةِ، يَا بِي اللَّهِ ذَلِكَ لَنَا وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَحُجُورٌ طَابَتْ وَطَهَرَتْ، نُوْثِرُ

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٧٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٤٥؛ عباس القمي، منتهى الآمال، ج ١، ص ٦٦٦.

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٤٩٩؛ التميمي، غرر الحكم، ص ١١٨؛ الراوندي، منهاج البراعة، ج ٣، ص ٣٢٧.

(٣) يُنظر: مهزلة العقل البشري، ص ٧٦.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٠٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٠٣-٤٠٤؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج ٣، ص ١٥٠.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

مصارع الكرام على طاعة اللئام"^(١)، جعل أفراد المجتمع يستشعرون الظلم في ضمائرهم بعدما ألفوه.

وقد استطاع الإمام الحسين (عليه السلام) أن يعمق وعي انصاره بمشروعية النهضة الحسينية وغاياتها، فقد أوضح لهم اهداف النهضة منذ البداية، كما بين لهم النتائج المترتبة على خيار نصره الحق في مواجهة سلطان الجور، كما مارس (عليه السلام) أعلى درجات الصدق مع أصحابه، إذ منحهم الحرية الكاملة في تقرير مصيرهم، فقد خيرهم (عليه السلام) مراراً بترك الميدان والنجاة بأنفسهم حتى في أكثر اللحظات حرجاً، فعندما واجه الإمام الحسين (عليه السلام) قلة الناصر وتناقص انصاره، خطب في أصحابه ليلة العاشر من محرم وقال: "هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ، فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا،...، تَفَرَّقُوا فِي سَوَادِكُمْ وَمَدَائِنِكُمْ"^(٢)، ليؤكد (عليه السلام) أن الموقف الحسيني لا يبنى على الحماسة العابرة أو الانقياد العاطفي، بل على الوعي الحر والاختيار المسؤول، واتخاذ قرار يستند على منظومة قيم عليا تتجاوز المصلحة الفردية والاعتبارات النفعية، فالإمام الحسين (عليه السلام) يعلمنا أن مقاومة الظلم ليس دماً يسفك فحسب، بل موقف لا يقوم به إلا رجال عقدوا العزم على دفع الثمن نفسه دون تردد، فمن أجل الرسالة التي يحملها كان بحاجة (عليه السلام) إلى رفقاء أحرار في العقل والفكر، لا يتبعون الناس اتباعاً أعمى، ولا يبيعون ضمائرهم لإرضاء الجماهير .

٣. الفئات المحايدة :

إن اتخاذ موقف الحياد والتردد في لحظات الابتلاء يعد نمطاً متكرراً في المجتمعات، وقد تجلّى هذا الموقف في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما تخلف بعض ممن أستنصرهم عن الجهاد، وكان موقفهم ألا أن قدموا الأعذار، وقد ورد ذلك في قوله تعالى ﴿فَرِحَ

(١) المسعودي، اثبات الوصية، ص ١٦٦؛ ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٢٥٢؛ وورد بإضافة الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ٢، ص ٩ - ١٠.

(٢) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٢٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤١٩؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ص ٧٥.

الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ^(١)،

وتجدد الموقف نفسه في عهد الإمام علي (عليه السلام) إذ واجهته ذات الآفة الاجتماعية، ويتجلى ذلك جلياً في خطابه الذي يكشف عمق الإزمة: "اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْرًا فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا، شُهُودٌ كَغِيَابٍ، وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ،....، أَحْتُكُم عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتِيَ عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ،....، أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، الْمُبْتَلَى بِهِمْ أَمْرَاؤُهُمْ، صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللَّهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ، لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالذَّرِّهِمْ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشْرَةَ مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ!"^(٢)، وقد كانوا يقدمون أعذاراً واهية يتذرعون بها في كل وقت، كما لاحظ الإمام علي (عليه السلام) ذلك فقال: "فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَةُ الْقَيْظِ"^(٣) أَمَهْلُنَا يُسَبِّحُ عَنَّا الْحَرُّ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَةُ الْقَرِّ"^(٤) أَمَهْلُنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبَرْدُ كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَقْرُ"^(٥).

أن ظاهرة التخاذل في المجتمع الكوفي لم تكن وليدة اللحظة، بل كانت نتيجة لطبيعة التركيبة السكانية التي كانت متعددة الفئات ومتباينة الولاءات، وقد شخّص الإمام علي (عليه السلام) هذه الأزمة الأخلاقية في مجتمع الكوفة بقوله: "يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، مَنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَاشْتَنِتِنِ: صُمٌّ

(١) سورة التوبة، الآية ٨١ .

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ١٤١ - ١٤٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ٧٠؛ ابن ميثم البرقاني، اختيار مصباح السالكين، ص ٢٣٨.

(٣) حمارة القَيْظِ : شدة الحر . يُنْظَرُ: الفارابي، معجم ديوان الأدب، ج ١، ص ٤٧٦؛ الهروي النحوي، إسفار الفصيح، ج ٢، ص ٧٤٧.

(٤) صبارة القر: شدة البرد . يُنْظَرُ: ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٤٤٣؛ محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ١٢، ص ٢٧٨.

(٥) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٧٠؛ الكليني، الكافي، ج ٥، ص ٥ - ٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٧٥.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

ذُو أَسْمَاعٍ، وَبُحْمَ ذُووِ كَلَامٍ، وَغُمِّي ذُووِ أَبْصَارٍ، لَا أَحْرَارَ صِدْقٍ عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَلَا إِخْوَانَ ثِقَةٍ عِنْدَ النِّبَالِ؛ تَرَبَّتْ أَيْدِيكُمْ يَا أَشْبَاهَ الْإِبْلِ غَابَ عَنْهَا رُغَائِهَا كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرٍ^(١).

وقد شكلت معركة الطف سنة (٦١١هـ / ٦٨٠م) مواجهة واضحة بين معسكرين، معسكر الحق الذي مثله الإمام الحسين (عليه السلام) وأنصاره، ومعسكر الباطل الذي جسّدته السلطة الأموية، إلا أنّ هنالك فئة ثالثة اتخذت موقف الحياد والصمت، فلم تقاتل الإمام الحسين (عليه السلام) لكنها أيضًا لم تنصره، مكثفها بالمراقبة أو الاعتذار أو التسلل من ساحة المواجهة، فكان موقفها تجسّدًا صريحًا لقول الإمام علي (عليه السلام): "خَذَلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ"^(٢)، فهم قد خذلوا الموقف وتهربوا من المسؤولية ويتجلى هذا في الموقف في فئة اعيان الكوفة ومن ابرزهم عبيد الله بن الحر الجعفي^(٣)، الشخصية التي بخلت بتفاعلها المؤثر، الذي اعتزل المدينة هربًا من لقاء الإمام الحسين (عليه السلام) وحينما بعث إليه الإمام (عليه السلام) رسوله يدعو إلى النصره رد عليه قائلاً: " إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! وَاللَّهِ مَا خَرَجْتَ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَّا كِرَاهَةً أَنْ يَدْخُلَهَا الْحُسَيْنُ وَأَنَا بِهَا، وَاللَّهِ مَا أُرِيدُ أَنْ أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي"^(٤).

ومن اجل اقامة الحجة عليه توجه الإمام (عليه السلام) إليه بنفسه ودعاه مباشرة للالتحاق بركب الحق والمشاركة في النهضة الإصلاحية لتحقيق العدالة المجتمعية واصلاح الاوضاع القائمة

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ١٤٢؛ الراوندي، منهاج البراعة، ج ١، ص ٥١٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ٧١.

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٤٧١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٦، ص ١٦١؛ التميمي، غرر الحكم، ٣٦٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ص ١١٥.

(٣) عبيد الله بن الحرّ الجعفي، من فرسان العرب وشعرائهم، من قبيلة جعفي المذحجية البيمانية، وكان من أهل الكوفة، وقد كان في أول أمره من أنصار عثمان، ثم قاتل مع معاوية في صفين ضد الإمام علي (عليه السلام)، رفض الالتحاق بالإمام الحسين (عليه السلام) حين دعاه، وبعد مقتل الإمام، كتب إليه المختار الثقفي يدعو للانضمام إلى ثورته للثأر للإمام، فلم يجبه، شارك مع مصعب بن الزبير في حربه ضد المختار، فبعثه إلى جبانة الصائدين من همدان، كان شاعرًا وله شعر كثير، توفي سنة ٦٨هـ. يُنظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٤٥٧؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٤٣٩؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٥، ص ٣١١؛ الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ١٩٢.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٠٥ - ١٠٦؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٨٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٠٧.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

ومواجهة التحديات وتصحيح الانحرافات، ألا أنَّ عبيد الله بن الحر الجعفي كرر اعتذاره، وعرض على الإمام الحسين (عليه السلام) فرسه وسيفه^(١) وهذا ما يعكس نوعاً من البخل النقاعلي، حين يمتنع الفرد عن تقديم ذاته، ويكتفي بأبداء عواطف سطحية وعروض بديلة لا تغني شيئاً،

لقد حاول عبيد الله الجعفي أن يبرر موقفه باتخاذ موقف الحياد، مدعيًا بأنه لا يريد التورط في الصراع، وكأن الابتعاد عن معسكر الباطل يعفيه من مسؤولية نصرته الحق، أنَّ ما فعله لا يمثل حياءً اخلاقياً بل هو انسحاب من معركة الوعي والكرامة، وتخلُّ عن موقف مطلوب في لحظة مفصلية في التاريخ، وقد رد عليه الإمام الحسين (عليه السلام) بقوله : "فَإِنْ لَا تَنْصُرُنِي فَأَنْتَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يُقَاتِلُنَا، فَوَاللَّهِ لَا يَسْمَعُ وَاعِيَتُنَا^(٢) أَحَدٌ ثُمَّ لَا يَنْصُرُنَا إِلَّا هَلَكٌ"^(٣)، أنَّ تحذير الإمام الحسين (عليه السلام) له بأن الصمت والتخاذل عن نصرته المظلوم حين تتضح معالم الحق يعد هلاكاً اخلاقياً وموقفًا مداناً دينياً، وما قاله الإمام الحسين (عليه السلام) يتناغم مع ما أوصى به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : "إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ النَّقْلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْخَوْضَ"^(٤)، أنَّ أتباع أهل البيت (عليهم السلام) ليس خياراً عاطفياً أو ولاء وجدانياً عابراً، وإنما هو ميثاق إيماني ووعي رسالي، يحمل الإنسان مسؤولية الانحياز إليهم، ذلك لانهم بوصلة الهداية ومصدر القيم التي تحفظ العدالة المجتمعية وتقاوم الانحراف السلطوي، وقد شدد الإمام علي (عليه السلام) على أتباع أهل البيت (عليه السلام) بقوله : " انظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالزَّمُوا سَمْتَهُمْ،

(١) يُنظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٥١؛ ابن أعثم، الفتوح، ج ٥، ص ٧٤ .

(٢) الواعية الصارخة، صوت الاستغاثة، والواعية الصراخ على الميت. يُنظر: الصغاني، التكملة والذيل، ج ٦، ص ٥٣١؛ محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ١٢، ص ٢٧٨ .

(٣) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٠٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٠٧؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٨٢ .

(٤) ابن حنبل، مسند احمد، ج ١٧، ص ١٧٠؛ ابن ابي عاصم، السنة، ص ٦٣٠؛ الطبراني، المعجم الصغير، ج ١، ص ٢٢٦ .

وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى، فَإِنْ لَبَدُوا فَأَلْبُدُوا، وَإِنْ نَهَضُوا فَأَنْهَضُوا، وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فِتْنَتُهُمْ، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فِتْنَتُهُمْ^(١).

إن امتناع عبيد بن الحر عن النصرة رغم توفر مقوماتها لديه، لا يمثل موقفًا فرديًا، بل يجسد نمطًا من التهرب الجماعي من المسؤولية، تمارسه غالبية فئات المجتمع تملك الامكانيات والمؤهلات، لكنها تقتصر إلى الإرادة، فكثير من المجتمع الكوفي كانوا يمتلكون الوعي الظاهري بقضية الإمام الحسين (عليه السلام) ويظهرون العاطفة تجاهه، ألا أنهم تراجعوا عندما اصطدمت العاطفة بمخاوفهم من السلطة أو بمصالحهم الذاتية.

ويمكن تفسير سلوك عبيد الله الجعفي وفهم موقفه ضمن ما أشار إليه غوستاف لوبون بأنها جماهير فقدت أرائدها وهيمنت عليها الشخصية اللاواعية^(٢)، وذلك نتيجة للتحريض الإعلامي والاضطراب والتأثر بالشائعات، مما أسهم في شلّ أرادة غالبية المجتمع الكوفي وبرزت غريزة البقاء والتبرير الذاتي للهروب .

كما شكل بعض المجتمع الكوفي فئة محايدة ظاهراً تمثل ذلك في أشياخ الكوفة، أولئك الذين وقفوا على التل من دون أن يحركوا ساكنًا فقط أكتفوا بالدعاء أن ينزل النصر على الإمام الحسين (عليه السلام) دون أن يتحملوا مسؤولية نصرة الحق عملياً، كما ورد ذلك في الرواية: "إنّ أشياخاً من أهل الكوفة لوقفوا على التلّ يبكون ويقولون: اللهم أنزل نصرك"^(٣)، جسدت هذه الفئة الامتناع الجمعي عن أداء الواجب والعاطفة الجبابة التي تبكي ولا تتحرك، وتدعو ولا تجاهد، في زمن تتطلب فيه اللحظة موقفًا لا دمة.

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ١٤٣؛ الراوندي، منهاج البراعة، ج ١، ص ٥١٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج

البلاغة، ج ٧، ص ٧٦ .

(٢) سيكولوجية الجماهير، ص ٦٠.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٢٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٩٢.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

هناك فئة أخرى اتخذت موقف الحياد وهي فئة الجند الذين تنسلوا من معسكر الجيش الأموي^(١)، الذين لم يحولوا انسحابهم إلى موقف إيجابي بنصرة الإمام الحسين (عليه السلام) كما فعل الحر بن يزيد الرياحي^(٢).

لقد شخص الفرزدق^(٣) حالة الانفصام في البنية النفسية للمجتمع الكوفي، حين قال للإمام الحسين (عليه السلام): "قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية"^(٤)، وهو تعبير بالغ الأهمية عن ظاهرة التشيع العاطفي، الذي ينشأ من الحب الوجداني لأهل البيت (عليهم السلام) لكنه لا يقتصر بالاستعداد لتحمل تبعات الموقف ولا بالمبادرة في التضحية، فيبقى الفرد سجين الشعور والتعاطف لا الفعل، لذا فإن تأثيره في سلوك المجتمع سرعان ما يذوب أمام ضغوط السلطة والإغراءات وطغيان المصلحة الشخصية.

وختام القول في هذه الفئة يتضح ان اثر السلطة الاموية والخوف من البطش قد انعكس على غالبية المجتمع واصبح جزءاً من تفكيره الجمعي مما ادى إلى انحراف القيم المجتمعية وهو ما ذكره الإمام الحسين (عليه السلام) في قوله: "الناس عبيد الدنيا، والذين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معاشيهم، فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانئون"^(٥)، وفي هذا السياق لم تكن النهضة الحسينية مجرد اعتراض على فساد السلطة الأموية، وإنما مشروعاً تحريراً شاملاً،

(١) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٨٧؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٥٤؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج ٦، ص ٢٦٢٦.

(٢) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ١٢٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٦٨.

(٣) همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، وُلد في البصرة، ونشأ في باديتها، لُقّب ب الفرزدق لجهامة وجهه وغلظته، يُعدّ من أشهر شعراء العرب في العصر الأموي، وتميّز بشخصية متقلّبة المزاج وعلاقات اجتماعية متشابكة؛ فكان يمدح الرجل في يوم ويهجوّه في آخر، تُوفي في البصرة سنة ١١٠ هـ. يُنظر: ابن دريد، الاشتقاق، ص ٢٣٩؛ المرزباني، معجم الشعراء، ص ٤٨٦ - ٤٨٧؛ الذهبي، سير إعلام النبلاء، ج ٤، ص ٥٩٠.

(٤) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٨٢؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٧٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٨٦؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ١١١.

(٥) الهاروني، تيسير المطالب، ص ١٤٨؛ مقاتل ابن عطية، أبهى المداد، ج ١، ص ١٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ١، ص ٣٣٧.

أستهدف تفكيك العقل الجمعي المنقاد، وتحفيز ضمير أفراد المجتمع ليخرجوا من حالة الذوبان في الجمهور إلى موقع الاختيار الواعي والموقف الحر ولهذا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: "كونوا أحراراً في دنياكم"^(١)، فهي دعوة واضحة تجاوز معناها الظاهري، لتكون صرخة وعي في وجه الاستبداد، وتحفيزاً للذات أن تستعيد فاعليتها الأخلاقية بعيداً عن ضغوط الجماعة وقوة التيار العام والخروج من دائرة الانغلاق اللاشعوري الذي كبل المجتمع بقيود الرعب والخوف.

كما رفع (عَلَيْهِ السَّلَامُ) شعار: "هيهات منا الذلة"^(٢)، وهذا الشعار هو من جوهر الدين والقرآن يصرح بعدم ذلة المؤمنين، وجاء ذلك في قوله تعالى ﴿إِذْ لَبَّيْكَ عَلَى الْمُنْتَهَى﴾ ^(٣)، ولم يقصد الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الذلة الشخصية فحسب، بل الذلة الإنسانية التي تصيب المجتمعات، حين تتخلى عن كرامتها وتقف ساكنة بوجه الظلم وتعيش على هامش التاريخ، لذلك (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أراد خلخلة البنى العميقة للاستكانة الجماعية، وأن يعيد تشكيل المجتمع على أساس الوعي والكرامة الإنسانية والمسؤولية الأخلاقية ورفض الظلم، وقد وضع الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أزمة الوعي الجمعي الذي كان يسيطر على المجتمع الإسلامي بقوله "أَلَا تَرَوْنَ الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَالْبَاطِلُ لَا يُتَنَاهَى عَنْهُ" فعندما يصل المجتمع إلى درجة يرى فيها الباطل ويصمت عنه، أو يتخلى عن نصرته الحق رغم معرفته به، فيكون قد سقط في هاوية للمبالاة الأخلاقية، حين يساكن الظلم ويألف القهر، ويغلف الجبن بالتأويل، لذلك كان لابد من هزة كربلائية تحرك الساكن وتكسر جدار الخنوع، ولتعلن أن الكرامة أثنى من البقاء، لذلك فأن دعوة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) للمجتمع لم تكن دعوة عاطفية بل نداءً لإيقاظ الضمير .

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج ٥، ص ١١٧؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ١١٨؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ٢، ص ٣٨.

(٢) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٦٩؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٢١؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٥٩.

(٣) سورة المائدة، الآية ٥٤ .

ثانياً: موقف المجتمع البصريّ من النهضة الحسينية

كان المجتمع البصريّ متعدد العناصر والولاءات والانتماءات، إذ كانت المدينة تضم فئات من الخوارج والموالين لأهل البيت (عليهم السّلام) وأنصار بني أمية والموالين للحكومة المحلية، فضلاً أنها كانت مركزاً عسكرياً وقبلياً، حيث احتضنت قبائل مقسمة إلى أخماس وأنّ كل خمس يمثل كتلة قبلية ذات زعامة مستقلة، وهذا التنوع جعل البصرة مدينة ذات ثقل اجتماعي وبيئة خصبة مؤثرة إذا ما تم استمالة زعمائها، لذلك عمد الإمام الحسين (عليه السّلام) خلال أقامته في مكة إلى مكاتبة المجتمع البصريّ، فبعث موله سليمان بن رزين سنة (٦٠هـ/٦٧٩م) لإيصال رسالته إلى زعماء الأخماس والأشراف، وقد قام بمخاطبة (عليه السّلام) رؤوس الأخماس والأشراف بالاسم يدعوهم إلى نصرته وإمامته إذ كتب إلى كل من "مالك بن مسمع البكري"^(١)، وإلى الأحنف بن قيس، وإلى المنذر بن الجارود، وإلى مسعود بن عمرو^(٢)، وإلى قيس ابن الهيثم^(٣)،^(٤)، مدرّكاً بأن كسب الزعماء يعني استمالة جموع واسعة تابعة لهم.

(١) مالك بن مسمع مالك بن مسمع بن شيبان البكري الربيعي، سيد ربيعة في زمانه، كان مقدماً رئيساً، ولد في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) واشترك مع مصعب بن الزبير في قتال المختار، وفي صراع الزبيريين والأمويين كان مالك مع الأمويين أصيب عينه في معركة بالجفرة، مات ٧٣ هـ. يُنظر: الجاحظ، الحيوان، ج ٧، ص ٤٧٧؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٥٦، ص ٤٩٧؛ الصفدي، الشعور بالعور، ص ٢٦٠-٢٦١؛ الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) مسعود بن عمرو بن عدي بن محارب الأزدي، سيد الأزد لقب بقرم العراق لجماله، أجاز عبيد الله بن زياد أيام الفتنة بعد موت يزيد بن معاوية، قتل على يد بنو تميم سنة ٦٤ هـ. يُنظر: ابن دريد، الأشتقاق، ص ٥٠٢؛ الدارقطني، المؤتلف والمختلف، ج ٣، ص ١٤٧١؛ ابن حجر العسقلاني، نزهة الألباب، ج ٢، ص ١٠١.

(٣) قيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت بن حبيب السلمي، وقد اختلف في شأنه: فقيل إنه من الصحابة، وقيل من التابعين، كان من أنصار عثمان بن عفان، ثم توليته نيسابور والبصرة لعبد الله بن عامر، كما تولّى خراسان لمعاوية بن أبي سفيان، ثم انضمّ إلى الزبيريين مع مصعب بن الزبير، وبعد مقتل مصعب لحق بعبد الملك بن مروان فعفا عنه. وتوفي بالبصرة نحو سنة ٨٥ هـ. يُنظر: البغدادي، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٤٠٤؛ الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢٣٢٣؛ ابن خلدون، العبر، ج ٢، ص ٥٧٩؛ الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٢٠٩.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٣٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٣٥.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

وقد جاء في نص الكتاب الذي أرسله الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : " أَمَّا بَعْدُ، فإن الله اصطفى محمدا ص عَلَى خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثُمَّ قبضه الله إِلَيْهِ وَقَدْ نصح لعباده، وبلغ ما ارسل به ، وكنا أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته وأحق الناس بمقامه فِي النَّاسِ، فاستأثر علينا قومنا بِذَلِكَ، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحق بِذَلِكَ الحق المستحق علينا ممن تولاه، وَقَدْ أحسنوا وأصلحوا، وتحروا الحق، فرحمهم الله، وغفر لنا ولهم، وَقَدْ بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إِلَى كتاب الله وسنه نبيه ص، فإن السنة قَدْ أُمِيتَتْ، وإن البدعة قَدْ أُحْيِيَتْ، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عَلَیْكُمْ ورحمة الله" (١) .

من مضمون الرسالة أَنَّ الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ابتدأ بتذكير المجتمع بجهود رسول الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ) في تبليغ الدعوة الإلهية خير بلاغ وترك للأمة نهجًا واضحًا، وقد أكد الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) على أحقية أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بمقامه أي القيادة والخلافة؛ ذلك لأنهم أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته وبذلك فهم الامتداد الطبيعي لرسول الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ)، لكنهم قد أقصوا من حقهم؛ لأن القوم قد استأثروا بالأمر السياسي، في مقابل ذلك أثر أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) الصبر واضطروا إلى قبول الأمر الواقع حفاظًا على وحدة المجتمع الإسلامي.

إنَّ المحور الأساس من الرسالة هو تشخيص الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لحال الأمة مبينًا أَنَّ السنة النبويَّة قد أُمِيتَتْ، وأنَّ البدعة قد أُحْيِيَتْ وهو جوهر مشروعة الإصلاحية نداءً موجة إلى النخبة البصريَّة مدركًا ثقلهم المجتمعيَّ والقدرة على تحريك النَّاسِ .

ولقد أحدثت رسالة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) صدىً متباينًا بين المجتمع البصري، فالتعدد الاجتماعي في البصرة انعكس على استجابة المجتمع لدعوة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لنصرته والوقوف إلى جانبه في مواجهة الظلم الأموي، إذ تراوحت مواقف الفئات المجتمعية بين

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٣٩؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٤٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٧.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

الحياد، والمعاداة والانحياز للسلطة الأموية، إلا أن هناك قلة قليلة أبدت موقفًا مساندًا للنهضة الحسينية، وعليه فقد انبثقت مواقف مختلفة يمكن تصنيفها :

١ - الفئات المحايدة :

إنَّ من اعظم العقبات التي تواجه الحركات الإصلاحية هي الزعامات القبلية أو الاجتماعية التي تمتلك القدرة على التأثير، غير أنها تعيش في إطار الزعامة الذاتية، فيكون تحركها مقيد بمصالحها الخاصة وما يعزز من مكانتها، لا بما يخدم المبادئ الكبرى، فهذه الزعامات وأن آمنت بالإسلام، ألا أنَّ هذا الإيمان ينحصر في بعده الشخصي الذي لا يستوعب غير العبادات الفردية، دون أن يترجم في نصرته الحق والعدل، وقد لا يرى في الدين سوى ما يخدم مصلحته، وهذه الزعامات رغم قدرتها على التأثير الإيجابي إلا أنها تظل أسيرة العلاقات المصلحية والأعراف القبلية التي تكبل حركة الإصلاح وتمنعها من الامتداد.

لذلك عندما وجَّه الإمام الحسين (عليه السلام) رسالته كان من المتوقع أن يجد استجابة قوية من المجتمع البصري تناسب مكانة هذه المدينة التي تمثل مركزاً مهماً في العراق، لكن حصل خلاف ذلك إذ اختار بعض رؤساء الأخماس الصمت والحياد متغافلين إنه لا حياد لإمام الحق، ومن أبرز هذه الفئة المتخاذلة هو الأحنف بن قيس زعيم قبيلة تميم الذي رد على رسالة الإمام الحسين (عليه السلام) برسالة موجزة^(١) اقتصرت على قوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(٢)، لقد مثل الأحنف بن قيس نموذجاً جلياً للزعامات القبلية التي كانت تملك ثقلاً اجتماعياً وتأثيراً سياسياً، لكنه في الوقت نفسه ظل أسير الزعامة الذاتية والمصالح القبلية، فعلى الرغم من مكانته البارزة في بني تميم وتأثيره العميق على قومه حتى قيل "إن غضب غضب لغضبه مائة ألف من تميم، لا يدرون فيم غضب"^(٣)، تبرز هذه المكانة مدى قدرته على

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٧٥.

(٢) سورة الروم، الآية ٦٠ .

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٥٠٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٧٨٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٢٠٦ .

توجيه قبيلته بما يملكه من ثقل اجتماعي وقيادي، غير أن هذا الثقل المجتمعي لم يسخر في اتجاه الإصلاح الديني والمجتمعي والسياسي الذي جسّدته النهضة الحسينية، بل ظل الأحنف رهين الحذر السياسي والموازنة بين ولائه ومصالحة الشخصية، ولقد شكلت مواقف الأحنف من الجمل التي اعتزل فيها القتال واتخذ الحياد وقد قال فيهم الإمام عليّ (عليه السلام) "خَذُلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ"^(١)، على الرغم من مساندته للإمام عليّ (عليه السلام) في صفين^(٢) ومن الممكن أن هذه المساندة جاءت من باب المصلحة لا غير، وفي فتنة عبد الله الحضرمي^(٣) التي لم يبدي فيها أي ردة فعل معللاً موقفه بقوله: "لا ناقة لي في هذا ولا جمل"^(٤)، لكن هذا الحذر من الدخول في الحرب سرعان ما تحول إلى الانحياز التدريجي للسلطة الأموية، إذ لما بوبع معاوية كان الأحنف من الوافدين عليه فحظي منه بالإكرام^(٥)، وهو ما يكشف عن براغماتية سياسية في حين عندما دعاه الإمام الحسين (عليه السلام) إلى نصرته وإمامته، أكتفى برسالة مغلغة بالتخاذل، ولم يناصر الإمام (عليه السلام) في نهضته وظل حبيس الحسابات المصلحية والخوف من فقدان الامتيازات والولاء للسلطة الأموية .

٢ — الفئات المناهضة والمعادية :

شكل المجتمع البصري بيئة معقدة من المواقف تجاه النهضة الحسينية، بين محايد ومؤيد، ومناهض وقد ابرزت هذه الفئة مقاومة صريحة للنهضة الحسينية، بما في ذلك نخبة السلطة،

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٤٧١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٦، ص ١٦١؛ التميمي، غرر الحكم، ٣٦٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ص ١١٥ .

(٢) يُنظر: بن مزاحم ، وقعة صفين، ص ٢٤؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ١٠٦ .

(٣) عبد الله بن عامر الحضرمي، وكان من رجال الحزب الأموي وأحد أعوان معاوية في صراعه مع الإمام عليّ (عليه السلام)، إلى البصرة بعد مقتل محمد بن أبو بكر سنة ٣٨ هـ مهمته كانت استمالة أهل البصرة، وخاصة قبائل الأزدي، وتعبئتهم للمطالبة بدم عثمان والانخراط في المعسكر الأموي، قتله جارية بن قدامة . يُنظر: ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج ١، ص ١٨٦؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ١٨٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٧١١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ١٩٩ .

(٥) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٤٢؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٠، ص ٢٧٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٦٤ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

وشيوخ القبائل ورؤساء الأخماس الموالية للسلطة الاموية ومن ابرزهم مالك بن مسمع البكري، ومسعود بن عمرو الأزدي، وقيس بن الهيثم السلمي، فقد كان مالك بن مسمع سيد قومه الذي أثر الصمت ، إذ لم يبدِ إي تفاعل تجاه رسالة الإمام الحسين (عليه السلام)، ولم يعلن موقفًا واضحًا من النهضة الحسينية، وعجز عن تفعيل ما تملكه قبيلته من قوة ومكانة، إذ كانت قبيلة بكر بن وائل إحدى القوى المرجحة في موازين الصراع القبلي والعسكري، حتى قيل في هذا الصدد من كانت معه بكر بن وائل كانت الغلبة حليف له^(١)، لكن أثر زعيمها المحافظة على الوضع القائم مع السلطة الأموية بدلاً من الانخراط في مشروع النهضة الحسينية .

إنَّ من المتوقع أن يتخذ مالك بن مسمع البكري هذا الموقف فقد كان معروفًا عنه بالميل إلى الأمويين^(٢) منذ وقت مبكر، إذ أصطف يوم الجمل مع أصحاب الجمل ضد الإمام علي (عليه السلام)^(٣)، وهو الذي لجأ إليه مروان بن الحكم يوم الجمل حين الهزيمة وأصر مالك بن مسمع على حمايته حتى لو كلفه ذلك القتال والهلاك، وهو ما اكسبه لاحقًا اعترافًا وتقديرًا من بني مروان^(٤)، وقد أبدى فتورًا في مساندة والي الإمام علي (عليه السلام) على البصرة حينما قدمها عبد الله بن الحضرمي الذي بعثه معاوية لأثارة الفتنة ضد الإمام علي (عليه السلام) سنة (٣٨هـ/ ٦٥٨م)^(٥)، كما كان من الوافدين على معاوية وكان محل تقدير لديه إذ استقبله بحفاوة وأكرمه^(٦).

(١) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥٩٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٦١؛ جواد كاظم نصر الله، شهيد الثورة الحسينية، ص ٥٢٠ .

(٢) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١١٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٥، ص ١٥٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٧١٢ .

(٣) يُنظر: سيف بن عمر، الفتنة ووقعة الجمل، ص ١٥٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٠٥؛ جواد كاظم، نصرالله، دور أهل البصرة، ص ٢٦٤ .

(٤) يُنظر: سيف بن عمر، الفتنة وواقعة الجمل، ص ١٧٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٣٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٦١٥ .

(٥) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ١١٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٥، ص ١٥٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٧١٢ .

(٦) يُنظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٦، ص ٤٩٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٩، ص ٨٧ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

يتبين مما سبق أنَّ الموقف والسلوك السياسي الذي أتخذه مالك بن مسمع من النهضة الحسينية لم يكن حادثة منفصلة أو موقفًا عابرًا، بل يظهر استمرارية في نمط الانحياز حيث ظل وفياً لتحالفاته الأولى في مؤازرته للسلطة الأموية، نتيجة للمصالح القبلية والامتيازات الشخصية، الأمر الذي جعله أكثر ميلاً لعدم الانخراط في مشروع النهضة الحسينية واستمر على موقفه العدائي لأهل البيت (عليهم السلام) .

وبالمثل، استمر زعيم الأزدي مسعود بن عمرو الأزدي هو الآخر على ذات المنوال في مؤازرة السلطة الأموية، إذ لم يبدِ إي تفاعل تجاه رسالة الإمام الحسين (عليه السلام) واكتفى بالتزام بالصمت، وكان موقفه من النهضة الحسينية استكمالاً لمواقفه السابقة وامتداداً طبيعياً، فقد كان أحد قادة الأزدي في معركة الجمل إلى جانب أصحاب الجمل^(١)، وقد كان صديقاً لعبيد الله بن زياد، إذ هرب عبيد الله بن زياد إلى الشام وحماه بعد انتفاضة المجتمع البصريّ ضده بعد موت يزيد^(٢)، مما يظهر استمرار ولائه للسلطة الأموية حتى بعد ضعفها .

إما قيس بن الهيثم السلمي أحد زعماء الأخماس الذي ارتبط اسمه بولائه للسلطة الأموية وميله إلى تثبيت سلطتهم، وقد طغت علاقته بالسلطة الأموية على مواقفه من أهل البيت (عليهم السلام)، فبعد وفاة معاوية ظل قيس السلمي متماهياً مع خيارات السلطة، فلم يعرف عنه إي تجاوب مع رسالة الإمام الحسين (عليه السلام) ولا انحاز لمشروعة الإصلاح، بل مال إلى الصمت والانكفاء السلبي، بما ينسجم مع حرصه على حفظ مكانته القبلية والسياسية .

يتبين مما سبق أنَّ الإرث التاريخي لزعماء الأخماس في مواقفهم الموالية للسلطة الأموية حدا بهم إلى اتخاذ موقف مناهض من النهضة الحسينية على الرغم من دعوة الإمام (عليه السلام) لهم إلى نصرته ولزوم طاعته، ولم يكن موقفهم مجرد جبن أو تقاعس فردي، وإنما خياراً سياسياً محسوباً يعكس الطبيعة البراغمية لزعماء القبائل الذين يقدمون مصالحهم المادية والسلطوية على المبادئ، كما أنَّ خوفهم من فقدان الامتيازات والمكانة والزعامة القبلية حالت دون اتخاذ موقف

(١) يُنظر: سيف بن عمر، الفتنة والجمل، ص ١٥٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٠٥ .

(٢) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٥٢٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٥٠٨-٥٠٩ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

إيجابي تجاه النهضة الإصلاحية، حيث فضلوا الحفاظ على امتيازاتهم الاجتماعية وضمان بقائهم في مراكز النفوذ، بدل من الانخراط في نهضة الإمام (عليه السلام) التي تجر عليهم سخط الدولة الأموية.

وقد برز المنذر بن الجارود من فئة رؤساء الاخماس كأحد الشخصيات المعادية للنهضة الحسينية، إذ لعب دور الوسيط بين السلطة الأموية والمجتمع البصري، فحين سمع بقدوم سفير الإمام الحسين (عليه السلام) سليمان بن رزين وقراءته لكتاب الإمام (عليه السلام) والتقاءه بالأشرف والمجتمع البصري، أفشى أمره لعبيد الله بن زياد بدعوى أنه خاف أن يكون دسيساً من عبيد الله^(١)، وهذه حجة واهية فقد كان المنذر بن الجارود مقرباً من السلطة الأموية ومن واليها، إذ كان عبيد الله متزوجاً من ابنته^(٢).

إنَّ المنذر بن الجارود كان يعاني من ضعف الضمير الأخلاقي والديني إمام مغريات السلطة، وأنَّ موقفه من الإمام الحسين (عليه السلام) كان امتداداً لمواقفه السابقة إذ أنه اعتاد على خيانة الأمانة، فقد خان الإمام علي (عليه السلام) لما ولاه على اصطخر، وقام باختلاس مالٍ من الخراج، فكتب (عليه السلام) له: "أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ عَزَّنِي مِنْكَ وَ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ وَ تَسْلُكُ سَبِيلَهُ فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لَا تَدْعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً وَ لَا تُبْقِي لِأَخْرَجِكَ عِتَاداً تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ أَخْرَجِكَ وَ تَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ، وَ لَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَ شِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ وَ مَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ نَعْرٌ أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ أَوْ يُغْلَى لَهُ قَدْرٌ أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جَبَايَةٍ..."^(٣).

(١) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٤٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٣٥؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٤٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٧.

(٢) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣١٨؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥، ص ٥٤٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٧، ص ٤٤٣.

(٣) الثَّقَفِي، الغارات، ج ٢، ص ٥٢٧؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٤٦١ - ٤٦٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ص ٥٤.

كما وصفه الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "إِنَّهُ لَنَظَّارٌ فِي عِطْفَيْهِ، مُخْتَالٌ فِي بُرْدَيْهِ، تَقَالٌ فِي شِرَاكَيْهِ"^(١)، واستمر على نهجة فقد خان الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بتسليم سفيره إلى عبيد الله، على الرغم أنَّ رؤساء الأخماس الآخرين قد كتموا أمر الرسالة والسفير^(٢)، فقد فضل مساندة السلطة لضمان الامتيازات المالية والمكانة الاجتماعية على الالتزام بالقيم الدينية، فقدم مصلحته إذ كافأه عبيد الله على فعله بأن ولاه على ثغراً في الهند^(٣)، وذكر الدينوري: أنَّ المنذر بن الجارود توجه مع عبيد الله بن زياد إلى الكوفة للقضاء على حركة مسلم بن عقيل وقتله ومواجهة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(٤).

كان موقف وسلوك المنذر بن الجارود من أبرز العوامل التي اجهضت النهضة الحسينية، ومنعت غالبية المجتمع البصريّ من نصرة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، من خلال تسليمه لسفير الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وقتله، شكل خطوة استراتيجية في وأد النهضة الحسينية في البصرة قبل أنَّ تتشكل فقد أدخل الرعب في نفوس المجتمع البصريّ، وقطع الطريق عن امكانية تحول البصرة إلى قاعدة مجتمعية مساندة للنهضة الحسينية، فبعد أنَّ قتل عبيد الله سليمان بن رزين وبعد أنَّ جمع له يزيد البصرة والكوفة، خطب في المجتمع البصريّ مستخدماً سياسة التخويف لإجهاض أي حركة تتجاوب مع نهضة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال: "أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ مَا بِي تُقَرُّنُ الصَّغْبَةَ، وَمَا

(١) هذا الوصف في أمر المنذر هي دلالة على أنه نسبه إلى التيه والعجب، **نظار في عطفه**، أي جانبه، يُنظر تارة هكذا وتارة هكذا، يُنظر لنفسه، ويستحسن هيئته ولبسته، ويُنظر هل عنده نقص في ذلك أو عيب فيستدركه بإزالتهما : **مختال في برديه** : يمشى الخيلاء عجباً، **تقال في شراكه**، الشراك : السير الذي يكون في النعل على ظهر القدم ، والنقل بالسكون: مصدر نقل أي بصق، والنقل محركا البصاق نفسه، وإنما يفعله المعجب والتائه في شراكه ليذهب عنهما الغبار والوسخ، ينقل فيهما ويمسحهما ليعودا كالجديدين . يُنظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ص ٥٩ .

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٩١؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٠٤؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٤٦٢ .

(٣) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٤٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٣٥؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٣١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٧ .

(٤) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص ٢٣٦؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤١٨؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٦٠، ص ٢٣٨؛ جواد كاظم نصرالله، دور أهل البصرة، ص ٢٧٢- ٢٧٣ .

(٥) يُنظر: الأخبار الطوال، ص ٢٣٢ .

يَقْعَقَ لِي بِالشَّئَانِ، وَإِنِّي لَنَكِلُ لِمَنْ عَادَانِي وَسَهْمُ لِمَنْ حَارَبَنِي، وَأُنْصَفَ الْقَارَةَ مَنْ رَامَاهَا، يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَلَّانِي الْكُوفَةَ وَأَنَا غَادٍ إِلَيْهَا بِالْغَدَاةِ وَقَدْ اسْتَخْلَفَ عَلَيْكُمْ أَخِي عُثْمَانُ بْنُ زِيَادٍ، فَإِيَّاكُمْ وَالْخِلَافَ وَالْإِرْجَافَ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ بَلَغَنِي عَنْ رَجُلٍ مِنْكُمْ خِلَافٌ لَأَقْتُلَنَّهُ وَعَرِيفُهُ وَوَلِيِّهُ، وَلَا أَخُذَنَّ الْأَدْنَى بِالْأَفْصَى، حَتَّى تَسْتَقِيمُوا وَلَا يَكُونَ فِيكُمْ مُخَالِفٌ وَلَا مُشَاقٌّ، وَإِنِّي أَنَا ابْنُ زِيَادٍ أَشْبَهْتُهُ مِنْ بَيْنِ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى فَلَمْ يَنْتَزِعْنِي شَبَهُ خَالٍ وَلَا ابْنُ عَمٍّ^(١).

يتبين من خطبة عبيد الله بن زياد أنه استخدم المنهج الأموي في التخويف والتهديد والوعيد وفرض الطاعة بالقوة، وقطع الطريق على أي معارضة قد تنشأ لصالح الإمام الحسين (عليه السلام)، حيث أن الخروج عن الطاعة سيكون جزاؤه القتل والبطش، وخلف على البصرة أخيه ليحكم بقبضة من حديد، وذكر المجتمع بسياسة أبيه الارهابية الدموية التي ذاق المجتمع البصري منها الويلات .

عمد عبيد الله بن زياد إلى تفريغ المجتمع البصري من وجوهها البارزة وقادة الرأي فيها الذي كان لدى عبيد الله مخاوف منهم أن يتمردوا أو يقوموا بتحريض وتحشيد المجتمع لنصرة الإمام الحسين (عليه السلام) ضد السلطة الأموية إي افراغ البصرة من العناصر التي قد تقود إلى المعارضة، فاصطحب معه خمسمائة رجل من أشرف البصرة ووجهائها، كان من بينهم شريك الأعور^(٢) وآخرون الذين عرفوا بتشيعهم للإمام علي (عليه السلام)^(٣)، سحبهم من بيئتهم ليضمن عدم قيامهم بحركة مضادة، وسار ابن زياد سريعاً ليحكم قبضته على الكوفة، فتساقط الأفراد الذين اصطحبهم معه؛ نتيجة للطريق الشاق وشدة الإرهاق وأول من سقط شريك الأعور وكانوا يأملون أن

(١) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٤٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٤٩٢.

(٢) شريك بن الحارث الأعور بن عبد الله بن نصر الأزدي الحارثي البصري، من وجوه التشيع في البصرة، وكان من أصحاب الإمام علي (عليه السلام)، شهد معه معركتي الجمل وصفين، اشتهر بصلابته في الولاء للإمام وبانخراطه في المعسكر العلوي ضد الأمويين، توفي سنة ٦٠هـ، أي في المدة الحرجة التي سبقت واقعة كربلاء مباشرة. يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٣٧ - ٣٣٨؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٧٣، ص ١٦٦ - ١٦٨.

(٣) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٤٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٩؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٣٦.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

يتباطأ ابن زياد بسبب ذلك، مما يتيح للإمام الحسين (عليه السلام) أن يسبقه إلى الكوفة قبله، لكنه لم يلتفت إليهم^(١)، إذ كانت الأولوية لديه هي استباق الأحداث والسيطرة على الكوفة قبل الإمام الحسين (عليه السلام).

٣ - الفئات المؤيدة والمساندة :

برزت داخل المجتمع البصري فئات مجتمعية اظهرت مواقف مساندة لنهضة الحسينية سواء من خلال العمل السري أو الانخراط المباشر في القتال إلى جانب الإمام الحسين (عليه السلام)، ويمكن تقسيم الفئات المساندة إلى ثلاث: فئة مثلها عوام الناس من البصريين الذين شكلوا قاعدة مجتمعية فاجتمع المساندون لأهل البيت من المجتمع البصري في بيت إحدى النساء ذكرتها المصادر التاريخية باسم مارية أبنة سعد أو منقذ^(٢) وكانت من عبد قيس^(٣) التي أدت دوراً مميزاً، حيث كانت عنصراً فعالاً في دعم الحركة الإصلاحية فقد أسهمت بتوفير مأوى آمن، حين جعلت من دارها فضاءً لمناقشة والتباحث في نصرته الإمام الحسين (عليه السلام) بعيداً عن الرقابة الأمنية، ومكاناً عملياً للتخطيط والتنسيق قبل محاولة التوجه والانضمام إلى الإمام الحسين (عليه السلام)^(٤)، وأداة مقاومة ومؤازرة للحق في ظل الأجواء القمعية والمراقبة الصارمة التي فرضتها السلطة الأموية .

وقد برز موقف آخر مؤيد من المجتمع البصري مثله فئة الاتجاه القبلي وتمثل في أحد أشرافها وهو يزيد بن مسعود النهشلي^(٥) الذي كان سيد قومه ومن وجوه البصرة الذي اظهر

(١) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٤٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٣٦ .

(٢) لم أعتز لها على ترجمة .

(٣) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٣٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٣٣ .

(٤) يُنظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ٣٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٥٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٣٣ .

(٥) يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعي بن سلمى بن جندل بن نهشل، من كبار أشراف البصرة، وهو أخو ليلي بنت مسعود النهشلية زوجة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، عُذَّ من ذوي المكانة الاجتماعية

استجابته لدعوة الإمام الحسين (عليه السلام) بعدما كتب له يدعو إلى نصرته ولزوم طاعته^(١)، إذ قام بجمع قومه بني تميم وبطونها وخطب بهم قائلاً: " يا بني تميم كيف ترون موضعي منكم، وحسبي فيكم ؟ فقالوا بخّ بخّ أنت والله فقرة الظهر ورأس الفخر، حلت في الشرف وسطاً وتقدمت فرطاً، قال: فإني قد جمعتكم لأمر أريد أن أشاوركم فيه وأستعين بكم عليه، فقالوا إنا والله نمحنك النصيحة ونجهد لك الرأي، فقل حتى نسمع منك، فقال: إن معاوية مات فأهون به والله هالكا ومفقودا، إلا وإنه انكسر باب الجور وكان قد عقد لابنهبيعة ظن أنه أحكمها وقد قام يزيد شارب الخمر ورأس الفجور وأنا أقسم بالله قسما مبرورا لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين وهذا الحسين بن علي ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ذو الشرف الأصيل والعلم والسابقة والسن والقربة يعطف على الصغير ويحنو على الكبير فأكرم به راعي رعيته وامام قوم وحبب الله به المحبة وبلغت به الموعظة فلا تعشوا عن نور الحق ولا تسكعوا في هذا الباطل فقد كان صخر ابن قيس انخذل بكم يوم الجمل فاعسلوها مع ابن رسول الله ونصرته ولا يقصر أحد عن نصرته إلا ورثه الله الذل في ولده والقلّة في عشيرته وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها وادعرت بدرعها من لم يقتل يموت ومن يهرب لم يفت فأحسنوا رحمكم الله"^(٢).

أبدا بنو حنظلة^(٣) حماسة مطلقة وولاء غير مشروط إذ ردوا عليه قائلين: " يا أبا خالد، نحن نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت لا تخوض والله غمرة إلا خضناها، ولا تلقى والله شدة إلا لقيناها، نصرك بأسيا فانا، ونقيك بأبداننا، إذا شئت فافعل"، وبالمثل رد بنو عامر واطهروا دعماً واضحاً مؤكدين أنهم بنو أبيه وحلفاؤه، إذ قالوا: " يا أبا

والسياسية في البصرة، وقد تميّز بميله العلويّ الواضح، إذ كان من أوائل من دعا عشيرته إلى نصره الإمام الحسين (عليه السلام) عند خروجه إلى العراق. يُنظر: ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج ١، ص ١٥٨؛ ابن نما، مثير الأحزان، ص ٢٤ - ٢٥؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٢٦ - ٢٧.

(١) ابن نما، مثير الأحزان، ص ٢٤؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٢٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٣٩.

(٢) ابن نما، مثير الأحزان، ص ٢٤ - ٢٥؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٢٦ - ٢٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٣٩ - ٣٤٠.

(٣) بنو حنظلة: ينسبون إلى حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وقد دخلوا في بني نهشل؛ وقيس؛ ومعاوية. يُنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٢٢.

خالد، نحن بنو عامر، بنو أبيك وحلفائك، لا نرضى إن غضبت، ولا نقطن إن ظنعت، والأمر إليك، فادعنا نحبك، وأمرنا نطعك والأمر لك إذا شئت".

وفي المقابل أخذ بنو سعد بن زيد^(١) موقفًا أكثر تحفظًا فبرروا موقفهم قائلين: "يا أبا خالد، إن أبغض الأشياء إلينا خلافك والخروج من رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال، فحمدنا أمرنا وبقي عزنا فينا فأملنا نراجع المشورة ويأتيك رأينا"، هذا الموقف من بني سعد أغضب يزيد بن مسعود، "فقال لهم: والله، يا بني سعد لئن فعلتموها لا رفع الله"^(٢).

وبعد أن حصل على التأييد من أفراد قبيلته، عمد يزيد بن مسعود إلى مراسلة الإمام الحسين (عليه السلام) إذ بعث رسوله يبلغه ما آل إليه أمر دعوته في البصرة، إذ كتب: "أما بعد فقد وصل إلينا كتابك وفهمت ما ندبتني إليه ودعوتني له من طاعتك والفوز بنصيب من نصرتك وإن الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير أو دليل سبيل نجاة وأنتم حجة الله على خلقه ووديعته في أرضه تفرعتم من زيتونة أحمديّة هو أصلها وأنتم فرعها فاقدم سعدت بأسعد طائر فقد ذلت لك أعناق بني تميم وتركتم أشد تهافتا في طاعتك من الإبل الظماء لورود الماء يوم خامسها، وقد ذلت لك بنو سعد وغسلت دون صدورهم بماء سحابة مزن حتى استهلّت برقها فلمع"^(٣).

يتبين من كل مما سبق، أنّ موقف يزيد بن مسعود النهشلي لم يكن مقتصرًا على الاعتبارات العقائدية فحسب، بل كان تجسيدًا لإيمانه بمبادئ الإصلاح والتغيير والحرية والعدالة ومساندة الحق، فضلاً عن ذلك أن موقفه ازداد رسوخًا بفضل رابطة المصاهرة مع الإمام علي (عليه السلام) الأمر الذي جعل التزامه بنصرة الإمام الحسين (عليه السلام) ليس فقط خيارًا دينيًا أو سياسيًا، وإنما امتدادًا لرابطة أسرية عززت عمق الولاء.

(١) بنو سعد : ينسبون إلى سعد بن زيد بن مناة بن تميم. يُنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢١٥ .
(٢) ابن نما، مثير الأحزان، ص ٢٥؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٢٧- ٢٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٤٠- ٣٤١.
(٣) ابن نما، مثير الأحزان، ص ٢٥- ٢٦؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٢٧- ٢٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٤١.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

عمل يزيد على توظيف مكانته كزعيم قبلي لتحشيد وتعبئة قبيلته مستندًا إلى العصبية القبلية في حشد الولاء، وقد مثل يزيد النهشلي نموذجًا واضحًا للتفاعل بين الدين والقبيلة، حيث يؤكد ابن خلدون " أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم، و أن كل أمر تحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية وفي الحديث «ما بعث الله نبيًا إلا في منعة من قومه»^(١)، فقد وفق يزيد النهشلي بين الشرعية الدينية المتمثلة في نصرة الإمام الحسين (عليه السلام)، وبين العصبية القبلية في تعبئة بني تميم وبطونها، حيث لم تعد العصبية القبلية قائمة بذاتها، بل تحولت إلى أداة مجتمعية وظفت في خدمة الشرعية الدينية .

نجح يزيد النهشلي في تعبئة قبيلتي بني تميم وبني سعد لنصرة الإمام الحسين (عليه السلام)، وقد صور اندفاعهم في الطاعة بصورة مؤثرة، إذ شبههم بالإبل العطشى التي تهرع إلى الماء بعد خمسة أيام من الظما، في دلالة على شدة توقهم للنصرة ومساندة النهضة الحسينية، كما أشار إلى أن نفوس بني سعد قد تطهرت من الشك والتردد وانفتحت على صفاء الولاء الصادق، وهذا ليس مجرد موقف قبلي عابر، بل يكشف عن قناعة راسخة وموقف ديني وسياسي متكامل، عندما تتضافر الزعامة القبلية في الوقوف إلى جانب المظلوم ونصرة اصحاب الحقوق، ليجعل من يزيد النهشلي أحد أبرز الأصوات المؤيدة للنهضة الحسينية من مجتمع البصرة، لكن الأقدار حالت دون التحاقه المباشر بركب الإمام الحسين (عليه السلام) فكان جزعه عظيمًا على فوات شرف نصرة الإمام الحسين (عليه السلام)^(٢).

على الرغم من الحماسة الكبيرة التي أبداهها يزيد بن مسعود النهشلي في مساندة الإمام الحسين (عليه السلام) وتحشيد قومه لنصرته، فإن هذه الحماسة لم تترجم إلى فعل عملي على أرض الواقع، إذ اكتفى النهشلي بمراسلة الإمام الحسين وإظهار التأييد العلني له، لكن الظروف الأمنية الصارمة في البصرة حالت دون التحاقه أو خروج قوات منظمة بقيادته، ويبدو أن الرقابة المشددة التي فرضها عبيد الله بن زياد على الطرق والمنافذ كان لها أثر بالغ في عرقلة أي تحرك

(١) يُنظر: العبر، ج ١، ص ١٩٩ .

(٢) يُنظر: ابن نما، مثير الأحزان، ص ٢٦؛ ابن طاووس، اللهوف، ص؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٤١ .

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

جماعي من البصرة، لكن ومع ذلك، فإن بعض الأفراد المؤمنين تجاوزوا هذه القيود الأمنية، إذ أن مجموعة من البصريّون تمكنوا من الالتحاق بالإمام الحسين (عليه السّلام) والانضمام إلى ركب الشهداء في كربلاء .

انتقل الدعم من المستوى السري الذي تمثل بغالبية المجتمع البصريّ للنهضة الحسينية إلى مستوى الفعل الميداني مثلته فئة من الانصار منهم يزيد بن ثبيط العبدى، الذي جسّد نموذج المؤمن المتيقن من قضيته، إذ لم يكتف بالمشورة والتّمني فقد كان ضمن الاجتماع الذي عقدته عبد قيس في بيت مارية، حيث أتخذ قراراً حاسماً بالخروج إلى الإمام الحسين (عليه السّلام) لنصرته، ليؤكد أنّ الالتزام بمبدأ نصرته الحق ينبغي أن يكون قولاً وفعلًا، رغم معرفته بالمخاطر التي تحيط به من قبل عيون عبید الله ابن زياد واجهزته الأمنية، وقد واجه اعتراضات من اصحابه بعدما حذروه من خطر اصحاب ابن زياد، لكنه أجابهم بكلمات تعكس صلابة الموقف الإيماني إذ قال: "اني والله لو قد استوت اخفافهما بالجدد^(١) لهان علي طلب من طلبني"^(٢) .

لم تقتصر التضحية على يزيد بن ثبيط بل اصطحب أثنان من ابنائه (عبد الله وعبید الله) بعدما خيرهم فقال "أیکم يخرج معي"^(٣)، وهو ما يعكس صورة من صور الإيثار الأسري والجهاد الجماعي، وقد انضموا إلى الإمام الحسين (عليه السّلام) بالأبطح^(٤)، وقد سحب الإمام الحسين (عليه السّلام) في طريقة إلى الكوفة حتى استشهد معه هو وابنائه^(٥).

(١) الجدد : وجه الأرض، وقيل الأرض الغليظة والأرض الصلبة. يُنظر: صاحب بن عباد، المحيط، ج٦، ص٣٩٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ٣، ص١٠٩ .

(٢) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٥٤؛ نعمة ساهي الموسوي، التشيع في البصرة، ص١٦٤ .

(٣) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٥٤ .

(٤) الأبطح: يقع ما بين مكة ومنى، وتارة يضاف إلى مكة وأخرى إلى منى، ويكون إلى الشمال الغربي من مكة، والأبطح هو ميقات المعتمرين من مكة، وهو أقرب حدود الحرم إلى مكة. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٤٦ .

(٥) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٥٤؛ الجرجاني، الأملالي الخميسية، ج١، ص٢٢٦ .

ولم يقتصر موقف الفئة البصرية المساندة على يزيد بن ثبيط وابنائهم، بل أنضم إلى الإمام الحسين (عليه السلام) ثلة من الأنصار الذين أرخصوا ارواحهم ولم يكتروا للدنيا بما فيها، فقد آثروا الموت بكرامة على حياة الذل والهوان، وكان من أبرزهم الأدهم بن أمية العبدي، وسيف بن مالك العبدي، وعامر بن مسلم العبدي ومولاه سالم الذين كانوا ضمن الأفراد الذين اجتمعوا في بيت مارية البصرية الذي شكل دارها فضاءً اجتماعياً لمناقشة قضايا النهضة الحسينية ومعارضة السلطة الأموية والانتصار لقيم العدالة، وهو ما يعكس دور المرأة البصرية في احتضان الفكرة الحسينية وتهيئة بيئتها الاجتماعية، وقد عزم هؤلاء الأفراد على الالتحاق بالإمام الحسين (عليه السلام) رغم هيمنة السلطة الأموية وتشديد الرقابة الأمنية لابن زياد، وقد قاتلوا دون الإمام الحسين (عليه السلام) حتى نالوا الشهادة^(١)، فضلاً عن هنالك فرد آخر حمل كتاب يزيد بن مسعود النهشلي إلى الإمام الحسين (عليه السلام) وهو الحجاج بن بدر التميمي السعدي الذي رافق الإمام الحسين (عليه السلام) حتى نال الشهادة^(٢).

إلى جانب موقف هؤلاء الأبطال من الموالين لأهل البيت المجتمع البصري الذين ساندوا النهضة الحسينية ونالوا شرف الشهادة في سبيل الدين والحق والعدالة الاجتماعية، برز موقف آخر تمثل في الهفهاف بن المهند الراسبي^(٣) الذي ينتمي إلى بني راسب وهي بطن من الأزدي، والمثير في موقفه أنه كان مخالفاً للخط العام لقبيلته؛ إذ أن زعيمها مسعود بن عمرو بن عدي الأزدي الذي خضع للسلطة الأموية ولم يشارك أو يحث أفراد قبيلته على مساندة ونصرة الإمام الحسين (عليه السلام)، ومع ذلك تجاوز الهفهاف موقف زعيم قبيلته وكل الحواجز ليصوغ بقراره الفردي صفحة مشرقة من الولاء للحق والالتزام بالمبدأ، ليعبر عن التزام ديني وأخلاقي مستقل، فقد خرج الهفهاف

(١) يُنظر: الجرجاني، الأمالي الخميسية، ج ١، ص ٢٢٦؛ المحلي، الحقائق الوردية، ج ١، ص ٢٢٨؛ نعمة ساهي الموسوي، التشيع في البصرة، ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٢) يُنظر: الجرجاني، الأمالي الخميسية، ج ١، ص ٢٢٦؛ المحلي، الحقائق الوردية، ج ١، ص ٢٢٨؛ نعمة ساهي الموسوي، التشيع في البصرة، ص ١٦٥ - ١٦٦؛ محمد السماوي، أبصار العين، ص ٢١٢.

(٣) الهفهاف بن المهند الراسبي البصري، من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، فارس شجاع من الشيعة المخلصين في محبة أهل البيت (عليهم السلام)، حضر مع أمير المؤمنين (عليه السلام) حروبه وأمره (عليه السلام) في صفين على أزد البصرة، وكان ملازماً له إلى أن قتل (عليه السلام)، فانضم إلى الإمام الحسن (عليه السلام)، ثم إلى الإمام الحسين (عليه السلام). يُنظر: محمد تقي الدين التستري، قاموس الرجال، ج ١، ص ٥٧٢؛ نزار المنصوري، النصرة لشيعة البصرة، ص ١٥٣.

الفصل الثالث تبين الموقف المجتمعي في العراق من النهضة الحسينية

الراسبي من البصرة حين سمع بخروج الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من مكة، الذي لم يتردد في المسير إليه، حتى انتهى إلى كربلاء بعد استشهاد الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ومع ذلك لم يتراجع وإنما عزم على مقاتله عسكر عمر بن سعد، إذ شَدَّ على القوم وقَاتَلَ الأبطال حتى مضى شهيداً^(١)، معلناً أنَّ الانتماء للحق يتجاوز قيود القبيلة والزعامة، ليصبح قراراً فردياً واعياً يخلد صاحبه في سجل الشهداء.

(١) يُنظر: الجرجاني، الأُمالي الخُميسية، ج ١، ص ٢٢٧؛ المحلي، الحقائق الوردية، ج ١، ص ٢٣٠؛ نعمة ساهي الموسوي، التشيع في البصرة، ص ١٦٦ .

الخلاصة

خلصت الدراسة عن تباين الموقف المجتمعي من النهضة الحسينية حتى سنة (١٤١١هـ) إلى عدد من الاستنتاجات نذكر منها :

١- أنَّ مفهوم التباين سواء في دلالاته اللغوية أم الاصطلاح يدل على حالة الاختلاف الذي قد يتخذ صوراً متعددة تمتد من تمايز الآراء والمواقف إلى تغيير سلوكيات الافراد، كما ويعد التباين ظاهرة ملازمة للمجتمعات تتولد بفعل تعدد الخلفيات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والتي بدورها تنعكس على أنماط التفكير والسلوك والمواقف .

٢- إنَّ التباين المجتمعي ليس ظاهرة طارئة أو حالة استثنائية في التاريخ الإنساني بل هي جزء من السنن الإلهية التي أكد عليها القرآن الكريم ووضحتها السنة النبوية وأحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، فالتنوع في الأديان والثقافات واللغات وتنوع الشعوب .

٣- بينت الدراسة أنَّ العوامل الدينية والاقتصادية والسياسية لعبت دوراً في تباين مواقف المجتمع، إذ عانى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في محاولاته لإقناع زعماء مجتمع مكة بدعوته، إذ كانوا متشبثين بموروثاتهم الدينية ومعتادين على تقاليد آبائهم، فوقفت خلفيتهم الثقافية حائلاً بينهم وبين الوقوف إلى جانبه والإيمان بالدعوة الإسلامية، فضلاً عن ذلك لعبت العوامل الاقتصادية والسياسية دوراً كبيراً في تشكيل مواقف المجتمع.

٤- اوضحت الدراسة انقسام المجتمع الإسلامي بعد حادثة السقيفة، إذ جرى تأسيس سلطة سياسية بين مجتمع المسلمين من دون شورى تؤسس لها شرعيتها، فقد حسم خلاف السقيفة بفرض الأمر الواقع لا بالتراضي ولا بالاختيار وقد تباينت المواقف من بيعه أبو بكر، وقد اظهرت الدراسة استمرار تغييب دور المجتمع في الشورى فقد اوصى أبو بكر بالخلافة إلى عمر بن الخطاب، كما وضع عمر بن الخطاب مخططاً لضمان وصول عثمان بن عفان إلى الخلافة، وقد تباينت مواقف المجتمع الإسلامي من خلافته وذلك لسياسته المالية غير العادلة، فضلاً عن هيمنة النزعة القبلية بحكم ارتباط نسب الخليفة بالعائلة الأموية.

٥- بينت الدراسة اساليب السلطة الأموية في السيطرة على المجتمع من خلال عدة وسائل منها اعتمادها على مذهب الجبر لتسوية حقها في الخلافة والاحتجاج به بوصفه أمراً إلهياً مفروضاً على الأمة، وقد اعتمدت المنهج ذاته في شرعنة عقد البيعة لأولياء عهدها، وقد لجأ معاوية إلى أساليب متعددة فكان يُغدق العطاء على المقربين، ويستميل البعيدين بالمدارة والمصاهرة والتحالفات، حتى استوثق له أكثرية المجتمع، كما عمل على احتكار الخطاب الديني والسياسي لصالح شرعنه سلطته وربطها بمشيئة الله .

٦- اظهرت الدراسة محاولات الإمام الحسين (عليه السلام) من خلال نهضته إلى إعادة حركة المجتمع إلى نهج الإسلام المحمدي من خلال منهجه الإصلاحية، فلم تكن قضيته نزاع على السلطة، بل كانت مواجهة بين نظام حكم الإسلام القائم على القيم الالهية والشورى والعدالة، وبين نظام حكم ملكي قائم على العصبية القبلية والمصالح المادية والاستبداد، وفي تلك الحقبة كان المجتمع قد دخل في طور تراجع فيه القيم الثورية، لذلك وقف الإمام الحسين (عليه السلام) لأحياء مبدأ هيات منا الذلة مستنداً (عليه السلام) إلى وعي ديني عميق بمبدأ المسؤولية الاجتماعية الذي ورد في قول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): "كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته"، ومن هنا انطلق الإمام الحسين (عليه السلام) بوصفه الصوت الثائر الصالح بالحق، محاولاً تنبيه الأمة الإسلامية إلى خطورة المرحلة، داعياً المجتمع الإسلامي إلى القيام بمسؤوليته في مواجهة الظلم والانحراف.

٧- بينت الدراسة أنَّ موقف مجتمع الحجاز من النهضة الحسينية قد تأثر بالجزور التاريخية والمواقف السياسية، فعلى الرغم من أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) يمثل الامتداد الديني والروحي لرسالة جدة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، ولأبيه الإمام علي (عليه السلام)، فقد سلك جمهور منه سلوك الخضوع والعزوف عن المشاركة في عدم مساندة النهضة الحسينية، في مقابل ذلك التف حول (عليه السلام) فضلاً عن أسرته نخبة من الأصحاب من مختلف الأعراق والطبقات متحدين لتحقيق هدف الدفاع عن المبادئ الإسلامية الأصيلة وهو نصر المظلومين وتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة ومواجهة الفساد السلطوي.

٨- اظهرت الدراسة أن موقف المجتمع الشامي من النهضة الحسينية أُتسم بالانحياز الكامل إلى السلطة الأموية ومساندة يزيد بن معاوية ذلك لأن الناس على دين ملوكهم، فالمجتمع لم يتبنَّ موقفًا حرًا من النهضة الحسينية بل أخذوا موقف السلطة بوصفها المرجع الديني والسياسي، فقد كانت الشام القاعدة الاجتماعية والسياسية التي اعتمد عليها معاوية ومن ثم ابنه يزيد في تثبيت الحكم الأموي، ويعزى هذا الانحياز إلى جملة من العوامل منها طول مدة استقرار معاوية في الشام منذ ولايته التي استمرت من (١٨ - ٤١ هـ) ومن ثم خلافته من (٤١ - ٦٠ هـ)، الأمر الذي مكنه من إعادة تشكيل الوعي الجمعي للمجتمع الشامي وربطه بالسلطة، حتى اصبحوا يُنظرون إلى الأسرة الأموية باعتبارهم الممثل الشرعي الوحيد للدولة والمجتمع، كما بينت الدراسة أن مجتمع مصر وخراسان لم يكن له دور فعلي أو موقف مباشر يذكر في أحداث النهضة الحسينية.

٩- اوضحت الدراسة استعمال السلطة الأموية لمختلف الأساليب في اخضاع مجتمع العراق وذلك بعد أن عرف عنه أنه مهّدًا للمعارضة، وقد اتبعت نهجًا قمعيًا عدائيًا تجاه المجتمع في كل الميادين السياسية والدينية والاقتصادية ومع ذلك كانت الكوفة المدينة الوحيدة التي ابدأ بعض مجتمعها تفاعلًا مع دعوة الإمام الحسين (عليه السلام) وقد مثلتها فئة قليلة اختارت مساندته والوقوف إلى جانبه في مواجهة الظلم الأموي، و لم ينطلق موقفها المساند من الولاء العقدي فحسب، بل من قناعة عميقة بالمبادئ الانسانية التي تتجاوز الانتماءات الدينية والقبلية، فقد رأت هذه الفئة في نهضته مشروعًا اصلاحيًا يهدف إلى حماية كرامة الإنسان وصون العدالة وإحداث التغيير ومواجهة الظلم والفساد السلطوي، واطهرت الدراسة أن أشرف الكوفة ورؤساء العشائر لعبوا دورًا في معاداة النهضة الحسينية، إذ كانت مواقفهم حاسمة فقد كانوا يمثلون الطبقة الأكثر نفوذًا في المجتمع وعليه فالفرد في المجتمع القبلي يتبع قبيلته اتباع القطيع فيكون سلوكه منسجمًا مع سلوك رئيس قبيلته، وقد شكلت هذه الفئة بما تملكه من نفوذ اجتماعي أداة فعالة بيد السلطة الأموية، حيث أُتسم سلوكهم بالتحول البراغماتي وذلك للحفاظ على النفوذ و الطمع في المال والجاه، والحصول على المغانم والأموال.

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

اولاً: قائمة المصادر

- ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ)
١- الحلة السيرة، تح: حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥ م .
- الآبي منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد (ت ٤٢١هـ) .
٢- نثر الدر في المحاضرات، تح: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ م .
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ) .
٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤ م .
- ٤- الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧ م .
- ٥- اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠ م .
- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ) .
٦- البديع في علم العربية، تح: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠٠٠ م .
- ٧- جامع الأصول في أحاديث الرسول، تح: عبد القادر الأرنبوط، مكتبة الحلواني، (د.ت.) .
- ٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩ م .

- الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي (ت ٣٦٠هـ).
- ٩- الشريعة، تح: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، ط٢، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٩ م.
- الأدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت ٥٦٠هـ).
- ١٠- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.
- الإربلي، أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ).
- ١١- كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء، بيروت، (د.ت).
- الأزدي، يزيد بن محمد (ت ٣٣٤هـ).
- ١٢- تاريخ الموصل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦ م.
- الأزدي، أبو الفتح محمد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن بريدة الموصلي (ت ٣٧٤هـ).
- ١٣- المخزون في علم الحديث، تح: محمد إقبال محمد، الدار العلمية، دلهي، ١٩٨٨م.
- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبلي بالولاء، المدني (ت ١٥١هـ).
- ١٤- سيرة ابن إسحاق، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- الأصبهاني، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الجوزي (ت ٥٣٥هـ).
- ١٥- الترغيب والترهيب، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٣ م.
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (ت ٤٣٠هـ).
- ١٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م.
- ١٧- معرفة الصحابة، تح: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م.
- الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦هـ).
- ١٨- المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤ م.
- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخرجي موفق الدين (ت ٦٦٨هـ).
- ١٩- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
- ابن اعثم، ابي محمد احمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ).
- ٢٠- الفتوح، تح: علي شيري، دار الاضواء، بيروت، (د.ت).

- ابن الأعرابي، أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر (ت ٣٤٠هـ).
- ٢١ - معجم ابن الأعرابي، تح: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٩٩٧ م .
- الباعوني، محمد بن احمد الدمشقي الباعوني الشافعي (ت ٨٧١هـ).
- ٢٢ - جواهر المطالب في مناقب الإمام علي(ع)، تح: محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٦ هـ .
- الباقلائي، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلائي المالكي (ت ٤٠٣هـ) .
- ٢٣ - الانتصار للقرآن، تح: محمد عصام القضاة، دار الفتح، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .
- البحراني، هاشم (ت ١١٠٧ هـ) .
- ٢٤ - حلية الأبرار في أحوال محمد واله الأطهار، تح: غلام رضا مولانا البروجردي، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٩٩٣ م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ)
- ٢٥ - التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، (د.ت) .
- ٢٦ - صحيح البخاري، المطبعة السلطانية، مصر، ١٨٩٣ م.
- البري، محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني (ت بعد ٦٤٥هـ).
- ٢٧ - الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ١٩٨٣ م .
- البغدادى، ابو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد (ت ٣٣٧هـ).
- ٢٨ - الخراج وصناعة الكتابة، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١ م .
- البغوي، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه (ت ٣١٧هـ).
- ٢٩ - معجم الصحابة، تح: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان، الكويت، ٢٠٠٠ م .
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي(ت ٥١٠هـ) .
- ٣٠ - معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩ م.

- ابن بكار، العباس بن بكار الضبي (ت ٢٢٢ هـ) .
- ٣١ - أخبار الوافدين من الرجال من أهل البصرة والكوفة على معاوية بن أبي سفيان، تح: سكيئة الشهابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣ م .
- ٣٢ - أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، تح: سكيئة الشهابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣ م .
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ).
- ٣٣ - المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢ م .
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩ هـ) .
- ٣٤ - أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦ م .
- ٣٥ - فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨ م .
- البيضاوي، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥ هـ)
- ٣٦ - تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ٢٠١٢ م .
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) .
- ٣٧ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تح: د. عبد المعطي قلججي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ١٩٨٨ م .
- ٣٨ - السنن الكبرى، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ٢٠١١ م .
- ٣٩ - شعب الإيمان، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٣ م .
- ٤٠ - معرفة السنن والآثار، تح: عبد المعطي أمين قلججي، دار الوفاء، القاهرة، ١٩٩١ م .
- البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت ٣٢٠ هـ) .
- ٤١ - المحاسن والمساوي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت) .
- التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب .
- ٤٢ - مشكاة المصابيح، تح: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥ م .
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، (ت ٢٧٩ هـ) .
- ٤٣ - سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط٢، شركة مكتبة، مصر، ١٩٧٥ م .

- التميمي، عبد الواحد الآمدي التميمي (ت ٥٥٠هـ) .
- ٤٤ - غرر الحكم ودرر الكلم، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، قم، ١٩٨٩م .
- الثَّقَفي ، ابي اسحاق ابراهيم بن محمد بن سعيد الثَّقَفي الكوفي (ت ٢٨٣ هـ) .
- ٤٥ - الغارات ، تح: جلال الدين الحسيني، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم، ١٩٨٩م .
- الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي (ت ٢٥٥هـ)
- ٤٧ - البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م .
- ٤٨ - الحيوان، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م .
- ٤٩ - العثمانية، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ، (د.ت) .
- ٥٠ - المحاسن والأضداد، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م .
- الجرجاني، يحيى بن الحسين بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري (ت ٤٩٩ هـ) .
- ٥١ - ترتيب الأمالي الخمسية، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م .
- الجرجاني ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت ٨١٦هـ) .
- ٥٢ - التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م .
- الجعدي، عمر بن علي بن سمرة، (ت بعد ٥٨٦هـ)
- ٥٣ - طبقات فقهاء اليمن، تح: فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، (د.ت) .
- ابو جعفر الأسكافي، أبو جعفر محمد بن عبد الله السمرقندي (ت ٢٢٠هـ) .
- ٥٤ - المعيار والموازنة، تح: محمد باقر المحمودي، ١٩٨١م .
- الجندي، محمد بن يوسف بن يعقوب، أبو عبد الله، بهاء الدين الحندي اليمني (ت ٧٣٢هـ) .
- ٥٥ - السلوك في طبقات العلماء والملوك، تح: محمد بن علي بن الحسين، ط٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٥م
- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (٣٣٢) .
- ٥٦ - الوزراء والكتاب، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٩٨م .

- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ)
 - ٥٧ - تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، تح: مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف، الرياض، ١٩٩٨ م .
 - ٥٨ - جامع المسانيد، تح: علي حسين البواب، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٥ م .
 - ٥٩ - الأذكياء، مكتبة الغزالي، (د . ت) .
- الجوهري، أبي بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري، البصريّ البغدادي (ت ٣٢٣ هـ) .
 - ٦٠ - السقيفة وفدك، تح: محمد هادي الاميني، مكتبة نينوى الحديثة، (د . ت) .
- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (ت ٣٢٧ هـ).
 - ٦١ - تفسير القرآن العظيم، تح: أسعد محمد الطيب، ط٣، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٨ م .
- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ) .
 - ٦٢ - المستدرک على الصحيحين، دار الرسالة العالمية، ٢٠١٨ م .
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد التميمي الدارمي (ت ٣٥٤ هـ) .
 - ٦٣ - الثقات، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن الهند، ١٩٧٣ م .
 - ٦٤ - السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٧ م.
- ابو حفص النسفي، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي (ت ٥٣٧ هـ).
 - ٦٥ - التيسير في التفسير، تح: ماهر أديب حبوش وآخرون، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول ، ٢٠١٩ م .
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١ هـ).
 - ٦٦ - فضائل الصحابة، تح: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣ م.
 - ٦٧ - العلل ومعرفة الرجال، ط٢، دار الخاني، الرياض، ٢٠٠١ م.
 - ٦٨ - مسند أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

- **بن حجر العسقلاني، ابو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) .**
- ٦٩ - الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل احمد وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤ م .
- ٧٠ - نزهة الألباب في الألقاب، تح: عبد العزيز محمد بن صالح، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩ م .
- ٧١ - فتح الباري بشرح البخاري، المكتبة السلفية، مصر .
- ٧٢ - لسان الميزان، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٢ م .
- **ابن ابي الحديد، عز الدين هبة الله (ت ٦٥٦ هـ) .**
- ٧٢ - شرح نهج البلاغة، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، ١٩٥٩ .
- **ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي، (ت ٥٦٢ هـ) .**
- ٧٣ - التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، ١٤١٧ هـ .
- **الحراني، ابن شعبة أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين .**
- ٧٤ - تحف العقول عن آل الرسول، تحقيق: علي أكبر الغفاري ، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، (د . ت) .
- **ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) .**
- ٧٥ - جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢ م .
- ٧٦ - جوامع السيرة النبويّة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣ م .
- **الحلي، أبو الفرج علي بن إبراهيم بن أحمد الحلي، نور الدين ابن برهان الدين (ت ١٠٤٤ هـ) .**
- ٧٧ - السيرة الحلبية، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦ م .
- **الحلي، ابي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (ت ٧٢٦ هـ) .**
- ٧٨ - نهاية المرام في علم الكلام، تح: فاضل العرفان، مؤسسة الإمام الصادق، قم، ١٩٩٨ م .
- **الحميري، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت ٥٧٣ هـ) .**
- ٧٩ - شمس العلوم ودواء كلام العرب، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩ م .
- **الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠ هـ) .**

- ٨٠ - الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.
- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت نحو ٤٠٠هـ) .
- ٨١ - البصائر والذخائر، تح: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨ م.
- الحنبلي، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري (ت ٣٨٧هـ)
- ٨٢ - الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، تح: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي وآخرون، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، (د.ت) .
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ) .
- ٨٣ - تاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢ م .
- الخطيب التبريزي، أبو عبد الله ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمري (ت ٧٤١هـ).
- ٨٤ - الإكمال في أسماء الرجال، مؤسسة أهل البيت، قم، (د.ت).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ).
- ٨٥ - العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١ م .
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)
- ٨٦ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت .
- خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت ٢٤٠هـ) .
- ٨٧ - تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٣٩٧هـ.
- ٨٨ - طبقات خليفة بن خياط، تح: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣ م .
- الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي (ت ٣٨٧هـ).
- ٨٩ - مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
- الخوارزمي، الموفق بن أحمد البكري المكي الحنفي (ت ٥٦٨هـ) .
- ٩٠ - مقتل الحسين، ط٢، انوار الهدى، قم، ٢٠٠٢ م.

- ٩١ - المناقب، تح: مالك المحمودي، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٩٩٠ م .
- ابي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) .
- ٩٢- سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت) .
- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي (ت ٣٨٥ هـ).
- ٩٣ - المؤتلف والمختلف، تح: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦ م .
- الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت ٢٥٥ هـ) .
- ٩٤ - مسند الدارمي، تح: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠ م .
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١ هـ)
- ٩٥- الاشتقاق، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١ م .
- الدميري، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (ت ٨٠٨ هـ) .
- ٩٦ - حياة الحيوان الكبرى، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣ م .
- أبو حنيفة، أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ) .
- ٩٧- الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠ م .
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) .
- ٩٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣ م .
- ٩٩- سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦ م .
- الربيعي، علي بن محمد بن صافي بن شجاع الربيعي، (ت ٤٤٤ هـ)
- ١٠٠ - فضائل الشام ودمشق، تح: صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٠ م .
- الرازي ، الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦ هـ) .

- ١٠١ - مختار الصحاح ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، ط ٥ ، بيروت ، ١٩٩٩ م
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)
 - ١٠٢ - المفردات في غريب القرآن ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، ١٤١٢ هـ .
 - ١٠٣ - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤٢٠ هـ .
 - ابن رجب الحنبلي، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥ هـ) .
 - ١٠٤ - كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة، تح: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، ط ٢، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ٢٠٠٣ م .
 - الراوندي، قطب الدين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ).
 - ١٠٥ - منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تح: عبد اللطيف الكوهكمري، مكتبة آية الله المرعشي العامة، قم، ١٤٠٦ هـ.
 - بن رسلان، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي (ت ٨٤٤ هـ).
 - ١٠٦ - شرح سنن أبي داود، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، مصر، ٢٠١٦ م.
 - الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي المكي (ت ٢٥٦ هـ) .
 - ١٠٧ - الأخبار الموفقيات، تح: سامي مكي العاني، ط ٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦ م .
 - الزمخشري، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٥٨٣ هـ).
 - ١٠٨ - أساس البلاغة، تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨ م .
 - ١٠٩ - ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٢ هـ.
 - ابن زنجويه أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني (ت ٢٥١ هـ).
 - ١١٠ - الأموال لابن زنجويه، تح : شاعر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ١٩٨٦ م .
 - ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠)
 - ١١١ - الطبقات الكبرى، دار صادر ، بيروت، ١٩٦٨ م .

- سبط ابن الحوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قز أُوغلي بن عبد الله (ت ٦٥٤ هـ) .
- ١١٢- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، دار الرسالة العالمية، دمشق، ٢٠١٣ م .
- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (ت ٤٨٣ هـ) .
- ١١٣- المبسوط، مطبعة السعادة، مصر، (د.ت) .
- السلفي، أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني (ت ٥٧٦ هـ) .
- ١١٤- الطيوريات، تح: دسمان يحيى معالي وعباس صخر الحسن، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ٢٠٠٤ م .
- ١١٥- المشيخة البغدادية، تح: رضا بو شامة الجزائري، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ٢٠٠٦ م .
- السمعاني، أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢ هـ) .
- ١١٦- الأنساب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٩٨٢ م .
- ١١٧- فضائل الشام، تح: عمرو علي عمر، دار الثقافة العربية، ١٩٩٢ م .
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨ هـ) .
- ١١٨- المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠ م .
- ١١٩- المخصص، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦ م .
- سيف بن عمر الأسدي التميمي (ت ٢٠٠ هـ) .
- ١٢٠- الفتنة ووقعة الجمل، تح: أحمد راتب عرموش، ط٧، دار النفائس، ١٩٩٣ م .
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضير ، جلال الدين (ت ٩١١ هـ) .
- ١٢١- جمع الجوامع، تح: مختار إبراهيم الهائج وآخرون، ط٢، الأزهر الشريف، القاهرة، ٢٠٠٥ م .
- ١٢٢- جامع الأحاديث، (د. م) ، (د. ت) .
- ١٢٣- تاريخ الخلفاء، تح: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٤ م .
- ١٢٤- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨ م .

- ١٢٥- طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ .
- ١٢٦- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تح: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦ م .
- ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري، (ت ٢٦٢ هـ) .
- ١٢٧- تاريخ المدينة لابن شبة، تح: فهيم محمد شلتوت، جدة، ١٣٩٩ هـ .
- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤ هـ) .
- ١٢٨- الأم، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣ م .
- الشافعي، نجم الدين الغزي، محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي(ت ١٠٦١ هـ) .
- ١٢٩- حسن التنبيه لما ورد في التشبيه ، دار النوادر، سوريا، ٢٠١١ م.
- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد الرضي بن الحسين الموسوي (ت ٤٠٦ هـ) .
- ١٣٠- نهج البلاغة، تح: صبحي صالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٧ م .
- الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي، (ت ٤٣٦ هـ).
- ١٣١- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤ م .
- ١٣٢- الشافي في الإمامة، ط٢، مؤسسة الصادق، طهران ١٤١٠ هـ .
- ابن شهر آشوب، أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني(ت ٥٨٨ هـ) .
- ١٣٣- مناقب آل أبي طالب، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، (د.ت).
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨ هـ).
- ١٣٤- الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، (د.ت) .
- بن أبي شيبه، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه العبسي الكوفي (ت ٢٣٥ هـ) .
- ١٣٥- المصنف، تح: سعد بن ناصر بن عبد العزيز، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٥ م .
- الشيرازي، محمد طاهر بن محمد بن حسين القمي (ت ١٠٩٨ هـ).
- ١٣٦- الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين، تح: مهدي الرجائي، مطبعة الأمير، قم، ١٤١٨ هـ .
- صاحب بن عباد، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني (ت ٣٨٥ هـ).
- ١٣٧- المحيط في اللغة، تح: محمد حسن آل ياسين عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٤ م .

- **الصالحى الشامى، محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ) .**
١٣٨- سبل الهدى والرشاد، تح: و عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣ م .
- **الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن (ت ٦٥٠هـ) .**
١٣٩ - التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تح: حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب، القاهرة، (د.ت) .
- **الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ) .**
١٤٠ - الأمالي، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧ هـ .
١٤١ - ثواب الأعمال وعقب الأعمال، منشورات الرضي ، قم، (د.ت) .
١٤٢ - علل الشرايع، تح: محمد باقر بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٦ م .
١٤٣ - معاني الأخبار، انتشارات إسلامي، قم، ١٣٦١ هـ .
١٤٤ - من لا يحضره الفقيه، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٤ .
- **الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ) .**
١٤٥ - الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠ م .
- **ابن طاووس، رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر (ت ٦٦٤هـ) .**
١٤٦ - طرف من الأنباء والمناقب في شرف سيد الأنبياء، تاسوعا، مشهد، ١٤٢٠ هـ .
١٤٧ - اللهوف في قتلى الطفوف، أنوار الهدى، قم، ١٤١٧ هـ .
- **الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامى (ت ٣٦٠هـ) .**
١٤٨ - مسند الشاميين، تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤ م .
١٤٩ - المعجم الأوسط، تح: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين، القاهرة، ١٩٩٥ م .
١٥٠ - المعجم الصغير (الروض الداني)، تح: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥ م .

- ١٥١ - المعجم الكبير، حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (د.ت) .
- الطبرسي، ابي الفضل علي بن الحسن (ت ٥٤٨هـ).
 - ١٥٢- مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تح: مهدي هوشمند، دار الحديث، ١٤١٨ هـ .
 - ١٥٣- إعلام الوری بأعلام الهدی، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم، ١٤١٧ هـ.
 - الطبرسي، ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب (ت ٦٢٠هـ).
 - ١٥٤- الاحتجاج، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٩٦٦ م .
 - الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) .
 - ١٥٥- تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٧ م .
 - ١٥٦- جامع البيان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).
 - الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري (ت ٣٢١ هـ) .
 - ١٥٧- شرح مشكل الآثار، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤ م .
 - الطوسي، ابي جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ).
 - ١٥٨- اختيار معرفة الرجال المعروف، تح: مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، مطبعة بعثت، قم، ١٤٠٤ هـ .
 - ١٥٩- الأمالي، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ١٤١٤ هـ.
 - ١٦٠- التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الاعلام الإسلامي، ١٤٠٩ هـ .
 - ١٦١ - رجال الطوسي، تح: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٥ هـ.
 - الطيالسي، سليمان بن داود (ت ٢٠٤ هـ) .
 - ١٦٢ - مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
 - ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠ هـ).
 - ١٦٣ - بلاغات النساء، مكتبة بصيرتي، قم، (د.ت).

- ابن أبي عاصم، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧هـ) .
- ١٦٣ - الأحاد والمثاني، تح: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، ١٩٩١م.
- ١٦٤ - السنة، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠ .
- العاملي، يوسف بن حاتم الشامي المشغري (ت ٦٦٤هـ) .
- ١٦٥ - الدر النظيم، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، (د.ت).
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ) .
- ١٦٦ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، مصر، ٢٠١٩ م .
- ١٦٧ - الإنباه في ذكر قبائل الرواة، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، مصر، ٢٠١٩ م .
- ١٦٨ - جامع بيان العلم وفضله، تح: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٩٩٤ م .
- بن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصري (ت ٢٥٧هـ).
- ١٦٩ - فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥ هـ .
- ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) .
- ١٧٠ - العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤ .
- عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ) .
- ١٧١ - المصنف، ط٢، دار التأصيل، ٢٠١٣ م .
- عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ)
- ١٧٢ - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ينسب له)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت) .
- ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين (ت ٦٦٠هـ).
- ١٧٣ - بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الفكر، (د.ت).

- ابن عدي، الكتاب أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥ هـ).
- ١٧٤- الكامل في ضعفاء الرجال، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م .
- العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم (ت ٨٠٦ هـ).
- ١٧٥- طرح التثريب في شرح التقریب، الطبعة المصرية القديمة، مصر، (د.ت) .
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت ٥٧١ هـ).
- ١٧٦- تاريخ مدينة دمشق، تح: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م .
- ١٧٧- ترجمة الإمام الحسن (ع)، تح: محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠ م .
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت نحو ٣٩٥ هـ) .
- ١٧٩- الأوائل، دار البشير، مصر، ١٤٠٨ هـ .
- ١٨٠- جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- العكبري، محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي (ت ٦١٦ هـ) .
- ١٨١- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٨ م .
- ابن عنبه، أحمد بن علي الحسيني (٨٢٨) .
- ١٨٧ - عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦١ م .
- أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائني (ت ٣١٦ هـ).
- ١٨٨- مستخرج أبي عوانة، تح: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٨ م.
- الغازي، داوود بن سليمان (ت بعد ٢٠٣ هـ) .
- ١٨٩ - مسند الرضا (ع)، تح: محمد جواد الحسيني، مكتب الأعلام الإسلامي، (د.ت) .
- الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين (ت ٣٥٠ هـ)
- ١٩٠- معجم ديوان الأدب، تح: أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣ م.

- بن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ).
- ١٩٠- معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٧٢ م .
- الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي
- ١٩١- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط٢، دار خضر، بيروت، ١٩٩٤ م .
- ابو الفتح، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس اليعمرى الربيعي (ت ٧٣٤ هـ) .
- ١٩٢- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، دار القلم - بيروت، ١٩٩٣ م.
- القتال النيسابوري، محمد بن القتال (ت ٥٠٨ هـ).
- ١٩٣- روض الواعظين، منشورات الرضي، قم، (د.ت).
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت ٧٣٢ هـ).
- ١٩٤- المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، مصر، (د.ت) .
- ابي الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي (ت ٣٥٦ هـ) .
- ١٩٥ - مقاتل الطالبين، تح: احمد صقر، دار المعرفة، بيروت، (د. ت) .
- الاغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤ م .
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠ هـ) .
- ١٩٦- العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د.ت).
- ابن الفراء، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف (ت ٤٥٨ هـ).
- ١٩٧- الأحكام السلطانية للفراء، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠ م .
- الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ) ..
- ١٩٨- المعرفة والتاريخ، تح: أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٤ م .

- الفضل بن شاذان، أبو محمد الفضل بن شاذان بن الخليل الأزدي النيسابوري (ت ٢٧٠ هـ).
- ١٩٩- الإيضاح، تح: جلال الدين الحسيني الأرموي، مؤسسة النشر للطباعة، طهران، ١٣٦٣ هـ.
- ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت ٣٦٥ هـ).
 - ١٠٠- البلدان، تح: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦ م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ).
 - ٢٠٠- القاموس المحيط، ط ٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥ م.
- الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي (ت نحو ٧٧٠ هـ).
 - ٢٠١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت).
- القاضي النعمان، أبو حنيفة محمد بن منصور بن أحمد المغربي (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م).
 - ٢٠١- شرح الأخبار، تح: محمد الحسيني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، (د.ت).
- بن قانع، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق البغدادي (ت ٣٥١ هـ).
 - ٢٠٢- معجم الصحابة، تح: صلاح بن سالم المصراطي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٨ هـ.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ).
 - ٢٠٣- الامامة والسياسة، تح: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، (د.ت).
- ٢٠٤- عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ.
- ٢٠٥- المعارف، تح: ثروت عكاشة، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢ م.
- القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ).
 - ٢٠٦- الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤ م.
- ابن قرقول، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق (ت ٥٦٩ هـ).
 - ٢٠٧- مطالع الأنوار على صحاح الآثار، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ٢٠١٢ م.

- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، من سلالة أنس بن مالك الأنصاري النجاري(ت ٦٨٢ هـ) .
- ٢٠٨ - آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠ م .
- القزويني، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (ت ٦٢٣ هـ).
- ٢٠٩ - التدوين في أخبار قزوين، تح: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ م.
- القطيعي، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي (ت ٧٣٩ هـ).
- ٢١٠ - مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ .
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ).
- ٢١١ - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الإبياري، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠ م .
- ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، (ت ٧٥١ هـ).
- ٢١٢ - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار ابن حزم ، بيروت، ٢٠١٩ م.
- بن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) .
- ٢١٣ - البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٠ هـ .
- ٢١٤ - تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨ م .
- ٢١٥ - السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦ م.
- ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤ هـ).
- ٢١٦ - جمهرة النسب، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١٠ م.
- الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩ هـ) .
- ٢١٧ - الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٣، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٧ هـ .
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣ هـ) .
- ٢١٨ - سنن ابن ماجة، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (د.ت) .

- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصريّ البغدادي (ت ٤٥٠هـ).
- ٢١٩- الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، (د.ت) .
- ٢٢٠- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- المالقي، أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن بكر الأشعري الأندلسي (ت ٧٤١هـ) .
- ٢٢١- التمهيد والبيان ، تح: محمود يوسف زايد، دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٥ هـ .
- مالك ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ) .
- ٢٢٢- المدونة الكبرى، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٣٢٣ هـ .
- ٢٢٣- موطأ مالك، تح: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان، ابو ظبي، ٢٠٠٤ م .
- ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي (ت ١٨١ هـ) .
- ٢٢٤- مسند الإمام عبد الله بن المبارك، تح: صبحي البدر السامرائي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٧ هـ .
- المبرد، ابو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ).
- ٢٢٥- الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧ م .
- المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥) .
- ٢٢٦- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.
- محمد العلوي، نجم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد العلوي العمري النسابة (ت ٤٦٦هـ) .
- ٢٢٧- المجدي في أنساب الطالبيين، ط٢، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، (د. ت) .
- المحلي، حميد بن احمد(ت ٦٥٢هـ).
- ٢٢٨- الحقائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية، مكتبة بدر، صنعاء، ١٤٢٣ هـ .
- ابو مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد بن مختف بن مسلم الأزدي الغامدي (ت ١٥٧هـ) .

- ٢٢٩- مقتل الحسين، المطبعة العلمية ، قم ١٣٩٨ هـ.
- المروزي، نعيم بن حماد (ت ٢٢٩ هـ).
 - ٢٣٠- الفتن، تح: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣ م.
 - ابن مزاحم المنقري، ابو الفضل نصر بن مزاحم بن سيار المنقري الكوفي (ت ٢١٢ هـ).
 - ٢٣١- وقعة صفين، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت).
 - المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (٧٤٢ هـ).
 - ٢٣٢- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢ م.
 - المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦ هـ).
 - ٢٣٣- اثبات الوصية للإمام علي بن ابي طالب، ط٣، انصاريان، قم، ١٤٢٦ هـ.
 - ٢٣٤- التنبيه والإشراف، دار الصاوي، القاهرة، (د.ت).
 - ٢٣٥- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٢، منشورات دار الهجرة ايران، قم ، ١٤٠٤ هـ.
 - مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ).
 - ٢٣٦- صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ، ١٩٥٥ م.
 - ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه الرازي (ت ٤٢١ هـ).
 - ٢٣٧- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، دار سروش للطباعة والنشر، طهران ٢٠٠٢ م.
 - معمر بن المثنى ، أبو عبيدة (ت ٢٠٩ هـ).
 - ٢٣٨- شرح نقائض جرير والفرزدق، تح: محمد إبراهيم ووليد محمود خالص، ط٢، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٨ م.
 - المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ).
 - ٢٣٩- الإرشاد، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣ م.
 - ٢٤٠- الاختصاص، تح: علي أكبر الغفاري ومحمود الزرندي ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣ م.

- ٢٤١- الأمالي، تح: الحسين أستاذ ولي و دعلي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة، (د.ت) .
- مقاتل ابن عطية (ت ٥٠٥ هـ) .
 - ٢٤٢- أبهى المداد في شرح مؤتمر بغداد، تح: محمد جميل حمود، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٢ م .
 - المقدسي، المطهر بن طاهر (ت نحو ٣٥٥ هـ) .
 - ٢٤٣- البدء والتاريخ، مطبعة برطرندي في مدينة شالون، باريس، ما بين ١٨٩٩ / ١٩١٩ م
 - المقدسي، مجير الدين العلمي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي (ت ٩٢٨ هـ)
 - ٢٤٤- التاريخ المعتبر في أنباء من غبر، دار النوادر، سوريا، ٢٠١١ م .
 - المقرئزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي (ت ٨٤٥ هـ) .
 - ٢٤٥- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تح: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩ م .
 - ٢٤٦- المقفي الكبير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٦ م .
 - ٢٤٧- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٢ م .
 - المناوي القاهري، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (ت ١٠٣١ هـ) .
 - ٢٤٧- التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتاب، القاهرة، ١٩٩٠ م .
 - ابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبيدي (ت ٣٩٥ هـ) .
 - ٢٤٨- معرفة الصحابة لابن منده، مطبوعات جامعة الإمارات العربية، ٢٠٠٥ م .
 - ابن منده، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق، ابن منده العبيدي الأصبهاني (ت ٤٧٠ هـ) .
 - ٢٤٩- المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة، تح: عامر حسن صبري النميمي، وزارة العدل والشئون الإسلامية، البحرين، (د.ت).
 - ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١ هـ) .

- ٢٥٠- لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ .
- ٢٥١- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تح: روحية النحاس وآخرون، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٩٨٤م.
- المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين (ت ٦٥٦ هـ) .
- ٢٥٢- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ .
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت ٥١٨ هـ)
- ٢٥٣- مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين، دار المعرفة، بيروت، (د.ت) .
- ابن ناصر، الدين محمد بن عبد الله بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي (ت ٨٤٢ هـ).
- ٢٥٤- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣ م .
- ناصر خسرو، أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي (ت ٤٨١ هـ)
- ٢٥٥- سفر نامه، تح: يحيى الخشاب، ط٣، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣ م .
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين (ت ٧٣٣ هـ)
- ٢٥٦- نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣ هـ .
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت ٣٠٣ هـ).
- ٢٥٧- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تح: أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلا، الكويت، ١٤٠٦ هـ.
- ٢٥٨- السنن الكبرى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١ م .
- النسفي، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين (ت ٥٣٧ هـ).
- ٢٥٩- طلبة الطلبة، مكتبة المثنى د، بغداد، ١٣١١ هـ .
- ابو نصر البخاري، سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان (ت ٣٤١ هـ).
- ٢٦٠- سر السلسلة العلوية، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٧١ - ١٤١٣ هـ .
- ابن نما الحلي، جعفر بن محمد بن هبة الله (ت ٦٤٥ هـ) .

- ٢٦١- مثير الأحزان، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٠ م.
- النمرى، يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)
- ٢٦٢- الدرر في اختصار المغازي والسير، تح: شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٣ هـ .
- الهاروني، أبي طالب يحيى بن الحسين (ت ٤٢٤ هـ).
- ٢٦٣- تيسير المطالب في أمالي أبي طالب، مؤسسة زيد بن علي الثقافية - صنعاء، (د.ت) .
- ابن هذيل، علي بن عبد الرحمن بن هذيل الفزاري الأندلسي (ت بعد ٧٦٣ هـ).
- ٢٦٤ - حلية الفرسان وشعار الشجعان، دار المعارف للطباعة والنشر، (د.ت) .
- الهروي، أبو غيب القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت ٢٢٤ هـ) .
- ٢٦٥ - الأمثال، تح: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ١٩٨٠ م.
- ٢٦٦ - الأموال، تح: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- الهروي النحوي، أبو سهل محمد بن علي بن محمد (ت ٤٣٣ هـ) .
- ٢٦٧- إسفار الفصيح، تح: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٠ هـ .
- الهمذاني، القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي (ت ٤١٥ هـ) .
- ٢٦٨ - تثبيت دلائل النبوة، تح: عبد الكريم عثمان، دار المصطفى، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- الهيثمي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري (ت ٩٧٤ هـ) .
- ٢٦٩ - الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تح: عبد الرحمن بن عبد الله التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٩٩٧ م .
- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ).
- ٢٧٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تح: حسام الدين القدسي مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤ م.
- الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧ هـ) .
- ٢٧٢ - الردة مع نبذة من فتوح العراق، تح: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠ م .

- ٢٧٣ - فتوح الشام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م .
- ٢٧٤ - المغازي، تح: مارسدن جونز، ط٣، دار الأعلمي، بيروت، ١٩٨٩ م .
- **ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ).**
- ٢٧٥ - معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥ م .
- **يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت ١١٠٠هـ) .**
- ٢٧٦ - غاية الاماني في اخبار القطر اليماني، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨ م .
- **اليقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢) .**
- ٢٧٧ - تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، (د . ت).

قائمة المراجع :

- **ابراهيم بيضون .**
- ٢٧٨ - الحجاز والدولة الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣ م.
- **ابراهيم مصطفى وآخرون .**
- ٢٧٩ - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، القاهرة، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م.
- **احمد حسين يعقوب .**
- ٢٨٠ - كربلاء الثورة والمأساة، ط٢، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١ م .
- **أحمد رأفت عبد الجواد .**
- ٢٨١ - مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ط١، ١٩٨٣
- **أحمد زكي صفوت .**
- ٢٨٢ - جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت) .
- **أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ) .**
- ٢٨٣ - معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب، ٢٠٠٨ م .
- **أرنولد توينبي .**

- ٢٨٥ - مختصر دراسة التاريخ، ترجمة: فؤاد محمد شبل، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ٢٠١١ م .
- إريك فروم .
- ٢٨٦ - المجتمع السوي، (د. ط)، ٢٠٠٩ م .
- الأحمد نكري ، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (ت ق ١٢ هـ) .
- ٢٨٧ - دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ٢٠٠٠ م .
- إميل دوركهايم (ت ١٩١٧ م) .
- ٢٨٨ - قواعد المنهج، ترجمة: محمود قاسم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٨ .
- ٢٨٩ - التربية والمجتمع، ترجمة: علي أسعد، ط٥، دار معد للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٦ م .
- باقر شريف القرشي .
- ٢٩٠ - حياة الإمام الحسين (ع)، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ١٩٧٤ م .
- جرجي زيدان
- ٢٩١ - تاريخ التمدن الإسلامي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٧ م .
- جعفر البياتي
- ٢٩٢ - الأخلاق الحسينية، أنوار الهدى، ١٤١٨ هـ .
- جواد علي
- ٢٩٣ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، جامعة بغداد، ١٩٩٣ م .
- جواد كاظم النصر الله
- ٢٩٤ - حكيم بن جبلة العبدي البصري، دار الكفيل، ١٤٣٧ / ٢٠١٥ م .
- ٢٩٥ - أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب (عَلَيْهِ السَّلَام) في رحاب البصرة، ط٢، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء ، ٢٠١٤ م .
- حامد عبد السلام زهران .
- ٢٩٦ - التوجيه والإرشاد النفسي، ط٣، عالم الكتب، (د.ت).
- حسين عطوان
- ٢٩٧ - الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، ١٩٨٦ م .

- **حنان قرقوتي .**
- ٢٩٨- عنف المرأة في المجل الأسري، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ٢٠١٥م.
- **حليم بركات**
- ٢٩٩- المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (د.ت) .
- **حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت ١٣٢٤) .**
- ٣٠٠ - منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تح: ابراهيم الميانجي، ط٤، المكتبة الإسلامية ، طهران، ١٣٦٤ هـ .
- **عبد الجليل الطاهر .**
- ٣٠١ - أصنام المجتمع، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٦م .
- **عبد الرزاق المقرم (ت ١٣١٥) .**
- ٣٠٢ - مقتل الحسين (ع)، مؤسسة الخرسان للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٧م.
- **عبد الغني عماد .**
- ٣٠٣- سوسيولوجيا الهوية جذليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٧م .
- **علي الكوراني العاملي (ت ٢٠٢٤م).**
- ٣٠٤- جواهر التاريخ، دار الهدى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
- ٣٠٥- سيرة أمير المؤمنين، دار النشر المعروف، قم، ٢٠١٧م .
- **رشيد الجميلي .**
- ٣٠٦ - تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية، ط٢، مطبعة الصافي، بغداد، ١٩٧٦ م .
- **رضوان السيد .**
- ٣٠٧- الأمة والجماعة والسلطة، دار اقرا للنشر والتوزيع والطباعة،
- **الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ).**
- ٣٠٨ - الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م .
- **زهير هوارى .**
- ٣٠٩ - السلطة والمعارضة في الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م.

- سامي البدري .
- ٣١٠ - الإمام الحسن (عليه السلام) في مواجهة الانشقاق الأموي، دار الفقه للطباعة والنشر، (د.ت) .
- شهيد كريم محمد الكعبي .
- ٣١١ - قراءات في النهضة الحسينية، قسم الشؤون الدينية، كربلاء، ٢٠١٨ م .
- ٣١٢ - محاضرات في التاريخ السياسي الأموي، (د.م)، (د.ت) .
- ٣١٣ - النبوة والإمامة النشأة المستأنفة لإسلام الرسالة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، كربلاء، ٢٠١٨ م .
- صبحي حموي
- ٣١٤ - المنجد في اللغة، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٠ م .
- صالح احمد العلي.
- ٣١٥ - التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).
- ٣١٦ - خطط البصرة ومنطقتها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، ١٤٠٦ / ١٩٨٦ م.
- طه حسين .
- ٣١٧ - الفتنة الكبرى (علي وبنوه) ، هنداوي ، (د.ت) .
- عباس القمي (ت ١٣٥٩) .
- ٣١٨ - سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، مطبعة اسوه - قم ، ١٤١٤ هـ .
- ٣١٩ - منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل (ع)، طه، جامعه مدرسين، قم، ١٤٢٢ هـ .
- ٣٢٠ - نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٤٢١ هـ .
- عبد الحكيم الكعبي .
- ٣٢١ - عصر الخلفاء الراشدين، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩ م .
- عبد الجواد ياسين .
- ٣٢٢ - السلطة في الإسلام، ط٢، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠ م .

- عبد الله محمد السيف .
- ٣٢٣- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، مؤسسة الرسالة، السعودية، (د. ت) .
- علي الوردي (ت ١٩٩٥ م) .
- ٣٢٤ - دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، (د، ط)، (د. ت) .
- ٣٢٥ - مهزلة العقل البشري، ط٢، دار كوفان، لندن، ١٩٩٤ م .
- ٣٢٥- شخصية الفرد العراقي، ط٢، منشورات دار ليلي، لندن، ٢٠٠١ م .
- عماد الدين باقي .
- ٣٢٦ - علم اجتماع الثورة الحسينية والمجتمع الكوفي، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧ م .
- عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت ١٤٠٨هـ).
- ٣٢٧ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
- غوستاف لوبون
- ٣٢٨- روح الثورات والثورة الفرنسية، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢ م .
- ٣٢٩ - سيكولوجية الجماهير، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، ١٩٩١ م .
- فهمي النجار .
- ٣٣٠- الحرب النفسية، دار الفضيلة، الرياض، (د.ت) .
- ابو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٩٩٢ م) .
- ٣٣١- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ط٥، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
- قاسم عبده قاسم.
- ٣٣٢- اليهود في مصر، دار الشروق، القاهرة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- كارل ماركس وفريدريك انجلترا .
- ٣٣٣- بيان الحزب الشيوعي، ترجمة: عصام أمين، ١٩٨٧ م .
- محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ).
- ٣٣٤- أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، (د.ت) .
- محمد التونجي .
- ٣٣٥- المعجم المفصل في الادب، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩ م .

- محمد تقي التستري (ت ١٤١٥ هـ) .
- ٣٣٦- قاموس الرجال، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٢ .
- محمد جواد مغنية
- ٣٣٧- الشيعة والحاكمون، ط ٥، مطبعة ستار، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م .
- محمد حسين الزبيدي.
- ٣٣٨- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة، المطبعة العالمية، بغداد، ١٩٧٠ م .
- محمد حسين زبون الساعدي
- ٣٣٩- فلسفة التاريخ في منظور النهضة الحسينية، مؤسسة دار الصادق الثقافية، بابل، ٢٠٢٤ .
- محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤١٢ هـ).
- ٣٤٠- الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم ، (د.ت).
- محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٩٧٣ م) .
- ٣٤١- التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م .
- محمد طاهر الجوابي .
- ٣٤٢- المجتمع والأسرة في الإسلام، ط ٣، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .
- محمد بن طاهر السماوي.
- ٣٤٣- إِبصار العين في أنصار الحُسين، مركز الدراسات الإسلامية، ١٤١٩ هـ .
- محمد بن عبد الرزاق بن محمّد، كُرْد علي (ت ١٣٧٢ هـ) .
- ٣٤٤- خطط الشام، ط ٣، مكتبة النوري، دمشق، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- محمد عثمان نجاتي .
- ٣٤٥- القرآن وعلم النفس، ط ٧، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١ م .
- محمد عرب دسوقي .
- ٣٤٦- القبائل العربيّة في بلاد الشام منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأمويّ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٨ م .
- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠ هـ) .

- ٣٤٧- نيل الأوطار، تح: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- **محمد مرتضى الحسيني الزبيدي**
- ٣٤٨- تاج العروس من جواهر القاموس، وزارة الإرشاد والأنباء الكويت، ١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ .
- **محمود ابو ريه .**
- ٣٤٩- شيخ المضيرة ابو هريرة، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٣ / ١٩٩٣ م .
- **محمود عرفة**
- ٣٥٠- العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية واهم مظاهر حضارتهم ، العين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر ، ١٩٩٥ م .
- **محمود عودة**
- ٣٥١- أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٥ م .
- **المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١) .**
- ٣٥٢- بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م .
- **مرتضى العسكري**
- ٣٥٣- معالم المدرستين، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).
- **مصطفى حجازي .**
- ٣٥٤- التخلف الاجتماعي، ط٩، الدار البيضاء، المغرب، (د. ت) .
- **مهدي المخزومي.**
- ٣٥٥- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ط٢، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٨ م .
- **موريس دوفرجيه (ت ٢٠١٤م) .**
- ٣٥٦- علم اجتماع السياسة، ترجمة: سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٤١١هـ / ١٩٩١ م .
- **نيكولا ميكافيلي (ت) .**
- ٣٥٧- الأمير، ترجمة: محمد لطفي جمعة، دار النوادر، بيروت، ٢٠٢٠م.

- هادي عبد النبي التميمي .
٣٥٨- ثورة الإمام الحسين في المصنفات المصريّة في القرن العشرين الميلادي، دار
ومكتبة البصائر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤ م .
- هاشم حسين ناصر المحنك .
٣٥٩- علم الاجتماع في نهج البلاغة، دار الانباء للطباعة والنشر، النجف الاشرف،
(د.ت) .
- هشام حكمت عبد الستار وآخرون.
٣٦٠- علم الاجتماع السياسي، بغداد، ٢٠١٩ م .
- هشام جعيط (ت ٢٠٢١م) .
٣٦١- الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، دار الطليعة للطباعة والنشر،
بيروت، (د.ت).
- ٣٦٢- الكوفة، نشأة المدينة العربيّة الإسلامية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت،
١٩٨٦م
- لبيب بيضون
٣٦٣- موسوعة كربلاء، مؤسسة الأعلمي، ١٤٢٧هـ .
- نبيل الحسني.
٣٦٤- الانترنتولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام،
قسم الشؤون الفكرية والثقافية، كربلاء المقدسة، ١٤٣٠ / ٢٠٠٩م .
- نزار المنصوري.
٣٦٥- النصر لشيعه البصرة، مكتبة القاهرة .
- نعمة ساهي حسن الموسوي
٣٦٦- التشيع في البصرة، مركز تراث البصرة، البصرة، ٢٠١٧ م .
- يوليوس فلهاوزن .
٣٦٧ - أحزاب المعارضة السياسية الدينيّة، في صدر الإسلام الخوارج والشيعة، ترجمة:
عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، ١٩٥٨ م .

ثالثاً: الرسائل والأطاريح الجامعية

- **إسراء علي خلف الله محمد**
٣٦٨- العوامل الاجتماعية والاقتصادية لارتكاب المرأة للجريمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النيلين، كلية الدراسات العليا، ٢٠١٧م .
- **بوشامه حنان .**
٣٦٩- العصبية القبلية في الدولة الأموية (٤١- ١٣٢هـ / ٦٦٤- ٧٥٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ماي قالمه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٦ - ٢٠١٧م .
- **رحمة احمد الزهراني .**
٣٧٠- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في بلاد اليمن في العصر الأموي (٤١- ١٣٢هـ)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة ام القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٢م .
- **رسمية خياط عبد الزهرة عباس الجبوري .**
٣٧١- موقف اهل الكوفة من الاحداث السياسية في خلافة الإمام علي عليه السلام (٣٥- ٤٠هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٦م .
- **سليم محمد الشريري .**
٣٧٢- البصرة والكوفة في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ٧ أكتوبر (ليبيا)، كلية الآداب .
- **عبد الرحمن الشرقاوي.**
٣٧٣- الحسين ثائراً، (د. ط)، (د. ت) .
- **علي فرحان زوير.**
٣٧٤- الهياطلة تاريخهم ودورهم في المشرق خلال العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية - ابن رشد، ٢٠٠٥م .
- **محسن طعمة يوسف المالكي.**
٣٧٥- الثورة الحسينية في الرؤية الاستشراقية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠١٩م .
- **محمد عباس حسن الطائي .**

- ٣٧٦- سياسة الترغيب في العصر الأموي (٤١ - ١٣٢هـ) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ٢٠١٥ م .
- **ناهد محمود حسين .**
- ٣٧٧- خراسان في العصر الأموي (دراسة سياسية وإدارية ٤١ - ١٣٢هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٧ م .
- **نبأ رضا حسين**
- ٣٧٨- العتق في الدولة العربيّة الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي (١٣٢هـ / ٧٥٠م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ميسان، كلية التربية، ٢٠٢٥ م .
- **نزار ناجي محمد .**
- ٣٧٩- السيرة النبويّة في الرؤية الاستشراقية دراسة تحليلية نقدية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠٢٠ م.
- **نعم عبدالله محمد احمد .**
- ٣٨٠- الحياة الاجتماعية والثقافية في الدولة الأمويّة (٤١ - ١٣٢هـ)، رسالة غير منشورة، جامعة شندي (السودان)، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ٢٠١٩ م .
- **وداد عوض الدرايسه .**
- ٣٨١ - الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد الشام في العصر الأموي (٤٠ - ١٣٢هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الآداب، ١٩٩٤ م .

رابعاً : الكتب الاجنبية :

- **Nicky Tuominen.**
٣٨٢ - A Basic Theory of Rational Herd Behavior ,Aalto University's School, ٢٠١٦.
- **FRANCES HEIDENSOHN**
٣٨٣ - WOMEN & CRIME, Jo Campling .
- **Talcott Parsons**
- **EORGE H. MEAD**
٣٨٤ - MIND, SELF, and SOCIETY, THE UNIVERSITY OF ٣٨٥ -
The Social System, University of Essex.
GCHICAGO PRESS .

خامساً: البحوث المنشورة

- جواد كاظم النصر الله .
٣٨٥ - شهيد الثورة الحسينية الأول سليمان بن رزين ت ٦٠ هـ ، مجلة الكلية الإسلامية،
العدد ثلاثة واربعون .
٣٨٦- دور اهل البصرة في النهضة الحسينية، مجلة الإصلاح الحسيني، ٢٠١٣ م .
- اركان مجيد زياد .
٣٨٧- أساليب معاوية بن ابي سفيان في تجهيل المجتمع الشامي، بيت الحكمة، ٢٠٢٣ م.

Abstrac

The uprising of Imam Hussein (peace be upon him) stands as one of the most significant events in the history of early Islamic society. It became a symbol of resistance against tyranny and a living example of confronting injustice. It was not merely a reformist movement against a deviant authority, but rather a profound moment of societal awakening that shook the conscience of the nation. This occurred after the Umayyad authority had deviated from the just Prophetic path. This deviation was not just a crisis of authority, but a crisis of a society that was beginning to lose its value-based equilibrium and was gradually reverting to pre-Islamic manifestations in governance and behavior.

The uprising of Imam Hussein (peace be upon him) emerged to rebuild societal consciousness and revive the collective sense of responsibility and justice, affirming that religion is not merely rituals, but an ethical and social stance in the face of deviation and injustice. The Hussein uprising was not just a political event to be measured by its military outcome; it was a test of the society's level of awareness and its connection to religious and human values.

It is said that history repeats itself. Even as times change and personalities differ, the similarity of events and stances often remains present. Based on this perspective, this study examines the societal divergence regarding the Hussein uprising, as a clear historical phenomenon and one of the important events in Islamic history.

Despite the clarity of the truth and the society's knowledge of Imam Hussein's (peace be upon him) status and the legitimacy of his stance, the nation did not adopt a unified position towards the uprising. The reactions of the nation varied between a supportive ally, an opposing combatant, a passive neutral, and a hesitant



individual who chose silence or withdrawal. This diversity reveals the differing reasons and motives among the various factions of society at that time, whether in the Hijaz, Iraq, Syria, or other Islamic regions.

Therefore, it is necessary to trace the manifestations of this disparity in positions and analyze its causes to understand the outcomes that led to divisions within Islamic society, despite the clear side of truth and justice. It is worthwhile to investigate whether these stances stemmed from sincere religious convictions, were governed by pragmatic political calculations, or were linked to tribal interests and authoritarian pressures. Furthermore, the possibility must be considered that they resulted from a fragility in the moral structure and collective conscience of the society at that time, which was not always able to translate ethical and religious principles into practical actions.

Hence, this study was conceived following discussions with my supervisor, Dr. Ghufraan Muhammad Aziz, (The Disparity In Societal Stances Towards the Hussein Uprising until the Year ٦١ AH). It is an attempt to interpret this phenomenon through historical analysis coupled with the interpretations of sociologists, in order to reveal the intellectual, social, political, and economic factors that contributed to the shift and contradiction in positions. This methodology contributes to building a realistic vision of the nature of society at that stage and highlights the similarities between it and contemporary societies in the same environment. This calls for a re-evaluation of the foundations of building Islamic society by consolidating religious and social awareness and reforming the educational system, to ensure the creation of an environment

capable of understanding its history, comprehending its lessons, and avoiding the repetition of its mistakes.

The research trajectory of this study necessitated its division into an introduction and three chapters of varying lengths, corresponding to the differing volume of historical and social material available for each axis of the study. This required focusing on the disparity in societal stances towards the Hussein uprising and expanding the study and analysis of events, in proportion to the specific characteristics of each Islamic region's society. Since the society of Kufa was the epicenter of the historical event, it was allotted a broader space in the research, aiming to uncover the social and political factors that contributed to these stances.

The first chapter, entitled "Societal Disparity," clarifies the meaning of societal disparity and its roots in Islamic history. Accordingly, it is divided into four main sections. The first section explains the concept of 'disparity' linguistically and terminologically, as well as the terms indicating it. The concept of 'society' linguistically and terminologically is also addressed. The second section dealt with the concept of societal disparity in Islamic legislation, clarifying the most prominent causes of disparity. The third section was dedicated to studying the disparity in societal stances from the era of the Messenger of God (God's blessings and peace be upon him and his progeny), starting from the Meccan period, through the Medinan period, until the passing of the Messenger of God (God's blessings and peace be upon him and his progeny). This section aims to trace the origins and early forms of this disparity, and to understand the social, religious, and political factors that contributed to the formation of diverse stances among individuals and groups during this phase of Islamic history. This section was expanded due to its

significant impact in clarifying the fluctuating, pragmatic tribal mentality that deviated from sound opinion, logic, and the just path. The fourth section addressed the disparity in societal stances since the era of the Rightly Guided Caliphs, aiming to understand how the different stances of individuals and groups were shaped in light of political transformations, tribal interests, and the evolution of social and political divisions. The second chapter is titled: "The Disparity in Societal Stances in the Hijaz, Yemen, the Levant (al-Sham), Egypt, and Khorasan." It examines the social structure of each of these regions, highlighting the prevailing political, economic, and intellectual conditions due to their importance for understanding the nature of each society and its way of thinking. The chapter also discusses the influence of the local environment, and tribal and religious affiliations in shaping those stances, and the consequent differences in the level of awareness and the nature of interaction with the Hussein event. Given the scarcity of historical narratives concerning societal stances towards the Hussein uprising, the study was compelled to group these regions into a single chapter, based on the volume of available historical material, while taking into consideration that these regions were not the main theater of the historical event, which naturally reflected on the amount of available data about them. Accordingly, we divided the chapter into five sections:

The first section is titled: "The Disparity in Societal Stances in the Hijaz." This section is dedicated to studying the social structure in the Hijaz, focusing on the conditions in Mecca and Medina, illustrating the impact of these conditions on the disparity in the social stance of their inhabitants. The section also studies the stance of different groups towards the Hussein uprising, clarifying the political, religious, and tribal factors that shaped this disparity.



Section Two is titled: The Disparity in Societal Stances in Yemen. This section focuses on the social structure in Yemen. It also elucidates the role of the political and administrative conditions under the Umayyad system in directing this stance, and the impact of this on the differing nature of the interaction with the Hussein event. Section Three addressed: The Disparity in Societal Stances in the Levant (al-Sham). It studied the social structure in the Levant, tracing the political, intellectual, and economic conditions that influenced societal awareness. The section also clarified the nature of the stance of different groups towards the Hussein uprising and the disparity in their responses to the events.

Meanwhile, Section Four addressed: The Disparity in Societal Stances in Egypt towards the Hussein Uprising. Through it, Egyptian society was addressed in terms of its social composition and prevailing conditions, explaining their impact on the stance of Egyptian society towards the Hussein uprising.

Meanwhile, Section Five discussed: The Disparity in Societal Stances in Khorasan. This section dealt with the social structure of Khorasan, and also addressed the general conditions and their impact on the society's stance towards the Hussein uprising.

Chapter Three is titled: The Disparity in Societal Stances in Iraq towards the Hussein Uprising. It addresses the social structure of Iraq, with particular focus on the cities of Kufa and Basra due to their significant historical role at the heart of the historical events of that era. The chapter focuses on the general conditions in them, clarifying the political, economic, and religious factors adopted by the Umayyad authority, which contributed to shaping societal stances and the disparity in their response to the Hussein uprising. The chapter aims to provide a study of the factors that influenced

the awareness of Iraqi society, specifically the influence of political authority on various groups, and to interpret the disparity in their responses to the Hussein uprising. Therefore, the chapter was divided into three sections.

Section One dealt with the social structure in Iraq, specifically the main theater of events represented by the cities of Kufa and Basra.

Section Two is titled: General Conditions in Iraq, aiming to shed light on the impact of those conditions on social life. This required reviewing Mu'awiya's policies in controlling Iraqi society and subjugating it to Umayyad authority, while explaining the political, economic, and religious methods used by the Umayyad system to maintain control. It also addressed the impact of these policies on social stances, and the extent to which different groups were influenced by these measures in determining their response to the Hussein uprising, focusing on the mechanisms of social influence and political authority in directing collective behavior.

Section Three is titled: The Stance of Various Groups towards the Hussein Uprising. It addresses the general conditions and their impact on Kufan society in the year ۶۰ AH. This section concerned itself with the policy of Ubayd Allah ibn Ziyad in managing Kufan society through methods of intimidation and enticement, and how these policies contributed to subjugating society and securing loyalty to the Umayyad authority. The section also addressed the stance of the Kufan groups towards the Hussein uprising, clarifying the disparity in their stances between hostility, support, and neutrality. Furthermore, the section touched upon the stance of the societal groups in Basra.

In conclusion, the study included the most prominent findings and conclusions reached, followed by a list of sources and references that were the resource for documenting and analyzing the historical narratives.



Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Maysan - College of Education

Department of History



The societal position on the Husseini renaissance varied until the

A historical study 61AH year

A thesis submitted by

Zainab Jassim Haider

to the Council of the College of Education

University of Maysan

It is part of the requirements for obtaining a master's degree in

Islamic History

Supervised by Professor Dr

Ghufran Muhammad Aziz Al-Dami

2026 AD

1447 AH